

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية

مجلة علمية محكمة

ISSN: (e) 2709-0833
معامل التأثير للعام 2022 = 4.91

العدد الرابع- المجلد الخامس - أبريل 2024م



السودان، الخرطوم، الخرطوم بحري،
كافوري جوار جامعة الزعيم الأزهرى

هاتف: 00249123656807

00249905578664

البريد الإلكتروني: info@hnjournal.net

العراق - بابل : 009647805011077

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إدارة المجلة

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد
رئيس التحرير
د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه
نائب رئيس التحرير
د. أحمد فايق سليمان دنول
رئيس اللجنة العلمية
د. راكز سالم العرود
نائب رئيس اللجنة العلمية

الهيئة الاستشارية والعلمية الدولية

د. خالد طه سالم صالح	أ.م. عباس مراد دوهان
كلية التربية جامعة صنعاء	أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة الكوفة وجامعة الإمام
د. ميثم منفي كاظم العميدي	الكاظم كلية الدراسات الإسلامية
كلية القانون، جامعة بابل، العراق	د. علي طالب عبيد السلطاني
د. محمد حسين مهاوي / المعروف ب(د.محمد	أستاذ جامعي كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم
الواضح)	الإسلامية
معاون العميد للشؤون العلمية والدراسات العليا	د. تامر شبل زيا
بجامعة الامام الكاظم وأستاذ اللغة العربية	كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية
د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه	د. أمجد عباس أحمد
استاذ القانون المدني	كلية الإمام الكاظم. قسم الحاسوب، العراق
كلية القانون والعلوم السياسية جامعة ديالى	د. ميسون طه حسين منصور الزهيري.
كلية الامام الكاظم (ع)	القانون العام (القانون الدستوري) / جامعة بابل
009647701072853	د. علي محمد كاظم الكريطي
أ.م. د. حيدر كريم جاسم الجزائري	مقرر قسم القانون في كلية الإمام الكاظم / أقسام ميسان
أستاذ جامعي جامعة الإمام الكاظم	

الحمد لله الواحد الأحد، على ما أنعم وأعطى من غير حول منا ولا قوة، نحمده تعالى على عظيم فضله وكثرة نعمه وتوفيقه. ونصلي ونسلم على خير البرية احمد الذي هو عزيز عليه ما عنتنا، حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم.

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية هي مجلة عربية دولية محكمة مستقلة تم انشاؤها عن طريق مجموعة من أساتذة الجامعات الموقرين وأصحاب الكفاءات العلمية العالية وهي تتبع رسمياً لمركز الأبرار للأبحاث والدراسات الإنسانية. حصلت المجلة على الرقم التعريفي الدولي، وقد حصلت أيضاً على اعتراف وتصنيف اتحاد الجامعات العربية. وأيضاً حصلت على تصنيف (SJIF) على الموقع الالكتروني <http://sjifactor.com/> بمعامل تأثير مقداره 4.91. وقد حصلت المجلة على الموافقة من المنظمة الدولية للأرقام التعريفية الدولية للأبحاث (DOI) وسيتم منح كل بحث رقم دولي الكتروني تعريفي خاص بالبحث يبقى مدى الحياة. تهدف المجلة إلى نشر العلوم في كافة المجالات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وبأسعار رمزية لتعم الفائدة لجميع الباحثين العرب حيث لا يجد كثير منهم منصات علمية محكمة وسريعة في النشر والتحكيم والتدقيق.

ونحمد الله ونشكره على ان اكتمل العدد الرابع من المجلد الخامس، وقد احتوى هذا العدد على (17) بحث، وتشكر إدارة المجلة جميع المؤلفين الذين تقدموا ببحوثهم وأوراقهم العلمية ومقالاتهم والتي بحسب رأينا بها كثير من الفائدة حيث تحتوي البحوث المنشورة في هذا العدد والأعداد السابقة على مواد ذات سبق علمي فريد. نسأل الله تعالى ان يوفقهم ويزيدهم علماً ونوراً وفائدة للأمة العربية.

كما تود إدارة المجلة ان تشكر جميع الذين ساهموا في إنجاح هذه المجلة فالبعض منهم قد قام بالتبرع المادي والبعض بالنصائح والمساعدة في النشر.

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

شروط النشر بالمجلة

تعليمات للباحثين:

1. ان يكون البحث ذا قيم علمية بحيث انه يقدم جديد في عالم المعرفة.
2. ان يكون البحث سليماً من حيث الصياغة اللغوية والإملائية.
3. الا يكون البحث مستلاً من بحث تم نشره مسبقاً.
4. الا تتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الأشكال والرسومات والجداول والصور والمراجع. اذا كان هنالك ملاحق فإنها لا تدرج في النشر ولكنها مهمة ان وجدت لأغراض التحكيم.
5. يجب الا يدرج الباحث اسمه في متن البحث وذلك لضمان سرية التحكيم وجودته.

تنسيق البحث:

1. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع.
2. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، واسم الباحث والتعريف به، وبيانات التواصل معه).
3. أن يحتوي البحث على ملخص باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز كل منهما (250) كلمة مع التأكيد على كتابة عنوان البحث باللغة الانجليزية، وأن يتبع كل ملخص كلمات مفتاحية (Keywords) (دالة على التخصص الدقيق للبحث) بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.
4. الهوامش: إذا كان البحث باللغة العربية: 3 سم للأعلى والأسفل، و3 سم للجانب الأيمن و2.3 سم الأيسر. أما إذا كان البحث باللغة الإنجليزية: 3 سم للأعلى والأسفل، و2.3 سم للجانب الأيمن و3 سم الأيسر.
5. المسافة بين الأسطر: مفردة.
6. الخطوط: إذا كان البحث باللغة العربية Simplified Arabic،، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال و10 عادي للملخص. اما اذا كان باللغة الإنجليزية Times New Roman،، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال التوضيحية و10 عادي للملخص.
7. عناصر البحث:
8. المقدمة: (موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته).
9. تبين الدراسات السابقة وإضافته العلمية عليها.
10. المواد وطرق العمل: يجب أن تحتوي على تفاصيل طريقة إجراء البحث والتحليل الإحصائية والمراجع المستخدمة لهما.
11. النتائج والمناقشة: يمكن كتابة النتائج والمناقشة تحت عنوان واحد أو تحت عنوانين منفصلين. في حالة البيانات المجدولة توضع الجداول والأشكال داخل المتن في أول موقع متاح عقب ذكرها برقمها في المتن. ويستحب عدم إعادة كتابة الأرقام المذكورة بالجداول ويفضل الإشارة إلى وجودها بالجدول أو الشكل وتناقش النتائج بالتفصيل بالاستعانة بالمراجع ذات الصلة بالبحث.
12. كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
13. قائمة المصادر والمراجع.

14. الجداول:

15. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيمياً متسلسلاً وتكتب أسماؤها في أعلاها.
16. في النص: الجدول (1) (مع مسافة واحدة بين الجدول ورقمه).
17. التسمية التوضيحية: ينبغي أن تدرج في الجدول على الصف الأول تتسق كالتالي:

الجدول(1) عنوان الجدول مع ثلاث مسافات بين التسمية التوضيحية واسم الجدول.

- يتم كتابة المصدر أسفل الجدول حجم الخط 11.

1. الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية: تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وتكون الرسوم والأشكال باللونين الأبيض والأسود وترقم ترقيمياً متسلسلاً.
2. في النص: (الشكل 1) (مع مسافة واحدة بين الشكل ورقمه).
3. التسمية التوضيحية: يجب أن تكون تحت الشكل مباشرة كالتالي:

شكل(1) عنوان الشكل

- يتم كتابة المصدر أسفل الشكل حجم الخط 11، كالتالي (اسم الشهرة للمؤلف، سنة النشر: رقم الصفحة) إن لزم.

طريقة التوثيق:

1. طريقة الإشارة إلى المصادر داخل متن البحث حسب نظام APA.
2. طريقة كتابة المراجع في نهاية البحث حسب نظام APA.

الصفحة	الموضوع
34 – 1	فَتْحُ الرَّحْمَنِ فِي رَدِّ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ فِي الْقُرْآنِ " دراسة تحليلية نقدية " د/ محمود متولي حسين الميهي د/ عاطف محمد محمود الخولي
48 – 35	تقنيات إظهار الشكل ودورها في تجنيس الفضاء الداخلي غدير محمد حاكم م.د. عصام نوري مجيد
69 – 49	لمحة عامة عن بروتيز الاسبارتك من التصنيف الى التوصيف صادق فنجان حسناوي، زينة كاظم اليونس، علاء جبار عبد المنهل
81 – 70	رثاء حافظ إبراهيم للبارودي - الرؤية وخصائص التشكيل الفني د. محمد السيد حسن حسين
89 – 82	شبّهات حول: حقوق المرأة في الإسلام، والرد عليها د. طاهر صبحي طه الشيخ
102 – 90	مخالفات الإمام الآمدي لجمهور الأصوليين - مسائل الإجماع (أنموذجاً) د. إبراهيم محمد أحمد حسين
103 – 114	EFL Teacher's strategies in teaching reading through distance learning in Secondary female schools Rahmeh Mohammad Soud Elshebli
134 – 115	منطق العمل التضامني في التعاونيات الإنتاجية النسائية ومقاومة الهشاشة الاجتماعية بالمغرب د/ ابراهيم الحياتي
164 – 135	منظومة القيم والمتغيرات الشكلية في تصميم الفضاءات الداخلية احمد نجاح طه، أ.م.د. ياسر كريم حسن
165 – 178	A comparative study between Hemingway's story (Hills Like White Elephants) and Mahmoud Abdel Wahhab's (Bengali Birds) Hashim Hameed Hamoodi
193 – 179	الموعظة في القرآن الكريم-دراسة موضوعية علي الفلالي
207 – 194	Political Repression and Islamist Moderation in Egypt and Morocco between 1990 and 2010 Mohamed Eid Abdalaal Hassan
228 – 208	برنامج تدريسي قائم على المدخل التفاوضي وفاعليته في تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض د. ريمه بنت عبد الرحمن بن عبد العزيز الموسى
249 – 229	القرآن والنفس الإنسانية د. سلافة عبدالنور سليمان عبدالنور

265 – 250	شعريّة الغلو في الخطاب الشعريّ الأندلسيّ (لسان الدين ابن الخطيب أنموذجاً) د. يوسف الرايس
281 – 266	الممارسات غير الأخلاقية للتسويق وأثرها علي سلوك مواطنة العملاء (دراسة حالة: منتجات الألبان) د. مني عبد الرحمن حسن عبد الرحمن
291 – 282	التمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن وموافقه لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي) محمد علي أحمد صغير الذيباني
299 – 292	تقنية السؤال في تعليم الكتابة في التعليم الابتدائي د. خديجة اوواه
307 – 300	البيداغوجيا الفارقية – المفهوم والتطبيق د. نورالدين اوواه، د. خديجة اوواه

عنوان البحث

فَتْحُ الرَّحْمَنِ فِي رَدِّ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ فِي الْقُرْآنِ
"دراسة تحليلية نقدية"

د/ محمود متولي حسين الميهي¹ د/ عاطف محمد محمود الخولي¹

¹ الأساتذتين المساعدين بكلية العلوم والآداب بطبرجل، جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية.

بريد الكتروني: mahmoudelmehy79@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/1>

تاريخ القبول: 2024/03/05م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فهذا البحث يتناول بالدراسة التحليلية النقدية بعض شبهات المشككين حول المكي والمدني في القرآن الكريم ودحضها والرد عليها، فالقرآن الكريم هذا البيان الساطع والنور المبين تحدى به رب العالمين الخلق أجمعين وما زال التحدي به قائماً إلى يوم القيامة، ولن يصل المفكرون لشيء يؤيد ادعاءاتهم لتكفل الله بحفظه، فقد قال ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: 9، فهو آمن من أن يعتريه ما اعترى الكتب قبله من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان. وقد قسمنا هذا البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة. وجعلنا عنوانه

" فتح الرحمن في رد الشبهات حول المكي والمدني في القرآن - دراسة تحليلية نقدية "

وتوصلنا من خلال البحث لعدة نتائج أهمها: القرآن الكريم معجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة، محفوظة بحفظ الله، ومهما حاول المشككون والمفكرون النيل منه فلن يصلوا لشيء، وسيظل هذا القرآن مرفوع الراية يتحدى المعاندين ويطاول المتكبرين.

نسأل الله -عز وجل- أن يلهمنا الرشاد والسداد ، ويتقبله بقبول حسن، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

الكلمات المفتاحية: رد - شبهات - المكي والمدني - دراسة تحليلية - نقدية.

RESEARCH TITLE

**FATH AL-RAHMAN IN REFUTING DOUBTS ABOUT THE MECCAN AND THE MEDINA VERSES IN THE QUR'AN
"Critical Analytical Study"****Dr. Mahmoud Metwally Hussein Al-Maihi¹
Dr. Atef Mohammed Mahmoud Al-Khawly¹**

¹ Assistant professors at the College of Arts and Sciences in Tabarjal, Al-Jouf University - Kingdom of Saudi Arabia. Email: mahmoudelmehy79@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/1>

Published at 01/04/2024

Accepted at 05/03/2024

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, prayers and peace be upon our master Muhammad, his family and companions, and those who follow them in goodness until the Day of Judgment:

This research critically and analytically examines some suspicions related to the Meccan and Madinah revelations. Its main purpose is to refute them. Allah said: "We have, without doubt, sent down the Message; and we will assuredly guard it (from corruption)." (Al-Hijr: 9)

This research has been divided into an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion.

It came under the title: "**Fatah AL- Rahman on the Suspicions Related to the Meccan and Madinah Revelations** - a critical and analytical study."

We reached several results, the most important of which are: The Holy Qur'an is an eternal miracle that will remain until the Day of Resurrection, preserved with the protection of God, and no matter how the falsifiers and slanderers try to undermine it, they will fail. It is a miracle that would defy all these false claims forever.

We ask Allah – Exalted be He - to guide us to the good and to make this paper sincerely done for His own sake and to accept it.

Key Words: refutation - suspicions - falsifiers - Meccan and Madinah revelations - analytical study - critical.

مقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. فَيَمَّا يَلِيزُ أَسَأَا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: 1-3).

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، المتفرد بالجلال بكمال الجمال والمتفرد بتصريف الأحوال، رب الأرباب ومسبب الأسباب، وخالق الخلق من تراب، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، فتح الله به أعيناً عمياً، وقلوباً غفلاً وأذاناً صماً، أقام الله به الدين، وأذل به الشرك والمشركون، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يحيد عنها إلا مفتون.

اللهم صلِّ وسلم على هذا النبي الكريم، وآله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان من الغر المحجلين.

أما بعد...

فإن القرآن الكريم نور الله في خلقه وسر هدايته لعباده، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى: 52-53). وهو كتاب شهد ملك الملوك أنه أنزله إلى رسوله بعلمه ومعه أعظم الشهود «الملائكة الكرام» قال ﷺ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: 166).

وتكفل الله بحفظه، فقال ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9)، فهو آمن من أن يعتريه ما اعتري الكتب قبله من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، فقد كانت الكتب السماوية قبله موكولة في الحفظ لأتباعها، فغيرها وحرفوها، أما القرآن فتكفل الله بحفظه، فلا تحريف ولا تغيير ولا تبديل، لأنه بشهادة الله كتاب عزيز ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42).

ولأن القرآن الكريم مفجر العلوم ومنبعها، وكتاب الهداية الأعظم، والإعجاز الأكبر والأصل الأصيل لهذا الدين الخاتم، فمنذ نزوله على قلب النبي ﷺ بدأ الصراع بين الحق والباطل، وبدأ المشركون بإثارة الشبهات والطعون حول القرآن الكريم، وحول شخصية النبي ﷺ، فقالوا بأن القرآن أساطير الأولين، وقالوا سحر يؤثر، وقالوا إفاك افتراه محمد، واتهموا النبي ﷺ بالكهانة والسحر والجنون، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف: 5).

وكلما زادت طعونهم في القرآن أفحهمهم الله ورد عليهم، ولما بان عجزهم وضعفهم عاونهم إخوانهم في الغي والضلال من اليهود والنصارى لهدم هذا الدين وقالوا - وهم أهل الكتاب - لعبدة الأوثان أنتم أهدى سبيلاً من محمد وأتباعه، وأدعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن لهم الدار الآخرة خالصة من دون الناس، وزعموا بأن دخول الجنة قاصر عليهم، فنصدى القرآن الكريم لهؤلاء المضللين وفند شبهاتهم وحضها وبيّن عوارها، وصدق الله القائل: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَسْجُدَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِئْتُمْ هَهُمْ بِعَدُوٍّ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: 120).

فاليهود والنصارى لتحريفهم كتبهم التي نزلت على أنبيائهم لم تعد لديهم حجة صحيحة، ولا شيء يستندون إليه، فلذا أخذوا يطعنون في القرآن وأحكامه، ليغيروه ويهدموه، وهيهات، فإن هذا الدين محفوظ بحفظ الله، وقد وعد بنصر أهله ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنَّ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات: 171-173).

والمتتبع لأحداث التاريخ يرى أن سيل الشبهات التي يثيرها المشككون والمبطلون من خصوم الدين لم يتوقف، فلا تزال الشبهات القديمة تظهر حتى اليوم في أثواب جديدة، وحلى زائفة، يحاول مروجوها أن يضيفوا عليها الطابع العلمي، فمنذ العصور الوسطى وهزيمة النصارى أمام المسلمين وعجزهم عن التغلب عليهم، بحثوا وفتشوا عن سر قوة المسلمين فعلموا أنها تمسكهم بدينهم، والتزامهم بتعاليم قرآنهم، فأخذوا يتلمسون المطاعن في القرآن ويشيرون بالشبهات ويشككون في الدين الإسلامي، وسار على نهجهم في العصور الحديثة المبشرون والمستشرقون الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية والعربية لا لخدمة الإسلام، بل لنقده والطعن في أصوله، واستغلوا بعض الروايات الضعيفة والواهية التي وردت في المصادر الإسلامية، وبعض الروايات الصحيحة التي حملوها ما لا تحتمل، وفهموها على غير المراد منها، ليشككوا الناس في هذا الدين العظيم، ومما يؤسف له أن بعضاً من أدياء العلم والثقافة من المسلمين صاروا أناباً لهؤلاء الملاحدة، وأخذوا يرددون كلامهم، ويطعنون في دينهم، متسربلين بشعار البحث العلمي والحرية الفكرية، وكذبوا في دعواتهم.

وقد سخر الله ﷻ لهذا الدين من ينافع ويدافع عنه، فهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: 8-9).

ولضراوة الهجمات والقرآن ونبي الإسلام في عصرنا الحاضر كتبنا هذا البحث وجعلنا عنوانه : (فتح الرحمن في رد الشبهات حول المكي والمدني في القرآن) وتوخينا فيه دقة العبارة وسهولة الأسلوب وأمانة النقل، علنا نساهم في الدفاع عن الدين ورد سهام الطاعنين المغترين.

← وقد قسمنا هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

← أما المقدمة: فقد تناولنا فيها الحديث عن القرآن الكريم، وبعض أوصافه، وعناية المسلمين به، وبيننا أن إثارة الشبهات والطعون حول القرآن الكريم منهج قديم بدأ

مع نزول الوحي.

كما تضمنت هذه المقدمة ما يلي:

خطة البحث والدراسة

اقتضت ضرورة هذا العمل أن نقسمه بعد المقدمة والتمهيد إلى فصلين وخاتمة جاءت على النحو التالي:

← التمهيد وفيه:-

❖ تعريف الشبهات لغةً واصطلاحاً

❖ سبب التسمية ، منشأ هذه الشبهة

❖ دوافع إيراد الشبهات

❖ أهم المصنفات في هذا العلم

❖ منهج القرآن في الرد على الشبهات

← الفصل الأول: المكي والمدني في القرآن الكريم.

← الفصل الثاني: الشبه التي أثرت حول المكي والمدني .

← وأما الخاتمة: نسأل الله حسنها، فقد تضمنت خلاصة البحث ونتائجه.

وأخيراً: نسأل الله ﷻ أن يتقبله منا ويجعله في ميزان حسناتنا، ووالدينا ومشايخنا، ومن له فضل علينا، ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: 8).

ونتضرع لرَبِّنا: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاعْفُ عَنِّي يَا مَافَقَّمْتُ وَمَا أَحْرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». (1)

✍ الباحثان

محمود متولى الميهي

عاطف محمد الخولى

الفصل الأول: تمهيد

تعريف الشبهات لغةً واصطلاحاً

الشبهات لغةً: جمع شبهة، يقال شابهاه وأشبهه مائله وتشابها واشتبها أشبه كل منهما الآخر حتى التبا وشبهه إياه وبه مثله وأمر مشتبهة: مُشْكِلَة والشبهة بالضم الالتباس والمثل وشبه عليه الأمر تشبيهاً لئس عليه، واشتبها الأمور وتشابهت: التبت لإشباها بعضها بعضاً، واشتبها الأمور وتشابهت التبت فلم تتميز وتظهر ومنه اشتبهت القبله، والشبهة في العقيدة المأخذ الملبس سميت شبهة لأنها تشبه الحق، وشبه عليه الأمر لئس وخُط (2).

فالمعاني السابقة كلها تدور حول معنى الخلط والإشكال والالتباس مما يدل على المراد منها فالشبهة كالليل المظلم لا وضوح فيه ولا بيان.

واصطلاحاً: ما التبس أمره فلا يدري أحلال هو أم حرام وحق هو أم باطل، وقيل الشبهة مشابهة الحق للباطل والباطل الحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب (3).

قال ابن القيم "رحمه الله" الشبهة: وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه بل يقوي علمه ويقينه بردها ومعرفة بطلانها ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة فإن تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثاله حتى يصير شاكاً مرتاباً (4).

سبب التسمية:

سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل وأكثر الناس أصحاب حُسن ظاهر فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها، وأما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فيكشف له حقيقتها (5).

منشأ هذه الشبهة:

هناك أمور ساعدت على نشأة الشبه وإثارتها ولفت الأنظار إليها وإشاعتها ومن أهم هذه الأمور:

- 1- روايات واهية ومختلفة وباطلة اشتملت عليها بعض الكتب الإسلامية.
 - 2- روايات صحيحة لها مخارج مقبولة، ومحامل صحيحة، ولكن صرفها أعداء الإسلام إلى محامل ترضى أحقادهم وتشفي نفوسهم المريضة وتحقق ما يسعون إليه من حرب على الإسلام وفسد الدنساء له.
 - 3- ما حصل من بدايات جمع القرآن وأثنائه من أمور استغلت لإثارة الشبه.
- كل هذه الأمور وغيرها ساعدت الأعداء على اختلاف ألوانهم وأشكالهم من يهود ونصارى وكفار ومستشرقين ومفتونين من أبناء الإسلام، فيوردون الشبهة، ويضيفون إليها ما شاءت لهم نفوسهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين مما هو من وهم الخيال والأوهام، ومن صنيع الأحقاد، ويطيرون به في كل مطار يحاولون إسقاط الحق وتشويه صورته.

وما هذه الشبهة التي ذهبوا إليها إلا شكوك وأوهام تلقوها من هنا وهناك يروجونها باسم العقل مرة وباسم العلم مرة أخرى، وصدق الله العظيم ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة - 120. وقال سبحانه ﴿ وَذُو لُؤْيُ كَفَرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ النساء - 89، وقال عز من قائل ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ الصف - 8. (6)

دوافع إيراد الشبهات:

هناك دوافع كثيرة للهجوم على القرآن والنبي ﷺ والسنة المطهرة يمكن إجمال هذه الدوافع فيما يأتي:

- 1- **دافع نفسي:** وهو تزييف الحقائق وتحريفها تعبيراً عن الإخفاق والعجز عن مواجهتها، فالعجز عن مواجهة الخصم يتحول في الأعم الأغلب إلى الافتراء عليه، كما

(2) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري 235/1، القاموس المحيط 1610/1، لسان العرب 503/13، تاج العروس 411/36، المصباح المنير 433/4.

(3) ينظر: التعريفات 165/1، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي 422/1، المعجم الوسيط 471/1.

(4) مفتاح دار السعادة ج1/140.

(5) مفتاح دار السعادة 140/1، 141.

(6) ينظر: رفع الالتباس بدفع الشبه المنسوبة لابن مسعود وابن عباس، ص 83، نقلاً عن كتاب النور المبين في دفع شبهات المستشرقين، للأستاذ الدكتور: عبد المنعم رماح ص15.

أن التلبس بالصفات السلبية دافع لوصف الآخرين بها درءاً للاتهام على طريقة "رمتني بدائها وانسلت" وهو ما يُعرف عند علماء النفس بالإسقاط⁽⁷⁾. حيث أن الإسقاط حيلة من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد للتخلص من تأثير التوتر الناشئ في داخله ذلك أن الغلبة تكون للفكر الأقوى والإسلام كما يشهد الواقع عقيدة وأخلاقاً هو الأقوى، فقوته ليست من قوة أتباعه كما في العقائد الأخرى، ولكن قوته ذاتية تتأتى من ربانية هذا الدين لأنه الحق، لأنه الخير، لأنه السلام والأمن، لأنه الحقيقة التي لم تتعرض لزيغ أو تحريف أو تشويه.

ومن هنا كان إخفاق الغرب على المستوى الفكري والمعرفي - على الرغم من تفوقه سياسياً واقتصادياً وعسكرياً - دافعاً إلى الخروج عن العقلانية والحوار المنصف، واللجوء إلى القوة وإلى التشويه، والإفساد ظلماً وعدواناً.

2- دافع معرفي: وهو إخفاق الغرب في مواجهة الإسلام فكراً على الرغم من هزيمة المسلمين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في الوقت المعاصر فالافتراء على القرآن والطعن فيه في القرون الوسطى جاء نتيجة إخفاق الكنيسة في مواجهة الإسلام عقائدياً حيث تنهأى عقيدة التثليث أمام عقيدة الوحدانية لله تعالى - يضاف إلى هذا انعزال الكنيسة عن الحياة في مقابل أن الإسلام دين ودنيا، فلم يكن من سبيل أمام الكنيسة من سبيل لصد النصارى عن الدخول في الإسلام سوى تشويه رسالة الإسلام، ولا يزال الغرب حتى الآن يمارس إقصاء ونبذ الآخر بمواصلة الطعن في القرآن وفي نبوة النبي محمد ﷺ وفي الوقت نفسه ينعت الإسلام بأنه هو الذي يمارس إقصاء الآخر.

3- دافع المصلحة: فالمنتفعون على مستوى العالم بتجارة الرقيق، والربا والخمر والمخدرات وأسلحة الدمار الشامل، ومؤسسات الربا العالمية ومؤسسات الأزياء والتجميل.. إلخ يحاربون "القرآن - الإسلام" لأنه يحرم هذه الموبقات التي أورثت العالم الغلاء وكان الكثير منها وراء إثارة الفتن والحروب في العالم الثالث ترويحاً لتجارتهم وجعل هذه البلاد أسواقاً للسلاح والمخدرات وغيرها⁽⁸⁾.

أهم المصنفات في هذا العلم:

بدأ التشكيك في القرآن الكريم؛ وإثارة الشبهات حول مصدر الشريعة منذ البدايات الأولى لنزول القرآن الكريم وهكذا في كل عصر تشتد الحرب على الإسلام حيناً وتهتأ حيناً آخر وقد وقف العلماء بالمرصاد لكل من يثير هذه الفتن والشبهات ومن أهم المصنفات في هذا العلم:

- 1- الرد على ابن الرواندي الملحد للجاحظ "ت255هـ".
 - 2- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري "ت276هـ".
 - 3- التمهيد وإعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني "ت403هـ".
 - 4- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار "ت415هـ".
 - 5- حقائق الإسلام وأباطيل خصومة للأستاذ عباس محمود العقاد.
 - 6- شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب.
 - 7- دفاعاً عن القرآن ضد منتقديه لعبد الرحمن بدوي.
- وغير هذه الكتب كثير بالإضافة إلى ما تعرض له المفسرون في كتب التفسير وعلوم القرآن وبخاصة:-

- 1- معاني القرآن للفراء.
- 2- الكشف للزمخشري.
- 3- مفاتيح الغيب للرازي.
- 4- روح المعاني للآلوسي.
- 5- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.
- 6- التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور.

(7) الإسقاط: حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكربة التي لا يتعرف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار.... وذلك تنزيهاً لنفسه وتخفيفاً مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب. أصول علم النفس د./ أحمد عزت راجح: طبع دار الكتاب العربي - القاهرة - السابعة - سنة 1967م.

(8) ينظر: موسوعة بيان الإسلام، الرد على الافتراءات والشبهات / القسم الأول، القرآن ج1/46 وما بعدها، ط دار نهضة مصر، إعداد نخبة من العلماء، منهج القرآن في الرد العلمي على الشبهات والافتراءات، د./ محمد داود، مجلة منبر الإسلام، ص24، حمادي الآخرة 1434هـ.

7- مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.

8- المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد محمد أبو شهبه.

منهج القرآن في الرد على الشبهات:

أرسل الله ﷺ نبيه محمد ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً بدستوره الخالد وكتابه المحكم ليخرج الناس من ظلمات الجهل والشك والشرك إلى نور العلم واليقين والإيمان، ومنذ أن دعي النبي ﷺ الناس إلى الإيمان بالله الواحد والمساواة بين البشر أجمعين، ما انفك المشركون عن مجابهته بالمعارضة والتشكيك في النبي تارة وفي القرآن تارة أخرى، وبالرغم من كونهم أرباب الفصاحة والبلاغة وعجزهم عن الإتيان بما تحداهم به القرآن من الإتيان بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة منه لم يسلموا لهذا القرآن وهذا النبي بل طعنوا في القرآن وقالوا أساطير الأولين، وقالوا بأنه سحر يؤثر وأنه إفك افتراه محمد، واتهموا النبي ﷺ بالجنون والكهانة والسحر وقول الشعر، وكلما زادت طعونهم في القرآن أفحهمهم الله ورد عليهم، ولَمَّا بَانَ عجزهم وضعفهم عاونهم إخوانهم في الغي والضلال من اليهود والنصارى لهدم هذا الدين وقالوا - وهم أهل الكتاب - لعبدة الأوثان أنتم أهدى سبيلاً من محمد وأتباعه، ودَّعَوْا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ، وَأَنَّ لَهُمُ الدَّارَ الْآخِرَةَ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ، وَزَعَمُوا أَنَّ دَخُولَ الْجَنَّةِ قَاصِرٌ عَلَيْهِمْ، فَتَصَدَّى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَهُؤُلَاءِ الْمُضِلِّينَ وَفَنَّدَ شَبَهَاتِهِمْ وَدَحَضَهَا وَبَيَّنَّ عَوْرَاتِهَا، وَسَادَّكَرَ فِيهَا يَأْتِي بَعْضُ مِنْ هَذِهِ الرَّدُودِ عَلَى افْتِرَائِهِمْ:

أولاً: كفار مكة هم أول من تعرض لنقد القرآن الكريم وإثارة الشبهات حوله وحول النبي الكريم ﷺ فقالوا عن القرآن ما يأتي:-

أ- قالوا بأنه أساطير الأولين فحكى الله ذلك قائلاً: ﴿وَقَالُوا أَأُتِىَ الْأَوَّلِينَ أَلْكِتَابُهَا فَيَكُنَّ عَلَيْنَا بُرْهَانٌ وَإِصْلَاحٌ لِّلْأَوَّلِينَ﴾: ٥، وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْنَا آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: الأنفال: ٣١، وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلُ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: النحل: ٢٤، فرد عليهم ﷺ بقوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: الفرقان: ٦.

ب- وقالوا عن القرآن بأنه سحر وبأنه قول البشر قال ﷺ: ﴿قَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾: المدثر: ٢٤ - ٢٥

فرد الله عليهم بأنه "تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فصلت: ٢، وبأنه "تَنْزِيلٌ مِّنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الواقعة: ٨٠

ج- واتهموا النبي ﷺ بالجنون فقالوا فيما حكاه القرآن عنهم "وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ" الحجر: ٦، فرد الله عليهم بقوله "مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ" القلم: ٢، وقال ﷺ: "مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ" التكاوير: ٢٢

د- وحينما اتهموا النبي ﷺ بالكهانة والشعر رد الله عليهم بقوله: "إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِّنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الحاقة: ٤٠ - ٤٣

هـ- وحينما اتهموا النبي ﷺ بأنه تَوَقَّوْهَ وافتراه وأعانه آخرون عليه حكى الله ذلك ورد عليهم بقوله "أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَاوُوا بَحَدِيثِ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" الطور: ٣٣-٣٤ وقال ﷺ عنهم "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا" الفرقان: ٤، وقال ﷺ: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ" السجدة: ٣.

و- واتهموا النبي ﷺ بأنه تعلم القرآن من أعجمي فحكى الله ذلك ورد عليهم بقوله "وَلَقَدْ نَعَّمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" النحل: ١٠٣

ز- ولما سخروا من النبي ﷺ من كونه مرسلًا من عند الله وهو مثلم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق حكى الله ذلك بقوله "وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرٌ" الفرقان: ٧- فرد الله عليهم بقوله "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا" الفرقان: ٢٠

ح- وطلبوا من النبي ﷺ أن يُوَدِّعَ الْقُرْآنَ أو يأتي بغيره فحكى الله ذلك ورد عليهم "وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْنَا آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أُتِيتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" يونس: ١٥-١٦

ولم يكتف القرآن الكريم بالرد على ما أثاره المشركون من شبهات بل قام بالرد أيضاً على ما أثاره أعداء الإسلام من اليهود والنصارى من شبهة ليشككوا في هذا الدين وهذا النبي، ومعلوم أن عداوة اليهود والنصارى للإسلام قديمة منذ هجرة النبي وصحابه للمدينة المنورة وزادت واشتدت كلما رأوا تقدم الإسلام وكثرة الداخلين فيه وتغلغل مبادئه في نفوس أتباعه وخير دليل على ذلك ما جاء في سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة في قصة مقدم النبي ﷺ المدينة، عن أم المؤمنين صفية -رضي الله عنها-

قالت: لما قدم رسول الله ﷺ غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر ابن أخطب، ثم رجعا فسمعت عمي يقول لأبي: أهو هو؟ قال نعم والله، قال أتعرفه وتنبته؟ قال نعم، قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت⁽⁹⁾، وهناك أمثلة كثيرة في القرآن الكريم توضح الشبه التي أثاروها والدحض الإلهي لها، من ذلك:

أولاً: الرد على اليهود

أ- عندما قالوا "الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" آل عمران: ١٨٣

ب- وعندما ادَّعوا أنهم أولياء الله من دون الناس حكى الله ذلك ورد عليهم بقوله "قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" الجمعة: ٦ - ٧

ج- عندما ادَّعوا أنهم غير مكلفين إلا بما أنزله الله عليهم حكى الله ذلك ورد عليهم بقوله "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" البقرة: ٩١

ثانياً: الرد على النصارى

أ- رد الله عليهم دعواهم بأن الله هو المسيح ابن مريم قال ﷺ: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" المائدة: ١٧

ب- ورد عليهم دعواهم أن الله ثالث ثلاثة فقال سبحانه "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" المائدة: ٧٣

ثالثاً: الرد القرآني على اليهود والنصارى معاً

1- رد الله ﷻ عليهم دعواهم بأن دخول الجنة قاصر عليهم فقال سبحانه "وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" البقرة: ١١١ - ١١٢

2- ولما ادَّعوا أنهم أبناء الله حكى الله ذلك ورد عليهم بقوله "وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" المائدة: ١٨

3- وعندما ادَّعوا أن لا دين إلا دينهم وأن لا هدى إلا هداهم حكى الله ذلك ورد عليهم فقال سبحانه "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" البقرة: ١٣٥

فالشبهات السابقة والمطاعن وغيرها كثير جاء في كتاب الله ﷻ على لسان المشركين واليهود والنصارى وقام الله بالرد عليهم وإفحامهم ودحض شبهاتهم وبيان زيفها وبطلانها، بل ومما يدعو للعجب أن "من يستعرض تاريخ القرآن الكريم عبر الزمان والمكان يجد أن من بين خصائص هذا الكتاب التي تصل إلى حد الإعجاز أنه كلما اشتد الهجوم عليه من معارضيه ومنكريه ازداد تألقاً وقوة فحقائق القرآن الخالدة تدحض الزيف والافتراء وكل ما يثيره أعداء القرآن من شبهات إنه بحق كما أخبر الله ﷻ عنه "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" فصلت: ٤٢

وتقوم آيات القرآن على إقناع العقل وطمأنينة القلب وفضح الزيف والافتراء حتى لا يبقى أمام المتمرد إلا أحد أمرين إما أن يؤمن عن بينة، وإما أن يكفر عن بينة، والقرآن وحده هو القادر على محاوره المتمرد، لأنه خطاب الخالق لخلقه وهو ﷻ أعلم بهم قال تعالي "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك: ١٤⁽¹⁰⁾.

فما سبق يتضح لنا ويتأكد أن رد الشبهات المثارة حول القرآن ونبي الإسلام منهج قرآني أصيل ورد به القرآن الكريم وكذا السنة النبوية المطهرة ويؤكد أن من أوجب الواجبات على علماء هذه الأمة الإسلامية وأتباع القرآن العظيم أن ينافحوا عن كتاب ربهم ويزودوا عن حياض سنة نبينهم ويكونوا بالمرصاد لكل من تسول له نفسه الطعن والتشكيك في خير كتاب أنزل لخير أمة.

رزقنا الله الفهم لكتابه والزود والدفاع عن دينه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(9) السيرة النبوية لابن هشام 52/3، الروض الأنف 376/2، دلائل النبوة للبيهقي 533/2.

(10) موسوعة بيان الإسلام 48/1، 49.

الفصل الثاني

الشبهات المثارة حول المكي والمدني

قبل الحديث عن الشبهات أتحدث أولاً: عن المكي والمدني فأقول وبالله التوفيق

عناية العلماء بالمكي والمدني:

عَنِ الْعُلَمَاءِ بِتَحْقِيقِ الْمَكِيِّ وَالْمَدَنِيِّ عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمان النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب لأن معرفة المكي والمدني من المباحث المهمة التي يحتاج إليها المفسر لكتاب الله ومن نصب نفسه للاجتهد والفتيا والقضاء كي يمكنهم التوصل إلى الحق والصواب، قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة ثم ما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي ثم ما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية ثم ما نزل ليلاً وما نزل نهاراً وما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً ثم الآيات المدنيات في السور المكية والآيات المكية في السور المدنية ثم ما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة ثم ما نزل مجملاً وما نزل مفسراً وما نزل مرموزاً ثم ما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني هذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى⁽¹¹⁾

فوائد العلم بالمكي والمدني

ومن فوائد العلم بها:

1- أنه يعرف به الناسخ والمنسوخ فيما لو وردت آيتان متعارضتان وإحادهما مكية والأخرى مدنية فإننا نحكم بنسخ الثانية للأولى لتأخرها عنها.

2- أنه يعين على معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سنة الله الحكيمة في تشريعه؛ وهي التدرج في التشريعات بتقديم الأصول على الفروع والإجمال على التفصيل وقد أثمرت هذه السياسة التشريعية ثمرتها وعادت على الدعوة الإسلامية بالقبول والإذعان والانتشار.

3- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية..

فإن تتابع الوحي على رسول الله -ﷺ- سائر تاريخ الدعوة بأحداثها في العهد المكي والعهد المدني منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت، والقرآن الكريم هو المرجع الأصيل لهذه السيرة الذي لا يدع مجالاً للشك فيما رُوِيَ عن أهل السير موافقاً له، ويقطع دابر الخلاف عند اختلاف الروايات⁽¹²⁾.

4- ومن فوائده أيضاً الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف والزيادة والنقصان، ويدل على ذلك اهتمام المسلمين به كل هذا الاهتمام حتى ليعرفون ويتنقلون ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر إلى غير ذلك... فلا يعقل بعد هذا أن يتركوا أحداً يعيث به وهم المتحمسون لحراسته وحمايته والإحاطة بكل ما يتصل به أو يحتف بنزوله إلى هذا الحد.

هل ورد عن رسول الله ﷺ بيان لمعرفة المكي والمدني ؟

العمدة في معرفة المكي والمدني النقل الصحيح عن الصحابة الذين كانوا يشاهدون أحوال الوحي والتنزيل، والتابعين

(11) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 1/192، الإتيان: 34/1.

(12) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص 59.

الآخذين عنهم، ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قول؛ لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني. وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا. وليس بعد العيان بيان⁽¹³⁾.

وقد اشتهر بمعرفة المكي والمدني من الصحابة- رضوان الله عليهم- عبد الله بن مسعود ؓ روى البخاري بسنده عنه أنه قال: «والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»⁽¹⁴⁾ وقال أيوب: سأل رجلا عكرمة عن آية من القرآن فقال: نزلت بسفح الجبل وأشار إلى سلع⁽¹⁵⁾

تعريف المكي والمدني

للعلماء في تعريفهما اصطلاحات ثلاثة:

الأول: ما عليه جمهور العلماء وهو المكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان نزوله بغير مكة، ويدخل فيه ما نزل على النبي ﷺ في سفر الهجرة.

والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بغير المدينة، ويدخل فيه ما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد الهجرة كسورة الفتح فقد نزلت على النبي منصرفه من الحديبية.

وهذا الاصطلاح لوحظ فيه الزمان، وعليه فقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا (النساء: 58) مدني وإن كانت نزلت بمكة والنبي ﷺ في جوف الكعبة عام الفتح، وقوله: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة: 3) مدني وإن كانت نزلت بعرفة في حجة الوداع وهذا التقسيم حاصر وضابط ومطرّد؛ إذ تتعدى على القول به الوساطة ولا يرد عليه ما ينقضه فلذا كان الراجح المقبول.

الاصطلاح الثاني: المكي: ما نزل بمكة ويدخل في مكة ضواحيها كالمنازل عليه بمنى وعرفات والحديبية.

والمدني: ما نزل بالمدينة ويدخل في المدينة ضواحيها كالمنازل عليه ببدر وأحد وهذا الاصطلاح لوحظ فيه المكان؛ ويرد على هذا التعريف أنه غير حاصر لأنه يثبت الوساطة فما نزل عليه بالأسفار لا يسمى مكيا ولا مدنياً وذلك مثل ما نزل بتبوك، وهو قوله تعالى: لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَرًا قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ [التوبة: 43] الآية، ومثل آية التيمم التي في سورة النساء فإنها نزلت على النبي ﷺ في بعض أسفاره، وهو منصرفه ؓ والجيش من غزوة بني المصطلق.

الثالث المكي: ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني: ما وقع خطاباً لأهل المدينة، ويحمل على هذا ما نقل عن ابن مسعود أنه قال: ما كان في القرآن- يا أيها الذين آمنوا- أنزل بالمدينة، وما كان يا أيها الناس فبمكة. وما نقل عن ميمون بن مهران التابعي الجليل أنه قال: ما كان في القرآن يا أيها الناس أو يا بني آدم فإنه مكي، وما كان يا أيها الذين آمنوا فإنه مدني، وهذا الاصطلاح لوحظ فيه المخاطب، ويرد على هذا الرأي أن التقسيم عليه غير حاصر فهناك آيات كثيرة جداً في القرآن الكريم ليس فيها يا أيها الناس ولا يا أيها الذين آمنوا كما يرد عليه أنه غير مطرد؛ إذ هو منقوض بسورة «البقرة» المدنية وفيها يا أيها الناس اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وبسورة «النساء» المدنية ومفتحتها يا أيها الناس اتَّقُوا رَبَّكُمْ وبسورة «الحج» فإنها مكية عند جماعة من العلماء وفي أواخرها "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" الحج: ٧٧.

(13) مناهل العرفان 1/196.

(14) صحيح البخاري /كتاب فضائل القرآن / حديث رقم 4716.

(15) بفتح السين وسكون اللام اسم جبل بالمدينة.

قال الإمام الرازي في تفسيره تعقيباً على هذا الاصطلاح الأخير: قال القاضي: إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فمسلم وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف إذ يجوز أن يخاطب المؤمنين بصفاتهم وباسم جنسهم، ويؤمر من ليس بمؤمن بالعبادة كما يؤمر المؤمن بالاستمرار عليها والازدياد منها فالخطاب في الجميع ممكن (16) فإن قال قائل: إن مراد هؤلاء بمقاتلتهم هذه أن الغالب والكثير كذلك، قلنا: إن ذلك لا يفيد في التقاسيم والتعاريف إذ مبناها على الضبط والانحصار والاضطراد.

الاعتماد في وصف السورة بكونها مكية أو مدنية

والذي يظهر أن اعتمادهم في وصف السورة بكونها مكية أو مدنية إنما يكون تبعاً لما يغلب فيها أو تبعاً لفاتحتها، فقد ورد عن ابن عباس: أنه قال إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت مكية ثم يزيد الله فيها ما شاء، وقال البيهقي في الدلائل: في بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت بها (17) وقال ابن الحصار: كل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل، وقال ابن حجر في الفتح: قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السورة المكية... وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادراً، فقد اتفقوا على أن الأنفال مدنية، لكن قيل: إن قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ... الآية نزلت بمكة (18).

وترتيب الآيات القرآنية ليس على حسب نزولها، وترتيبها الزمني، إنما يرجع إلى المناسبات التي تقوم على ارتباط المعاني وتماسكها، ووحدرة الفكرة أو تجانسها، فلا عجب إذا أن يكون في بعض السور المكية آيات مدنية أو العكس. وليس أدل على هذا من أن بعض الآيات وضعت بجانب بعض الآيات الأخرى مع وجود فاصل زمني بينهما نحو بضع سنين كما جاء في أسباب النزول، وذلك مثل نزول قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا " النساء: ٥٨ فقد نزلت بعد قوله تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبِّ وَالطَّاعُوتِ " النساء: ٥١ ، بنحو ست سنين.

الطريق التي يعرف بها المكي والمدني

لمعرفة المكي والمدني طريقان:

1 - سماعي.

2 - وقياسي.

أما السماعي: فالنقل الصحيح عن الصحابة أو التابعين بأن سورة كذا أو آية كذا نزلت بمكة أو بالمدينة أو قبل الهجرة أو بعدها.

وأما القياسي: فضوابط كلية لمعرفة كل منها وهذه الضوابط مبناها على التتبع والاستقراء المبني على الغالب والكثير.

ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية

1- كل سورة فيها «كلا» مكية، وقد وردت في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير قال الدريني رحمه الله:

وما نزلت كلا يثيرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

وحكمة ذلك: أن النصف الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثر أهلها جابرة فتكررت كلا على وجه التهديد والتعنيف لهم

(16) مفاتيح الغيب 320/2.

(17) دلائل النبوة 144/7.

(18) فتح الباري 41/9.

والإنكار عليهم بخلاف النصف الأول، وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم. وذكرت ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة.

2 - كل سورة في أولها حروف المعجم فهي مكية سوى «البقرة» و«آل عمران» فإنهما مدنيتان باتفاق، وفي «الرعد» خلاف.

3 - كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.

4 - كل سورة فيها سجدة مكية سوى الحج، عند من يقول إنها مدنية.

5 - كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الماضية مكية سوى «البقرة» و«آل عمران».

أما المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب المكي فيمكن إجمالها فيما يلي:

1 - الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء. وذكر القيامة وهولها. والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.

2 - وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع. وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

3 - ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم وتسلية لرسول الله ﷺ حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى نصر الله تعالى له عليهم.

4 - قصر أكثر آياته وسوره؛ وذلك لنزوله بمكة، وأكثر أهلها يومئذ يمتازون بعلو كعبهم في الفصاحة والبلاغة، وتملكهم لئاصية القول، والخطابة، والشعر وبلوغهم الغاية في لطف الحس، وذكاء العقل، والألمعية وسرعة الخاطر فكان المناسب لهم النذر القارعة، والعبارات الموجزة، والفقر القصيرة ذات اللفظ الجزل، والجرس القوي، والمعنى الفحل فتصخّ الأذان وتستولي على المشاعر وتعلّق ألسنتهم عن المعارضة وتدفعهم في حيرة ودهشة مما يسمعون فلا يلبث البليغ منهم بعد سماعها أن يلقي عصا العجز ويرسلها قولة صريحة تشهد بالإعجاز كما قال الوليد بن المغيرة القرشي لما سمع القرآن: والله لقد سمعت كلاماً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول بشر، وإنه ليعلو ولا يعلو، وإنه ليحطم ما تحته.

ولقد كان البليغ منهم - على كفره - يسمع القرآن فيخيل إليه أن العذاب كأنه واقع بهم فلا يجد مندوحة عن أن يناشد النبي ﷺ الله والرحم أن يكف عن قراءاته، وكان القرشيون يتواصلون فيما بينهم أن لا يستمعوا إليه وأن يضعوا أصابعهم في آذانهم، ويستغشوا ثيابهم، حذراً أن ينفذ إلى قلوبهم فإذا هم بعد قليل تغلب عليهم فطرتهم اللغوية فيتناسون الوصية ويلقون إليه بأذانهم وقلوبهم لما يجدون في استماعه من لذة وإرضاء لملاكتهم الأدبية.

ضوابط المدني ومميزاته الموضوعية

1- كل سورة فيها ذكر الحدود والفرائض⁽¹⁹⁾ مدنية.

2 - كل سورة فيها ذكر المنافقين وأحوالهم مدنية سوى سورة العنكبوت فإنها مكية إلا إحدى عشرة آية من صدرها فإنها مدنية وهي التي ذكر فيها المنافقون.

3 - كل سورة فيها الإذن بالجهاد أو الأمر به وأحكامه والصلح والمعاهدات فهي مدنية، سوى سورة «الحج» عند من يرى أنها مكية.

(19) قال الشيخ غزلان -رحمه الله- المراد بالفريضة هنا فريضة الميراث، لا مطلق فريضة، وإلا ففي القسم المكي فرائض كثيرة كالصلاة وبر الوالدين والعدل والوفاء بالعهد والتواصي بالحق والصبر وغير ذلك، وقد اشتهرت أحكام الميراث باسم الفرائض حتى قال النبي -ﷺ- «أفرضكم زيد رواه أحمد 184/3 بإسناد صحيح كما في الإصابة لابن حجر 2/592.أ.هـ من البيان ص 132.

- هذا من ناحية الضوابط، أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب المدني فيمكن إجمالها فيما يأتي:
- 1- بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواثيق، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.
 - 2- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنبهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.
 - 3- الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسياتهم، وإزالة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.
 - 4- طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها⁽²⁰⁾.
- يقول الأستاذ الدكتور عبد الوهاب غزلان: هذه الضوابط يلاحظ عليها أمران:-
- الأول:** أنها أمور لم يُعلم بها المكي والمدني ابتداءً، لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك سوى النقل عن الصحابة والتابعين، وإنما هي أمور عرفت بطريق التتبع والاستقراء أنها توجد فيما ثبت بالنقل أنه مكي، إن كانت تلك الأمور مما انفرد به القسم المكي، أو فيما ثبت بالنقل أنه مدني إن كانت مما انفرد به القسم المدني.
- الثاني:** أن هذه الضوابط توجد في بعض السور دون بعض فليس المراد أنه لا تخلو سورة من السور عن شيء منها يعرف به أنها مكية أو مدنية، بل المراد أنه إذا وجد في سورة من السور شيء من هذه الضوابط علم أنها مكية أو مدنية. أ.هـ. (21)

ثانياً: الشبه التي أثرت حول المكي والمدني

إن أعداء الإسلام وخصومه كانوا ولا يزالون حريصون كل الحرص على التشكيك في القرآن الكريم وتصويب أنفسهم السامة وسهامهم الطائشة إليه، وإثارة الشبه حوله وذلك لأن هذا الكتاب أعظم مقدسات الإسلام والمسلمين، وهو أيضاً قوام الدين الذي يعتمد عليه أتباعه، يريدون بذلك أن يفتنوا المسلمين ويزعزعوا عقيدتهم ويضعفوا ثقتهم بكتاب ربهم. ولكن هؤلاء فعلوا ما فعلوا وأرادوا ما أرادوا متناسين أن هذا الكتاب مصدر عزة المسلمين لكونه معجزة الرسول الخالدة الباقية المتجددة التي لا ينال منها عبث العابثين ولا شبهات المضلين المغرضين لأنه كلام رب العالمين الذي وصفه بقوله "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" النساء: 82. ومن تلك السهام الطائشة والأنفاس السامة المطاعن الموجهة إلى القرآن الكريم وما أثاروه من شبهات حول المكي والمدني غرضهم منها إثبات أن القرآن الكريم ليس من عند الله وإنما هو من تأليف محمد تَقَوُّله وافتراه وأخذه من غيره وتأثر محمد بمن أخذ عنهم وبالبيئات المختلفة التي عاش فيها ظهر أثر ذلك كله في القرآن الكريم "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا" الكهف: 5. وفيما يأتي أعرض لبعض من هذه الشبهة التي أثاروها، والمطاعن التي ادعوها والمزاعم التي افتروها، ثم أنقضها وأدحضها وأسقطها بالحجج الدامغة والأدلة الواضحة مستعيناً بالله تعالى ومستمدداً العون منه.

(20) ينظر خلاصة ما سبق في: البرهان للزركشي 187/1، الإتيان 34/1 وما بعدها، مناهل العرفان 192/1، المدخل لأبي شهبه 218 الموسوعة القرآنية للأبباري 402/1.

(21) البيان في مباحث من علوم القرآن ص 131.

الشبهة الأولى

الادعاء بأن القسم المكي يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة كالعنف والشدة والقسوة والحدة والغضب والسباب والوعيد والتهديد مثال ذلك:

"تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ" المسد: ١ - ٥

ومثاله أيضاً: "وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" العصر: ١ - ٢.

وقوله "قَصَبٌ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطٌ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ" الفجر: ١٣ - ١٤.

وقوله "كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ" التكاثر: ٥ - ٦.

أما القسم المدني أو الليثي فتلوح عليه أمارات الثقافة والاستتارة ويتسم بأنه هادئ لين وديع مسالم يقابل السوء بالحسنى، ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة. وغرضهم من إيراد تلك الشبهة تشكيك المؤمنين في كتاب ربهم وأنه ليس كلام الله وليس معجزاً إنما هو كلام محمد الذي تأثر أولاً بأهل مكة فكان كلامه خشنا بعيداً عن المعارف العالية التي اكتسبها من أهل الكتاب في المدينة. (22)

الرد على هذه الشبهة:

ولتفنيد ما سبق أقول: إن هذه الشبهة ساقطة من وجوه بيانها فيما يأتي:-

أولاً: القول بأن القسم المكي يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة أو ينفرد بالعنف والشدة دعوى بغير دليل وعدول عن الحق لهوى في نفس القائل وحقد في قلبه فالقرآن الكريم جميعه يمتاز بكل أنواع السمو والرفعة والوقار والجلال فهو إذا اشتد فعلى الفاسقين المفسدين يشدد وإذا لان فللصالحين الأخيار يلين وشدته ولينه في الوعد والوعيد وكلاهما لصالح النوع الإنساني ولا يعاب كتاب كالقرآن لذلك.

ثانياً: الدعوى بأن القسم المكي تفرد بالعنف والشدة أقول بأن هذه دعوى من لم يمعن النظر في كتاب الله ﷻ لأن المكي لم ينفرد بالعنف والشدة ففي المدني كثير من الشدة والوعيد وإليك أمثلة توضح ذلك.

قال تعالى في سورة البقرة المدنية: "فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَانْفِقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ" البقرة: ٢٤ - وقال فيها أيضاً "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ" البقرة: ٢٧٥. وقال فيها أيضاً: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ ثَبُتْ وَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ" البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩. فهذه آيات كلها شدة ووعيد.

وفي سورة آل عمران وهي مدنية أيضاً "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ. كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ. قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُغْلِبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبُنُسِ الْمَهَادِ" آل عمران: ١٠ - ١٢ وإنما اشتمل القرآن الكريم بقسميه المكي والمدني على الشدة والعنف لأن ضرورة التربية الرشيدة في إصلاح الأفراد والشعوب وسياسة الأمم والدول تقضي أن يمزج المصلح في قانون هدايته بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والشدة واللين.

ثالثاً: لم ينفرد القسم المدني باللين والصفح والسماحة بل في السور المكية آيات كريمة تفيض لنا وصفها وتقطر سماحة وعفوا بل تنادي بأن تقابل السيئة بالحسنة كما في قوله سبحانه في سورة فصلت المكية: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" فصلت: ٣٣ - ٣٥. وكما في قوله

(22) ينظر: نقض مطاعن في القرآن الكريم للشيخ محمد عرفة ص13 بتصرف وزيادة.

سبحانه في سورة الشورى المكية: "فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ. وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ. وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" الشورى: ٣٦ - ٤٠.

وكذلك قوله سبحانه في سورة الحجر المكية: "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ. لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ" الحجر: ٨٧ - ٨٨ إلى آخر السورة. ومثله قول الله جلَّت قدرته في سورة الزمر المكية: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" الزمر: ٥٣.

إذاً فليس ثمة دليل على أن القسم المكي انفرد بالشدة والعنف ففي المدني شدة وعنف أيضاً، كما أنه ليس ثمة دليل على أن القسم المدني قد انفرد باللين والموادعة والرفقة، فإن في آيات القسم المكي ما يفيض رقة وشفافاً ويقطر سماحة وعفواً كما سبق بيانه.

وعلى هذا ففي القسمين المكي والمدني الشدة والعنف والقسوة والغلظة وفيهما الرقة واللين والسماح والموادعة والصفح، ولكن ذلك لا يرجع إلى محمد ﷺ ولا إلى تأثره بالبيئة التي أقام فيها؛ لأن القرآن من عند الله ﷻ جاء ليؤثر في البيئة لا ليتأثر بها، ولو كان القرآن من عند محمد لعارضه العرب عندما تحادهم به وطلب منهم أن يأتوا بمثله وصدق الله القائل "قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" الإسراء: ٨٨ وإنما مرجع ذلك كله في القرآن لرعاية حال المخاطبين فتارة يشتد وتارة يلين تبعاً لما يقتضيه حالهم وليس هذا خروجاً عن سنن الحق وسبيل الحكمة بل هو اللائق بالعدالة الإلهية والحكمة الربانية والتربية الرشيدة وما أحسن قول القائل:

فقسا ليزجروا ومن يك حازماً * فليقس أحياناً على من يرحم**

رابعاً: نسلم بغلبة أسلوب الشدة في القسم المكي وأسلوب اللين في القسم المدني لكن ذلك ليس راجعاً لمحمد ﷺ وتأثره بالبيئة وإنما مرجعه الحقيقي هو اختلاف حال المخاطبين فأهل مكة مردوا على العناد والسباب والأذى لرسول الله وأصحابه وأتباعه والكيد لهم حتى أخرجوهم من ديارهم بغير حق وسلبوهم أموالهم ودورهم واستمروا على إيذائهم للمسلمين حتى بعد هجرتهم للمدينة ومحاربتهم لهم، أما أهل المدينة فهم الذين آووا الرسول ومن معه ونصروا الإسلام وهم أيضاً أهل رقة وإحساس وهدى وصلاح فهل يعقل أن يخاطب المسرف في العناد بنفس خطاب المهتدي الصالح "أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوتون" فالله ﷻ المحيط بكل شيء علماً يراعى حال المخاطبين وهذا هو مقتضى الحكمة من كلام رب العالمين العليم بما يصلح أحوال عباده وينفع معهم.

خامساً: أما زعمهم أن في القسم المكي سباباً ويريدون من السباب معناه المعروف عندهم من البذاءة والخروج عن حدود الأدب واللياقة فقد "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا" الكهف: ٥. ونحن نتحداهم أن يأتوا بمثال واحد في القرآن كله مكيه ومدنيه يكون من هذا اللون القذر الرخيص. وهل يعقل أن القرآن الذي جاء يعلم الناس أصول الآداب يخرج هو عن أصول الآداب إلى السباب؟ كيف وقد حرم على أتباعه المسلمين أن يسبوا أعداءه المشركين؟ فقال في سورة الأنعام: "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ" الأنعام: ١٠٨. نعم إن في القرآن كله لا في القسم المكي وحده تسفيها لأحلام المتتبعين الذين يصمون آذانهم ويغمضون أعينهم عن الحق ويهملون الحجج والبراهين وهو في ذلك شديد عنيف بيد أنه في شدته وعنفه لم يخرج عن جادة الأدب ولم يعدل عن سنن الحق ولم يصدف عن سبيل الحكمة. بل الحكمة تتقاضاه أن يشتد مع هؤلاء لأنهم يستحقون الشدة ومن مصلحتهم هم ومن الرحمة بهم والخير لهم أن يشتد عليهم ليرعوا عن باطلهم ويصيخوا إلى صوت الحق والرشد ويسيروا على هدى الدليل والحجة على حد قول القائل:

ووضع الندي في موضع السيف بالعلاء * مضر كوضع السيف في موضع الندي

أضف إلى ذلك أن هذا التقرير الحكيم تجده في السور المدنية كما تجده في السور المكية. وإن كان في المكي أكثر من المدني لأن أهل مكة كانوا أشداء العارضة صعاب المراس مسرفين في العناد والإباء لم يتركوا باباً من الشر إلا دخلوه على الرسول وأصحابه ولم يكفهم أن يخرج من بلده وأهله بليل بل وجهوا إليه الأذى في مهاجره.

سادساً: هذه السور والآيات التي ذكرها الطاعن ليس فيها رائحة سباب، ولو علم سبب النزول والمراد بالآيات لما رمى بهذه القولة الجائرة، وإليك ما ورد في سبب نزول سورة أبي لهب. أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي»، لبطن قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي» قالوا: نعم؛ ما جربنا عليك إلا صدقا قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت "تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ" (23)

وأخرج ابن جرير: أن امرأة أبي لهب كانت تأتي بأغصان الشوك فتطرحها في طريق رسول الله ﷺ، وقيل كانت تنقل الحديث وتمشي بالنميمة بين الناس؛ قيل لها حمالة الحطب، لأنها كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة، وتغير رسول الله ﷺ بالفقر (24) فالسورة إذا نزلت رداً على أبي لهب في دعائه على النبي، وإيذائه له، وإنذاراً له ولزوجه بأنهما سيصليان النار الشديدة جزاء لهما على ما صنعوا، ولا شك أن في هذا الوعيد ردّاً لأبي لهب وزوجته وأمثالهما ممن يناهضون رسالات الرسل ويسعون في الأرض بالفساد ولا أدري في أي عرف أو ذوق يعتبر إنذار مثل هذا المعوق عن الخير والحق أمراً خارجاً عن المألوف وسباباً وشدة وماذا كان ينتظر هذا الطاعن في الرد على أبي لهب وزوجته أكان ينتظر من منزل القرآن الحكيم أن يظهر له الرضا على مقالته ويقول له: بخ بخ فيزداد بطراً وأشراً! " فالسورة ليست سباباً، وإنما هي وعيد لأبي لهب وامرأته لصددهما عن الإسلام، وهذا الإنذار لخير العالم إذ من خير العالم ألا تقام العراقيل في سبيل مرشديه إلى طريق الخير وهاديه إلى سواء السبيل ومجديه كلما بلى وتعفن وطغت فيه الرذيلة على الفضيلة (25).

وأما سورة «العصر» فليس فيها ما يشتم منه السباب، وليس فيها عنف ولا شدة وكل ما عرضت له السورة أن الناس قسمان:

- 1 - قسم ناج من الخسران والعذاب فائز برضوان الله، وهم الذين جمعوا عناصر السعادة الأربعة؛ وهي الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.
- 2 - قسم غارق في الخسران، مآله إلى الهلاك والعذاب، وهم الذين لا يقرون بإله ولا يدينون بشريعة ولا يعملون صالحاً: فهم جرائيم شرور، ولا يتواصون بحق؛ فالحق بينهم مضيع، ولا يتواصون بصبر؛ فهم في هلع وجزع، ومما لا يقضى منه العجب أن يستشهد هذا الناقد بهذه السورة التي أقر بكفائتها وغنائها الأئمة في القديم والحديث؛ قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - رحمه الله -: ثم تراها لم تدع شيئاً إلا أحرزته في عباراتها الموجزة، حتى قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم! (26) أو قال: لو لم ينزل الله من القرآن سواها كلفت الناس ولجلالة ما جمعت روي أنه كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذ التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة «العصر» ثم يسلم أحدهما على الآخر؛ ذلك ليذكر كل منهما صاحبه بما يجب أن يكون

(23) صحيح البخاري كتاب التفسير / حديث رقم 4492.

(24) تفسير الطبري 679/24.

(25) نقض مطاعن في القرآن ص 46.

(26) تفسير ابن كثير 497/8.

عليه فإذا رأى منه شيئاً ينبغي أن ينسب إليه فعله أن يذكره له (27). وما أحسن ما قاله الأستاذ الشيخ محمد عرفة- رحمه الله- لو قُدر أن يبيد هذا العالم وما فيه من علم وأدب وحكمة ونشأ جيل جديد لم يرث شيئاً من علم الأولين وأخلاقهم ولكنه بقي له سورة (والعصر) لكان فيها سداداً من عوز وعوض عن الجميع، ولجاز أن تكون مادة إصلاح يحيا عليها ذلك الجيل الجديد ويجد فيها أصول الفضائل العلمية والعملية (28).

وأما قوله تعالى في سورة الفجر: "قَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ" فلا سباب فيه ولا عنف وكل ما فيه إخبار من الحق عز شأنه، بأن عادا وثمود وفرعون لما طغوا في البلاد وظلموا العباد وأكثروا من الفساد أنزل الله بهم العقاب جزاء لهم على ظلمهم وإفسادهم، فالمراد بصب السوط إنزال العقوبة الشديدة بهم، وهو من المجازات البديعة، ومعنى "إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ" أنه القائم بتدبير الأمور الرقيب على عبادته لا يفوته من شئونهم شيء وهو مجازي كل عامل بعمله فلا يفلت منه أحد، فلا يظن أهل الطغيان الذين يفسدون في الأرض أن يفلتوا من الله وعقابه، وفي هذا الإخبار تحذير للموجودين والمخاطبين أن يفعلوا مثل ما فعلوا فيعاقبوا مثل ما عوقبوا، فانظر- أيها القارئ الفطن- كيف اشتملت هاتان الآيتان على وجازتهما على هذه المعاني الثرية والتحذيرات النافعة المفيدة. وأما سورة "الْأَمْكُورُ" فغاية ما فيها أن يترك الناس التفاخر بالأحساب والأنساب والتكاثر بالأموال والأولاد والتلهي بما لا يفيد وأن يقبلوا على الاشتغال بما ينفع من الإيمان والعمل الصالح، أما التلهي بالتكاثر والتفاخر فلن يكون من ورائه إلا خسران الدنيا والآخرة، فلا عجب أن يردعهم الله، وأن يكرر الردع والزجر فقال: "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" التكاثر: ٣ - ٤ ، ولو علم اللاهون المتكاثرون علم اليقين لأعرضوا عما فيهم، وأقبلوا على الأعمال الصالحة؛ لأنهم سيرجعون إليه في يوم يحاسبون فيه ويجازون على أعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً "كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ. لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ. ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ. ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" التكاثر: ٥ - ٨، فالسورة لا تخرج عن كونها وعيدا وتحذيراً وإرشادا وتعليماً. (29)

الشبهة الثانية

قالوا: إن القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة، واقتضاب المعاني، وقصر السور وقصر الآيات، وأما القسم المدني فهو طويل السور طويل الآيات وأفكاره منسجمة متسلسلة، وعزوا ذلك إلى تأثر محمد ﷺ بالبيئة؛ فأهل مكة قوم أميون لا يقدرون على إنشاء العبارات الطويلة، أما أهل المدينة فهم أهل كتاب أو متصلون بأهل الكتاب لهم قدرة على إنشاء العبارات الطويلة، وذلك يدل على انقطاع الصلة بين القسم المكي والقسم المدني وغرضهم التشكيك في أن القرآن من عند الله سبحانه.

الرد على هذه الشبهة:

هذه شبهة واهية يكذبها الواقع وتدحضها الحقائق وهي منتقضة بما يأتي:

أولاً: قولهم بأن القسم المكي قصير السور والآيات وأن القسم المدني بخلافه طويل السور والآيات، إن كانوا يريدون بذلك جميع المكي والمدني فالواقع يكذب ذلك لأن في القسم المكي سوراً طويلة أمثال الأنعام والأعراف وهما من السبع الطوال وفي القسم المدني سوراً قصيرة كالزلزلة والنصر.

وإن كانوا يقصدون أن معظم السور المكنية قصيرة وأن أكثر السور المدنية طويلة فهذا مُسلم به لكن ليس الأمر فيه كما يدعون من أن قصر المكي سببه أن أهل مكة أميون متخلفون وأن المدني جاء طويلاً لأن أهل مكة متحضرون

(27) تفسير جزء عم ص 154.

(28) نقض مطاعن في القرآن ص 49.

(29) المدخل لأبي شعبة ص 235.

مستثيرون، فالحقيقة التي لا يماري فيها إلا مخادع مضلل ولا ينكرها إلا كاذب أن أهل مكة كانوا أقدر العرب على الكلام فالبيان صنعتهم والبلاغة حرفتهم وقد كانوا يقيمون المجامع وينظمون المحافل في أسواق عكاظ وذو المجاز من أجل ذلك حيث يتبارى الشعراء ويتسابق الخطباء.

ثانياً: أن طول الكلام وقصره تبعاً لمقتضى الحال الذي هو عماد البلاغة وليس تابعاً للبيئة ولا الوسط فطول الآيات وقصرها منوط بموضوعها ولا دخل فيها لمكان نزولها فالآيات أو السور التي يراد بها الوعظ والزجر يحسن فيها أن تكون أقصر من آيات الأحكام وهي تكثر في القسم المكي لأنه هو المناسب لحال المخاطبين، من المشركين والمعاندين، كما تكثر الأحكام التفصيلية في السور المدنية لأن الخطاب فيها للمؤمنين المكلفين.⁽³⁰⁾

ثالثاً: القرآن الكريم قد تحدى العرب قاطبة في بعض السور المدنية كما تحداهم في السور المكية، وقد جاء التحدي في المدينة بسورة مهما قصرت وأما في مكة فقد وقع التحدي بالقرآن كله ثم بعشر سور منه ثم بسورة واحدة أية سورة، فلو أن أهل المدينة - كما زعم الناقد - كانوا أقدر على إنشاء العبارات الطويلة من أهل مكة، وأن القرآن كان متأثراً بهم في الإطالة لكانوا أقدر على معارضته والإتيان ولو بأقصر سورة منه، ولكنهم لم ينبسوا ببنت شفة، ورضوا لأنفسهم السكوت وبأوا بالعجز، بل عجزهم أشد من عجز أهل مكة، ثم من تسول له نفسه أن يفضل أهل المدينة على أهل مكة في البلاغة والفصاحة والتصرف في فنون القول والقدرة على إنشاء العبارات! والمعروف أن قريشا كانت أوسط العرب داراً وأبرعهم في الخطابة والشعر والتفنن في الأساليب وإليها كان يحتكم العرب في شعرهم ونثرهم، وقد ساعدها على هذا اجتماع العرب في مواسم الحج وغيرها.

رابعاً: القول بأن القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني بخلاف القسم المدني قول من لم يتمعن في القرآن ولم يعن بدراسته يقول العلامة الشيخ رشيد رضا: - إن الذي يقرأ القرآن ولا يتدبره ولا يكلف نفسه الصبر لمعرفة أغراضه هو الذي لا يستبين كثيراً منها فيبدو له متقطع الفكرة مقتضب المعاني ولكن الذي يتدبره وينعم النظر فيه ويقرؤه على سبيل الاعتبار ويكون مع ذلك قد أوتي طبعاً سليماً ودُرْبَةً على معرفة منطق العرب الذين يكتفون باللمحة والوحي السريع يدرك كثيراً من أغراضه ويبدو له قصده فيرى الآيات الكثيرة في غرض واحد كالحلقة المفرغة مرتبطة بعضها ببعض أتم ارتباط حتى إن السورة الواحدة الطويلة قد تكون في غرض واحد يشملها ويعمها.⁽³¹⁾

خامساً: اهتم العلماء الذين أتاهم الله فهماً في كتابه وتبياناً لأسرار إعجازه ببحث المناسبات بين الآيات والسور فالقرآن كله على الرغم من نزوله منجماً إلا أنه يأخذ بعضه بحجز بعض كأنه سلسلة متصلة الحلقات أو عقد منتظم الحبات ومن لديه معرفة بالعربية وآدابها والبلاغة وفنونها يدرك ما عليه كتاب الله من بديع التنظيم وجمال التنسيق فهذا الروض الرباني اليناع القرآن الكريم يقوم بين جملة وآيه وسوره تناسب بارع وارتباط محكم وائتلاف بديع ينتهي إلى حد الإعجاز خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجماً على السنين والشهور والأيام.

قال الشيخ ولي الدين الملوي: قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفارقة.

(30) مقدمة كتاب نقض مطاعن في القرآن بقلم الشيخ محمد رشيد رضا ص 17..

(31) نقض مطاعن في القرآن للشيخ محمد عرفة ص 59 وما بعدها، وقد مثل الشيخ كلامه بسورة الأنعام المكية فقال: مقدارها 165 آية وقد انتظمها غرض واحد وهو إبطال الشرك، فقرؤها جميعها فتجدها في هذا الغرض وما سبق فيها فهو لهذه الغاية ثم أخذ يوضح ذلك من خلال آيات السورة الكريمة أ.هـ أقول: وما ذكره الشيخ محمد عرفة فطن له أفذاذ العلماء منذ القدم، لذا كانت لهم عناية خاصة في كشف اللثام عن متانة الترابط وإحكام الصلة بين أجزاء كل سورة من سور القرآن، ومن هؤلاء الإمام الرازي في تفسيره والإمام البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآي والسور، وفي العصر الحديث الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه المانع النبأ العظيم الذي حلل فيه سورة البقرة مع طولها وأظهر كمال الاتساق بين أجزائها وما فيها من وحدة موضوعية، وما زالت جهود الباحثين قائمة ومستمرة لإبراز هذا الجانب من جوانب إعجاز القرآن للتأكيد على أنه تنزيل من لدن حكيم خبير عظيم حميد، وليس من كلام محمد ﷺ أو من كلام البشر كما يدعون.

وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً. فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سورة كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة. ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملّة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم. وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقّت له⁽³²⁾.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط⁽³³⁾ وقال أيضاً في تفسيره لسورة البقرة ما نصه:

ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو معجز أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته. ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته... والذنب للطرف لا للنجم في الصغر⁽³⁴⁾

الشبهة الثالثة

قالوا: «إن القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة، وبالخلو من المنطق والبراهين، فيقول: "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" الكافرون: ١ - ٦. بخلاف القسم المدني فهو يناقش الخصوم بالحجة الهادئة والبرهان الساكن الرزين فيقول: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا" الأنبياء: ٢٢.

الرد على هذه الشبهة:

وهذا الكلام منقوض بما يأتي:

أولاً: أنه لا يجرؤ على هذه المقالة إلا أحد رجلين: إما جاهل أغرق في جهله فلا يكاد يميز بين المكي والمدني، وإما ضال أعماه هواه عن إدراك الحق الظاهر، وقد سقط هذا القائل والناقد الطاعن سقطة لا إقالة له منها، ولا يكاد يقع فيها الطلاب المبتدئون، فضلاً عن الباحثين؛ فإن سورة الأنبياء مكية وآياتها 112، فسورة الأنبياء مكية بلا استثناء عند جمهور العلماء، وباستثناء آية أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا عند البعض⁽³⁵⁾، ومهما يكن من شيء فالآية التي استدلت بها مكية بالإجماع.

ثانياً: البراهين المبنوثة في القسم المكي تدل على أن القسم المكي لم يكن يهرب من المساجلة، وإنما كان يقتحمها وما كان يولى الأدبار بل كان يقدم على الخصوم إقدام الواثق بقوته، المؤمن بحجته، المطمئن إلى عزة الحق وفوز اليقين، نعم نسلم بأن القسم المدني فيه برهان ومنطق، كذلك المكي حافل بالأدلة والبراهين وأعظم الحجج على عقيدة الإسلام في الإلهيات والنبوات والسمعيات وسأسوق بعضاً من هذه الحجج:-

1- قال تعالى في سورة المؤمنون المكية وهو يرفع قواعد التوحيد ويزلزل بنيان الشرك إذ يقول: "مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ" المؤمنون: ٩١.

2- ويقول في سورة الأنبياء المكية: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ. لَا يُسْأَلُ عَمَّا

(32) الإتيان 2/ 288.

(33) التفسير الكبير 110/10.

(34) التفسير الكبير 106/7.

(35) ينظر: البرهان للزركشي النوع التاسع، الإتيان للسيوطي النوع الأول.

يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ" الأنبياء: ٢٢ - ٢٤.

3- ويقول مدلاً على نبوة محمد ﷺ في سورة العنكبوت المكية: "وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِإِمِينِكَ إِذَا لَزَتَابَ الْمُبْطِلُونَ. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ. وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" العنكبوت: ٤٨ - ٥١.

4- وفي بيان حجته التي أقامها لتقرير اقتداره على البعث بعد الموت يقول سبحانه في سورة ق المكية: "وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ" ق: ٩ - ١١ وقوله فيها أيضاً "أَفَعَيَّبْنَا بِالْخُلُقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ" ق: ١٥.

5- وفي إقامة الدليل العقلي على البعث والجزاء في سورة المؤمنون المكية يقول: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" المؤمنون: ١١٥ وفي سورة السجدة إذ يقول: "أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ. أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ. وَلَنَذِيبَنَّ هُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" السجدة: ١٨ - ٢١، وفي سورة الجاثية المكية إذ يقول: "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" الجاثية: ٢١ - ٢٢.

6- وفي مناقشته ونقضه بالحجة أوهاش المشركين في احتجاجهم لأباطيلهم بالمشيئة الإلهية إذ يقول في سورة الأنعام المكية: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافِقُوا بِأَسْنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ. قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ" الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩.

7- وفي إقامة الحجة على البعث يقول سبحانه في سورة يس المكية أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرِ الْأَخْضَرَ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" يس: ٧٧ - ٨٣.

8- وفي الحضر على النظر في الطبيعة والتأمل في عجائب المخلوقات ليتوصل من ذلك إلى معرفة المبدع الأول يقول سبحانه في سورة الغاشية المكية "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ. فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَفِرٍ. إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ. فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ. إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ" الغاشية: ١٧ - ٢٦. فهذه الآيات وغيرها كثير أدلة ساطعة وبراهين بارعة لا تكاد تخلو منها سورة من السور المكية. ولكن القوم استحبوا العمى على الهدى فاستمروا هذا الكذب والافتراء. نسأل الله أن يكفينا شر الفتنة وأن يثبتنا على الحق فإن قلوب الخلق بيديه والأمر كله منه وإليه. "مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" الأنعام: ٣٩.

ثالثاً: وأما سورة الكافرون التي استدلت بها على هروب القسم المكي من المناقشة فليس يأخذ أحد منها الهروب من المناقشة فقد ذكر المفسرون في سبب نزولها أن كفار قريش طلبوا من محمد ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا هم إلهه سنة.

فنزل "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (36) تَيْئِسًا لَهُمْ وَسَدًا لَطْمَعِهِمْ أَنْ يَلِينَ مُحَمَّدٌ أَوْ يَعْتَرِفَ بِعِبَادَةِ مَا كَانُوا يَشْرِكُونَ، وَإِذَا لَمْ يَطْلُعِ الْمَرْءُ عَلَى سَبَبِ هَذَا النُّزُولِ فَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْهَمَ مِنَ الْآيَاتِ الْهَرُوبِ مِنَ الْمُنَاقَشَةِ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ الْآيَاتِ قَدْ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَأَخَذَ بِمَخَانَقِهِمْ وَسَدَ عَلَيْهِمْ كُلَّ بَابٍ وَأَسَالَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي عَجْزًا ثُمَّ جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ "لَكُمْ دِينَكُمْ وَلِي دِينٌ" كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِمَنْ أَقَامَ هُوَ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ قَدْ أَقَمْتَ الدَّلِيلَ وَوَضَحْتَ السَّبِيلَ وَلَكَ بَعْدَ مَا تَخْتَارُهُ لَكَ مَا تَرِيدُ وَلِي مَا أُرِيدُ تَبْكِيَةً لِلْخَصْمِ (37).

الشبهة الرابعة

قالوا: إن القسم المكي خلا من التشريعات التفصيلية والأحكام العملية، بخلاف القسم المدني فإنه حافل بالتشريعات والأحكام ؛ كالمواريث والوصايا، والزواج، والطلاق، والبيع، وسائر المعاملات، بل وكافة آداب الاجتماع والأخلاق، وذلك يدل على تأثر محمد بالوسط الذي يعيش فيه فهو حين كان بمكة بين الأُميين جاء قرآنه المكي خاليا من العلوم والمعارف ولما عاش في المدينة بين أهل الكتاب المثقفين جاء قرآنه المدني مليئا بتلك العلوم والمعارف العالية.

الرد على هذه الشبهة:-

أولاً: أن القسم المكي في جملته غير خال من التشريع والأحكام بل عرض لها وجاء عليها ولكن بطريقة إجمالية من ذلك ما نقرؤه في سورة الأنعام المكية قوله تعالى "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" الأنعام: ١٥١ - ١٥٣، فهذه الآيات الثلاث جمعت الوصايا العشر التي جمعت بطريقة إجمالية أصول الشرائع السماوية كلها ومقاصد الدين الخمسة وهي: 1- الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. 2 - حفظ النفس. 3 - حفظ العقل. 4 - حفظ النسل. 5 - حفظ المال.

وفي المكي من الأحكام ما عالج به مساوئ القوم سواء أكانت خلقية أم اجتماعية من ذلك ما نقرؤه في سورة الإسراء من قوله "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئًا كَبِيرًا. وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا. وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا. وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا. وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا" الإسراء: ٣١ - ٣٨. وما نقرؤه في سورة لقمان فيما يحكى القرآن من وصية لقمان لابنه "يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَأَقِصْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" لقمان: ١٧ - ١٩، ومن ذلك أيضاً ما جاء في سورة المعارج من حث المؤمنين على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحفظ الفروج وأداء الأمانات وغير ذلك مما جاء في قوله تعالى "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا.

(36) ينظر: تفسير الطبري 662/24، لباب النقول ص 236.

(37) ينظر: نقض مطاعن في القرآن ص 42.

إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ. وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ. وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ. وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ" المعارج: ١٩ - ٣٥.

ثانياً: إن كثرة التشريعات في القسم المدني من القرآن ليست وليدة البيئة كما يدعى المشككون في القرآن بل لأن المكي ركز على الأصول واهتم بتصحيح العقائد أولاً، أما القسم المدني فعنى بالتشريعات الفرعية وهي عملية طبيعية فليس من المعقول أن تظهر الأغصان والفروع في وقت واحد من جذوع الشجر وجذوره ولا أن توجد الثمار قبل الأغصان، ومرجع ذلك إلى الحكمة، والتدرج في سياسة الأمم بعيداً عن التسرع والطفرة لأن مصيرهما البوار ونهايتهما الخسران وقد نزل القرآن والناس منغمسون في الغي والضلال من عبادة أصنام وشرك بالله وإنكار للبعث واليوم الآخر مع شيوع الفواحش والموبقات فكان من الحكمة تجاه هذه المساوئ تقديم الأهم من التشريعات حتى تعالج الموبقات بما يصلحها وهذا أمر بدهي أن يخاطب الناس في عقائدهم حتى إذا خلصهم من عقائد الشرك والوثنية ومن ثم أصبحوا مؤمنين قادهم إلى التكليف ففصل لهم التشريع وأوجب عليهم العمل بالحلال والحرام وهذا ما صورته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- قالت: إِنْما نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا (38)

وما أروع ما كتب العلامة الزرقاني عن حكمة التدرج في التشريع قال-رحمه الله:- إن كثرة التفاصيل في تشريع الأحكام بالمدينة ليس نتيجة لما زعموه، إنما هو أمر لا بد منه في سياسة الأمم وتربية الشعوب وهداية الخلق. ذلك أن الطفرة حليفة الخيبة والفشل والتدرج حليف التوفيق والنجاح وتقديم الأهم على المهم واجب في نظر الحكمة. لهذا بدأ الله عباده في مكة بما هو أهم: بداهم بإصلاح القلوب وتطهيرها من الشرك والوثنية وتقويمها بعقائد الإيمان الصحيح والتوحيد الواضح حتى إذا استقاموا على هذا المبدأ القويم وشعروا بمسؤولية البعث والجزاء وتقررت فيهم هذه العقائد الراشدة فطمعهم عن أقبح العادات وأرذل الأخلاق وقادهم إلى أصول الآداب وفصائل العادات ثم كلفهم ما لا بد منه من أمهات العبادات. وهذا ما كان في مكة. ولما مروا على ذلك وتهيات نفوسهم للتقوي والكمال بتناول الأيام والسنين وكانوا وقتئذ قد هاجروا إلى المدينة جاءهم بتفاصيل التشريع والأحكام وأتم عليهم نعمته ببيان دقائق الدين وقوانين الإسلام.

ونظير ذلك ما تواضع عليه الناس قديماً وحديثاً في سياسة التعليم من أنهم يلقنون البادئين في مراحل التعليم الأولى أخف المسائل وأوجزها فيما يشبه قصار السور ومختصر القصص حتى إذا تقدمت بهم السن وعظم الاستعداد تلاطم بحر التعليم وزاد على حد قولهم: الإمداد على قدر الاستعداد (39).

ثالثاً: ما زعموه من تأثر محمد-ﷺ- بأهل الكتاب في المدينة وأخذه عنهم فرية باطلة تحضها الحقائق، فالقرآن المنزل من عند الله حاشاه أن يتأثر بأهل الكتاب وما عندهم من علم لأنه المهيمن على ما سبقه من الكتب السماوية والحاكم عليها، والقرآن في غير موضع نعى على أهل الكتاب كفرهم وفسقهم وجراءتهم على الله وهنا يتطرق للأذهان سؤال: هل كان القرآن يحترم أهل الكتاب ويأمرهم مثلاً أعلى في العلم والمنطق والدين والأخلاق حتى يقتبس منهم ويقلدهم ويعجب بثقاقتهم ؟ أم هو يراهم وخاصة اليهود الذين كانوا يجاورونه مثلاً أدنى من أسوأ الأمثال في العلم والخلق والدين، وينظر إليهم كما ينظر المعلم إلى تلاميذه الذين هم بحاجة إلى أن يتتقوا منه ؟

السؤال السابق ذكره العلامة الشيخ محمد عرفة وأجاب عنه قائلاً:-

(38) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن /حديث رقم 4707.

(39) مناهل العرفان 219/1.

إننا إن درسنا القرآن وجدناه ينظر إليهم النظرة الثانية، فليس يعجبه منهم خلق ولا دين، فعاب القرآن على اليهود تحريف شريعتهم وكتمانهم العلم فقال: "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" آل عمران: ٧٧، وقال أيضاً "أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" البقرة: ٧٥، وقال "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصْرِوْكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" المائدة: ٤١ - ٤٢، وعاب القرآن اليهود بفقد الأمانة واستحلال الخيانة والكذب على الله فكان يعييبهم أنهم فقدوا الأمانة وزعموا أن الله أحل لهم خيانة الأُمِّيِّين -كذبوا فليس الله يحل الفحشاء والمنكر- فقال "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" آل عمران: ٧٥ - ٧٦، كما عابهم بخلق الحسد الذي هو أس الرذائل وجماع القبائح والذي حملهم أن يقولوا لعابدي الوثن أنتم أهدى من أتباع محمد قال تعالى "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا. أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا. أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا" النساء: ٥١ - ٥٤، كما عابهم بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكلهم السحت، وعابهم أنهم لم يعرفوا جلال الله وكماله، ولم ينزهوه عن النقص والعيوب قال تعالى "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" المائدة: ٦٤، وقال أيضاً "لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" المائدة: ٧٨ - ٨١، وقال "وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. لَوْلَا يُنَهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" المائدة: ٦٢ - ٦٣، كما عابهم أنهم قد أوتوا علماً لم يعلموه ولم ينتفعوا به فقال "مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" الجمعة: ٥، فمن كل ما سبق تأكد أن موقف القرآن من اليهود وغيرهم موقف المعلم لا المتعلم⁽⁴⁰⁾

رابعاً: أن ما زعموه لو كان صحيحاً لظهر أثر أهل الكتاب المدنيين فيمن معهم من عرب أهل المدينة وفيمن حولهم من أهل مكة وآفاق الجزيرة وكانوا هم الأحرى بهذه النبوة والرسالة ولسبق محمداً إليها كثير غيره من فصحاء العرب وتجار قريش الذين كانوا يختلطون بأهل الكتاب في المدينة والشام أيما اختلاط. كما أن القرآن تحدى الكافة من مكين ومدنيين بل من جن وإنس فهلا كان أساتذته أولئك يستطيعون أن يجاروه ولو في مقدار سورة قصيرة واحدة يا لها فرية ثم يا لها صفاقة.

هذا كلام له خبي *** معناه ليست لنا عقول⁽⁴¹⁾

(40) نقض مطاعن في القرآن الكريم ص 71 بتصرف.

(41) مناهل العرفان 220/1.

الشبهة الخامسة

يقولون: إن القسم المكي يكثر فيه القسم بأشياء هي لصيقة بالبيئات البدائية والأوساط الساذجة كقسمه بالضحى والليل والتين والزيتون وطور سينين وكثير من المخلوقات. ولا ريب أن القسم بالأشياء الحسية يدل على تأثر القرآن بالبيئة في مكة لأن القوم فيها كانوا أميين لا تعدو مداركهم حدود الحِسِّيَّات. أما بعد الهجرة واتصال محمد بأهل المدينة وهم قوم مثقفون مستتبرون، فقد تأثر القرآن بهذا الوسط الراقي الجديد وخلا من تلك الأيمان الحسية الدالة على البساطة والساذجة. وغرضهم من هذا الادعاء التشكيك في القرآن وإثبات أن القرآن تأثر بالبيئة والوسط الذي وجد فيه، والتأكيد على أنه من عند محمد وليس من عند الله تعالى.

وقبل دحض هذه الشبهة أقول: بأن المستشرقين وأتباعهم يحاولون دائماً وصف أهل مكة بالساذجة والتأخر ووصف أهل المدينة بالعلم والاستنارة وذلك بسبب مخالطتهم لليهود الذين يصفون أنفسهم ويصفهم أتباعهم بأنهم أهل العلم والذكاء والاصطفاء من الله تعالى مع أنهم على غير هذا وبشهادة الواقع والتاريخ وبوصف القرآن لهم -وهو أصدق شاهد- أنهم أهل الضلال والفسق والعصيان وأنهم حرفوا وبدلوا وغيروا ما أنزل الله.

الرد على هذه الشبهة

أولاً: الادعاء أن البيئة المكية ساذجة جاهلة لا ترقى إلى ما وراء الحس، دعوى لم يقم عليها دليل، ويكذبها الواقع، والتاريخ الصحيح؛ فقد كان أهل مكة أوفى ذوقاً، وأرهف شعوراً، وأدكى عقولاً من أهل المدينة، وأن فيما قصه القرآن عنهم من مجالات وخصومات وما اشتمل عليه القسم المكي من إيجاز وبراهين ما ينقض هذا الاتهام، وكيف يفهم هذه البراهين من لا يسمو نظره عن المحسوسات، والتاريخ الصحيح أعدل حاكم وخير شاهد على امتياز قريش عن سائر القبائل في عهد نزول القرآن، لما نزل قوله تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" قال ابن الزبيري: والله لو وجدت محمداً لخصمته قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له: إنهم إنما يعبدون الشيطان، ومن أمرهم بعبادته، فأنزل الله سبحانه: "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ" الأنبياء: ١٠١. وأنزل الله أيضاً "وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" الزخرف: 57-58 (42).

وتأمل في قوله سبحانه خَصِمُونَ وهل يجيد الجدال الجاهل الساذج وهل من يلقي هذه الشبه ولو كانت بواطل يكون ساذجاً لا يسمو تفكيره إلى المعقولات، وكانت العرب وأولهم أهل مكة أشد الأمم جدلاً، وأحدهم مقولاً، كما وصفهم الله بقوله: " مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" وكذلك سماهم: " قَوْمًا لُذًا" مريم: ٩٧.

ثانياً: أن القسم في القرآن بالأشياء الحسية لا يرجع إلى ساذجة أهل مكة وانحطاطهم، وتأخرهم كما يدعى هؤلاء المفترتون الخراصون بل مرجعه ومنشؤه رعاية مقتضى الحال فيما سبق القسم لأجله وذلك أن القرآن كان بصدد علاج أفحش العقائد فيهم وهي عقيدة الشرك. ولا سبيل إلى استئصال هذه العقيدة وإقامة صرح التوحيد على أنقاضها إلا بلفت عقولهم إلى ما في الكون من شؤون الله وخلق الله وإلا بفتح عيونهم على طائفة كبيرة من نعم الخلق المحيطة بهم ليصلوا من وراء ذلك إلى أن يؤمنوا بالله وحده ما دام هو الخالق وحده لأنه لا يستحق العبادة عقلاً إلا من كان له أثر الخلق في العالم فعلاً "أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" النحل: ١٧.

فعرض بعض المخلوقات على أنظار الجاحدين بالتوحيد بعد إقرارهم أن ليس لها خالق إلا الله إلزام لهم بطرح الشرك وتوحيد الخالق. وهذا مطمح نبيل أجاد القرآن في أساليب عرض نعم الله عليهم من أجله وكان في إجادته هذه موفياً على الغاية وأصلاً إلى قمة الإعجاب كعادته متقننا في ذكر النعم منوعاً في سردها وبيانها فمرة يحدث عن خلق السماء ومرة

عن خلق الأرض وثالثة عن أنفسهم ورابعة عن أنواع الحيوان والنبات والجماد وهلم جرا. وتارة يختار القرآن في عرضه طريقة السرد والشرح، وتارة يختار طريقة الحلف والقسم لأن في الحلف والقسم معنى العظمة التي أودعها الله في هذه النعم دالة على توحيده وعظمته حتى صح أن يدور القسم عليها وأن يجيء الحلف بها. والمصاب بداء الشرك لا سبيل إلى إنقاذه منه إلا بمثل هذه الطريقة المثلى التي سلكها القرآن بعرض دلائل التوحيد من آيات الله في الآفاق على أنظار المشركين وهذا سبيل متعين في خطاب كل مشرك فحلف القرآن بأمثال هذه المخلوقات والحسيات ليس دالا على سذاجة المخاطبين وانحطاطهم وليس بالتالي سبيلاً إلى الطعن في القرآن بأنه كلام محمد المتأثر بانحطاط البيئة المكية كما يرجفون: "إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ".

ثالثاً: الادعاء بأن القسم بالمحسوسات في القسم المكي يدل على التأثير بالبيئة الأمية التي لا تدرك إلا المحسوس منقوض بأن القسم المكي كما أقسم بالمحسوس أقسم أيضاً بالمعنوي المعقول، من ذلك على سبيل المثال:

1- قسمه -تعالى وتقدس- بذاته في قوله "فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الحجر: ٩٢ - ٩٣، "فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ" المعارج: ٤٠.

2- وقسمه ﷺ بالقرآن في قوله "يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ" يس: ١ - ٢.

3- وقسمه ﷺ بالملائكة في قوله "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا. وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا. وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا. فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا" النازعات: ١ - ٥.

4- وقسمه ﷺ بالنفس البشرية في قوله: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" الشمس: ٧ - ٨.

5- وقسمه ﷺ بحياة الرسول ﷺ في قوله "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ" الحجر: ٧٢.

6- وقسمه ﷺ بالوقت والزمان في قوله "وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" العصر: ١ - ٣.

7- وقسمه ﷺ بما لا يقع تحت الحس والمشاهدة فقال "فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لَا تُبْصِرُونَ" الحاقة: ٣٨ - ٣٩.

بل إن في القسم المكي الجمع بين المحسوس والمعقول في آن واحد وذلك في قوله ﷺ: "وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ" الطور: ١ - ٧، فالقرآن المكي كما ورد فيه القسم بالمحسوسات جاء فيه أيضاً القسم بالمعنويات، وذلك لينبه الله خلقه إلى مدى إنعامه عليهم بتلك الأقسام كلها حسيها ومعنويها فيرعوا عن شركهم بتلك الآلهة المزيفة التي لا تملك ضرا ولا نفعا وليس لها أي شأن في هذا الخلق، ويثوبوا إلى رشدهم، ويؤمنوا بربهم، ويتيقنوا أنه المستحق للعبادة، ويتبعوا رسوله الذي أرسل.

رابعاً: إن في القسم بهذه المحسوسات شهادة بتفوق المكيين على من سواهم في البلاغة والفصاحة وليس دلالة على انحطاطهم كما يتقول المفترون بل إشارة إلى الأسرار العظيمة التي أودعها الله فيها، يقول الشيخ الزرقاني -رحمه الله- إن في مضامين تلك الأقسام بالحسيات أسراراً تتأى بها عن السذاجة والبساطة وتشهد ببراعة المخاطبين بها وتفوقهم في الفهم والذكاء والفصاحة والبيان. ذلك أن القسم بها إشارة إلى الأسرار العظيمة التي وضعها الله في تلك الأمور التي أقسم بها. حتى صح أن يكون مقسماً بها. وتلك الأسرار لا يدركها إلا اللبيب لأنها غير مشروحة ولا مفسرة في القرآن الكريم فلا يفهمها إلا من كمل عقله وسلم ذوقه. ولنشرح لك بعض الأسرار ليتبين الحال ولا يبق للشبهة مجال.

المثال الأول: أقسم الله ﷻ بالضحى والليل في قوله: "وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى" الضحى: ١ - ٥، وسبب نزول هذه الآيات: أن النبي ﷺ فتر عنه الوحي مرة لا ينزل بقرآن فرماه أعداؤه بأن ربه ودعه وقلاه أي تركه وأبغضه فنزلت هذه الآيات مصدرة بهذا القسم مشيرة

إلى أن ما كان من سطوع الوحي على قلبه ﷺ بمنزلة الضحى تقوى به الحياة وتتمى به الناميات وما عرض بعد ذلك من فترة الوحي فهو بمنزلة الليل إذا سجد لتستريح فيه القوى وتستعد فيه النفوس لما يستقبلها من العمل. ومن المعلوم أن النبي ﷺ لاقى من الوحي شدة أول أمره حتى جاء إلى خديجة رضي الله عنها ترجف بواده كما هو معروف في حديث الصحيحين. (43) فكانت فترة الوحي لتثبيته عليه الصلاة والسلام وتقوية نفسه على احتمال ما يتوالى عليه منه حتى تتم به حكمة الله في إرساله إلى الخلق. ولهذا قال له: "وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى" أي إن كرة الوحي ثانيا سيكمل بها الدين وتتم بها نعمة الله على أهله وأبن بادية الوحي من نهايته؟ وأين إجمال الدين الذي جاء في قوله "أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" الخ من تفصيل العقائد والأحكام الذي جاء في مثاني القرآن ثم زاد الأمر تأكيدا بقوله "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى".

فمن هذا نعلم أن الحلف بالضحى والليل في هذا المقام ليس مجرد تذكير بآياته ونعمه فحسب. بل هو أيضا إقامة دليل على أن تنزل الوحي أشبه بضحوه النهار وأن فترة الوحي أشبه بهداة الليل فإذا كانوا يتقبلون الضحى والليل بالرضا والتسليم لما فيهما من نفع الإنسان بالسعي والحركة والحياة بالنهار والنوم والاستجمام بالليل يجب أن يتقبلوا أيضا ما يجري على محمد ﷺ من نزول الوحي وفترته للمعنى الذي سلف.

المثال الثاني: أقسم الله ﷻ بالتين والزيتون في قوله جل ذكره: "وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سَيْنِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ. لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" التين: ١ - ٤. قال العلامة المرحوم الشيخ محمد عبده عند تفسيره لهذه السورة ما نصه: وقد يرجح أنهما أي التين والزيتون النوعان من الشجر ولكن لا لفوائدهما كما ذكروا بل لما يُذكران به من الحوادث العظيمة التي لها الآثار الباقية في أحوال البشر. قال صاحب هذا القول: إن الله تعالى أراد أن يذكرنا بأربعة فصول من كتاب الإنسان الطويل فإنه كان يستظل في تلك الجنة التي كان فيها بورك التين وعندما بدت له ولزوجته سواتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق التين. والزيتون إشارة إلى عهد نوح عليه السلام وذريته وذلك أنه بعد أن فسد البشر وأهلك من أهلك منه بالطوفان ونجى نوح في سفينته واستقرت السفينة نظر نوح إلى ما حوله فرأى المياه لا تزال تغطي وجه الأرض فأرسل بعض الطيور لعله يأتي إليه بخبر انكشاف الماء عن بعض الأرض فغاب ولم يأت بخبر فأرسل طيرا آخر فرجع إليه يحمل ورقة من شجر الزيتون فاستبشر وسر وعرف أن غضب الله قد سكن وقد أذن للأرض أن تعمر ثم كان منه ومن أولاده تجديد القبائل البشرية العظيمة في الأرض التي امحى عمرانها فعبر عن ذلك الزمن بزمن الزيتون. والإقسام هنا بالزيتون للتذكير بتلك الحادثة وهي من أكبر ما يذكر من الحوادث.

"وَطُورِ سَيْنِينَ" إشارة إلى عهد الشريعة الموسوية وظهور نور التوحيد في العالم، بعد ما تدنس جوانب الأرض بالوثنية وقد استمر الأنبياء بعد موسى يدعون قومهم إلى التمسك بتلك الشريعة إلى أن كان آخرهم عيسى ﷺ جاء مخلصا لروحها مما عرض عليه من البدع. ثم طال الأمد على قومه فأصابهم ما أصاب من قبلهم من الاختلاف في الدين وحجب نوره بالبدع وإخطاء معناه بالتأويل وإحداث ما ليس منه بسبيل فمن الله على البشر ببداية تاريخ ينسخ جميع تلك التواريخ ويفصل بين ما سبق من أطوار الإنسانية وبين ما يلحق وهو عهد ظهور النور المحمدي من مكة المكرمة. وإليه أشار بذكر البلد الأمين. وعلى هذا القول الذي فصلنا بيانه يتناسب القسم والمقسم عليه. (44)

الشبهة السادسة

يقولون: إن القسم المكي من القرآن قد اشتمل على لغو من الكلام في كثير من فواتح السور مثل الم وكهيعص. وذلك يبطل دعوى المسلمين أن القرآن بيان للناس وهدى وأنه كلام الله. وأي بيان وأي هدى في قوله: ﴿الم﴾ وقوله: ﴿كهيعص﴾؟ بل هذه الأحرف وأمثالها في غاية البعد عن الهدى بدليل أنه لم يهتد أحد منهم ولا الراسخون في العلم

(43) البخارى في الصحيح / كتاب التفسير / حديث رقم 4670، ومسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / حديث رقم 160.

(44) مناهل العرفان 222/1، تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص 138.

لإدراك معناها، فالخطاب بها كالخطاب بالمهملة وإنما هذه الألفاظ من وضع كَتَبَ محمد من اليهود تنبيهاً على انقطاع كلام واستئناف آخر ومعناها أوعز إلي محمد أو أمرني محمد يشيرون بذلك إلى براءتهم من الإيمان بما يأمرهم بكتابته، وقريب من هذا قول بعضهم: إن الحروف العربية غير المفهومة المفتحة بها أوائل بعض السور إما أن يكون قصد منها التعمية أو التهويل أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف أو هي رمز للتمييز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا (45).

الرد على هذه الشبهة:

ولتقيد ما سبق أقول: إن هذه الشبهة ساقطة من وجوه بيانها فيما يأتي:-

أولاً: صاحب هذا الادعاء كفانا مؤنة دحضه وإبطاله لأنه يشك ويتردد بين أمرين متناقضين ثبوت أحدهما ينفي الآخر، فكون هذه الأحرف قصد منها التعمية والتهويل وإظهار القرآن في مظهر عميق مخيف؛ يقتضي أن الرسول - ﷺ - نطق بها وكانت في عهده، وكونها رموزاً وضعت للتمييز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآناً؛ يقتضي بأنه لم ينطق بها الرسول - ﷺ - ولا كانت في زمنه، ونقض القرآن لا يكون بهذا الشك والاضطراب والترديد بين أمور متناقضة (46).

ثانياً: دعوى أنها من وضع بعض الكتبة اليهود الذين كانوا يكتبون الوحي للنبي ﷺ أشد بطلاناً ففي أي كتاب من كتب التواريخ العربي منها وغير العربي أن النبي كان له كتبة من اليهود وكيف يأتين النبي يهودياً على كتابة الوحي وعنده صفوة من أصحابه المخلصين الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة، وفي أي لغة من لغات العالم أن الم أو طس أو كهيعص معناها أوعز إلي محمد أو أمرني محمد وما ذكره الطاعن في كهيعص لا يخرج عن عبث الصبيان، فإنها تقرأ على نهج ثبت بالتواتر وتلقاه الخلف عن السلف، والقراءة سنة متبعة ليست بالهوى ولا بالتشهي، ولا يغيب عن ذهننا أن جل هذه الفواتح - وبخاصة فاتحة مريم - إنما نزلت بمكة ومن قال: إن مكة كان بها يهودا لحق أن هذا الكلام لا يصدر إلا ممن تجرد من الحياء وصدق القائل: «إذا لم تستح فاصنع ما تشاء».

ثالثاً: أن اليهود لم يعرف عنهم الطعن في القرآن بمثل هذا. ولو كان هذا مطعناً عندهم لكانوا أول الناس جهراً به وتوجيهاً له لأنهم كانوا أشد الناس عداوة للنبي ﷺ والمسلمين، ويتمنون أن يجدوا في القرآن مغمزاً من أي نوع يكون ليهدموا به دعوة الإسلام، كيف وهم يكفرون به حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق؟

رابعاً: لو أن هذه الأحرف المقطعة ألغاز أو كلام عاطل لا معنى له، -كما يقولون- لكان أول من تصدى له أساطين الكلام من المشركين، ولما تركها العرب المعارضون للدعوة في عصر نزول القرآن، وهم المشهود لهم بالفصاحة والبلاغة، والمهارة في البيان إنشاءً ونقداً؛ فعلى قدر ما طعنوا في القرآن لم يثبت عنهم أنهم عابوا هذه " الفواتح " وهم أهل الذكر " الاختصاص " في هذا المجال. وأين يكون الذين يتصدون الآن لنقد القرآن من أولئك الذين كانوا أعلم الناس بمزايا الكلام وعيوبه؟!

وقد ذكر القرآن نفسه مطاعنهم في القرآن، ولم يذكر بينها أنهم أخذوا على القرآن أي مأخذ، لا في مفرداته ولا في جملة، ولا في تراكيبه. بل على العكس سلّموا له بالتفوق في هذا الجانب، وبعض العرب غير المسلمين امتدحوا هذا النظم القرآني ورفعوه فوق كلام الإنس والجن. ولشدة تأثيره على النفوس اكتفوا بالتواصي بينهم على عدم سماعه، والشوشرة عليه (47).

(45) أسرار عن القرآن لجرّس سال ص 11، 12، 47، موجز دائرة المعارف الإسلامية ص 8199، مناهل العرفان 222/1.

(46) نقض مطاعن في القرآن للشيخ محمد عرفة ص 79 بتصرف.

(47) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشكّكين ص 63.

خامساً: كما يقول الشيخ الزرقاني - رحمه الله - اشتمال القرآن على كلمات غير ظاهرة المعنى لا ينافي وصف القرآن بأنه بيان للناس وهدي ورحمة فإن هذه الأوصاف يكفي في تحققها ثبوتها للقرآن باعتبار جملته ومجموعة لا باعتبار تفصيله وعمومه الشامل لكل لفظ فيه. ولا ريب أن الكثرة الغامرة في القرآن كلها بيان للتعاليم الإلهية وهداية للخلق إلى الحق ورحمة للعالم من وراء تقرير أصول السعادة في الدنيا والآخرة.

وهذا الجواب مبني على أحد رأيين للعلماء في فواتح تلك السور وهو أن المعنى المقصود غير معلوم لنا بل هو من الأسرار التي استأثر الله بعلمها ولم يطلع عليها أحد من خلقه. وذلك لحكمة من حكمة تعالى السامية وهي ابتلاؤه سبحانه وتمحيصه لعباده حتى يميز الخبيث من الطيب وصادق الإيمان من المنافق بعد أن أقام لهم أعلام بيانه ودلائل هدايته وشواهد رحمته في غير تلك الفواتح من كتابه بين آيات وسور كثيرة لا تعتبر تلك الفواتح في جانبها إلا قطرة من بحر أو غيضاً من فيض. فأما الذين آمنوا فيعلمون أن هذه الفواتح حق من عند ربهم ولو لم يفهموا معناها ولم يدركوا مغزاها ثقة منهم بأنها صادرة من لدن حكيم عليم عمت حكمته ما خفي وما ظهر من معاني كتابه ووسع علمه كل شيء عرفه الخلق أو لم يعرفوه من أسرار تنزيله. "وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ" "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ" ولا يفوتتك في هذا المقام أن تعرف أن ابتلاء الله لعباده ليس المراد منه أن يعلم سبحانه ما كان جاهلاً منهم حاشاه فقد وسع كل شيء علماً. إنما المقصود منه إظهار مكنونات الخلق وإقامة الحجج عليهم من أنفسهم فلا يتهمون الله في عدله وجزائه إذا جعل من الناس أهلاً لتوبه وآخرين لعقابه. "وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا" الكهف: ٤٩.

الرأي الثاني في فواتح السور: أن لها معنى مقصوداً معلوماً. قالوا: لأن القرآن كتاب هداية والهداية لا تتحقق إلا بفهم المعنى خصوصاً أننا أمرنا بتدبر القرآن والاستنباط منه وهذا لا يكون إلا إذا فهم المعنى أيضاً⁽⁴⁸⁾. وقد اختلف أصحاب هذا الرأي في بيان المراد منها فذهب الكثيرون إلى أنها أسماء للسور، وذهب المحققون إلى أنها أسماء للحروف الهجائية المعروفة، وفائدة ذكرها في فواتح السور، إما إقامة الحجة على إعجاز القرآن من أقصر طريق وأسهله، ذلك أن هذا القرآن مركب من جنس هذه الحروف الهجائية التي منها يركبون كلامهم، وبها يتخاطبون، وقد تحداهم المرة تلو المرة أن يأتوا بشيء منه فعجزوا وما استطاعوا، فكان هذا دليلاً ساطعاً على أنه ليس من عند بشر وإنما هو من عند خالق القوى والقدرة، وإما تنبيه السامع إلى ما يتلى بعدها لاستقلالها بنوع من الإغراب فهي كأداة التنبيه لما يتلى بعدها فيفرغ السامع لذلك قلبه وسمعه فتقوم عليه الحجة باستماع القرآن، وقد يقع الكلام من نفسه موقع التأثير فيؤدي به إلى الإيمان، فهي إذا ليست غير مفهومة المعنى، والخطاب بها ليس من قبيل الخطاب بما لا معنى له.

وهناك آراء أخرى كثيرة في بيان معاني هذه الأحرف وتأويلها تنظر في مظانها⁽⁴⁹⁾.

الشبهة السابعة

الادعاء بأن القسم المكي خلا من ذكر أهل الكتاب، بينما اقتصر ذلك على المدني، وهم بذلك يدللون على زعمهم بأن محمد ﷺ، ألّف القرآن من عنده، وتعلمه من أهل الكتاب متأثراً بالبيئة التي كان يعيش فيها، حيث جاء القرآن المدني بذكر أهل الكتاب حيث يسكنون المدينة، وجاء القرآن المكي خالياً من ذكرهم حيث خلت مكة من وجودهم.

الرد على هذه الشبهة:

أولاً: إن القول بأن القرآن المكي خلا من ذكر أهل الكتاب على الإطلاق قول باطل. ولو قيل: إن القرآن قلل من ذكر

(48) مناهل العرفان 1/ 226.

(49) تراجع هذه الأقوال في تفاسير الزمخشري والرازي والآلوسي عند تفسير أول سورة البقرة، وفي تفسير المنار في أول سورة الأعراف، وفي مناهل العرفان للزرقاني 1/ 226 فقد أجاد وأفاد.

أهل الكتاب لكان صحيحاً. ومن الخطأ الادعاء بأن مكة كانت خالية تماماً من أهل الكتاب. فقد وردت سور، وآيات مكية عديدة تذكر أهل الكتاب، ومنها:

أ- سورة الأنعام قوله تعالى "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" الأنعام: ٢٠. وقوله تعالى "أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتْبَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ" الأنعام: 114.

ب- سورة الأعراف قوله تعالى "قَلَمًا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ"، وقوله تعالى "قَلَمًا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّ عَنْهُ فَلُنَّا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" وقوله "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"

ثانياً: إن إكثار القرآن المدني من ذكر أهل الكتاب هو من قبيل التوفيق في رعاية أحوال المخاطبين. حيث إن أهل الكتاب كانوا يسكنون المدينة أكثر من أي مكان آخر في جزيرة العرب. وبذلك كان احتكاك الدعوة الإسلامية بهم كثيراً؛ وكانت مجاباتهم، ومقابلاتهم، وتحدياتهم، واستفساراتهم، وأسئلتهم، ووقائعهم، وحوادثهم كثيرة مع الرسول ﷺ، ولذلك؛ ومراعاة لمقتضيات أحوال أهل المدينة من أهل الكتاب أكثر القرآن المدني من الذكر لهم، ومخاطبتهم. وهم قد أوقعوا الوقائع العظيمة، وأحدثوا الحوادث الجسيمة في مقر سكنائهم في المدينة، وليس في غير سكنائهم كمكة. ولذلك فمن البدهة بمكان أن يكثر ذكرهم في القرآن المدني، وليس المكي. وكان القرآن المدني طيلة نزوله في المدينة هو المؤثر فيهم، والمدحض لافتراءاتهم، والمغفل لتحدياتهم، والفاضح لتفاهاتهم، والمبطل لخرافاتهم وسحرهم حتى أعجزهم من أن يكذبه، أو يقولوا عليه، وحتى تثبت نبوة محمد ﷺ عندهم، فلجأوا إلى محاربته، والغدر به، وخيانتته، وتآليب الأعداء عليه. في كل هذه الأحوال كان ينزل القرآن المدني ينظم علاقة الرسول ﷺ، والمسلمين والصحابه معهم، فكان لا بد من ذكرهم، وكان لا بد من مخاطبتهم لعلهم يراعوا، ودون أي تأثير منهم، فكان القرآن المدني ذاكرة لهم لا متأثراً بوسطهم كما أراد المبطلون، والمرجفون، والمستهزؤون، وصدق فيهم قول ربنا "وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" الحجر: ١١. وصدق فيهم قول ربنا "وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا" الإسراء: ٨. وصدق فيهم قول ربنا "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ" البينة: ٦.

الشبهة الثامنة

إن القرآن المكي خلا من القصص، وإنما انفرد بها القرآن المدني لتأثر الرسول ﷺ بأهل الكتاب فيها، فأخذ عنهم قصص إبراهيم وعلاقات الأنساب بين إسماعيل والشعب العربي. كما أورد المستشرق "لامنز" أن محمداً لما اتصل باليهود في المدينة استطاع أن يؤلف قصص إبراهيم وعلاقات الأنساب بين إسماعيل والشعب العربي (50).

الرد على هذه الشبهة:

لعلها من أسخف الشبه التي ألصقها المستشرقون الكفرة بالقرآن المكي، ولعلها من أسخف براهينهم التي دللوا بها على سخف هذه الشبهة. حيث إننا، وبكل سهولة نستطيع أن نكذب دعواهم، وأن نفند شبهتهم بالرجوع إلى القرآن الكريم حيث نجد العكس تماماً. فالسور المكية هي التي تعرض أطوار قصص الأنبياء بتفاصيلها الدقيقة، ولم تترك للسور المدنية إلا فرص استخلاص العبر والدروس منها، والتي غالباً ما تأتي في صور تلميحية إيجازية:

وأما بالنسبة لإبراهيم: فإنه لا يعرف شعب آخر له مثل ما للعرب من شغف بعلم الأنساب، وخاصة أولاد إسماعيل، حيث يحرصون على الاحتفاظ في ذاكرتهم بسلسلة أجدادهم حتى وصلوا إلى الجيل العشرين، وكان منهم المشهورين بذلك

(50) لامنز الإسلام عقائده ونظمه ص 33 نقلاً عن كتاب شبهات حول القرآن وتفنيدها د/ غازي عناية ص 100.

كأبي بكر الصديق ﷺ سيما وهناك أماكن تحمل، وما تزال، أسماء إبراهيم، وإسماعيل -عليهما السلام- وقريش من أولادهم، وبهذا ومما يدحض شبهتهم أيضاً أن القرآن لم ينتظر انتقاله إلى المدينة لتوثيق هذه المعلومات، والاهتمام بالقصص؛ حيث أفاضت السور والآيات المكية بمثل قصص الأنبياء، والرسول، وأقوامهم. بل نجد أن السور المكية أشارت لقصة إبراهيم - عليه السلام - مثل "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" إبراهيم: ٣٧، وكثيراً منها دعت الرسول ﷺ إلى اتباع ملة إبراهيم - عليه السلام - فقد جاء في سورة النحل، وهي مكية قوله تعالى: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل: ١٢٣.

الشبهة التاسعة

إن القرآن المكي خلا من ذكر الصلوات الخمس - حيث كان عددها في العهد المكي صلاتين أضيف لهما صلاة ثالثة في العهد المدني - وهذا يعني الاختلاف الجذري بين القرآن المكي، وبين القرآن المدني، والسبب في ذلك يعزونه إلى تأثر الرسول ﷺ، ومحركاته لليهود في المدينة. (51)

الرد على هذه الشبهة:

تدحض صدق ما تزعمه بنفسها حيث إنها تقنقذ إلى أي أساس نقلي، أو عقلي، أو منطقي، أو تاريخي يسوغ تصديقها، أو يدعو إلى الإيمان بها. ولعله، بل إن أساس الخطأ بالنسبة لمثل هذه الشبهات أنها إنما تنطلق دائماً من فراغ دليلي، أو أساس واه، فيصعب على أصحابها إثبات صحة دعواها. ونحن هنا نتساءل: متى كان عدد الصلوات التي نص عليها القرآن المكي في اليوم، واللييلة أقل من خمس صلوات؟؟ وأي قرآن مكي نص على أن عددها كان اثنين ثم أضيفت لهما صلاة ثالثة في المدينة؟؟ وهذه مشكلة المستشرقين أو النقاد الغربيين في مهاجمتهم للإسلام دوماً؛ حيث إنهم دائماً يفتقدون إلى الدليل الذي يؤيد زعمهم، ومن ثم يُعزّون شبههم من كل دليل نقلي أو مسوغ شرعي، أو تواتر تاريخي سليم.

فمن المُسلّم به عندنا وعند غيرنا، وتواتر في النقل، والتشريع والتطبيق أن عدد الصلوات المفروضة، ومنذ فرضيتها، هي خمس صلوات مفروضة، وقد أشار إليها القرآن المكي قبل المدني، وفصلتها السنة النبوية، وبينت أحكامها، وأركانها، وواجباتها، وبكل دقة. ولعله إذا جاز لنا أن نعذرهم في شيء أن نقول في هذا المقام: ربما كان منشأ خطأهم هو تفسيرهم المغلوط للكلمة، أو للفظ "الدلوك" الوارد في آيات الصلوات الخمس في سورة الإسراء.

ومن السور والآيات المكية التي أشارت إلى الصلوات الخمس سورة الإسراء حيث يقول: "أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا" الإسراء: ٧٨.

وسورة طه حيث يقول سبحانه: "فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى" طه: ١٣٠.

وسورة الروم حيث يقول - سبحانه - "فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ. وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ" الروم: ١٧ - ١٨.

وسورة هود حيث يقول - سبحانه - "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ" هود: ١١٤. (52)

فمما سبق يتضح لنا بطلان هذه الشبهة وسقوطها كما سقط ويسقط كل متحدٍ للقرآن، وسيظل هذا القرآن مرفوع الراية يتحدى المعاندين ويطاول المتكبرين وصدق الله {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} الحجر: ٩.

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} الصف: ٨ - ٩.

(51) ينظر: شبهات حول القرآن وتفنيدها د/ غازي عناية ص101.

(52) مدخل إلى القرآن الكريم ، د/ محمد عبد الله دراز ص 169-170.

الخاتمة

وبعد: فهذا ما يسرَّه الله ﷻ ولما نزعنا وأصلنا ببحثنا إلى الكمال فالكمال لله وحده، وحسبنا أننا اجتهدنا بقدر طاقتنا البشرية. متضرعين إلى الله أن نكون قمنا ببعض الواجب علينا نحو هذا الدين العظيم.

ونحمد الله (ﷻ) أن وفقنا وأعاننا ويسر لنا إتمام هذا البحث، فالإيه يرجع الأمر كله، ونسأله (ﷻ) أن يقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى ما يلي:

أولاً: إعجاز القرآن الكريم وأنه لا يزال غصاً طرياً ، محفوظاً بحفظ الله -ﷻ- وكل ما فيه من عند الله ولا دخل لأحد فيه.

ثانياً: اهتم العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، وجعلوا معرفته شرطاً لمن أراد أن يفسر كلام الله.

ثالثاً: معرفة المكي والمدني يعين على معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سنة الله الحكيم في التدرج في التشريعات.

رابعاً: اهتمام النبي ﷺ والصحابه بحفظ القرآن وتعليمه وقراءته وتلاوة آياته، ومن ذلك اهتمام الصحابة بمواضع نزوله.

خامساً: القرآن من عند الله ﷻ جاء ليؤثر في البيئة لا ليتأثر بها. ولو كان من عند محمد ﷺ لعارضه العرب عند التحدي.

سادساً: السبب الرئيس لإثارة الشبهات حول القرآن محاولة اليهود والنصارى نزع الثقة عن القرآن وخلخله الإيمان به حتى لا يظل هو النص الإلهي الوحيد المصون من كل تغيير أو تبديل، أو زيادة أو نقص.

سابعاً: تحرير ما لدى أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من نقد وجه إلى الكتاب المقدس بكلا عهديه : القديم (التوراة) والجديد (الأناجيل) ليقطعوا الطريق على ناقدى الكتاب المقدس من المسلمين ، ومن غير المسلمين.

ثامناً: اليهود والنصارى لتحريفهم كتبهم التي نزلت على أنبيائهم لم تعد لديهم حجة صحيحة، ولا شيء يستندون إليه، فلذا أخذوا يطعنون في القرآن وأحكامه، ليغيروه ويهدموه.

تاسعاً: سار على نهج اليهود والنصارى المبشرون والمستشرقون في العصور الحديثة الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية والعربية لا لخدمة الإسلام، بل لنقده والطعن في أصوله، وليشككوا الناس في هذا الدين العظيم.

عاشراً: سيل الشبهات التي يثيرها المشككون والمبطلون من خصوم الدين لم يتوقف، فلا تزال الشبهات القديمة تظهر حتى اليوم في أثواب جديدة، وحُلَى زائفة.

الحادي عشر: مما يؤسف له أن بعضاً من أدعياء العلم والثقافة من المسلمين صاروا أذناً لهؤلاء الملاحدة، وأخذوا يرددون كلامهم، ويطعنون في دينهم، متسربلين بشعار البحث العلمي والحرية الفكرية.

الثاني عشر: هذا الدين محفوظ بحفظ الله، وقد وعد بنصر أهله ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾

الثالث عشر: خلو القرآن من الزيادة والنقصان والتحريف وأنه الوثيقة الربانية الوحيدة التي حفظت -بحفظ الله- من التغيير والتبديل وصدق الله القائل "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" فصلت: ٤١ - ٤٢.

وفي الختام: نقول لمن حاول إثارة الشبهات والتشكيك في كتاب الله ، أو في رسول الله ﷺ ، أو في شيء من دين الله: اعلم أنك بفعلك هذا قد جنبت على نفسك ، وأوديت بها إلى مهاوي الردى ، واعلم أن "هذا الدين متين، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ" فارق بنفسك وأشفق عليها.

يَا نَاطِحَ الْجَبَلِ الْأَشْمِ بِرَأْسِهِ *** أَشْفَقْ عَلَى الرَّأْسِ لَا تُشْفِقْ عَلَى الْجَبَلِ

وإنما مثل هؤلاء المشككين كوعل غره قرناه، فرأى ذات يوم صخرة عظيمة راسية شامخة ، فأراد أن يفتتها فنطحها، فتحطم قرناه، وأما الصخرة فما أحست من ذلك بشيء

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوْهِنَهَا *** فَلَمْ يُضِرْهَا وَأَوْهَى رَأْسَهُ الْوَعْلُ

فالإسلام كالبحر الخضم ، لا يضره من ألقى فيه بحجارة محاولاً إيذاؤه.

وَمَا يُضِرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى رَاسِيًا *** إِذَا رَمَى إِلَيْهِ صَبِيحُ بَحْرٍ

فدين الله دائماً هو الغالب، جعلنا الله -تعالى- من أتباعه وأنصاره، اللهم اجعلنا نخشاك كأننا نراك، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلتاك.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات: 180-182).

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله.

1- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطي ت/ أنس مهرة ، ط دار الكتب العملية - لبنان -

الأولى 1419 هـ 1998م.

2- الإتيقان في علوم القرآن ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي - ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار التراث - القاهرة.

3- الإتيقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم مكتبة دار التراث - القاهرة.

4- أحكام القرآن، لأبي بكر بن عبد الله المعروف بابن العربي، ت/ على محمد البجاوي - دار الفكر.

5- أحكام القرآن، لأحكام بن علي الرازي الجصاص، أبو بكر، ت/ محمد الصادق قمحاوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت 1405 هـ.

6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

7- أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي، ت/ محمد صلاح حلمي سعد مكتبة الرحاب - القاهرة.

8- أسرار عن القرآن - الجزء الثالث من كتاب مقالة في القرآن لجرجس سال، تعريب هاشم العربي، ط نور الحياة .

9- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي - ط دار الفكر بيروت 1415 هـ 1995م.

10- إعراب القرآن ، لأبي حفص أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، ت/د/ زهير غازي زاهد ط عال الكتب - بيروت 1409 هـ 1988م.

11- إعراب القرآن الكريم لقاسم حميدان دعاس الناشر : دار المنير . دار الفارابي : دمشق

12- إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش دار النشر : دار الإرشاد . سورية

13- الأعلام ، لخير الدين الزركلي - ط دار العلم للملايين - بيروت - السابعة 1986م.

14- أنوار البروق في أنواع الفروق، لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، ت/ خليل المنصور - دار الكتب العلمية - بيروت 1418 هـ 1998م.

15- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت/ د/ عبد الحميد مصطفى ، الشيخ / عبد الحميد

فرغلي - ط المكتبة القيمة - القاهرة.

16- الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، ت/ الشيخ / بهيج عزاي، ط دار إحياء العلوم بيروت 1419 هـ 1998م

17- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى 1422 هـ 2001م.

18- البداية في التفسير الموضوعي - دراسة منهجية موضوعية، للأستاذ الدكتور/ عبد الحي حسين الفرماوي - الطبعة السابعة ذو الحجة 1425 هـ يناير

2005م.

19- البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، للشيخ عبد الفتاح القاضي - ط مكتبة الكليات الأزهرية.

20- البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد عبد الله الزركشي ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم - ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي -

الأولى 1376 هـ 1957م.

21- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت/ أ/ عبد العليم الطحاوي - طبعة المجلس الأعلى للشئون

الإسلامية 1412 هـ 1992م.

22- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم - ط المكتبة العصرية - بيروت.

23- البلاغة العربية/ لعبد الرحمن حسن حبنكة.

24- البلاغة الواضحة للأستاذين علي الجارم ، ومصطفى أمين ص 146 ط دار المعارف - لبنان.

25- البيان في عد آي القرآن ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني ، ت/ غانم قدوري الحمد ، ط مركز المخطوطات والتراث - الكويت - الأولى

1414 هـ 1994م.

26- تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد بن عبد الرازق الحسيني الزبيدي - ط دار الهداية.

- 27- التبيان في إعراب القرآن ، لمحب الدين عبد الله الحسين بن أبي البقاء العكبري ، ت/ على محمد البجاوي - ط دار إحياء الكتب العربية.
- 28- التبيان في أقسام القرآن ، لابن القيم الجوزية - ط دار الفكر - بيروت.
- 29- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور - دار سحنون - تونس 1997م.
- 30- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبى.
- 31- التعريفات ، لعل بن محمد بن علي الجرجاني ، ت/ إبراهيم الإيباري - ط دار الكتاب العربى - بيروت الأولى 1405هـ.
- 32- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن ضوء القرشي البصري، أبو الفداء عماد الدين ابن كثير - ت/ طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الإيمان - المنصورة.
- 33- التفسير القرآني للقرآن/ للشيخ عبد الكريم يونس الخطيب - ط دار الفكر - القاهرة.
- 34- التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازي ، ت/ سيد عمران ط دار الحديث - القاهرة.
- 35- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، ت/ سعد عمران دار الحديث - القاهرة.
- 36- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور/ صلاح الخالدي.
- 37- التفسير الموضوعي ومنهج الحق في هداية الخلق، للأستاذ الدكتور/ محمود بسيوني فودة - مطبعة الأمانة - الأولى 1408 هـ 1987م.
- 38- التفسير الموضوعي: نماذج تطبيقية في ضوء القرآن الكريم، للأستاذ الدكتور/ محمد السيد عوض.
- 39- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف : د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر)
- 40- تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكر عبد الرحمن أبو الحجاج المزي - مؤسسة الرسالة بيروت - الأولى 1400 هـ 1980م.
- 41- التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوى ، ت/د/ محمد رضوان الداية ، ط دار الفكر - دمشق - الأولى 1410هـ.
- 42- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، للإمام محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري ، ت: أحمد محمد شاكر - ط مؤسسة الرسالة - الأولى 1420 هـ 2000م.
- 43- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت/د/ مصطفى الديب البغا - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - الثالثة 1407 هـ 1987م.
- 44- الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري.
- 45- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسننه وأيامه ، المسمى بصحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري - ط دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - الثالثة 1407 هـ 1987م.
- 46- الجامع الصحيح، المسمى بصحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري - طبعة دار الجبل - بيروت.
- 47- الجامع الصحيح، سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، ت/ أحمد محمد شاكر - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 48- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ط دار الحديث - القاهرة. الثانية 1416 هـ 1996م.
- 49- الجدول في إعراب القرآن محمود بن عبد الرحيم صافي الناشر : دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق الطبعة : الرابعة ، 1418 هـ.
- 50- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، للسيد أحمد الهاشمي - ط دار الكتب العلمية بيروت - السادسة.
- 51- حاشية الشهاب ، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ، لأحمد بن محمد شهاب الدين - ط دار صادر - بيروت.
- 52- الحاوي في فقه الشافعي، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الشهير بالماوردي - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى 1414 هـ 1994م.
- 53- حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، ت/ سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - الثانية 1402 هـ 1982م.
- 54- الحجة في القراءات السبع ، للحسين بن أحمد بن خالويه ، ت د/ عبد العال سالم مكرم - ط دار الشروق - بيروت - الرابعة 1401هـ.
- 55- الحجة في القراءات السبع ، للحسين بن أحمد بن خالويه ، ت د/ عبد العال سالم مكرم - ط دار الشروق - بيروت - الرابعة 1401هـ.
- 56- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - ط دار الكتاب العربى - بيروت - الرابعة 1405هـ.
- 57- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - ط دار الكتاب العربى - بيروت.

- 58- الدر المصون في علم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن عبد الدايم المعروف بالسمين الحلبي، ت/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق - الأولى 1414هـ 1994م.
- 59- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي - ط دار الفكر - بيروت 1993م.
- 60- روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي بن مصطفى البروسوي، ط دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- 61- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، أبو الفضل - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 62- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن علي بن محمد الجوزي، ط المكتب الإسلامي - بيروت الثالثة 1404هـ.
- 63- السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادى، ت/د/ شوقي ضيف، ط دار المعارف - القاهرة - الثانية 1400هـ.
- 64- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني - ط دار المعرفة - بيروت - الثانية.
- 65- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر - بيروت.
- 66- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث الأزدي أبو داود، ت/د/ عبد القادر عبد الجبير، ط دار الحديث - القاهرة 1420هـ 1999م.
- 67- سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن دينار البغدادى - دار المعرفة - بيروت 1386هـ 1966م.
- 68- السنن الصغرى، لأحمد بن الحسن بن علي البيهقي، أبو بكر، ت/د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي - مكتبة الرشد - الرياض 1422هـ 2001م.
- 69- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - ط مؤسسة الرسالة - الثالثة 1405هـ 1985م.
- 70- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي الناشر: المكتب الإسلامي بيروت
- 71- شرح المفصل للزمخشري لعلي بن يعيش، ط دار الطباعة المنيرية - مصر.
- 72- شرح النووي على صحيح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الثانية 1392هـ.
- 73- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى 1410هـ.
- 74- صفوة التفاسير، للأستاذ الدكتور/ محمد علي الصابوني - دار الصابوني - القاهرة.
- 75- علم البيان/ للأستاذ عبد العزيز عتيق - ط دار النهضة العربية: بيروت - لبنان 1405هـ 1982م.
- 76- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية 1415هـ.
- 77- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار المعرفة - بيروت 1379هـ.
- 78- الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، للإمام المناوي ت/ أحمد مجتبي دار العاصمة - الرياض.
- 79- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني.
- 80- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت/ عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 81- الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري/ الإمام أبي محمد بن عاشور، ط دار إحياء التراث الغربى - بيروت، الأولى 1422هـ 2002م.
- 82- كشف العمى والرؤى عن ناظري مصحف ذي التورين، وهي من تأليف محمد العاقب بن عبد الله بن مایابی الجکني الشنقيطي (ت: 1312 هـ)، دار إيلاف للنشر والتوزيع - الكويت-1427هـ.
- 83- الآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي دار الكتب العلمية.
- 84- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن دار الفكر - بيروت.
- 85- لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي - ط مكتبة الصفا - القاهرة - الأولى 1423هـ 2002م.
- 86- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلى ت/ الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ / علي محمد معوض - ط دار الكتب العلمية - بيروت أولى 1419هـ 1998م.

- 87- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، ط دار صادر - بيروت.
- 88- لوائح الأنوار البهية، لشمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي - مؤسسة الخافقين - دمشق - الثاني - 1402هـ - 1982م.
- 89- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - ط دار الفكر - بيروت 1412هـ.
- 90- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - دار الفكر - بيروت 1412هـ.
- 91- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - لبنان 1413هـ - 1993م - الأولى.
- 92- مختصر المعاني/ لسعد الدين التفتازاني - ط دار الفكر الأولى 1411هـ.
- 93- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، ت/ مروان محمد الشعار - ط دار النفائس - بيروت 2005م.
- 94- المستدرک على الصحيحين ، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، ت/ مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى 1411هـ - 1990م.
- 95- مسند أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت/ شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - الثانية 1420هـ - 1999م.
- 96- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن علي الفيومي - ط المكتبة العلمية - بيروت.
- 97- معالم التنزيل ، لمحي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، ت/ محمد عبد الله النمر ، ط دار طيبة للنشر والتوزيع - الرابعة 1417هـ - 1997م.
- 98- معالم سور القرآن وإتحافات درره، للأستاذ الدكتور/ جمعة علي عبد القادر طبعة مكتبة رشوان - الثانية.
- 99- معاني القرآن ، لأبي زكريا - يحيى بن زياد ، المعروف بالفراء ت/ د/ عبد الفتاح إسماعيل شليبي ، ط الهيئة المصرية للكتاب 1973م.
- 100- معجم القراءات القرآنية - الدكتور عبد اللطيف الخطيب - ط دار سعد الدين - دمشق الأولى سنة 1422هـ - 2002م.
- 101- المعجم الوسيط ، تأليف/ إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار - ط دار الدعوة.
- 102- مفتاح العلوم/ للسكاكي.
- 103- مفردات غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ت/ محمد سيد كيلاني ، ط دار المعرفة - لبنان.
- 104- المفصل في صنعة الإعراب - الزمخشري الناشر : دار ومكتبة الهلال بيروت
- 105- موطأ مالك، لمالك بن أنس، أبو عبد الله الأصبحي - دار القلم - دمشق - الأولى 1413هـ - 1991م.
- 106- موسوعة بيان الإسلام الرد على الإفتراءات والشبهات، المؤلف: نخبة من كبار العلماء - الناشر: دار نهضة مصر للنشر، سنة 2011م.
- 107- النشر في القراءات العشر ، لمحمد بن محمد بن الجزري ، ط دار الكتب العلمية - بيروت.
- 108- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي - ط دار الكتب العلمية - بيروت 1415هـ - 1995م.
- 109- النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، ت / السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم ، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

تقنيات إظهار الشكل ودورها في تجنيس الفضاء الداخلي

غدير محمد حاكم¹ م.د. عصام نوري مجيد²

¹ الجامعة التقنية الوسطى / كلية الفنون التطبيقية، العراق. بريد الكتروني: ghadeerasola@gmail.com

² الجامعة التقنية الوسطى / كلية الفنون التطبيقية، العراق. بريد الكتروني: esamnouri@mtu.edu.iq

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/2>

تاريخ القبول: 2024/03/08م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

تعتبر طرق إظهار الشكل من الأدوات الهامة في عملية تجنيس الفضاء الداخلي كونها توضح الأفكار وتجسدها بطريقة واضحة ويتم توظيف هذه الأدوات في تصميم الفضاء لتحويل الأفكار إلى نموذج ثلاثي الأبعاد وشكل رقمي وبيئة افتراضية لفهم وتحليل الفضاءات وتصميمها بطريقة أكثر فعالية. تجلت المشكلة المدروسة بالتساؤل: ماهي الأدوات التي يعتمد الإظهار الشكلي عليها؟ وما دورها في تجنيس الفضاء الداخلي؟ وتجلي الهدف بـ دراسة العلاقة التي تحققها طرق تقنيات الإظهار الشكلي في تجنيس الفضاء الداخلي. شمل المجتمع تصاميم شركة لكشري من العام 2010 إلى 2021 الخاصة بغرف الأطفال. تكونت العينة من تصميمين واستخدمنا استمارة متضمنة لخمس محاور للتحليل وتحققنا من صحتها وثباتها وبلغ 86% وبينت الاستنتاجات أن:

- تقنيات إظهار الشكل لها دور أساسي في تجنيس الفضاءات الداخلية.
- بالإمكان تصنيف الفضاءات بناء على جنسها عن طريق تحديد المكونات الداخلية وتصنيفها.

الكلمات المفتاحية: إظهار، تقنيات، تجنيس، الفضاء، تصميم.

RESEARCH TITLE

TECHNIQUES OF DISPLAYING FORM AND THEIR ROLE IN
NATURALIZING INTERNAL SPACEGhadeer Muhammad Hakim¹ Dr. Essam Nouri Majid²¹ Central Technical University / College of Applied Arts, Iraq. Email: ghadeerasola@gmail.com² Central Technical University/College of Applied Arts, Iraq. Email: esamnouri@mtu.edu.iqHNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/2>

Published at 01/04/2024

Accepted at 08/03/2024

Abstract

Methods of showing form are considered important tools in the process of naturalizing internal space, as they clarify and embody ideas in a clear way. These tools are used in space design to transform ideas into a three-dimensional model, a digital form, and a virtual environment to understand and analyze spaces and design them in a way . more effective. The studied problem was revealed by asking: What are the tools on which formal manifestation depends? What is its role in naturalizing internal space? The goal was to study the relationship achieved by the methods of formal display techniques in naturalizing the interior space. The community included Luxury Company's designs from 2010 to 2021 for children's rooms. The sample consisted of two designs, and we used a form that included five axes for analysis. We verified its coincidence and reliability, and it reached 86%. The conclusions showed that:

- Form-displaying techniques play a fundamental role in naturalizing interior spaces.
- Spaces can be classified based on their type by identifying and classifying the internal components.

Key Words: manifestation, techniques, naturalization, space, design.

مشكلة البحث:

تعتبر وسائل الإظهار الشكلي أداة هامة من الأدوات المستخدمة في تجنيس الفضاء الداخلي والتي لها دور في إيضاح الأفكار والتصاميم ويجسدها ويتم توظيفها في تصميم الفضاء الداخلي بحيث تتحول الأفكار إلى نموذجاً ثلاثي الأبعاد وشكل رقمي وبيئة افتراضية وبالتالي يساعد ذلك في فهم وتحليل وتصميم الفضاء بطريقة أفضل وتضم تقنيات الإظهار التي تستخدم في تجنيس الفضاء مثلاً، المحاكاة الفضائية (ذات الأبعاد الثلاث) والرسوم المتحركة والبيئة الافتراضية والمعززة. ويتم استخدام هذه التقنيات من قبل المصممين والمهندسين في تصميم الفضاء وتجنيسه لتطوير الابداعات والوصول إلى تجربة جيدة وفعالة ويمكن صياغة المشكلة البحثية وفق التالي:

ماهي الأدوات التي يعتمد الإظهار الشكلي عليها؟ وما دورها في تجنيس الفضاء الداخلي؟

أهمية البحث:

1. تساعد على إيضاح الأفكار الخاصة بالتصاميم بأسلوب مرئي وواضح للعملاء وتساعد طرق الإظهار الشكلي الحديثة على تصميم الفضاء بشكل دقيق وواقعي أكثر، مما يتيح للمهندسين والمستخدمين فهم التصاميم وتقييمها بشكل أفضل قبل أن تنفذها.

2. بالإمكان توظيف طرق الإظهار الحديثة في إنشاء تصميم معقد وتجريبي وغير تقليدي والتي يكون من الصعب أن تُفهم أو تُنفذ من خلال التصاميم التقليدية كما تساعد هذه الطرق المصممين من تجربة أفكارهم في مرحلة مبكرة من العملية التصميمية والتواصل مع العميل والمستخدم بطريقة أفضل للحصول على تصميم مرضٍ للجميع.

3. يساهم في تطوير جودة التصاميم وتطوير تواصل المصمم مع العميل وهذا ما يساعد على تكوين فضاء داخلي مريح ووظيفي وجذاب.

هدف البحث:

دراسة العلاقة التي تحققها طرق تقنيات الإظهار الشكلي في تجنيس الفضاء الداخلي.

حدود البحث:

الموضوعية: تجنيس الفضاء الداخلي.

المكانية: تصميم غرف أطفال من شركة Luxury.

الزمانية: من عام 2010 إلى 2021.

الدراسات السابقة:

1-دراسة (صاحب جاسم حسن، 2009) بعنوان (إشكالية التجنيس ما بعد الحداثة):

صيغت أهداف الدراسة في كشف معنى التجنيس في المجال البصري، واللاتجنيس في تشكيل الفن المعاصر عالمياً ما بعد التحديث، تضمنت عينة الدراسة 20 نموذج وتضمن النتائج الآتية:

- يرتبط التجنيس بالحكم النسبي تجاه فعالية الإيهامات التي تحصل من تشابك الأجناس الطبيعية مع مثيلتها البصرية في المجال البصري.

- يتمثل التجنيس بالأسلوب الأمثل للنموذج من خلال اعتباره القيمة العليا في التفكير المثالي العصري والذي يتمثل بالأساسيات العقلية المعيارية بالمعنى القياسي القيمي.
- يعتبر تداخل النظم البنائية للنحت في الفنون الشعبية وكذلك في الرسم والتصاميم أبنية افتراضية غير تجنيسية في ظل تعلقها بالقيمة الاستهلاكية والتي تتسم بالسطحية وتعتبر وسيلة للإعلان.
- إن تراكيب الأجناس تتنافذ بشكل بصري في التشكيل والتراكب والتقطيع والانحناء.

2-دراسة حسين(2018) بعنوان (الظل والنور كقيمة جمالية في التصميم الداخلي والأثاث)

تحددت مشكلتها بضرورة إبراز القيمة الجمالية بصرياً ورمزياً التي ينجزها الظل والضوء في التصميم. وهدفت إلى تقصي العلاقة بين الظل والضوء كقيم للجمال في التصميم الداخلي ومستوى تأثيرها في الفضاءات وتوصلت الدراسة إلى أن الظل والضوء لهما دور أساسي في تقديم روح للتصاميم حيث أن الضوء يبين الزخارف وبضيف لها تجسيم جمالي وبعد ويظهر تبايناً بين الشكل وضوئه.

مصطلحات البحث:

-الإظهار:

لغويًا: فإن كلمة "ظاهر" في اللغة العربية هي الاسم الفاعل من فعل ظهر، ويعني الاكتفاء بظواهر الأمور دون النظر إلى جوهرها.¹

اصطلاحاً: تشير كلمة "ظاهر" إلى ما ظهر من الأمر مقارنة بما هو عليه في الحقيقة، وهناك فرق بينه وبين الخداع من حيث الصدق الواقعي المحقق للعيان، وهو في الفكر الصوفي يعني ما ظهر مقابل ما بطن، وعم الظواهر وعلم البواطن.²

-الشكل:

الشكل لغة: مفرد من أشكال وتعني لغويًا المثل أو الشبه.

اصطلاحاً: تعني كلمة "الشكل" ترتيب مكونات الوسط المادي للعمل الفني، وتبيان الترابطات بينها، وتشير إلى طريقة تموضع كل عنصر في مكانه بالنسبة للعناصر الأخرى ضمن العمل الفني بحيث يؤثر كل عنصر بغيره من العناصر.³

-الإظهار الشكلي إجرائياً:

هو عمل تقني يستخدم لتجسيد الأشياء بشكل ثلاثي الأبعاد على سطح مستوٍ، باستخدام برامج المحاكاة، وبرنامج الرسوم المتحركة، والظل والنور وغيرها من المؤثرات البصرية.

-التجنيس:

لغةً: هو ضروب من الأشياء جميعها، من البشر والطير، مفرداً جنس وجمعاً أجناس، والجنس أشمل من النوع،

1 Ahmed Mukhtar Omar, A Dictionary of Contemporary Arabic Language, Publication of the World of Books, first edition, Cairo, 2008

2 Ibrahim Madkour, The Philosophical Dictionary, The General Authority for Amiri Press Affairs, Egypt, Cairo, 1983

³ سكوت، روبرت جيلام: أسس التصميم، ت: عبد الباقي محمد أبراهيم ومحمد محمود يوسف، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص340.

ومنه جاء لفظ التجنيس، والمجانسة تعني المشابهة أو المشاكلة.⁴
اصطلاحاً: هو مصطلح يستعمل لتصنيف أنواع الخطاب، وهو وسط بين الأدب والأثر الأدبي.⁵
تجنيس الفضاءات الداخلية إجرائياً:

هو العملية التي يتم بموجبها تخطيط مساحة المبنى الداخلية، لتحسين جودته، وتلبية متطلبات الاستخدام للمستفيدين منه بالإضافة إلى جماليته، وتشمل هذه العملية تصميم المساحات الداخلية للمبنى مضافاً إليها تصميم أثاث المبنى وتركيبته وإضاءته وألوانه بالإضافة إلى المواد التي استخدمت في عمليات التصميم والتشطيب.

مفهوم تقنيات الإظهار

تعرف التقنية بأنها تطبيق المعرفة ومعطيات العلم تطبيقاً عملياً بهدف العمل، وهي جملة من التجارب التي تجمع لتحقيق أهداف معينة، وهي جملة من الطرق المستخدمة في مهنة أو فن تحولت إلى مبادئ مكتوبة تضمن لنا نتائج مفيدة.⁶

وهي مفهوم يجمع بين الفنان والخبرة والعمل الفني والمواد المستخدمة وطريقة العمل. ويشترط لإدراك القيمة الجمالية للفن المعاصر استخدام التقنيات الجمالية وأساليبها، فقد بقيت ثقافة التقنيات حتى مطلع القرن العشرين مضمرة ولا يتم الإفصاح عنها.⁷

وتشكل العلاقة بين الشكل والمادة أمراً هاماً، وتشكل المادة المستخدمة في عملية الإظهار شكلاً بصرياً مختلف عن شكلها الحقيقي قبل تشكيلها، فكل مادة من مواد الإظهار المستخدمة لها طبيعة وإمكانية إظهار تختلف عن سواها من المواد، ويتوقف نجاح المصمم في انتقاء المادة الملائمة على تحديد نوع العلاقة بين الشكل الذي يريد الفنان إظهاره وبين هذه المادة، فالمادة والشكل وأسلوب التعبير الموجود في عمل فني ما، لا يوجد إلا في هذا العمل، حيث تؤثر هذه العناصر وتتفاعل مع بعضها وهي تستمد قيمتها وجمالياتها من هذا التفاعل وهذه العلاقة المتبادلة بين عناصرها.⁸

فالتصميم هو إنتاج شكل بصري، أو تجسيد صورة باستخدام مادة تعطيها رونقاً جمالياً، بشرط اختيار المادة المناسبة، وإظهارها بتقنية عالية، وبذلك تكون وظيفة المصمم هي ابتكار الأشكال، وهي وظيفة مبدعة تفوق المهارة التقنية وهي مرحلة تالية لها، والمصمم لا يمكنه تحديد الشكل الذي سينتج عن استخدامه لمادة ما أثناء المعالجة التقنية لها، لأن إظهار الشكل مرتبط بخصائص المادة المستخدمة، فكل مادة تظهر اشكالاً لا تظهرها المواد الأخرى.

مفهوم الشكل

يشير مفهوم الشكل إلى منح الأشياء صفّةً ووجوداً مادياً في الفضاء، وهو العنصر الهام الذي يجذب اهتمام الفنانين والمشاهدين عن طريق إدراكه، والإدراك هو عملية عقلية تتفاعل فيها حواس الإنسان مع وسطه بحثاً عن

⁴ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، مج6، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1956، ص43.

⁵ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، بيروت: مكتبة لبنان، 2002، ص67.

⁶ Jamil Saliba, The Philosophical Dictionary, Dar Al-Kitab Al-Banani, Beirut, c. 11, 1982.

⁷ Ozyasg Anne Marie, Philosophy and Techniques, see: Adel Al-Awa, Oweidat Publications, Beirut, Paris, 1983.

¹ Jerome Stolntez, Art Criticism, translation, Fouad Zakaria, General Egyptian Book Organization.

المعلومات من خلال التنبيه الحسي، ويتم جمع هذه المعلومات وتنظيمها وتحليلها لإنتاج شكل مبدع، وحسب موسوعة "روزنتال" الفلسفية فإن إدراك الشكل هو العملية التي تفسر المثيرات الحسية حيث تسجل الحواس المثيرات الخارجية، ويعمل الإدراك على تنظيمها وتفسيرها وصياغتها بشكل يمكن فهمه.⁹ لذا فالشكل يحظى باهتمام كبير من حيث البناء والتركيب الفنية المحسوسة التي تضمن إثارة المتلقين والتعبير عن الأفكار والمشاعر التي يتضمنها العمل.

والشكل حسب "جيروم" هو طريقة تموضع العناصر داخل تكوين العمل الفني كل عنصر بالنسبة للعناصر الأخرى وتنظيم دلالاتها التعبيرية بشكل يكون لكل من هذه العناصر دوراً في إثراء الشكل،¹⁰ عندما يقوم الفنان بخلق تكوين بصري من خلال مجموعة خطوط أو ألوان تعبر عن فكرة معينة وتحرك في الفضاء الداخلي للعمل الفني ينبغي أن يعطي دلالات بصرية تعبيرية قوية وجذابة للشكل والمضمون باستخدام الفنان للألوان والإيحاءات التصويرية داخل فضاء العمل، وهذا ما يفسر اختلاف الأشكال تبعاً لتكوين العناصر داخلها وعلاقة هذه العناصر مع بعضها وطريقة تنظيمها والعلاقات التي تربطها ببعضها، وتقسّم الأشكال إلى نوعين: النوع الأول منتظم بحيث ترتبط عناصر الشكل مع بعضها ارتباطاً منتظماً هندسياً تنصف بالتناظر والثبات والاستقرار كالمستطيلات والدوائر، وضمن هذا النوع هناك أشكال شبه المنتظمة كالمعين، والنوع الثاني غير منتظمة أي لا يوجد نظام معين يحكم العلاقات التي تربط بين عناصرها وتنصف بالديناميكية وعدم التناظر.¹¹

قواعد إدراك الشكل:¹²

1- الشكل والخلفية: يتضمن الإدراك جانبان هما:

- الشكل وهو الأساس ومركز الاهتمام والجاذبية وهو معقد ومحاط بالحدود ومتماصك.
- الخلفية أو الوسط الذي يوجد فيه الشكل وتتسم بالتناسق والانسجام، ويحصل تبادل بين الشكل والخلفية في العملية الإدراكية مما يولد أشكال خيالية تدعم القيمة الكلية للعمل.

2- قاعدة الامتلاء: أي أن الكل ليس مجرد مجموع أجزائه بل هو أكبر من ذلك، وأن إدراك هذا الكل يسبق إدراك أجزائه.¹³

3- قاعدة التقارب: تقول هذه القاعدة بأن الأجزاء يجب أن تكون متقاربة في الحيز الزماني أو المكاني كي تشكل مجموع يسهل إدراكها بصورة كلية حسب النظرية "الغشتالتية" فالتقارب بين العناصر مكانياً وزمانياً يسهل عملية الإدراك الكلي لها.

4- قاعدة التشابه: فالعناصر المتماثلة في بنائها وأحجامها وألوانها، تتجذب وتجتمع وتتماصك فيما بينها وتتداخل بطريقة تعطي المتلقي انطباعاً بأنها مكون واحد.

5- قاعدة الإغلاق: يميل الإدراك إلى سد الثغرات وغلق الفجوات في العمل الفني لإدراكه كوحدة كلية متكاملة.

⁹ م روزنتال، بيودين "الموسوعة الفلسفية"، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة ط6، بيروت 1987، 263.

¹⁰ جيروم ستولننتيز: النقد الفني -دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة فؤاد ذكريا، مطبعة جامعة عين شمس، مصر، 1974، ص344.

¹¹ أشرف نذير عبد الهادي: تطوير شكل ووظيفة المنجز الصناعي، أطروحة دكتوراه مقدمة لمجلس كلية الفنون الجميلة-جامعة بغداد 2003، ص38.

¹² شلال، فؤاد أحمد: الخطاب الاتصالي ما بين الشكل والمضمون في الإعلان التجاري، مجلة الأكاديمي، عدد86، 2017، ص175.

¹³ عبد الرحمن عدس، محي الدين توق: المدخل إلى علم النفس، دار الفكر للنشر، الأردن 1985، ص153.

وهذه القاعدة ناتجة عن الرغبة في التخلص من الأشياء الغامضة التي تؤدي إلى التوتر والقلق من خلال إكمال الأشياء الناقصة وإدراك الموضوع بشكل كامل.¹⁴

6-قاعدة الاستمرار: أي تنظيم العناصر بشكل مستمر كتمثيلها على خطوط مستقيمة أو منحنيات أو متتاليات حسب نظام محدد ووفقاً لأبعادها الزمانية والمكانية والوجدانية ليتمكن المشاهد من إدراكها كوحدة متكاملة لأن الإنسان ميل بطبعه لإدراك الأشياء المستمرة كمجموعة متكاملة.¹⁵

7-قاعدة الشمولية: هذه القاعدة تعطي الأشياء التي تتساوى في الحجم والشكل واللون وتتوازي في خط المسار والحركة وفق نظام محدد نطاقاً إدراكياً منظماً من خلال عناصر بسيطة ومتناسقة وهذه القاعدة خاضعة لرأي الغشتالت في الإدراك.

أنواع تقنيات الإظهار

تدل تقنيات الإظهار على العمليات المستخدمة في تحويل المعلومات الصعبة إلى رسوم توضيحية تسهل فهمها وإدراكها، وتتضمن هذه التقنيات أساليب عدة هي:¹⁶

- 1-الرسم يدوياً: حيث يتم رسم المعلومات الإحصائية بشكل يدوي.
 - 2-الرسم هندسياً: يتم استخدامه لتمثيل المعلومات باستخدام الأشكال الهندسية.
 - 3-الرسم بيانياً: يتم تمثيل المعلومات برسوم بيانية لعرضها بطريق مرئية كالخرائط والرسوم البيانية والرسومات الدائرية.
 - 4-الرسم حاسوبياً: وتستخدم فيه تقنيات متعددة لإنتاج رسم ثنائي وثلاثي الأبعاد.
 - 5-البيئة الافتراضية: وفيه تستخدم الرسوم ثلاثية الأبعاد والواقع المعزز لإنتاج بيئة افتراضية تتيح للمستخدم التفاعل معها.
 - 6-الرسم البياني التفاعلي: يستعمل لإظهار المعلومات بطريقة مرئية تفاعلية تتيح تفاعل المستخدم معها.
- التجنيس والفضاءات الداخلية:

إن تجنيس الفضاءات الداخلية هو عملية يتم من خلالها تنظيم الفضاء الداخلي للأبنية والمكاتب بشكل مريح للمستخدم بهدف ضمان دخول التهوية والإضاءة بشكل جيد، وتنظيم الأثاث وتنسيق الألوان وتصميم الفضاء الداخلي للبناء بشكل يحقق الغاية المنشودة.

ويستلزم تنظيم الفضاءات الداخلية دراسة دقيقة للمساحات المتوفرة، وتقييم حاجات المستخدم الفعلية لتنظيم الفضاءات الداخلية بالشكل الأمثل، وينبغي أن تتضمن هذه الدراسة معرفة المكونات كمساحة الغرف وارتفاع الأسقف ونوعية الأرضيات وأحجام الأبواب والنوافذ.¹⁷

وينبغي العناية بانتقاء الأثاث بحيث يلبي حاجة المستخدم ويتوافق مع تصميمات الفضاء الداخلي، ويتم انتقاء

14 بوريس ميلاخ: عملية الإبداع والإدراك الفني، ت: نزار عيون السود، وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014، ص 257، 234 .

15 عبد الرحمن عدس، محي الدين: مرجع سابق ص153.

16 Colin Ware. بقلم "Information Visualization: Perception for Design".

17 O Ching, F. D. K., & Binggeli, C. (2014). Interior design illustrated. John Wiley & Sons.

الأناث بشكل يؤدي الغرض المطلوب منه ويوفر الجمال والراحة.¹⁸

إن تصميم الفضاءات الداخلية يتضمن أيضاً تصميم الإضاءة، فالإضاءة هي عامل مهم في توفير الجو الملائم والراحة ضمن المبنى، ويهدف التنظيم الداخلي إلى خلق مكان ذو هوية واضحة لدى المشاهد.¹⁹ فالتعرف على الجنس يتم من خلال التعرف على صفاته الفردية الأساسية التي يؤدي تغييرها إلى تغيير الشيء إلى شيء آخر، والجنس ليس ظاهرة عابرة أو تغير مؤقت أو حالة طارئة، إنما يعبر عن جوهر تعريف الشيء، ومفهوم الجنس قد تتحكم به علاقات شكلية ذات مضمون تاريخي تلهم المصمم في تصميمه للفضاءات الداخلية.²⁰ وتتميز جنسية الفضاءات الداخلية بالحركة وعدم الثبات والجمود، كما أنها غير ملموسة وتتأثر بالحضارات المتعاقبة، كما تتأثر بالعادات البيئية وتتغير عبر الزمن وفيما يلي طريقة توظيف الإظهار في تجنيس الفضاءات كما يلي:

1. غرفة الذكر²¹:

إن الولد يجب اللون الأزرق والأحمر ويفضل ألعاب الرياضة والسيارات وشخصيات الكرتون وبعد أن تتحدد الألوان أو الأفكار التي سيتم الاعتماد عليها في اكسسوارات الغرفة يمكن إضافة الاكسسوارات التالية:

- توضع أريكة في زاوية الغرفة وتكون على شكل أداة رياضية كالكرة مثلاً.
- وضع سجادة على الأرضية تحتوي على رسومات لكرات رياضية متنوعة أو سيارات أو طائرات.
- يتم وضع ساعة حائط على هيئة شخصية كرتونية لتحفيز الولد وتعليمه قراءة الساعة.
- توضع إطارات بألوان ملائمة بها صور ومجسمات لألعاب رياضية كسيارة أو طائرة لتحفيزهم وتشغيل خيالهم.

2. غرفة الأنثى:

من الضروري مراعاة ألوان الإناث المرغوبة كالزهر والبنفسجي ومراعاة الأشكال المحببة لديهن كالزهور والفراشات وبعد أن تتحدد ألوان الغرفة وأشكال الاكسسوارات بالإمكان إضافة الاكسسوارات التالية²²:

- توضع إطارات من الأزهار المجففة أو من الأقمشة وأن تكون من الألوان المفضلة لديهن وتلائم لون الطلاء في الغرفة.
- انتقاء ستارة وأغطية ملونة ومزينة بالأشكال المفضلة لدى الإناث.
- وضع وسادة كبيرة على هيئة شخصية كرتونية محببة لدى الإناث.
- توضع ساعة حائط على هيئة فراشة لتعويد الطفلة على قراءة الساعة.

¹⁸ Pile, J. F. (2013). Interior design. Laurence King Publishing.

¹⁹ Correa Charles, Quest for Identity, Cambridge, Ma, 1993.p:157.

²⁰ يعقوب يوسف جاسم، التصميم الداخلي أصوله في عمارة وادي الرافدين وتطبيقاته في العمارة العباسية في سامراء، رسالة ماجستير، كلية الهندسة المعمارية، جامعة بغداد، ص27.

²¹ شيماء حارث محمد، أمل داود سليم (2021): تصاميم أثاث غرف نوم الأطفال ونسبة توظيفها في تنمية الحس الجمالي لديهم، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 69، المجلد 18، ص 456.

²² شيماء حارث محمد، أمل داود سليم (2021) مرجع سابق

-الرؤية التصميمية المشتركة بين التجنيس والعمل التقني في تصميم الفضاء الداخلي

يتطلب تنظيم الفضاء الداخلي رؤية مبدعة في التصميم والتكنولوجيا، ويسعى المصمم إلى ابتكار تصاميم جديدة عن طريق تجنيس الفضاء الداخلي والاعتماد على التكنولوجيا بطريقة مبدعة، وتحقيق رؤية تصميمية مشتركة بين التجنيس والعمل التقني يكون المصمم قد حقق توازناً بين الوظيفة العملية وبين الناحية الجمالية التي تلبي حاجة المستخدم.

-الجسور بين التجنيس والفعل التقني:²³

يرتكز التجنيس على عملية الإبداع في تصميم الفضاءات الداخلية، أما الفعل التقني فيركز على إيجاد حلول تكنولوجية لتوفير متطلبات العمل التقني، ومن خلال بناء جسور بين التجنيس والعمل التقني يبرز الحل الإبداعي الذي يحقق الناحية الجمالية والوظيفة العملية للفضاءات الداخلية.

-التأثير على التصميم:²⁴

ينتج عن التأثيرات المتبادلة بين التجنيس والفعل التقني تصميمات داخلية مبتكرة وجديرة بالاهتمام، وباستخدام التكنولوجيا يمكن دعم هذه التصاميم وتطويرها لتأمين مزيداً من الرفاهية للمستخدم.

يركز التجنيس في تصميم الفضاء الداخلي على تأمين حاجات الأفراد من راحة ورفاهية وأمان، وتعتبر مفاهيم التجنيس التي تستخدم في تصميم الفضاء الداخلي من العناصر الهامة في توجيه التصاميم كي تناسب المستخدمين، بينما تقوم التكنولوجيا بالدور الأساسي في تصميم الفضاء الداخلي، حيث تستخدم التكنولوجيا الحديثة لرفع جودة التصاميم وتأمين مزيداً من الرفاهية للمستخدم، كما تستخدم النظم الضوئية والصوتية.²⁵

مقومات تجنيس الفضاء:²⁶

- 1-تأمين الراحة: يجب أن يصمم الفضاء الداخلي بشكل يوفر الراحة للمستخدمين، ويكون ذلك باختيار الأثاث المريح وضبط درجة الحرارة والبرودة.
- 2-تأمين الإضاءة: ينبغي أن يكون الفضاء الداخلي مصمم بشكل يوفر الإضاءة المناسبة والصحيحة وتوزيعها بشكل جيد تناسب جميع النشاطات في الفضاء الداخلي.
- 3-المواد والألوان: يجب أن يتم اختيار المواد والألوان بشكل جيد وملئم لتوفير الهدوء والجاذبية والراحة في الفضاء الداخلي.
- 4-جودة التخطيط: يجب أن يسمح هذا التخطيط بحرية الحركة وتأمين مساحات مناسبة لمختلف النشاطات، بحيث يكون هناك أماكن عامة وأماكن خاصة وأماكن مخصصة للراحة أو العمل.
- 5-الديكورات والزينة: وتستخدم فيها الزخرفة والزينة النباتية وغيرها.

²³ Hershberger, R. G. (2009). The synergy of design and technology: A case study in interior design. Journal of Interior Design, 34(1), 17-28.

²⁴ Lee, J. (2016). Design and technology in interior design education: A case study. Journal of Interior Design, 41(2), 27-38.

²⁵ MacRae, V., & MacRae, S. (2013). Interior design and technology: Critical approaches. Berg.

²⁶ Piotrowski, C. (2014). Interior design: A global survey. Laurence King Publishing.

منهجية البحث:

تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي للتعرف على تقنيات الإظهار في تجنيس الفضاء الداخلي، بالاعتماد بشكل أساسي على الإطار النظري والدراسات السابقة في ميدان تصميم الفضاء الداخلي والتوصل إلى تحقيق أهداف البحث عن طريق دراسة أبعاد التحليل التي تم الاعتماد عليها في البحث، بالإضافة إلى مناسبة هذا المنهج للبحث.

مجتمع البحث:

تضمن مجتمع البحث دراسة الفضاء الداخلي لغرف الصغار في (مجموعة شركات لأكشاري انتنوفتش دزاين) وشمل تصميمين للغرف، وتم انتقاء المجتمع البحث عن طريق البحث عن أفضل تصميم وأبرزت الباحثة تنوع في تصاميمها ضمن الفضاءات وتحدد المجتمع بتصاميم غرف موديرن للنوم في جدة وغرف للصغار في دبي.

عينة البحث:

تم اختيار عينة مقصودة تمثل كامل المجتمع الأصلي للبحث، والتي تشمل الفضاءات الداخلية لغرف الأطفال في جدة ودبي.

ادوات البحث:

تم استخدام شبكة الانترنت ومواقع فراغات غرف الصغار في الدول الخليجية، كما تم إعداد قائمة للتحليل تحتوي على العناصر التي سيتم تحليلها ملحق 1.

صدق الأداة:

للتحقق من صدق الأداة وشموليتها تم استخدام الخطوات التالية:

- 1-تمت مناقشة الأداة مع المشرفين على البحث وتم عرض القائمة على المختصين.
- 2-بناءً على ملاحظة المشرفين بعد المناقشة تم تعديل القائمة للحصول على الشكل النهائي لها.
- 3-تم التأكد من صدق القائمة الظاهري وشمول فقراتها لإجراء التحليل وتحديد أهداف البحث.

ثبات الأداة:

يشترط الموضوعية في الطريقة المستخدمة في تحليل المحتوى، والثبات يحقق الثقة بالدراسة ومن خلالها يتم التحكم بذاتية المحلل، وذلك بتطبيق الأداة بشكل صحيح على العينة المدروسة، ولهذا تم الاعتماد على استخراج الثبات ويعني التوصل إلى نفس النتائج، وذلك عن طريق الاتساق الذي يعني أن يتوصل كل من المحللين بطريقة منفردة إلى مخرجات متقاربة من بعضها عند تحليل ذات النموذج عن طريق قواعد وخطوات التحليل إذا تم انتقاء محللين من ذوي الخبرة في المجالات التصميمية من خلال تحليل أحد العينات (نموذج لكل محلل) بالإضافة إلى الباحثة بعد أن تم تدريبهم على طريقة استخدام القائمة في تحليل الفضاء الداخلي وبعد أن تم تنفيذ التحليل حساب نسبة الاتفاق وفق معادلة كوبر بين التحليل الذي أجرته الباحثة وبين المحللين عن طريق احتساب معامل الثبات، وكانت نسبة الثبات كما يلي:

- بين الباحثة والمحلل (1) 88%.

- بين الباحثة والمحلل (2) 80%.

- بين المحلل (1) و (2) 90%.

وبذلك تكون قيمة معامل الثبات جيدة ويمكن اعتمادها، وبالتالي قامت الباحثة بتحليل النموذج الثاني كما يلي:

Table 1 تحليل النموذج ب

الثبات بين الباحثة والمحلل 1	الثبات بين الباحثة والمحلل 2	الثبات بين المحلل 1 والثبات بين المحلل 2	الثبات
%88	%80	%90	%86

تحليل النموذج أ:

يشمل نموذج غرفة أطفال مخصصة للذكور عملية ارتباط الشكل مع المواد لتجنيس الفضاء الداخلي للغرفة بما يوفر حرية الحركة، وقد استخدمت الألوان الهادئة والمشرقة والأشكال البسيطة لتوفي الراحة والجاذبية للأطفال، وتم الاعتماد على المواد التي تتميز بالنعومة والمرونة، وتبين أيضاً التوازن الجيد بين الشكل والمواد في تصميم الفضاء الداخلي الذي يضمن الراحة وحرية الحركة للطفل.

إن استخدام خاصية اللون للفضاء الداخلي الذكوري عزز جماليته وكان له أثر كبير في تحديد المشاعر التي يبعث عليها الفضاء الداخلي الذكوري، وظهر هذا التأثير للألوان عن طريق الاهتمام بالخصائص المتنوعة للون، وتتمثل هذه الخصائص بما يلي:

-الأحمر: يوجب مشاعر الحيوية والشغف والحماس.

-الأزرق: يدعم مشاعر الاسترخاء والهدوء.

وقد تم توظيف الألوان والتنسيق بينها وبين مكونات الغرفة من أثاث واكسسوار مما أعطى جمالية متكاملة ومتناغمة، كما استخدمت الألوان لإظهار جمالية بعض عناصر الفضاء الداخلي الذكوري كالجدار الأساسي وبعض قطع الأثاث البارزة.

وقد تم تعيين جنس الفضاء الذكوري بتصنيفه إلى فضاء خاص بالنوم عن طريق تصميم هذا الفضاء بشكل مناسب وانتقاء الأثاث الملائم، وينبغي مراعاة الخصوصية عند تصميم الفضاءات الخاصة بالذكور وضمان هذه الخصوصية بشكل كافٍ.

وتم تعزيز جنس الفضاء الداخلي الذكوري وتحسين الناحية الجمالية والوظيفية له باستخدام مؤثرات بصرية من شأنها أن تعزز خاصية الفضاء الداخلي الجمالية، كاستخدام الإضاءة لإظهار جزء معين في الغرفة، واستخدام اللون الملائم لتحسين تجربة المستخدمين ضمن الفضاء الداخلي.



تحليل النموذج ب:

ربط الشكل بالمواد لتجنيس الفضاء الداخلي

يشمل هذا النموذج غرفة أطفال مخصصة للإناث، وقد تم تعزيز جنس الفضاء باستخدام علاقات التصميم، كالوحدة والإيقاع والتوازن وغيرها، كما تستخدم أيضاً التأثيرات اللونية والضوئية لتعزيز الناحية الجمالية للفضاء كي يتلاءم مع الذوق الأنثوي.

- لقد تحقق الإيقاع عن طريق تكرار العنصر التصميمي بانتظام وتناسق، مما يحدث حركة بصرية في تصميم الفضاءات الداخلية للغرفة.

- وقد تحقق التوازن في فضاء الغرفة الداخلي الأنثوي عن طريق التوزيع المتساوي للمواد والأشكال والألوان، مما يبعث الشعور بالاستقرار.

- تم تكرير الأشكال وعناصر التصميم لخلق التكامل والتناغم في الفضاء الداخلي الأنثوي للغرفة من خلال تكوين أنماط معينة.

- تحققت السيادة عن طريق استخدام بعض العناصر المبتكرة والألوان التي تتسم بالجرأة لإظهار الطابع المميز للفضاء وجعله مميزاً عن سواه.

-لقد تحققت الوحدة بتوظيف العناصر المتكاملة والمنسجمة الأمر الذي يبعث الشعور بالتكامل والتوافق في فضاء الغرفة الداخلي الأنثوي.

وقد استخدمت الألوان لتحديد جنس الفضاء للإناث والتأثير على مزاج المستخدم وشعوره بالارتياح. وأيضاً ظهرت ملاءمة الألوان الزاهية لفضاء الغرفة الداخلي.

- وتحققت الخصوصية عن طريق تصنيف فراغات الغرفة الداخلية وتحديد جنس الفضاء الملائم للإناث، وانتقاء الأشكال والألوان والمواد الملائمة لتصميم فراغ مريح.

وقد استخدمت ألوان محددة لتحقيق جنس الفضاء المطلوب، كالألوان الهادئة لغرفة نوم الإناث، وصنفت الفضاءات الداخلية تبعاً لنوعية النشاط الذي سيتم فيها، وصنفت الغرف المخصصة للنوم كفضاء خاص، وتم هذا التصنيف بالاعتماد على عوامل متعددة منها: الحجم، والأبعاد، والأثاث والمواد التي استخدمت في الفضاء.

-المؤثرات البصرية: استخدمت هذه التقنية في تعزيز تجنيس الفضاء الداخلي الأنثوي عن طريق استخدام الإضاءة الملائمة لإظهار عناصر التصميم الأساسية للفضاء، واستخدمت هذه التقنية أيضاً في إنتاج مثيرات بصرية جديدة كالعروض الضوئية على تصميمات الجدران واستخدمت الألوان لتجنيس الفضاءات الداخلية.

-المؤثرات السمعية: تم استخدامها في تجنيس الفضاء الداخلي الأنثوي باستخدام مؤثرات صوتية تساعد على الاسترخاء والهدوء كالموسيقى الهادئة.



نتائج البحث:

بناءً على نتائج تحليل النماذج، وتبعاً للمنهج المعتمدة مسبقاً تم التوصل إلى جملة من النتائج جراء تحليل اثنين من النماذج من غرف الأطفال المخصصة للذكور والإناث، وتبعاً لأبعاد عملية الربط بين الشكل والمواد، وتجنيس الفضاء الداخلي، وتعزيز جنس الفضاء الداخلي، تم التوصل إلى النتائج التالية:

- 1- ربط الشكل بالمواد وتجنيس الفضاء الداخلي: تم توظيف هذه العملية في نمودجين، وتم استخدام المواد المستخدمة والألوان بطريقة جيدة لتحقيق الغرض، واستخدمت الحركة لخلق التناغم والحركة في الفضاء الداخلي.
- 2- علاقات التصميم والجمالية: استخدم التوازن والسيادة وكذلك والتكرار والإيقاع والوحدة في كلا النمودجين،

وساعدت على تعزيز جنس الفضاءات وبعث الشعور بالجمالية.

3- تصنيف الفضاءات الداخلية: صنف الفضاءات الداخلية في كلا النموذجين لتحقيق الهدف من التصميم وتحديد جنس الفضاء واستخدمت عناصر التصميم ذاتها في النموذجين مع الاختلاف في الترتيب بشكل يلي متطلبات الجنس المقصود.

4- دور التقنيات في التجنيس: استخدمت المؤثرات المرئية والسمعية لدعم التجنيس في كلا النموذجين، واستخدمت التقنية بطريقة مثالية لتحقيق الغرض، كما استخدم التصميم ثلاثي الأبعاد، وبرامج النمذجة لتحديد الفضاءات الداخلية والتصنيف ونقل الشعور بالجمالية.

5- تم التوصل لتصاميم متنوعة لكل غرفة من الغرف التي تخص كل جنس عن طريق استخدام الألوان والتصميمات المختلفة لإظهار الجوانب التي تخص كل جنس.

التوصيات:

1- دراسة مختلف الطرق والتقنيات التي تستخدم في إظهار الشكل.

2- دراسة الأساسيات التاريخية والنظرية لإظهار الأشكال: حيث تساعد هذه الدراسة على إدراك كيفية تطور تقنية إظهار الأشكال وطرق استخدامها في تصميمات الفضاء الداخلي.

المصادر:

- صاحب جاسم حسن، (2009)، إشكالية التجنيس ما بعد الحداثة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد.
- أميرة أحمد محمد حسين (2018)، الظل والنور كقيمة جمالية في التصميم الداخلي والأثاث، جامعة حلوان.
- سكوت، روبرت جيلام: أسس التصميم، ت: عبد الباقي محمد أبراهيم ومحمد محمود يوسف، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص340.
- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، مج6، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1956، ص43.
- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، بيروت: مكتبة لبنان، 2002، ص67.
- م روزنتال، يودين "الموسوعة الفلسفية"، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة ط6، بيروت 1987، 263.
- جيروم ستولنيتز: النقد الفني-دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة فؤاد ذكريا، مطبعة جامعة عين شمس، مصر، 1974، ص344.
- أشرف نذير عبد الهادي: تطوير شكل ووظيفة المنجز الصناعي، أطروحة دكتوراه مقدمة لمجلس كلية الفنون الجميلة-جامعة بغداد 2003، ص38.
- شلال، فؤاد أحمد: الخطاب الاتصالي ما بين الشكل والمضمون في الإعلان التجاري، مجلة الأكاديمي، عدد86، 2017، ص175.
- عبد الرحمن عدس، محي الدين توق: المدخل إلى علم النفس، دار الفكر للنشر، الأردن 1985، ص153.
- بوريس ميلاخ: عملية الإبداع والإدراك الفني، ت: نزار عيون السود، وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014، ص 234، 257.

يعقوب يوسف جاسم, التصميم الداخلي أصوله في عمارة وادي الرافدين وتطبيقاته في العمارة العباسية في سامراء, رسالة ماجستير, كلية الهندسة المعمارية, جامعة بغداد, ص27.

شيماء حارث محمد, أمل داود سليم (2021): تصاميم أثاث غرف نوم الأطفال ونسبة توظيفها في تنمية الحس الجمالي لديهم, مجلة البحوث التربوية والنفسية, العدد 69, المجلد 18, ص 456.

المصادر الانكليزية:

MacRae, V., & MacRae, S. (2013). Interior design and technology: Critical approaches. Berg

Ahmed Mukhtar Omar, A Dictionary of Contemporary Arabic Language, Publication of the World of Books, first edition, Cairo, 2008

Ibrahim Madkour, The Philosophical Dictionary, The General Authority for Amiri Press Affairs, Egypt, Cairo, 1983

jamil Saliba, The Philosophical Dictionary, Dar Al-Kitab Al-Banani, Beirut, c. 11, 1982.

Ozyasg Anne Marie, Philosophy and Techniques, see: Adel Al-Awa, Oweidat Publications, Beirut, Paris, 1983.

Jerome Stolntez, Art Criticism, translation, Fouad Zakaria, General Egyptian Book Organization.

"Information Visualization: Perception for Design" بقلم Colin Ware.

Ching, F. D. K., & Binggeli, C. (2014). Interior design illustrated. John Wiley & Sons.

Pile, J. F. (2013). Interior design. Laurence King Publishing.

Correa Charles, Quest for Identity, Cambridge, Ma, 1993.p:157

Hershberger, R. G. (2009). The synergy of design and technology: A case study in interior design. Journal of Interior Design, 34(1), 17-28.

Lee, J. (2016). Design and technology in interior design education: A case study. Journal of Interior Design, 41(2), 27-38.

MacRae, V., & MacRae, S. (2013). Interior design and technology: Critical approaches. Berg

Piotrowski, C. (2014). Interior design: A global survey. Laurence King Publishing.

عنوان البحث

لمحة عامة عن بروتيز الاسبارتك من التصنيف الى التوصيف

صادق فنجان حسناوي^{1,2}، زينة كاظم اليونس¹، علاء جبار عبد المنهل¹

¹ قسم علوم الأغذية، كلية الزراعة، جامعة البصرة، البصرة 61004، العراق.

² قسم الإنتاج الحيواني، كلية الزراعة، جامعة ميسان، ميسان 62004، العراق.

بريد الكتروني: alaa.abd@uobasrah.edu.iq ; zena.issa@uobasrah.edu.iq ; pgsagr.sadeq.hasnawi@uobasrah.edu.iq

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/3>

تاريخ القبول: 2024/03/08م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

يتزايد الطلب على الإنزيمات في القطاعات الصناعية بسرعة بسبب مزاياها الاقتصادية والبيئية ، أذ تنتج الكائنات الحية الدقيقة أنواعًا مختلفة من الإنزيمات ومن بين هذه الإنزيمات هي انزيمات البروتيزات المنتجة من مصادر ميكروبية نتيجة لأنخفاض التكلفة وارتفاع معدل الإنتاج والتي اكتسبت اهتمامًا خاصًا في القطاعات الصناعية ، في هذه المراجعة قمنا بتلخيص المعلومات حول تصنيف البروتيزات اعتمادا على الاحماض الامينية الموجودة في الموقع الفعال او على اساس متطلباتها المعدنية أذ قسمت البروتيزات الى اربع مجاميع وهي بروتيزات الاسبارتك aspartic والسيرين serine والسستين cysteine والثريونين threonine ، كما قسمت البروتيزات حسب الرقم الهيدروجيني الى ثلاثة اقسام هي البروتيزات الحامضية والقاعدية والمتعادلة ، وكذلك تحديد أهم مصادر انتاج البروتيزات ودراسة تركيب والية عمل بروتيز الاسبارتك والعوامل المؤثرة في انتاج البروتيزات من الفطريات وتنقية وتوصيف بروتيز الاسبارتك.

الكلمات المفتاحية: بروتيز الاسبارتك، البروتيزات الحامضية درجة الحموضة، ودرجة الحرارة، المادة الخاضعة

RESEARCH TITLE

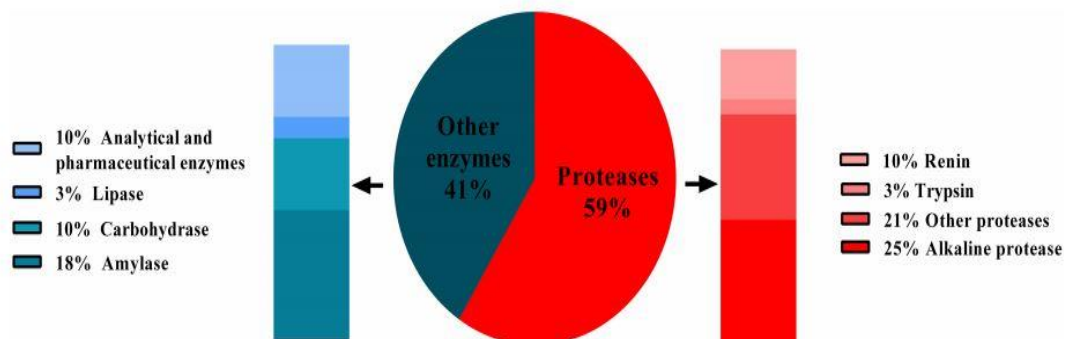
**AN OVERVIEW OF ASPARTIC PROTEASE FROM
CLASSIFICATION TO CHARACTERIZATION****Sadeq Fenjan Hasnawi^{1,2}, Zena Kadhim AL-Younis¹, Alaa Jabbar
Abd Al-Manhel ¹**¹Department of Food Science, College of Agriculture, University of Basrah, Basrah 61004, Iraq;²Department of Animal Production, College of Agriculture, University of Misan, Misan 62004, Iraqpgsagr.sadeq.hasnawi@uobasrah.edu.iq ; zena.issa@uobasrah.edu.iq ; alaa.abd@uobasrah.edu.iqHNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/3>**Published at 01/04/2024****Accepted at 08/03/2024****Abstract**

The demand for enzymes in industrial sectors is increasing rapidly due to their economic and environmental advantages , Microorganisms produce different types of enzymes, and among these enzymes are protease enzymes produced from microbial sources as a result of the low cost and high production rate, which have gained special interest in the industrial sectors ,In this review, we summarized the information about the classification of proteases based on the amino acids present in the active site or on the basis of their mineral requirements. The proteases were divided into four groups, which are aspartic proteases, serine, cysteine, and threonine. Proteases were also divided according to pH into three sections: proteases. Acidic, basic and neutral , As well as identifying the most important sources of protease production, studying the structure and mechanism of action of aspartic protease, the factors affecting the production of protease from fungi, and purifying and characterizing aspartic protease.

المقدمة

تعد الإنزيمات محفزات حيوية تشارك تقريباً في جميع التفاعلات البيولوجية داخل الأنظمة الحية ، والتي استعملت في صناعة البيرة ، الخل و الجبن منذ عصور ما قبل التاريخ ، وأنتجت الانزيمات من سلالات مختارة من الكائنات الحية الدقيقة على نطاق واسع واستعملت طرق متطور في تنقيتها (Sharma, 2019) . وهذا أسهم بشكل كبير في تصحيح العمليات الصناعية وحدث ثورة في تطوير التكنولوجيا الحيوية نظراً لكفاءتها وفعاليتها كمحفزات عند اقل تركيز (Gimenes *et al.*, 2021).

استعملت العديد من الإنزيمات في الصناعات المختلفة مثل اللايبيز ، والبروتيز ، والأميليز ، والسليوليز ، والزليلز وغيرها ، ومع ذلك ، تبقى انزيمات البروتيز هي النوع السائد لأنها ذات قيمة كبيرة من خلال تطبيقاتها الواسعة في مختلف المجالات منها منتجات الألبان والأغذية والورق والمنظفات ، إذ تشكل البروتيازات حوالي 60 % من إجمالي المبيعات للإنزيمات التجارية في كل عام (Pawar *et al.*, 2023) وكما مبين في الشكل (1)، إذ بلغ السوق العالمي للبروتيازات في عام 2019 ما يقارب 2.76 مليار دولار أمريكي ، ومن المتوقع أن يزداد خلال الفترة من 2019-2024 بمعدل نمو سنوي قدره 6.1% (Choudhary *et al.*, 2022) .



الشكل (1) المبيعات السنوية للإنزيمات (Pawar *et al.*, 2023)

ان البروتيازات او ما تسمى بببتيدات التحلل المائي، هي انزيمات لها القدرة على كسر الروابط الببتيدية في البروتينات (Koistinen *et al.*, 2023) . وهي تلعب دور مهم في العديد من العمليات البيولوجية (Couture, 2023) ، بما في ذلك الهضم (Kalaiselvan *et al.*, 2023) ، تخثر الدم (Dasari *et al.*, 2023) ، الاستجابة المناعية (Dudani *et al.*, 2018) ، وتشارك أيضا في تنظيم نمو الخلايا فضلاً عن العديد من الوظائف المهمة للكائنات الحية (Erekat, 2022; Zhang *et al.*, 2023). توجد هذه الانزيمات في جميع الكائنات الحية ، مثل الحيوانات، النباتات، البكتريا والفطريات (Naveed *et al.*, 2021) . تعمل البروتيازات على الاصرة الببتيدية الموجودة في البروتينات وتحللها مائياً Proteolysis enzyme الى بببتيدات واحماض امينية، وبصورة عامه فانها اما ان تكون بروتيازات حامضية اوقاعدية اومتعادلة، كما تعتبر البروتيازات الحامضية من اهم البروتيازات المستعملة في التصنيع الغذائي (Patil *et al.*, 2012; Al-Manhel., 2017). لذا فان الهدف من هذه الدراسة هو معرفة تصنيف ومصادر البروتيازات كذلك دراسة تركيب والية عمل بروتينز الاسبارتك لندرة الدراسات التي تناولت هذا الانزيم بشكل مفصل على الرغم من اهميته وتطبيقاته الواسعة فضلا عن توفير فهم أفضل للعوامل المختلفة المؤثرة في انتاج البروتيازات بشكل عام من الفطريات .

تصنيف البروتيازات Classification of protease

وفقاً للجنة التسمية التابعة للاتحاد الدولي للكيمياء الحيوية والبيولوجيا الجزيئية International Union of Biochemistry and Molecular Biology (IUBMB) ، تم تصنيف البروتيازات ضمن المجموعة الثالثة المتمثلة بأنزيمات التحلل المائي hydrolases ، كما قسمت البروتيازات تبعا لفعالها التخصصي بحيث تكون اما داخلية Endopeptidases او خارجية Exopeptidases (Pawar *et al.*, 2023) .

الببتايديزات الخارجية Exopeptidases

تعمل الببتايديزات الخارجية بالقرب من النهايات الطرفية في السلسلة الببتيدية بناءً على موقع عملها والتي تقوم بتحليل جزيئة البروتين من خلال تكسير الأواصر الببتيدية الطرفية محررة بالتعاقب الأحماض الأمينية الحرة إلى وسط التفاعل، تقسم الببتايديزات الخارجية الى نوعين اعتماداً على موقع عملها في السلسلة الببتيدية الأولى تسمى الببتايديزات الأمينية Amino Peptidase والتي تعمل على النهاية الطرفية N في السلسلة الببتيدية، اما الثانية تدعى الببتايديزات الكاربوكسيلية Carboxyl Peptidase والتي تعمل على النهاية الطرفية C في السلسلة الببتيدية (Mienda *et al.*, 2014).

الببتايديزات الداخلية Endopeptidases

تعمل الببتايديزات الداخلية على الاواصر الببتيدية في المواقع الداخلية من السلسلة الببتيدية بعيداً عن النهايات الطرفية N و C (Mienda *et al.*, 2014) والتي عندها يسمى الانزيم (proteinase)، هذا النوع من البروتيازات (EC 3.4.11-24) يقسم الى اربع مجاميع وهي بروتيازات الاسبارتك aspartic والسيرين serine والسستين cysteine والثريونين threonine اعتماداً على الاحماض الامينية الموجودة في الموقع الفعال او على اساس متطلباتها المعدنية (Mamo and Assefa., 2018 , Rawlings and Salvesen., 2013).

1- بروتيازات الاسبارتك (EC 3.4.23) Aspartic protease

ينتمي بروتينز الاسبارتك الى مجموعة من البروتيازات التي تعتمد على النشاط التحفيزي لوحدين من حامض الاسبارتك (Gurumallesha *et al.*, 2019). ويطلق على هذا النوع من البروتيازات بالبروتيازات الحامضية Acid Proteases او البروتيازات الكاربوكسيلية Carboxylic Proteases (Majid, 2017) والتي تعمل في وسط حامضي على تحليل الاصرة الببتيدية التي تربط بين الاحماض الامينية، اذ تحتوي هذه الأنزيمات على حامض الاسبارتيك والتايروسين في موقعها الفعال ويكون الرقم الهيدروجيني الأمثل لفعاليتها (3-5) والوزن الجزيئي يتراوح بين (30 - 45) كيلودالتون ودرجة الحرارة المثلى (40-55) م° (Mamo and Assefa, 2018 ; Gimenes *et al.*, 2021)، واستعملت البروتيازات الحامضية في ازالة العكارة من البيرة وعصير الفاكهة وايضاً في تطرية اللحوم وكذلك في معالجة حالات عسر الهضم، تتواجد في الحيوانات والنباتات والفطريات والفايروسات، غالباً ما تنتج خارج الخلية عن طريق الانواع الفطرية مثل *Aspergillus niger*، *Aspergillus oryzae*، *Aspergillus awamori*، *Aspergillus fumigates*، *Aspergillus saitoi* ونادراً ما توجد في البكتريا والابتدائيات (Wei *et al.*, 2023)، وهي غير حساسة لمثبطات الأنزيمات الأخرى، الا انها تثبط تماماً عند وجود مادة الببستاتين pepstatin (Mamo *et al.*, 2020).

2- البروتيازات المعدنية Metallo protease (EC 3.4.24)

تتطلب هذه المجموعة من الإنزيمات أيون فلز ثنائي التكافؤ لعملها، مثل الزنك أو الكوبالت أو المنغنيز لذلك تسمى بالبروتيازات الفلزية، وهي بهذا تكون حساسة للعوامل المخلبية مثل Ethylene diamine tetra (EDTA) acetic acid والتي تعمل على ازالة الايون المعدني من الانزيم مما يؤدي الى تثبيطه (Singh *et al.*, 2016)، تحتوي هذه الأنزيمات على الحامض الاميني فينيل الانين أو ليوسين في موقعها الفعال ويكون الرقم الهيدروجيني الأمثل لفعاليتها (5-7) والوزن الجزيئي يتراوح بين (19-37) كيلودالتون ودرجة الحرارة المثلى (65-85) م° (Mamo and Assefa, 2018)، ومن انزيمات هذه المجموعة هو انزيم Thermolysin المنتج من بكتريا *Bacillus thermoproteolyticus* والذي يحتوي على ايون الزنك Zn^{+2} في موقعه الفعال (Razzaq *et al.*, 2019).

3- بروتيازات السيرين (Serein protease) (EC 3.4.21)

تحتوي هذه الأنزيمات على الحامض الاميني (السيرين أو الهستيدين أو الأسبارتك) في الموقع الفعال (Majid, 2017) وتثبط عند وجود مركب EDTA و triamino acetic acid وهي بروتيازات قاعدية يكون رقمها الهيدروجيني

الأمثل لفعاليتها بين (6-11) اما الوزن الجزيئي له فيتراوح من (18 - 35) كيلودالتون ودرجة الحرارة المثلى لعملها بين (50-70) م (Mamo and Assefa, 2018) ، تعد بروتينزات السيرين من اهم البروتينزات التي تم فصلها وتنقيتها من الاجزاء النباتية المختلفة (Majid, 2017) ، في حين ان البكتريا هي الاكثر شيوعاً في انتاج هذا النوع من البروتينزات مقارنة مع الاحياء المجهرية الاخرى ومن أهم الاجناس البكتيرية السائدة هي *Pseudoalteromonas*, *Psychrobacter photobacterium* , *Vibrio* , *halobacillus* , *Bacillus* , *Microbulbifer* , and *shewanella*. تعود بعضها الى الانواع *Bacillus alcalophilus* LW8 , *Pseudomonas* sp. , *Bacillus* sp. CEMB10370 , *Vibrio etschnikovii* . (Banerjee & Ray, 2017)

4- بروتينزات السستين (Cysteine protease) (EC 3.4.22)

تحتوي هذه الأنزيمات على الحامض الاميني السستين والهستدين في الموقع الفعال (Mamo and Assefa, 2018) وتسمى أيضا بروتينزات الثايول Thiol او بروتينزات السلفهايدريل Sulfhydryl وهي حساسة لمركبات السلفهيدريل (sulfhydryl reagent) مثل iodoacetamide وiodoacetic acid وTLCK والفلزات الثقيلة، وتنشط بالعوامل المختزلة كالمواد المخلبية والسستائين وسيانيد البوتاسيوم (chelating agent) مثل EDTA (Majid, 2017)، وتكون هذه الانزيمات نشطة عند درجة الحموضة المتعادلة وتقع الفعالية المثلى لمعظم هذه الأنزيمات ضمن مدى من الأرقام الهيدروجينية التي تتراوح بين (5-8) ووزنها الجزيئي (34-35) كيلودالتون ودرجة الحرارة المثلى (40-55) م (Mamo and Assefa, 2018)، انتجت من بعض الاجناس البكتيرية مثل *Bacillus* spp. (Razzaq et al., 2019)، كما وجدت هذه الانزيمات في مجموعة من النباتات تحت اسم الباباين Papain والبروملين bromelain والكيوموباين Chymopapain والفيسين ficin والكاريكين Caricain أيضا في الفيروسات والطفيليات والحشرات (Majid, 2017). وبصورة عامة يبين جدول (1) خواص وصفات بروتينزات الاسبارتك والسستين والمعدنية والسيرين .

جدول (1) خواص انواع البروتينزات الاربعة من مصادر مختلفة

(Mamo and Assefa, 2018 ; Gurumalles et al.;2019 ;Majid.,2017)

البروتينز	EC	الوزن الجزيئي KDa	pH الأمثل	درجة الحرارة المثلى	الحامض الاميني الفعال	المتبط	مصدر البروتينز
بروتينز السيرين	3.4.21	35-18	11-6	70-50	السيرين او الهستدين او الاسبارتك	EDTA , triamino acetic acid	<i>Bacillus</i> , <i>Aspergillus</i> , Animal tissue (gut), <i>Tritirachium album</i> (thermostable)
بروتينز السستين او الثايول	3.4.22	35-34	8-5	55-40	السستين والهستدين	Iodoacetamide, p-CMB	<i>Aspergillus</i> , stem of pineapple (<i>Ananas comosus</i>), latex of fig tree (<i>Ficus</i> sp), papaya (<i>Carica papaya</i>), <i>Streptococcus</i> , <i>Clostridium</i>
بروتينز الاسبارتك او الكاربوكسيل	3.4.23	45-30	5-2	55-40	الاسبارتك ، الاسبارتك	Pepstatin	<i>Aspergillus</i> , <i>Mucor</i> , <i>Endothia</i> , <i>Rhizopus</i> , <i>Pencillium</i> , <i>Neurospora</i> , animal tissue (stomach)
البروتينز المعدني	3.4.24	37-19	7-5	85-65	فينيل النين او ليوسين	EDTA and EGTA	<i>Bacillus</i> , <i>Aspergillus</i> , <i>Pencillium</i> , <i>Pseudomonas</i> , <i>Streptomyces</i>

التصنيف حسب الرقم الهيدروجيني

قسمت البروتيازات حسب الرقم الهيدروجيني الى ثلاثة اقسام هي: *Solanki et al.*, 2021 , *Gimenes et al.*, 2021)

1- البروتيازات الحامضية Acid proteases :

وتشمل البروتيازات المنتجة من الحيوانات مثل الرنين renin و الببسين pepsin ، والبروتيازات المنتجة من النباتات مثل البابين papain والبروملين bromelain والفيسين ficin ، تعمل هذه البروتيازات عند رقم هيدروجيني (3 - 5.6) (Machado et al., 2016; Razzaq et al., 2019). تُعد الفطريات المصدر الرئيسي لإنتاج البروتياز الحامضي ، وان الاجناس الاكثر شيوعاً في انتاجه هي *Aspergillus* و *Penicillium* و *Endothia* و *Mucor* (Mammo and Assefa, 2018). هناك العديد من الابحاث التي أكدت على اهمية انتاج البروتيازات الحامضية بواسطة الاعفان (Mandujano-González et al. 2016). اذ انتج (da Silva et al. (2016) بروتينز الاسبارتك من عفن *Rhizomucor miehei* ، والذي يمكن أن يكون بمثابة إنزيم بديل لأنزيم تخثر الحليب أثناء إنتاج الجبن، كما لاحظ Souza et al. (2017) عند توصيف البروتياز الحامضي المنتج من عفن *Aspergillus foetidus* ان الرقم الهيدروجيني الامثل لنشاط البروتياز (5) عند درجة حرارة مثلى (55) م .

2- البروتيازات المتعادلة Neutral proteases :

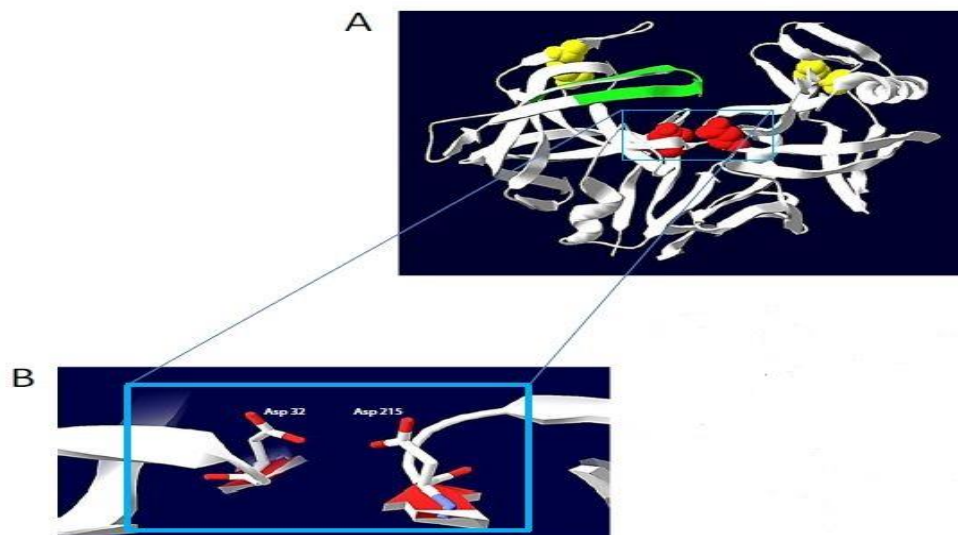
وهي البروتيازات المنتجة من البكتريا والفطريات والتي تعمل عند رقم هيدروجيني (7) ، وتشمل البروتيازات المعدنية التي تتطلب اثناء نشاطها وجود ايون موجب الشحنة ثنائي التكافؤ (Contesini et al. 2017; Razzaq et al. 2019). استعملت البروتيازات المتعادلة لأغراض مختلفة منها صناعة الخبز والاجبان والادوية والمنظفات وغيرها (Razzaq et al. 2019). وقد عمل (Ao et al. (2018) على انتاج وتوصيف البروتياز المتعادل من عفن *Aspergillus oryzae* Y1 المعزول من الفاصوليا العريضة المخمرة ، اذ لاحظ امتلاكه وزن جزيئي (45) كيلودالتون ورقم هيدروجيني (7) ودرجة حرارة مثلى (55) م . كما اشار (De Oliveira et al. (2020) عند إنتاج البروتياز المتعادل من عفن *Moorella speciosa* ان الرقم الهيدروجيني الامثل لعمل الانزيم هو (7) .

2- البروتيازات القاعدية Alkaline proteases :

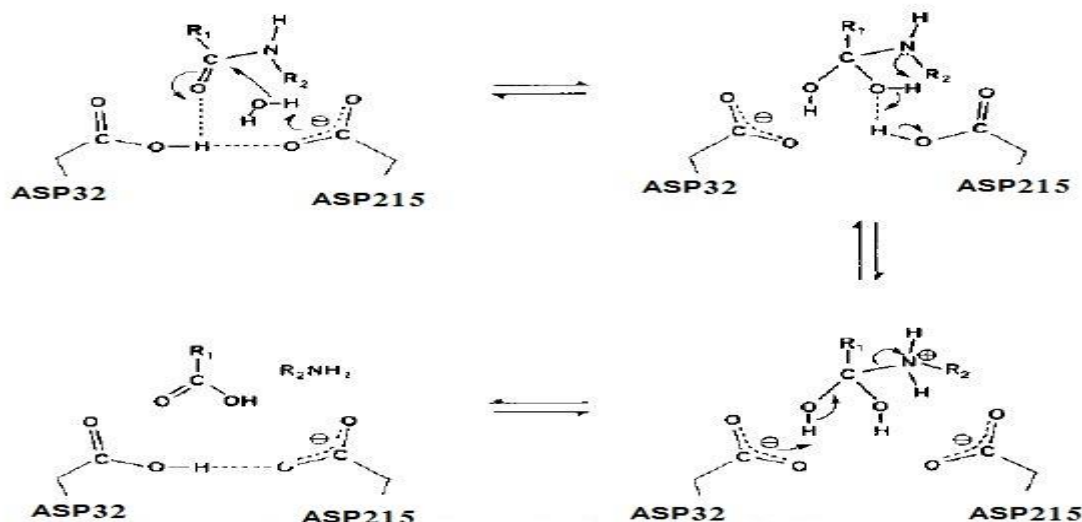
تنتج هذه البروتيازات من الحيوانات والنباتات والبكتريا والفطريات والتي تعمل عند رقم هيدروجيني (8 - 12) ومن أهم انواع البروتيازات القاعدية هي subtilisin و Carlsberg ، subtilisin نو و subtilisin نو والتي أنتجت من بكتريا *Bacillus* (Contesini et al. 2017). إذ إن البروتيازات القاعدية المنتجة من جنس *B. subtilis* والمستخدمه للأغراض التجارية تعد آمنة (Zhang et al. 2017). هناك العديد من الأبحاث التي تناولت إنتاج البروتيازات القاعدية من جنس *Bacillus* ، إذ قام (Mothe and Sultanpuram (2016) بتتقية وتوصيف البروتياز القاعدي المنتج من بكتريا *B. caseinilyticus* . على الرغم من أن البروتياز القاعدي المنتج من جنس *Bacillus* هو الأكثر انتشاراً واستخداماً، إلا أن هناك الكثير من الابحاث التي اشارت الى امكانية انتاج البروتياز القاعدي من انواع اخرى من الاحياء المجهرية مثل بكتريا *Streptomyces* sp. (Solanki et al., 2021) . والفطريات (Sharma ., 2019)، اذ انتج (da Silva et al. (2018) البروتيازات القاعدية من عفن *Aspergillus tamaritii* URM4634 وكان افضل نشاط للبروتياز عند رقم هيدروجيني (8) .

تركيب وألية عمل انزيم بروتينز الاسبارتك

التركيب الاولي لأنزيم البروتياز المنتج من خميرة *Candida tropicalis* يتكون من 320-340 حامض اميني ، والموقع الفعال في انزيم البروتياز يحتوي على وحدتين من حامض الاسبارتك احدهما تقع في الموقع 215 والآخر يقع في الموقع 32 ، اما التركيب الثانوي له فيتكون من شق عميق يحتوي على خمسة خيوط (β - sheet) محاطة بستة من التراكيب الحلزونية (α - helices) كما مبين في الشكل (2) (Theron.,2014) .



الشكل (2) تركيب انزيم البروتيز المنتج من خميرة *Candida tropicalis* (Theron, 2014) يُعد بروتينز الأسبارتيك من البروتيازات التي لها القدرة على كسر الروابط الببتيدية في البروتينات وتحللها مائياً الى ببتيدات واحماض امينية (Couture, 2023). اقترح عدد من الآليات المختلفة لعمل الانزيمات وهي التحفيز ألحامضي _ القاعدي Acid – base catalysis ، التحفيز التساهمي Covalent catalysis ، التحفيز الايوني المعدني Metal ion catalysis ، التحفيز الالكتروستاتيكي Electrostatic catalysis ، إلا ان الطريقة الأكثر قبولاً على نطاق واسع لألية عمل بروتينز الاسبارتك هي آلية تحفيز القاعدة والحامض Acid–base catalysis إذ يتضمن التحفيز الحامضي قيام حامض الاسبارتك الموجود في الموقع الفعال بمنح البروتون للمادة الخاضعة ، اما في التحفيز القاعدي يعمل حامض الاسبارتيك الموجود في الموقع الفعال باستقبال البروتون من المادة الخاضعة وكما موضح في الشكل (3) ، إذ إن الموقع الفعال في الإنزيم يحتوي على وحدتين من حامض الاسبارتيك احدهما يقع في الموقع 32 من السلسلة الببتيدية الذي يعمل على منح البروتون للمادة الخاضعة ، بينما الاخر يقع في الموقع 215 من السلسلة الببتيدية، والذي يعمل على سحب البروتون من الماء وتكوين النيوكلوفيل السالب الشحنة (OH^-) مما يؤدي الى مهاجمة المادة الخاضعة وبالتالي كسر الرابطة بين النتروجين والكربون وتكون الببتيد الاول ، اما حامض الاسبارتك الثاني الذي يقع في الموقع 32 من السلسلة الببتيدية يعمل على سحب البروتون من مجموعة الكربونيل للجزء الاخر من المادة الخاضعة، وبذلك ينتج الببتيد الثاني للمادة الخاضعة (Brik and Wong , 2003 , Coates *et al*, 2008 , Wangsell , 2006) .



الشكل (3) الآلية المقترحة لعمل أنزيم بروتينز الأسبارتيك (Coates *et al*, 2008)

مصادر انتاج البروتيز Sources of protease production

تلعب البروتيزات دوراً مهماً في كل الكائنات الحية لذلك فهي توجد في مدى واسع من المصادر مثل الحيوانية والنباتية والميكروبية (Naveed *et al.*, 2021).

1- المصادر الحيوانية

تعد أنزيمات التربسين Trypsin ، الكيموتربسين Chemotrypsin ، الرنين Renein والببسين Pepsin من أكثر البروتيزات الحيوانية شيوعاً واستعمالاً في مجالات مختلفة ، إذ يعد التربسين الأنزيم الهضمي المعوي المسؤول عن التحلل المائي لبروتينات الغذاء (Singh *et al.*, 2016). أما أنزيم الرنين المستخلص من المعدة الرابعة للعجول الرضيعة فقد استعمل في صناعة الأجبان المختلفة (Gimenes *et al.*, 2021). في حين استبدل أنزيم الكيموتربسين المستخلص من منطقة البنكرياس في التطبيقات التشخيصية والتحليلية ، أما أنزيم الببسين الذي يوجد في معدة جميع أنواع الفقريات تقريباً فإنه ادخل في صناعة المنظفات (N Jisha *et al.*, 2013). ولقد لاحظ Dadshahi *et al.*, (2016) عند استخلاص وتنقية البروتيزات من الروبيان بأنها ثابتة تجاه الحرارة العالية وتعمل عند الرقم الهيدروجيني (7-9) .

2- المصادر النباتية

استعملت البروتيزات النباتية على نطاق واسع في التطبيقات المختلفة مثل تطرية اللحوم وتخثر الحليب والهضم ولعلاج بعض الأمراض الفيروسية والسرطانية (Singh *et al.*, 2016). تعد أنزيمات البروميلين والباباين من أبرز الإنزيمات النباتية المحللة للبروتينات ، وهما من عائلة الأناناس *Bromeliaceae* و *Carica papaya* على التوالي ، ومن أهم مصادر انتاج أنزيم البروميلين هي سيقان الأناناس ولحاءه وأوراقه ، أما مصادر انتاج أنزيم الباباين فهي نبات البابايا (Gimenes *et al.*, 2021) . ومن البروتيزات المهمة أيضاً هي أنزيمات الكيراتينيز Keratinase، التي استعملت في تحلل بروتينات الشعر والصوف وإنتاج الأحماض الأمينية الأساسية ، اكتسبت البروتيزات النباتية اهتماماً متزايداً ، على الرغم من أن عملية إنتاج البروتيز من النباتات تستغرق وقتاً طويلاً أو قد تكون مكلفة من الناحية الاقتصادية Singh *et al.*, (2016). لاحظ Sun *et al.* (2016) عند تقييم ما يقارب من تسعين مصدراً نباتياً؛ إن أعلى الإنزيمات المحللة للبروتين موجودة في الأناناس والتين والبابايا .

3- المصادر الميكروبية

تعد الكائنات الحية الدقيقة من المصادر المهمة لإنتاج البروتيزات لما تتميز به من مزايا تتمثل في سرعة الانتاج ومساحة نموها المحدودة وبالتالي قلة التكاليف فضلاً عن سهولة التلاعب الجيني في تركيبها الوراثي وعدم تأثرها بالظروف المناخية (Bhatia *et al.* 2021 ; Putatunda *et al.* 2019). أما من الناحية التجارية ، فأن البروتيزات البكتيرية والفطرية قد حظيت بالكثير من الاهتمام (Gurumallesha *et al.*; 2019) ، إذ تشكل البروتيزات الميكروبية ثلثي إجمالي البروتيزات المستعملة في الصناعات المختلفة ، ومن أهم هذه البروتيزات هي البروتيز القاعدي البكتيري والبروتيز الحامضي الفطري ، إذ تم عزل الكائنات الحية الدقيقة المنتجة للبروتيز من مجموعة متنوعة من البيئات مثل الجذور والتربة مثل تربة المسالخ والصرف الصحي والمخلفات الصناعية والزراعية وما إلى ذلك (Jadhav *et al.* 2020; Hakim *et al.* 2018; Ash *et al.* 2018; Prajapati *et al.* 2017).

تستعمل البروتيزات الميكروبية في مدى واسع من التطبيقات المختلفة ، وتنتج بطرق مختلفة اعتماداً على نوع الكائن الحي المجهرى المستعمل ولعل أفضل الطرق هي استعمال تقنية تخمرات الحالة الصلبة (Usman *et al.*, 2021) وذلك لأنها عادة ما تكون أنزيماتها خارجية أي تفرز خارج خلايا الأحياء المجهرية (Mamo *et al.*, 2020) ، ولسهولة تنمية هذه الأحياء والتعامل معها وإمكانية السيطرة على ظروف الانتاج وقصر مدته كذلك إمكانية تسخير الامكانيات

المحلية لإنتاجه بأقل التكاليف من خلال الاستفادة من المخلفات الزراعية والصناعية كالنخالة والكسبة وقشور الرز وغيرها (Novelli *et al.*, 2016).

تعد الفطريات من الكائنات المجهرية التي تميزت في انتاجها للبروتينات الحامضية (Yin *et al.*, 2020; Patil *et al.*, 2012) مقارنة مع الاحياء المجهرية الاخرى ولها خواص مشابهة للإنزيمات الحيوانية ، والتي بدورها تقسم الى نوعين ، الاول هي البروتينات الشبيهة بالببسين Pepsin like acid protease والتي تميز عن *Aspergillus* (aspergillopepsin, EC 3.4.23.18) و *Penicillium* و *Rhizopus* (rhizopuspepsin, EC 3.4.23.21) في انتاجها (Souza *et al.*, 2017) اما النوع الثاني هي البروتينات الشبيهة بانزيم الرنين Rennin like acid protease والتي انتجت من قبل عفن *Mucor* و *Rhizomucor* و *Rhizopus* (mucorpepsin, EC 3.4.23.23) و *Endothia parasitica* (endothiapepsin, EC 3.4.23.22) (Aljammas *et al.*, 2018; Daudi *et al.*, 2015;) تعد البروتينات الحامضية او ما يسمى ببروتينات الاسبارتك aspartic proteases (EC 3.4.23) والتي تميزت الاعفان في انتاجها (Mamo *et al.*, 2020) الأكثر استعمالاً في الصناعات الغذائية كصناعة الاجبان وتطريه اللحوم وتحضير المتحللات البروتينية وترويق العصائر وتكون فعاليتها القصوى وثباتيتها عندما يكون الرقم الهيدروجيني (2-5) الا انها تعمل عندا رقم هيدروجيني (6) (Mamo and Assefa, 2018; Sun *et al.*, 2018; Purushothaman *et al.*, 2019; Yujie *et al.*, 2019).

العوامل المؤثرة في انتاج البروتينات الحامضية (الاسبارتك) من الفطريات

تلعب الظروف المثلى دوراً مهماً في إنتاج الإنزيمات أذ يشكل الوسط الزراعي 30% من الكلفة الكلية لعملية التخمير وبالتالي فهو يعتبر عاملاً مهماً في نمو الاحياء المجهرية المنتجة للإنزيمات (dos *et al.*, 2018). ان التغيرات في درجة الحموضة، ودرجة الحرارة، والمادة الخاضعة ، ومحتوى الماء، وحجم اللقاح، وما إلى ذلك لها تأثير كبير على الأنشطة الأيضية للكائنات الحية الدقيقة، وتختلف هذه المعايير بشكل كبير من نوع إلى آخر، ولذلك فإن معرفة الظروف المثلى لنمو الفطريات لإنتاج معظم الإنزيمات يعد أمراً ضرورياً (Othman *et al.*, 2023). أذ ان حاجة الكائنات الحية لمصادر الكربون والنيتروجين تختلف من كائن حي إلى آخر، أو حتى بين نفس الأنواع المعزولة من مصادر مختلفة (Hamza *et al.*, 2023). الوسط الزراعي يجب ان يحتوي على مصدر كاربوني ومصدر نيتروجيني ، فالمصدر الكاربوني يعتبر محفزاً لإنتاج الإنزيمات او مثبّطاً لها وهذا يعتمد على نوع المصدر الكاربوني وتركيزه في الوسط ، وكذلك نوع الكائن المجهرى المستخدم للإنتاج ، كما ان المصدر النيتروجيني يزود الوسط الزراعي اما بالأملاح اللاعضوية التي قد تكون مثبّطاً لإنتاج الانزيم عند اضافتها للوسط مثل كلوريد الامونيوم NH₄Cl، او تجهز الوسط الزراعي بالمصادر العضوية التي تحفز نمو الكائن المجهرى مثل البروتين والاحماض الامينية وغيرها، وبالتالي فإنها تلعب دوراً كبيراً في تخليق الإنزيمات، هناك بعض الاملاح تضاف الى الوسط الزراعي بتركيز معينة والتي تكون مصدراً للمعادن النادرة فضلاً عن الكبريت والفوسفات والكالسيوم مثل (CaCl₂) للمحافظة على درجة الحموضة وبالتالي تحافظ على ثباتية الانزيم (Aunstrup *et al.*, 1979). اشار (Othman *et al.*, 2023) في دراسته لأنتاج انزيم البروتين الحامضي من عزلة *Aspergillus niger* باستعمال تخمرات الحالة الصلبة ، الى ان إضافة مصادر الكربون والنيتروجين إلى الوسط الصلب أدت إلى زيادة إنتاج الإنزيمات وتوليفها، كأستعمال الكازين كمصدر للنيتروجين والفركتور كمصدر للكربون. كما لاحظ (Bano *et al.*, 2016) ارتفاع معدل إنتاج انزيم البروتين عند تنمية فطر *Pleurotus eryngii* في وسط معدني يحتوي على 0.5% سكروز و 1% كازين . ان الاختلاف في نسبة محلول الترطيب المستخدمة في تخمرات الحالة الصلبة يؤثر بشكل كبير على نمو وايض الاحياء المجهرية مما يؤثر سلباً وإيجاباً على انتاجيتها لأنزيم

بروتيز الاسبارتك (Bensmail *et al.*, 2015) ، اذ ان انخفاض وارتفاع نسبة محلول الترطيب يسبب قلة المغذيات وبالتالي يوفر بيئة غير ملائمة لنمو ونشاط الاحياء المجهرية اذ ان رطوبة المادة الصلبة يجب ان لا تقل عن 12 - 15 % والتي تعد الحد الأدنى لتوقف الفعاليات الحيوية للأحياء المجهرية (Luti *et al.*, 2014). وأشار Othman *et al.* (2023) في دراسته لإنتاج انزيم البروتيز الحامضي من عزلة *Aspergillus niger* باستعمال تخمرات الحالة الصلبة ، الى ان افضل نسبة لمحلول الترطيب في إنتاج الانزيم هي 1:0.75 .

كذلك تُعد الأنشطة الأيضية للكائنات الحية الدقيقة حساسة للغاية لتغيرات الرقم الهيدروجيني، كونه يؤثر على العديد من العمليات الأنزيمية ونقل العناصر الغذائية المختلفة عبر غشاء الخلية مما يضمن نمو وإنتاج المنتجات الأيضية ، تؤدي هذه الأنشطة حتمًا إلى تحول أيضي في توازن أيونات الهيدروجين وبالتالي الرقم الهيدروجيني للوسط الزراعي (Othman *et al.* 2023) ، وان التباين في قيم الرقم الهيدروجيني يؤثر على ذائبية المغذيات وجاهزيتها في الوسط الزراعي وهذا ينعكس سلباً وإيجاباً على سير العمليات الأيضية وبالتالي تخليق وإنتاج الانزيم (Whitaker , 1972) .

اوضح (Bensmail *et al.* 2015) بأن اقصى إنتاج لأنزيم البروتيز بواسطة عفن *A. niger* FFB1 كان عند رقم هيدروجيني 4 ، في حين انخفضت الانتاجية عند جميع قيم الرقم الهيدروجيني الأعلى من 4 ، في المقابل ذكر (Chahrazad *et al.* 2021) ان درجة الحموضة المثلى لإنتاج انزيم البروتيز من عزلة *Aspergillus niger* كان عند (pH=3) ، وأشارت النتائج إلى أن السلالة المختارة كان لها أيضًا نشاط تحلل بروتيني عند درجة حموضة محايدة، لكنه كان أقل أهمية، وقد يقترح أن السلالة أنتجت على الأقل اثنان من البروتيز، أحدهما حامضي بدرجة حموضة مثالية 3 والآخر قلوي عند درجة حموضة 7 . كما بين (Mamo *et al.* 2020) ان الرقم الهيدروجيني الأمثل لإنتاج انزيم البروتيز الحامضي من عزلة *Aspergillus oryzae* DRDFS13 هو (pH =5) . وكذلك تُعد درجة الحرارة من العوامل الأساسية المؤثرة بشكل كبير على معدلات نمو وإنتاج الاحياء المجهرية اذ تختلف درجات الحرارة حسب نوع الكائن المجهرى المستخدم (Banerjee *et al.*, 2017) ، كما تؤثر على معظم التفاعلات الأيضية للأحياء المجهرية بالأخص النشاطات الأنزيمية في الخلية من خلال تأثيرها على الصفات الفيزيائية للغشاء الخلوي، إذ بين (Othman *et al.* 2023) ان الحد الأقصى لإنتاج انزيم البروتيز الحامضي من عفن *Aspergillus niger* كان عند درجة حرارة 35 م° الا ان الارتفاع عن هذه الدرجة يؤدي الى الانخفاض في انتاجية الانزيم حتى يفقد فعاليته عند 45 م° بسبب إطلاق الحرارة الأيضية التي تسبب تجفيف الوسط الزراعي وبالتالي انخفاض النشاط المائي الذي يؤدي الى انخفاض توافر العناصر الغذائية، مما يقيد التهوية ويقلل من نمو وإنتاج الاحياء المجهرية أو قد يكون ناتج عن دنثرة البروتينات وتثبيط الإنزيم وانخفاض نمو الفطريات . كما لاحظ كلاً من (Khademi *et al.* 2013) و (Foda *et al.* 2012) أن إنتاج البروتيز من *A. niger* باستخدام تخمرات الحالة الصلبة يحدث بشكل أفضل عند درجة الحرارة (30) م°، أشار (Chimbekujwo *et al.* 2020) إن درجة الحرارة المثلى لإنتاج إنزيم البروتيز من عزلة *Aspergillus brasiliensis* BCW2 عن طريق استعمال تخمرات الحالة الصلبة هي 30 م°، ايضاً يختلف حجم اللقاح المستعمل باختلاف نوع وسلالة الكائن المجهرى فضلاً عن طبيعة عملية التخمر، اذ يعد وسيلة لقياس نمو الكائنات الحية الدقيقة وأمرًا حيويًا لتحقيق أقصى كمية من الناتج المرغوب ، كما أن انخفاض حجم اللقاح المضاف قد لا يكون كافيًا لبدء نمو الاحياء المجهرية أو أنه يستغرق وقتًا طويلاً لنمو وتكاثر الاحياء المجهرية ، من ناحية أخرى ، بالمقابل يؤدي ارتفاع حجم اللقاح إلى تقييد حركة الاحياء المجهرية مع تثبيط نموها وتقليل إنتاجية التخمر (Othman *et al.* 2023). اذ استعمل (Chimbekujwo *et al.* 2020) 1 مل من حجم اللقاح لإنتاج أنزيم البروتيز من عزلة *Aspergillus brasiliensis* ، كما ذكر (Bensmail *et al.* 2015) أن حجم اللقاح الأمثل لإنتاج انزيم البروتيز من عفن

Aspergillus niger كان $10^6 \times 1$ بوغ / مل . كما ان هناك ارتباطاً وثيقاً ما بين إنتاج الإنزيمات الميكروبية ومدة التحضين وهذا يعود لوجود علاقة ما بين انتاج الانزيمات ونمو الخلايا ، أذ تُعد مدة الحضان من العوامل المهمة التي تؤثر على نمو وانتاج الأحياء المجهرية ، وفترة التحضين المثلى لنمو الكائن المجهرى لإنتاج الانزيمات تتأثر بعدة عوامل منها مكونات الوسط الزراعي ونوع الكائن المجهرى (Park *et al.* 1979). أذ تختلف فترة التحضين للحصول على أقصى إنتاجية للإنزيم بين الأنواع المختلفة أو حتى في نفس الأنواع المعزولة من مصادر مختلفة ، فقد اشار (Chimbekujwo *et al.* 2020) ان فترة التحضين المثلى لإنتاج إنزيم البروتيز من عزلة *Aspergillus brasiliensis* BCW2 هي عند 72 ساعة ، كما ذكر (Usman *et al.* 2021) إن أفضل مدة حضان لإنتاج إنزيم البروتيز الحامضي من الفطريات الخيطية كانت 120 ساعة .

تنقية الإنزيم

وهي سلسلة متتابعة من الخطوات التي يمكن بها فصل الإنزيم عن بقية المواد والبروتينات الأخرى الموجودة في المستخلص الخام والتي يمكن من خلالها ان تزداد الفعالية النوعية للإنزيم ، ولقد استخدمت عدة طرق لتنقية الإنزيم (Banerjee *et al.*, 2020) ، ومنها الترسيب بواسطة الاملاح مثل كبريتات الامونيوم والتي تعتمد على اساس معادلة الشحنات على سطح البروتين ، أذ تم اختيارها بسبب الذوبانية العالية لها في الماء حيث يزداد تركيز الملح في كل مرحلة لكي يتم ترسيب البروتينات الأخرى والتي يتم التخلص منها فيما بعد ، وبعد ذلك يذاب الإنزيم باستخدام داريء معين او بالماء المقطر عن طريق النضح الغشائي بواسطة استخدام اكياس الدليزة ، ويمكن ترسيب الإنزيمات ايضاً عن طريق استخدام المذيبات العضوية مثل الاسيتون والكحول الايثيلي من خلال خفض نقطة التعادل الكهربائي مما يؤدي الى زيادة قوة الجذب بين جزيئات البروتين وبالتالي ترسيبه (Fairouz *et al.*, 2021)، والقسم الآخر من طرق التنقية والتي تعتمد على اساس الوزن الجزيئي مثل طريقة النضح الغشائي Dialysis وطريقة الترشيح الفائق Ultra Filtration وطريقة الترشيح الهلامي Gel filtration . والبعض الآخر منها يعتمد على مبدأ الشحنات مثل طريقة الترحيل الكهربائي Electrophoresis وطريقة كروماتوغرافيا التبادل الايوني Ion-exchange chromatography (Kamal *et al.* 2017). قام (Mamo *et al.* 2020) بتنقية انزيم بروتيز الاسبارتك المنتج من عفن *Aspergillus oryzae* DRDFS13 تحت تخمرات الحالة الصلبة بواسطة تقنية كروماتوغرافيا التبادل الايوني (IEC) باستعمال عمود DEAE Sepharose fast flow بفعالية انزيمية (477.11) وحدة / مل وفعالية نوعية (183.50) وحدة / ملغم بعدد مرات تنقية 6.20 وبحصيلة انزيمية 9.2 % . كما تمكن (Hsiao *et al.* 2014) بتنقية انزيم بروتيز الاسبارتك المنتج من عفن *Rhizopus oryzae* بواسطة تقنية AKTA Purifier 10 على عمود Q Sepharose بعدد مرات تنقية 22 وبحصيلة انزيمية 90.6 % ومن ثم استخدم عمود Phenyl Sepharose بعدد مرات تنقية 3.4 وبحصيلة انزيمية 58.8 % .

توصيف إنزيم البروتيز

1- الوزن الجزيئي

تختلف البروتينات في اوزانها الجزيئية نتيجة لأختلاف المصادر المستخلصة منها ، اذ تستعمل عدة طرق لتحديد الاوزان الجزيئية مثل الترشيح الهلامي Gel-Filtration والترحيل الكهربائي Electrophoresis بوجود المادة الماسخة SDS والنبد الفائق السرعة Ultracentrifuge ، ويعد الترحيل الكهربائي والترشيح الهلامي هي من اكثر الطرق المستخدمة لقياس الوزن الجزيئي (Devi and Hemalatha, 2014).

أشار (Wei *et al.* 2023) الى ان الوزن الجزيئي لأنزيم بروتيز الاسبارتك المنتج من عفن *Aspergillus*

niger هو 50 كيلودالتون بأستعمال تقنية الترحيل الكهربائي Electrophoresis وبأستعمال SDS – PAGE . لاحظ (Ao et al., 2018) ان الوزن الجزيئي لأنزيم بروتينز الاسبارتك المنتج من عفن *Aspergillus oryzae* Y1 هو 45 كيلودالتون بأستعمال تقنية الترحيل الكهربائي Electrophoresis . لاحظ (Chimbekujwo et al., 2020) ان الوزن الجزيئي لأنزيم بروتينز الاسبارتك المنتج من عفن *Aspergillus brasiliensis* BCW2 هو 68 كيلودالتون بأستعمال تقنية الترحيل الكهربائي Electrophoresis وبوجود المادة الماسخة SDS – PAGE . لاحظ (Tarek et al., 2023) ان الوزن الجزيئي للبروتينز المستخلص من بكتريا *Bacillus siamensis* CSB55 هو 25 كيلودالتون بأستعمال تقنية الترحيل الكهربائي Electrophoresis . اشار (Karray et al., 2021) الى ان الوزن الجزيئي للبروتينز المنتج من بكتريا *Bacillus stearothermophilus* هو 28 كيلودالتون بأستعمال تقنية الترحيل الكهربائي Electrophoresis . كما لاحظ (Devi and Hemalatha, 2014) ان الوزن الجزيئي للبروتينز المستخلص من بذور نبات البطيخ هو 54 كيلودالتون بأستعمال طريقة الترشيح الهلامي Gel- Filtration وباستخدام عمود Sephadex G-200 . وأوضح (Al-Soufi, 2013) إلى ان الوزن الجزيئي للبروتينز المستخلص من اوراق نبات الخس الشوكي *Lactuca serriola* L. هو 31000 دالتون بأستعمال طريقة الترشيح الهلامي Gel- Filtration وباستخدام عمود Sephadex G-200 . لاحظ (Yadav, 2011) ان الوزن الجزيئي للبروتينز المستخلص من نبات *Euphorbia neriifolia* Linn هو 35.24 كيلودالتون بأستعمال تقنية الترحيل الكهربائي Electrophoresis وبوجود المادة الماسخة SDS – PAGE .

2- تأثير الرقم الهيدروجيني على فعالية الإنزيم وثباته

تتأثر فعالية وثباتية الانزيم بالرقم الهيدروجيني ، وتكون الفعالية القصوى لكل انزيم عند رقم هيدروجيني معين يسمى بالرقم الهيدروجيني الامثل وتقل فعالية الانزيم عند الانحراف عن هذا الرقم (Kuddus., 2018) ، إذ تعتمد الأرقام الهيدروجينية المثلى للأنزيمات على عدة عوامل مثل طبيعة المحلول الداريء والقوة الايونية ودرجة الحرارة والمادة الخاضعة وتركيز ومصدر الانزيم وتركيز المثبطات والمنشطات للأنزيم ، وقد يسبب التغير في الرقم الهيدروجيني الى حدوث مسخ Denaturation في تركيب البروتين مما يؤدي الى التأثير في طبيعة الانزيم وفعاليتة ، وللرقم الهيدروجيني تأثير على ايونية الاحماض الامينية الموجودة في الموقع الفعال للأنزيم مما يؤثر على الفعالية الإنزيمية الكلية نتيجة لتأين مكونات وسط التفاعل مثل تأين معقد الانزيم والمادة الخاضعة وتأين المادة الخاضعة فضلاً عن تأثيره الكبير في ثباتية الانزيم (Segel, 1976) . إذ أشار (Mamo et al., 2020) ان ثبات فعالية الانزيم المنتج من عفن *Aspergillus oryzae* DRDFS13 كانت في رقم هيدروجيني يتراوح بين (4.5 - 6.5) في حين ان الرقم الهيدروجيني الامثل لأنزيم البروتينز كان 5 . وأكد (Guo et al., 2021) ان ثباتية إنزيم البروتينز المنتج من عزلة *Penicillium* sp. XT7 كانت في رقم هيدروجيني يتراوح بين (3-6)، بينما أظهر أعلى نشاط له عند الرقم الهيدروجيني 3 .

وذكر (Karray et al., 2021) ان ثبات فعالية أنزيم البروتينز المنتج من بكتريا *Bacillus stearothermophilus* كانت في رقم هيدروجيني يتراوح بين (7 - 11) في حين ان الرقم الهيدروجيني الامثل كان 10 . وأشار (Wei et al., 2023) ان ثباتية فعالية انزيم البروتينز المنتج من عفن *Aspergillus niger* في رقم هيدروجيني يتراوح بين (2 - 5) والرقم الهيدروجيني الامثل للأنزيم كان 3 . وكما ذكر (Hsiao et al., 2014) ان ثباتية فعالية انزيم البروتينز المنتج من عفن *Rhizopus oryzae* كانت في رقم هيدروجيني يتراوح بين (3 - 3.6) في حين ان الرقم الهيدروجيني الامثل للأنزيم كان (3.4) . وأشار (Chimbekujwo et al., 2020) ان ثباتية إنزيم

البروتينز المنتج من عفن *Aspergillus brasiliensis* strain BCW2 كانت في رقم هيدروجيني يتراوح بين (4- 6) بينما كان الرقم الهيدروجيني الأمثل للأنزيم كان 9 .
3- تأثير درجة الحرارة على فعالية الإنزيم وثباته

تؤثر درجة الحرارة في سرعة التفاعل الإنزيمي نتيجة لتأين المجاميع الفعالة لكل من الانزيم والمادة الخاضعة ، وتكون الفعالية القصوى لكل إنزيم عند درجة حرارة معينة تسمى بدرجة الحرارة المثلى ، ويعتمد تأثير درجة الحرارة في فعالية الإنزيم على تركيز المادة الخاضعة وثباتها وطبيعة بروتين الانزيم وثباته واللفة بين الانزيم والمادة الخاضعة والقوة الايونية ووجود المنشطات والمثبطات والرقم الهيدروجيني ، فضلاً عن ان وجود بعض المواد الأخرى مع الانزيم مثل الكربوهيدرات والبروتينات التي تعطي حماية للأنزيم وتجعله اكثر مقاومة للحرارة ، فالأنزيمات النقية لا تستطيع مقاومة الارتفاع في درجات الحرارة بينما الأنزيمات غير النقية تكون اكثر مقاومة للحرارة (Segel, 1976 ; Whitaker, 1972) .

اشار (Wei et al. (2023) ان درجة الحرارة المثلى للأنزيم البروتينز المنتج من عفن *Aspergillus niger* كانت 50 م واحتفظ الإنزيم بنشاطه بنسبة 81% عند درجة حرارة 60 م ، لكن لم يظهر اي نشاط للأنزيم عند درجة حرارة 65 م وعندما تم تحضين الانزيم عند درجة حرارة 30- 50 م لمدة 3 ساعات، أظهر الإنزيم ثباتاً عالياً، بينما انخفض نشاط الإنزيم بشكل ملحوظ إلى ما بعد 50 م ، وتم تعطيله تماماً بعد 10 دقائق من التحضين عند 60 م . لاحظ (2021) .
Guo et al ان درجة الحرارة المثلى للأنزيم البروتينز المنتج من عزلة *Penicillium* sp. XT7 كانت 30 درجة مئوية واحتفظ الانزيم بنسبة 86.8% من الحد الأقصى للنشاط عند 20 درجة مئوية وانخفض نشاطه المتبقي بشكل ملحوظ بعد الحضان عند 50 درجة مئوية. كما أشار Souza et al. (2017) عند توصيف البروتينز الحامضي المنتج من عفن *Aspergillus foetidus* ان درجة الحرارة المثلى للأنزيم البروتينز هو (55) م وان ثباتية الانزيم تكون عند مدى واسع من درجات الحرارة تتراوح بين (30-60) م .

ولاحظ (Sampaio et al. (2011) عند دراسته تأثير درجة الحرارة على الأنزيم البروتيني الحامضي المنقى والمنتج من عفن *Aspergillus clavatus* عند مدى واسع من درجات الحرارة تراوحت بين (20-65) م ان درجة الحرارة المثلى للأنزيم البروتينز هو (55) م وان ثباتية الانزيم تكون عند مدى من درجات الحرارة تراوحت بين (30-60) م . اشار (2023) Tarek et al . ان درجة الحرارة المثلى للأنزيم البروتينز المنتج من عفن *Bacillus siamensis* CSB55 كانت 55 م وان ثباتية الانزيم تكون عند مدى من درجات الحرارة تراوحت بين (30-80) م واحتفظ الإنزيم بنشاطه بنسبة 80% عند درجة حرارة 40 و 50 و 60 و 70 و 80 م لمدة 16 و 14 و 10 و 6 و 4 ساعات على التوالي ، واحتفظ الإنزيم بنشاطه بنسبة 50% عند حوضه عند درجة حرارة 80 و 90 م لمدة 4 و 2 ساعة على التوالي .

4- تأثير الثوابت الحركية

تعد الثوابت الحركية والتي تشمل السرعة القصوى (V_{max}) وثابت ميكالس (K_m) من القيم المهمة للتفاعلات الإنزيمية ، ، اذ يعرف ثابت ميكالس (K_m) بأنه تركيز المادة الخاضعة التي تكون عندها سرعة التفاعل الإنزيمي تساوي نصف السرعة القصوى ، وتعتبر قيمة ثابت ميكالس (K_m) عن الألفة بين الانزيم والمادة الخاضعة ، اذ ان الفعالية الإنزيمية تكون عالية للأنزيمات التي تكون فيها قيمة ثابت ميكالس واطنة وعلى العكس من ذلك تكون الفعالية الإنزيمية واطنة للأنزيمات التي تكون فيها قيمة ثابت ميكالس عالية (Copeland ., 2000) .

بين (Purushothaman et al. (2019) من خلال احتواء خليط التفاعل على تراكيز مختلفة من المادة الخاضعة (الهيموكلوبين) تراوحت بين (0- 2 %) وبأستعمال طريقة Lineweaver- Burk plot، ان قيم الثوابت الحركية (K_m) و (V_{max}) للأنزيم بروتينز الاسبارتك المنتج من عفن *Aspergillus niger* كانت 6.3 ملغم / مل

(98.52 مايكرومتر) ، و 50 مايكرومول / دقيقة على التوالي عند رقم هيدروجيني 4 ودرجة حرارة 60 م° . لاحظ A_0 (2018) *et al.* عند استعمال تراكيز مختلفة من المادة الخاضعة (الكازين) تراوحت بين (0.5 - 3) غرام / لتر عند رقم هيدروجيني 7 ودرجة حرارة 55 م° وباستخدام طريقة Lineweaver- Burk ، ان قيم الثوابت الحركية K_m و V_{max} لأنزيم البروتينز المنتج من عفن *Aspergillus oryzae* Y1 كانت 20.0769 ملغم / مل و 256.4103 غرام / مل في الدقيقة على التوالي . وأشار (2023) *Wei et al.* عند استعمال تراكيز مختلفة من المادة الخاضعة (الكازين) تراوحت بين (0.2 - 3) غرام / لتر عند رقم هيدروجيني 3 ودرجة حرارة 40 م° وباستخدام طريقة Lineweaver- Burk ، ان قيم الثوابت الحركية (K_m) و (V_{max}) لأنزيم البروتينز المنتج من عفن *Aspergillus niger* كانت 2.44 ملغم / مل و 83.54 وحدة / ملغم على التوالي . كما استطاع (2015) *Niyonzima et al.* من تحديد قيمة الثوابت الحركية (K_m) و (V_{max}) لأنزيم البروتينز المنتج من عفن *Aspergillus terreus* gr وكانت 5.4 ملغم / مل و 12.8 وحدة لكل مل على التوالي عند رقم هيدروجيني 11 ودرجة حرارة 50 م° وباستخدام طريقة Lineweaver- Burk.

5- تأثير العناصر المعدنية والمنشطات والمثبطات على فعالية انزيم بروتينز الاسبارتك

تؤثر المركبات والايونات المعدنية على فعالية الإنزيمات ، فبعضها يرتبط بالإنزيم ويزيد من فعاليته وتسمى بالمنشطات Activators والبعض الآخر يقلل من فعالية الانزيم وتسمى بالمثبطات Inhibitor ، (Usharani *et al.*, 2010) . ان تأثير المثبطات على المادة الخاضعة يكون من خلال ارتباطها بالموقع الفعال مما يؤدي الى تقليل الالفة بين المادة الخاضعة والانزيم ، اذ ان عملية تثبيط الانزيم تعتمد على تركيز المثبط وتركيز المادة الخاضعة وطبيعتها وتركيز الإنزيم ومصدره ووقت التفاعل ودرجة الحرارة والرقم الهيدروجيني والقوة الأيونية *Panesar et al.*, 2006).

أشار (2020) *Song et al.* الى ان ايونات Cu^{2+} و Mn^{2+} كان لها تأثير في زيادة فعالية انزيم البروتينز المنتج من عفن *Aspergillus niger* F0215 في حين ان استعمال الببستاتين ادى الى تثبيط الانزيم بصورة كاملة . ذكر (2014) *Devi and HemaLatha* . ان انزيم البروتينز المنتج من بذور *Cucumis melo* Var *agrestis* قد تُثبط بصورة كاملة عند حضنه مع 5 ملي مولاري من مادة PMSF بينما تأثر الانزيم قليلاً عند حضنه مع مادة EDTA . وفي دراسة قام بها (2011) *Marcial et al.* لأنتاج انزيم بروتينز الاسبارتك من فطر *Amylomyces rouxii* ، اذ اظهرت النتائج ان استعمال 3 ملي مولاري من الببستاتين يعمل على تثبيط الانزيم بنسبة 73% ، الا ان استعمال 1 ملي مولاري من PMSF يعمل على تثبيط عمل الانزيم بنسبة 12% ، في حين ان استعمال 1 ملي مولاري من EDTA يعمل على تثبيط عمل الانزيم بنسبة 20% . كما لاحظ (2014) *Hsiao et al.* عدم وجود أي تأثير تثبيطي عند إضافة 10 ملي مولاري من EDTA لأنزيم البروتينز المنتج من عفن *Rhizopus oryzae* عند الرقم الهيدروجيني 3.4 ودرجة حرارة 35 م° ، بينما حصل تثبيط عمل الانزيم بشكل كامل عند استعمال مادة الببستاتين Pepstatin A ، في حين لم يكن لإضافة 1 ملي مولار Ca^{2+} أي تأثير على نشاط التحلل البروتيني، اما عند إضافة 1 ملي مولاري Zn^{2+} و Ni^{2+} و Cu^{2+} و Mn^{2+} و Co^{2+} أدت إلى تقليل نشاط الإنزيم بشكل طفيف .

الخاتمة

يتزايد الطلب على الإنزيمات في القطاعات الصناعية بسرعة بسبب مزاياها الاقتصادية والبيئية. أذ تنتج الكائنات الحية الدقيقة أنواعاً مختلفة من الإنزيمات ومن بين هذه الانزيمات هي انزيمات البروتينات المنتجة من مصادر ميكروبية نتيجة لخفض التكلفة وارتفاع معدل الإنتاج والتي اكتسبت اهتماماً خاصاً في القطاعات الصناعية وتعد الفطريات هي مصادر جيدة لأنتاج أنزيمات البروتينز وخاصة بروتينز الاسبارتك الذي ينتج من العزلات الفطرية التي تنتمي إلى جنس *Aspergillus* .

المصادر

1. **Sharma, N.** (2019). A review on fungal alkaline protease. *J. Emerg. Technol. Innov. Res.* 6, 261–273. doi: 10.1729/Journal.22354
2. **Gimenes, N. C., Silveira, E., & Tambourgi, E. B.** (2021). An overview of proteases: production, downstream processes and industrial applications. *Separation & Purification Reviews*, 50(3), 223–243.
3. **Pawar, K. S., Singh, P. N., & Singh, S. K.** (2023). Fungal alkaline proteases and their potential applications in different industries. *Frontiers in Microbiology*, 14, 1138401
4. **Choudhary, K., Mankar, M. K., and Sahay, S.** (2022). “Extremophilic enzymes: catalytic features and industrial applications” in *Extremophilic fungi: Ecology, Physiology and Applications* (Singapore: Springer Nature Singapore), 273–314.
5. **Koistinen, H., Kovanen, R. M., Hollenberg, M. D., Dufour, A., Radisky, E. S., Stenman, U. H., & Mirtti, T.** (2023). The roles of proteases in prostate cancer. *IUBMB life*.
6. **Kalaiselvan, P., Dutta, D., Konda, N. V., Sharma, S., Kumar, N., Stapleton, F., & Willcox, M. D.** (2023). Effect of Deposition and Protease Digestion on the Ex Vivo Activity of Antimicrobial Peptide-Coated Contact Lenses. *Nanomaterials*, 13(2), 349.
7. **Couture, F.** (2023). Therapeutic Targeting of the Proteolytic Enzymes. *International Journal of Molecular Sciences*, 24(1), 521.
8. **Dasari, P. K., Gannamaneni, S. S., Jahnavi, B., Umadevi, B., Balaji, M. A., Meghana, N., & Sravani, R.** (2023). optimization and production of protease using *aspergillus cervinus*. *World Journal of Pharmaceutical Research* , 12(4) , 2063–2071.
9. **Dudani, J. S., Warren, A. D., & Bhatia, S. N.** (2018). Harnessing protease activity to improve cancer care. *Annual review of cancer biology*, 2, 353–376.
10. **Zhang, J., Qiao, W., & Luo, Y.** (2023). Mitochondrial quality control proteases and their modulation for cancer therapy. *Medicinal Research Reviews*, 43(2), 399–436.
11. **Erekat, N. S.** (2022). Programmed cell death in cerebellar Purkinje neurons. *Journal of integrative neuroscience*, 21(1), 30,1–15.
12. **Naveed, M., Nadeem, F., Mehmood, T., Bilal, M., Anwar, Z., & Amjad, F.** (2021). Protease—a versatile and ecofriendly biocatalyst with multi-industrial applications: an updated review. *Catalysis Letters*, 151, 307–323.
13. **Abd AL-MAnhel, A. J.** (2017). Production of exopolysaccharide from local fungal isolate. *Current Research in Nutrition and Food Science Journal*, 5(3), 338–46.

14. **Patil, P. M.**;Kulkarni A. A. and Kininge , P.(2012). Production of Milk Clotting Enzyme from *Aspergillus oryzae* under Solid–State Fermentation using Mixture of Wheat Bran and Rice Bran. International Journal of Scientific and Research Publications,2(10):1–12.
15. **Mienda, B. S.**, Yahya, A., Galadima, I. A., & Shamsir, M. S. (2014). An overview of microbial proteases for industrial applications. Res J Pharm Biol Chem Sci, 5(1), 388–396.
16. **Mamo,J.**; Assefa,F.(2018). The Role of Microbial Aspartic Protease Enzyme in Food and Beverage Industries. Journal of Food Quality,2018:1–16.
17. **Rawlings, N. D.**, & **Salvesen, G.** (2013). Handbook of proteolytic enzymes (No. 8040). Academic press.
18. **Gurumallesh, P.**, Alagu, K., Ramakrishnan, B., & Muthusamy, S. (2019). A systematic reconsideration on proteases. International journal of biological macromolecules, 128, 254–267.
19. **majid dakhil AL–Sefar, R.** (2017). Purification and Charactrization of protease for some plants sources. Al–Qadisiyah Journal of Pure Science, 22(4), 105–129.
20. **Gimenes, N. C.**, Silveira, E., & Tambourgi, E. B. (2021). An overview of proteases: production, downstream processes and industrial applications. *Separation & Purification Reviews*, 50(3), 223–243.
21. **Wei, M.**, Chen, P., Zheng, P., Tao, X., Yu, X., & Wu, D. (2023). Purification and characterization of aspartic protease from *Aspergillus niger* and its efficient hydrolysis applications in soy protein degradation. *Microbial Cell Factories*, 22(1), 42,1–9 .
22. **Mamo,J.**; Orellana,J.F.S.; Yeleman, V.; Kangwa,M.; Fernandez–Lahore,M.H and Assefa,F(2020). Purification and Characterization of Aspartic Protease Produced from *Aspergillus oryzae* DRDFS13 under Solid–State Fermentation. [bioRxiv](#), 2020,1–38
23. **Singh, R.**, Mittal, A., Kumar, M., & Mehta, P. K. (2016). Microbial proteases in commercial applications. J Pharm Chem Biol Sci, 4(3), 365–374.
24. **Razzaq, A.**, Shamsi, S., Ali, A., Ali, Q., Sajjad, M., Malik, A., & Ashraf, M. (2019). Microbial proteases applications. Frontiers in bioengineering and biotechnology, 7, 110,1–20 .
25. **Banerjee, G.**, & Ray, A. K. (2017). Impact of microbial proteases on biotechnological industries. Biotechnology and Genetic Engineering Reviews, 33(2), 119–143.
26. **Solanki, M. K.**, Abdelfattah, A., Sadhasivam, S., Zakin, V., Wisniewski, M., Droby, S., & Sionov, E. (2021). Analysis of stored wheat grain–associated microbiota reveals biocontrol activity among microorganisms against mycotoxigenic fungi. *Journal of Fungi*, 7(9), 781, 1–16.

27. **Machado**, A. R. G., Teixeira, M. F. S., de Souza Kirsch, L., Campelo, M. D. C. L., & de Aguiar Oliveira, I. M. (2016). Nutritional value and proteases of *Lentinus citrinus* produced by solid state fermentation of lignocellulosic waste from tropical region. *Saudi Journal of Biological Sciences*, 23 (5), 621–627.
28. **Mandujano–González**, V., Villa–Tanaca, L., Anducho–Reyes, M. A., & Mercado–Flores, Y. (2016). Secreted fungal aspartic proteases: A review. *Revista Iberoamericana de Micología*, 33(2), 76–82.
29. **Da Silva**, R. R. (2017). Bacterial and fungal proteolytic enzymes: production, catalysis and potential applications. *Applied biochemistry and biotechnology*, 183, 1–19.
30. **Souza**, P. M., Werneck, G., Aliakbarian, B., Siqueira, F., Ferreira Filho, E. X., Perego, P., ... & Junior, A. P. (2017). Production, purification and characterization of an aspartic protease from *Aspergillus foetidus*. *Food and Chemical Toxicology*, 109, 1103–1110.
31. Contesini, F. J., Liberato, M. V., Rubio, M. V., Calzado, F., Zubieta, M. P., Riaño–Pachón, D. M., & Damasio, A. R. (2017). Structural and functional characterization of a highly secreted α -L-arabinofuranosidase (GH62) from *Aspergillus nidulans* grown on sugarcane bagasse. *Biochimica et Biophysica Acta (BBA)–proteins and proteomics*, 1865(12), 1758–1769.
32. **Ao**, X. L., Yu, X., Wu, D. T., Li, C., Zhang, T., Liu, S. L., Chen, S.J., He ,L., Zhou, K., Zou, L. K. (2018). Purification and characterization of neutral protease from *Aspergillus oryzae* Y1 isolated from naturally fermented broad beans. *AMB Express*, 8(1), 1–10.
33. **De Oliveira**, D. M., Forde, B. M., Kidd, T. J., Harris, P. N., Schembri, M. A., Beatson, S. A., Paterson, D. L., Walker, M. J. (2020). Antimicrobial resistance in ESKAPE pathogens. *Clinical microbiology reviews*, 33(3), 10–1128.
34. **Zhang**, B., Sun, Q., Liu, H. J., Li, S. Z., & Jiang, Z. Q. (2017). Characterization of actinidin from Chinese kiwifruit cultivars and its applications in meat tenderization and production of angiotensin I–converting enzyme (ACE) inhibitory peptides. *LWT*, 78, 1–7.
35. **Mothe**, T., & Sultanpuram, V. R. (2016). Production, purification and characterization of a thermotolerant alkaline serine protease from a novel species *Bacillus caseinilyticus*. 3. *Biotech*, 6(1), 53.
36. **Theron**, L. W., & Divol, B. (2014). Microbial aspartic proteases: current and potential applications in industry. *Applied microbiology and biotechnology*, 98, 8853–8868.
37. **Brik**, A., & Wong, C. H. (2003). HIV–1 protease: mechanism and drug discovery. *Organic & biomolecular chemistry*, 1(1), 5–14.

38. **Coates, L.**, Tuan, H. F., Tomanicek, S., Kovalevsky, A., Mustyakimov, M., Erskine, P., & Cooper, J. (2008). The catalytic mechanism of an aspartic proteinase explored with neutron and X-ray diffraction. *Journal of the American Chemical Society*, 130(23), 7235–7237.
39. **Wångsell, F.** (2006). *Design and Synthesis of Serine and Aspartic Protease Inhibitors* (Doctoral dissertation, Institutionen för fysik, kemi och biologi).
40. **Naveed, M.**, Nadeem, F., Mehmood, T., Bilal, M., Anwar, Z., & Amjad, F. (2021). Protease—a versatile and ecofriendly biocatalyst with multi-industrial applications: an updated review. *Catalysis Letters*, 151, 307–323.
41. **N Jisha, V.**, B Smitha, R., Pradeep, S., Sreedevi, S., N Unni, K., Sajith, S., ... & Benjamin, S. (2013). Versatility of microbial proteases. *Advances in enzyme research*, 1(03), 39–51.
42. **Dadshahi, Z.**, Homaei, A., Zeinali, F., Sajedi, R. H., & Khajeh, K. (2016). Extraction and purification of a highly thermostable alkaline caseinolytic protease from wastes *Penaeus vannamei* suitable for food and detergent industries. *Food Chemistry*, 202, 110–115.
43. **Sun,Q.**;Chen,F.;Geng,F.;Luo,Y.;Gong,S. and Jiang,Z.(2018).A novel aspartic protease from *Rhizomucor miehei* expressed in *Pichia pastoris* and its application on meat tenderization and preparation of turtle peptides. *Food Chemistry*,245:570–577.
44. **Putatunda, C.**, **Kundu, BS.**, **Bhatia, R** . (2019) Purification and characterization of alkaline protease from *Bacillus* sp. HD292. *Proc Natl Acad Sci India B Biol Sci* 89:957–965. <https://doi.org/10.1007/s40011-018-1011-z>
45. **Bhatia, RK.**, Ullah, S., Hoque, HZ., Ahmad, I., Yang, YH., Bhatt, AK., Bhatia, SK .(2021) Psychrophiles: a source of cold-adapted enzymes for energy efficient biotechnological industrial processes. *J Envir Chem Eng* 9:104607. <https://doi.org/10.1016/j.jece.2020.104607>
46. **Jadhav, H. P.**, Sonawane, M. S., Khairnar, M. H., and Sayyed, R. Z. (2020) Production of alkaline protease by rhizospheric *Bacillus cereus* HP_RZ17 and *Paenibacillus xylanilyticus* HP_RZ19. *Environ Sustain* 3:5–13. <https://doi.org/10.1007/s42398-020-00096-z>
47. **Hakim, A.**, Bhuiyan, F. R., Iqbal, A., Emon, T. H., Ahmed, J., & Azad, A. K. (2018) Production and partial characterization of dehairing alkaline protease from *Bacillus subtilis* AKAL7 and *Exiguobacterium indicum* AKAL11 by using organic municipal solid wastes. *Heliyon* 4:e00646. <https://doi.org/10.1016/j.heliyon.2018.e00646> .

48. **Ash, K.**, Sushma, Ramteke, PW. (2018) Optimization of extracellular alkaline protease production from *Pseudomonas aeruginosa* isolated from soil samples. Inter J Agric Environ Biotechnol 11:187–194. <https://doi.org/10.30954/0974-1712.2018.00178.24>
49. **Prajapati, V. S.**, Ray, S., Narayan, J., Joshi, C. C., Patel, K. C., Trivedi, U. B., & Patel, R. M. (2017) Draft genome sequence of a thermostable, alkaliphilic α -amylase and protease producing *Bacillus amyloliquefaciens* strain KCP2. 3 Biotech (2017) 7:372 .
50. **Usman, A.**, Mohammed, S., & Mamo, J. (2021). Production, optimization, and characterization of an acid protease from a filamentous fungus by solid-state fermentation. International journal of microbiology, 2021.
51. **Novelli, P.K., Barros, M.M., Fleuri, L.F.**, (2016). Novel inexpensive fungiproteases: production by solid state fermentation and characterization. Food Chem. 198,119e124.
52. **Yin, F. W.**, Sun, X. L., Zheng, W. L., Yin, L. F., Luo, X., Zhang, Y. Y., Wang, Y.F., Fu, Y. Q. (2023). Development of a Strategy for L-Lactic Acid Production by *Rhizopus oryzae* Using *Zizania latifolia* Waste and Cane Molasses as Carbon Sources. *Molecules*, 28(17), 6234.
53. **Patil, P. M.**; Kulkarni A. A. and Kininge , P.(2012). Production of Milk Clotting Enzyme from *Aspergillus oryzae* under Solid-State Fermentation using Mixture of Wheat Bran and Rice Bran. International Journal of Scientific and Research Publications,2(10):1–12.
54. **Daudi, S.**; Mukhtar, H.; Rehman, A.U. and UL-Haq, I.(2015). Production of rennin-like acid protease by *Mucor pusillus* through submerged fermentation .Pak.J.Bot.,47(3):1121–1127.
55. **Aljammas, H. A.**, Al Fathi, H., & Alkhalaf, W. (2018). Study the influence of culture conditions on rennin production by *Rhizomucor miehei* using solid-state fermentations. *Journal of Genetic Engineering and Biotechnology*, 16(1), 213–216.
56. **Purushothaman, K.**, Bhat, S. K., Singh, S. A., Marathe, G. K., & Rao, A. R. G. A. (2019). Aspartic protease from *Aspergillus niger*: Molecular characterization and interaction with pepstatin A. *International journal of biological macromolecules*, 139, 199–212.
57. **Yujie, G.**; Tao, T.; Peng, Y.; Yaru, W. ; Yaxin, R. ; Bin, Y. and L. Huiying, (2019). High-level expression and characterization of a novel aspartic protease from *Talaromyces leycettanus* JCM12802 and its potential application in juice clarification, Food Chem. 281: 197–203.
58. **dos Santos Aguilar, J. G.**, & Sato, H. H. (2018). Microbial proteases: Production and application in obtaining protein hydrolysates. *Food Research International*, 103, 253–262.

59. **Othman, B., & Sebo, N. H.** (2023). Utilization of Some Agro Wests for the Production of Acid Protease by *Aspergillus niger*. *Journal of Survey in Fisheries Sciences*, 10(3S), 4319–4331.
60. **Hamza, T. A., & Woldeesenbet, F.** (2017). Optimization of culture growth parameters for production of protease from bacteria, isolated from soil. *Biosci Bioeng*, 3, 1–0.
61. Aunstrup, K., Andersen, O., Falch, E. A. and Nielsen, T.K. (1979). Production of microbial enzymes, In Microbiol Technology, A.H. Rose, ed. Academic press, Inc, New York .
62. **Bano, S., Dahot, M. U., & Naqvi, S. H. A.** (2016). Optimization of culture conditions for the production of protease by *Pleurotus eryngii*. *Pakistan Journal of Biotechnology*, 13(3), 193–198.
63. **Bensmail, S., Mechakra, A., & Fazouane–Naimi, F.** (2015). Optimization of milk–clotting protease production by a local isolate of *Aspergillus niger* ffb1 in solid–state fermentation. *The journal of microbiology, biotechnology and food sciences*, 4(5), 467.
64. **Luti, K., & Younis, R.** (2014). An induction of undecylprodigiosin production from *Streptomyces coelicolor* by elicitation with microbial cells using solid state fermentation. *Iraqi J. Sci*, 55, 553–1562.
65. **Chahrazad, B., & Habiba, Z.** (2021). Production and characterization of proteases from *Aspergillus niger* strain isolated from dried fruit and its effect on gliadin. *Algerian Journal of Nutrition and Food Sciences*, 1(4), 25–29
66. **Khademi, F., Abachi, S., Mortazavi, A., Ehsani, M. A., Tabatabaei, M. R., & Malekzadeh, F. A.** (2013). Optimization of fungal rennet production by local isolate of *Rhizomucor nainitalensis* under solid substrate fermentation system. *IOSR Journal of Pharmacy and Biological Sciences*, 5(2), 115–121.
67. **Foda, M. S., Moharam, M. E., Ramadan, A., & El–Bendary, M. A.** (2012). Over production of milk clotting enzyme from *Rhizomucor miehei* through adjustment of growth under solid state fermentation conditions. *Australian Journal of Basic and Applied Sciences*, 6(8), 579–589.
68. **Chimbekujwo, K. I., Ja’afaru, M. I., & Adeyemo, O. M.** (2020). Purification, characterization and optimization conditions of protease produced by *Aspergillus brasiliensis* strain BCW2. *Scientific African* 8: e00398.
69. **Park, Y. K., De Santi, M. S. S., & Pastore, G. M.** (1979). Production and characterization of β -galactosidase from *Aspergillus oryzae*. *Journal of Food Science*, 44(1), 100–103.

70. **Fairooz**, H. A., Fairooz, N. A., & Chaloob, F. A. (2021). Extraction condition of protease from broccoli (*Brassica oleracea* var *italica*) and study of Biochemical Characteristic from the selected source. *Annals of the Romanian Society for Cell Biology*, 2208–2219.
71. **Kamal**, S., Rehman, S., & Iqbal, H. M. (2017). Biotechnological valorization of proteases: from hyperproduction to industrial exploitation—a review. *Environmental Progress & Sustainable Energy*, 36(2), 511–522.
72. **Hsiao**, N. W., Chen, Y., Kuan, Y. C., Lee, Y. C., Lee, S. K., Chan, H. H., & Kao, C. H. (2014). Purification and characterization of an aspartic protease from the *Rhizopus oryzae* protease extract, Peptidase R. *Electronic Journal of Biotechnology*, 17(2), 89–94.
73. **Devi**, B. G., & HemaLatha, K. P. J. (2014). Isolation, partial purification and characterization of alkaline serine protease from seeds of *Cucumis melo* var *agrestis*. *International Journal of Research in Engineering and Technology*, 3(6), 88–95.
74. **Tarek**, H., Nam, K. B., Kim, Y. K., Suchi, S. A., & Yoo, J. C. (2023). Biochemical Characterization and Application of a Detergent Stable, Antimicrobial and Antibiofilm Potential Protease from *Bacillus siamensis*. *International Journal of Molecular Sciences*, 24(6), 5774.
75. **Karray**, A., Alonazi, M., Horchani, H., & Ben Bacha, A. (2021). A novel thermostable and alkaline protease produced from *Bacillus stearothermophilus* isolated from olive oil mill sals suitable to industrial biotechnology. *Molecules*, 26(4), 1139.
76. **Al-Soufi**, M. A. (2013). Partial purification and estimated some characterization of protease from prickly lettuce (*Lactuca serriola* L.) leaves and used it in some applications. *Iraqi Journal of Biotechnology*, 12(2), 1–18.
77. **Yadav**, R. P., Patel, A. K., & Jagannadham, M. V. (2011). Purification and biochemical characterization of a chymotrypsin-like serine protease from *Euphorbia neriifolia* Linn. *Process Biochemistry*, 46(8), 1654–1662.
78. **Kuddus**, M. (Ed.). (2018). Enzymes in food biotechnology: production, applications, and future prospects. 912 .
79. **Guo**, Y., Li, X., Jia, W., Huang, F., Liu, Y., & Zhang, C. (2021). Characterization of an intracellular aspartic protease (PsAPA) from *Penicillium* sp. XT7 and its application in collagen extraction. *Food Chemistry*, 345, 128834.
80. **Sampaio e Silva**, T. A., Knob, A., Tremacoldi, C. R., Brochetto-Braga, M. R., & Carmona, E. C. (2011). Purification and some properties of an extracellular acid protease from *Aspergillus clavatus*. *World Journal of Microbiology and Biotechnology*, 27, 2491–2497.

81. Copeland, R. A. (2000). Kinetics of single-substrate enzyme reactions. *Enzymes: A Practical Introduction to Structure, Mechanism, and Data Analysis*, 2, 137–139.
82. **Niyonzima**, F. N., & More, S. S. (2015). Purification and characterization of detergent-compatible protease from *Aspergillus terreus* gr. 3 *Biotech*, 5, 61–70.
83. **Usharani**, B., & Muthuraj, M. (2010). Production and characterization of protease enzyme from *Bacillus laterosporus*. *Afr. J. Microbiol. Res*, 4(11), 1057–1063.
84. **Panesar**, P. S., Panesar, R., Singh, R. S., Kennedy, J. F., & Kumar, H. (2006). Microbial production, immobilization and applications of β -D-galactosidase. *Journal of Chemical Technology & Biotechnology: International Research in Process, Environmental & Clean Technology*, 81(4), 530–543.
85. **Song**, P., Cheng, L., Tian, K., Zhang, M., Mchunu, N. P., Niu, D., ... & Wang, Z. X. (2020). Biochemical characterization of two new *Aspergillus niger* aspartic proteases. 3 *Biotech*, 10, 1–9.
86. **Marcial**, J., Pérez De Los Santos, A. I., Fernández, F. J., Díaz-Godínez, G., Montiel-González, A. M., & Tomasini, A. (2011). Characterization of an aspartic protease produced by *Amylomyces rouxii*. *Revista mexicana de ingeniería química*, 10(1), 9–16.

عنوان البحث

**رثاء حافظ إبراهيم للبارودي
الرؤية وخصائص التشكيل الفني**

د. محمد السيد حسن حسين¹

¹ أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بالقرينات/ جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية

بريد الكتروني: msh2581976@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/4>

تاريخ القبول: 2024/03/08م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

يتناول هذا البحث قصيدة حافظ إبراهيم في رثاء الشاعر المصري محمود سامي البارودي، رائد مدرسة الإحياء والبعث؛ وكان مما حفز على القيام بتلك الدراسة قوة عاطفة الشاعر حافظ إبراهيم التي تبثت في النص الأدبي محل الدراسة، وكون شعر حافظ من الأدبيات الجديرة بالدراسة والتمحيص؛ خصوصاً أنها قصيدة رثاء قيلت من شاعر كحافظ في شاعر كالبارودي. ولم يجد الباحث دراسة تناولت هذه القصيدة بالبحث والدراسة، على الرغم من كثرة الدراسات الرائدة التي تناولت شعر حافظ إبراهيم شكلاً ومضموناً، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في معالجة موضوع البحث، مع الاتكاء على مناهج أخرى كالمنهج التاريخي والنفساني.

قسمت الدراسة لمقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تتناول المقدمة التعريف بموضوع البحث ومنهجه والدراسات السابقة، وأهداف الدراسة وتساؤلاتها، والمنهج المتبع، وتقسيم الدراسة، ويتناول التمهيد التعريف بالشاعر حافظ إبراهيم وأهم المؤثرات في شعره، ويتناول المبحث الأول الجانب الموضوعي والفكري، ويتناول المبحث الثاني سمات التشكيل الفني للصورة الشعرية التي تناولها الشاعر في قصيدته عن البارودي، والمبحث الثالث المعجم الشعري والإيقاع الموسيقي، وتأتي خاتمة البحث لترصد أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

الكلمات المفتاحية: البارودي- الرثاء – الحزن - الشعر.

RESEARCH TITLE

**HAFEZ IBRAHIM'S EULOGY FOR AL-BAROUDI PRESENTATION
AND CHARACTERISTICS OF ARTISTIC COMPOSITION****Dr. Mohammed Al-Sayed Hassan Hussein¹**

¹ Assistant Professor, Department of Arabic Language, College of Science and Arts in Qurayyat/ Jouf University, Kingdom of Saudi Arabia Email: msh2581976@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/4>

Published at 01/04/2024**Accepted at 08/03/2024****Abstract**

poet Mahmoud Sami Al-Baroudi, the pioneer of the school of revival and resurrection. What motivated this study was the strength of the poet Hafez Ibrahim's passion that was evident in the literary text under study, and the fact that Hafez's poetry is one of the literature worthy of study and scrutiny. Especially since it is a poem of lamentation that was said by a poet like Hafez to a poet like Al-Baroudi.

The researcher did not find a study that addressed this poem by research and study, despite the many pioneering studies that dealt with Hafez Ibrahim's poetry in form and content. The research relied on the descriptive and analytical approach in addressing the research topic, while relying on other approaches such as the historical and psychological approach.

The study was divided into an introduction, a preface, Three sections, and a conclusion. The introduction deals with introducing the research topic, its methodology, previous studies, the objectives and questions of the study, the approach followed, and the division of the study. The introduction deals with the introduction of the poet Hafez Ibrahim and the most important influences on his poetry. The first section deals with the objective and intellectual aspects, and the second section deals with the features of composition. The artistic depiction of the poetic image that the poet dealt with in his poems about Al-Baroudi, and the third section deals with devoted to addressing the features of the poetic lexicon and vocabulary and musical rhythm in the text under study, and the conclusion of the research comes to monitor the most important findings of the research.

Key Words: Al-Baroudi - Elegy - Sadness - Poetry.

مقدمة البحث

كان الرثاء - وما زال - من أهم الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء في جميع العصور الأدبية، وهو غرض قديم، وهذا البحث يتناول شعر الرثاء عند حافظ إبراهيم متخذاً من قصيدته في رثاء البارودي أنموذجاً يوضح خصائص شعره في الرثاء، ويرصد عاطفة الشاعر الصادقة تجاه من يرثيه، خاصة أن حافظ إبراهيم من الشعراء الذين امتازوا برهافة الحس ورقة الطبع.

ولم يجد الباحث دراسة تناولت هذه القصيدة بالدرس والتحليل وفق المنهج التكاملي أو أي منهج آخر، على أن هناك كثيراً من الدراسات التي تناولت شعر حافظ إبراهيم وفق مناهج متعددة وحسب اتجاهات وظواهر اتسم بها شعره، ومن أهم الدراسات التي تناولت شعر حافظ إبراهيم ما يلي:

- الصورة الفنية في شعر حافظ إبراهيم، دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير إعداد فاطمة الزهرة عبدلي، كلية الآداب واللغات، 2014م.
- قراءة في القصيدة العمرية للشاعر "حافظ إبراهيم" دراسة تحليلية، عزة محمود البكري، مجلة كلية الآداب بقنا، المجلد 24، العدد 44، 2015م.
- ديوان حافظ إبراهيم دراسة أسلوبية، منال رشاد حسين، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم بالفيوم، إشراف د. صلاح رزق، 2002م.
- مظاهر الثقافة في شعر حافظ إبراهيم (دراسة موضوعية فنية) جواهر بنت عبد الله العصيمي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، المجلد 63، العدد 63، أغسطس 2018م.

تساؤلات الدراسة: تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل الرئيسي الآتي: ما خصائص شعر حافظ إبراهيم في مجال الرثاء؟ ويتفرع من هذا التساؤل الرئيسي بعض التساؤلات الفرعية، ومنها:

- 1- ما مضمون قصيدة حافظ في رثاء البارودي؟ وهل يختلف رثاؤه لشاعر عن رثائه للآخرين؟
- 2- ما خصائص التصوير الفني في القصيدة؟
- 3- ما خصائص الإيقاع في شعر الرثاء عند حافظ؟
- 4- ما سمات الأسلوب واللغة في شعره عامة وفي شعر الرثاء خاصة؟

منهج الدراسة:

سوف تنكئ الدراسة على المنهج التكاملي الذي يوظف عدة مناهج لخدمة النص وتأويله وكشف أبعاده، يأتي في المقدمة منها المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي، والمنهج النفسي.

تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة ترصد أهم النتائج الخاصة بالدراسة، أما المقدمة فقد تناولت التعريف بموضوع البحث وأهميته والدراسات السابقة، وأهداف الدراسة وتساؤلاتها، ومنهج البحث، وخطة الدراسة، وتناول التمهيد التعريف بالشاعر حافظ إبراهيم وحياته وسماته الأخلاقية، وجاء المبحث الأول من الدراسة متناولاً الإطار المضموني أو الموضوعي لقصيدة الشاعر حافظ إبراهيم في رثاء البارودي، وأهم ما ورد بها من أفكار ورؤى، وجاء المبحث الثاني ليعالج التصوير الفني في القصيدة من تشبيه واستعارة وكناية، إضافة إلى توظيف التراث بأنواعه المختلفة، وعالج المبحث الثالث المعجم والإيقاع مبرزاً أهم سمات المعجم، والألفاظ وسمات الإيقاع الموسيقي.

التمهيد**حياة حافظ وسماته الأخلاقية**

كان مولد شاعر النيل حافظ إبراهيم بمحافظة أسيوط بصعيد مصر عام 1871 على متن سفينة راسية في نهر النيل ؛ ولذا لقب بشاعر النيل، أبوه كان أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط، وأمّه من أسرة تركية محافظة، عرف حافظ بجملة صفات منها احتماله للمكروه، وتواضعه للناس جميعا ، وحبّه لهم، وترفعه عن كل المغريات، وصلابته فيما يراه حقا وعدلا، توفي أبوه وهو صغير فكفله خاله، ويتجه حافظ بجانب دراسته لنظم الشعر وتلقي دروس الأدب والشعر والنحو والعروض، وعمل فترة بالمحاماة ، ثم ضابطا بالجيش المصري، وخدم بالسودان مرتين، وأحيل للاستيداع مرتين من الجيش، ثم طلب هو نفسه إحالته للمعاش سنة 1903م.¹

والمدقق في حياة الشاعر حافظ إبراهيم يجدها مكتظة بالصراعات وتخلو من الاستقرار، وهو الشاعر الذي عاصر كثيرا من الزعماء الوطنيين أمثال مصطفى كامل، ومحمد فريد، وسعد زغلول، وكان القصر حريصا على التقرب من حافظ؛ فهاهو ذا الخديوي عباس حلمي يتقرب منه ، وكذلك السلطان حسين كامل، ولقب بشاعر النيل، وإن كان يفضل أن يلقب بالشاعر الاجتماعي²

ومن صفات حافظ إبراهيم : "كان الرجل مثالا حيا لمصر؛ بل لقد تجسدت مصر فيه كلها بترفعها بإبائها بشممها بطيبتها ببساطتها بصدقها بعنادها بقوتها بصلابتها بصبرها على المكاره بأخلاقها بديمقراطيتها بإيمانها بالله الواحد الأحد"³

المبحث الأول: مضمون قصيدة الرثاء عند حافظ إبراهيم

الرثاء من أهم أغراض الشعر العربي منذ أقدم عصوره، وهو يقوم على البكاء على الميت وذكر محاسنه، وهو غرض يعبر عن ذروة العواطف، وهو بمثابة المديح للأحياء، والرثاء يكون للموتى، ويمتاز الرثاء بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجز الإنسان أمام الموت⁴

ولعل البيئات القديمة كانت تستدعي وجود حالات متعددة من الصراع بين القبائل والأفراد في إطار دائرة الصراع على البقاء وإثبات الوجود، والتنازع على الثروات المتاحة آنذاك كأماكن العشب والماء والرعي، وغيرها من الصراعات التي شغل العرب بها في جاهليتهم، ولما جاء الإسلام واتسعت رقعة الدولة نتيجة حركة الفتوح الإسلامية التي امتدت خارج نطاق الجزيرة العربية مع الفرس والروم، على أن الصراع في عصر صدر الإسلام لم يكن مقصورا على الصراعات الخارجية بل إن هناك صراعا آخر دار رحاه بين فريقين أولهما المسلمون والآخر مشركو مكة، وهي حرب وجود، راح فيها كثير من الموتى من الفريقين، وقد قلَّ شعر الرثاء بشكل ملحوظ، واكتفى بالطابع الإسلامي الذي ينأى عن الأخذ بالثأر، أو يهيج النزعة القبلية، ومن ثم قل شعر الرثاء عموما، ورثاء الزوجة خاصة، ولعل قصيدة النمر بن تولب تعد نموذجا لذلك فهي أبيات قليلة لا تعد اتجاها عاما في ذلك العصر⁵. واستمر المر كذلك في العصر الأموي؛ فلم يظهر فيه اتجاه يرثي المرأة، وبقي رثاء الزوجة خجلا باستثناء ما قاله جرير في رثاء زوجته⁶

¹ - ينظر: ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه أحمد أمين ، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ط3، 1987م. ص 18 وما بعدها

² - ينظر : السابق، ص 27

³ - السابق، ص 29

⁴ - ينظر: الرثاء، د. شوقي ضيف، دار المعارف، د. ت، القاهرة، ط4، ص 7

⁵ - ينظر: رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث، ديوان حصاد الدمع لمحمد البيومي أنموذجا، آمال عودة سليمان، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الشرق الأوسط، د. ت، ص 24

⁶ - السابق، الصفحة نفسها

والنساء والرجال يساهمون في فن الرثاء، وكان للنساء الحظ الأوفر من القيام عليه؛ إذ يقمن على ندب الميت أيما وسنين، وطبيعي أن يتفوق النساء على الرجال في الرثاء والنواح؛ لأن المرأة أدق حساً، وأرق شعوراً⁷ وتتشابه قصائد الرثاء في عصور الأدب باستثناء دخول الفلسفة عليها في العصور المتأخرة، وظهر نوع من الرثاء السياسي والمذهبي في الدولة الأموية والعباسية، خصوصاً أثناء الحروب الدائرة⁸.

وهناك الرثاء القبلي وكذلك رثاء الأبناء والأزواج، وقد امتلأت كتب الأدب بنماذج من رثاء الزوجات لأزواجهن⁹ إضافة إلى رثاء الحيوانات في العصر العباسي نتيجة الثراء والغنى والرقى الحضاري، فرثى الشعراء حيواناتهم الأليفة، وجسدوا العواطف الإنسانية، كرثاء أبي نواس لكلبه¹⁰

وقد جاء رثاء الزوجة في الشعر العربي قليلاً وعلى استحياء، كما أشار ابن رشيق القيرواني، فأصعب شيء على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة¹¹ لقدسية العلاقة الزوجية ولأن العرف الاجتماعي يرى جزع لرحيل زوجته عيباً، ومن العيب أن يتحدث الشاعر، عن ذلك؛ لأن الشاعر ناطق رسمي للعادات والتقاليد¹²

وفي العصر الحديث انتشر رثاء الزوجة على نحو كبير، ومن ذلك قصيدة البارودي في رثاء زوجته، والتي رأى بعض الباحثين أنها تخلو من الصور المبتكرة؛ لانشغال الشاعر بتصوير آلامه بشكل مباشر، وابتعاده عن التصوير الذي يحتاج لكبد الذهن وإعمال الفكر¹³.

وفي العصر الحديث خصص بعض الشعراء الديوان كله لرثاء زوجاتهم، وهو ما لم يشهده الأدب العربي من قبل، ومن هؤلاء الشعراء عبد الرحمن صدقي (ديوان من وحي المرأة)¹⁴

وقد كتب الشاعر حافظ إبراهيم هذه القصيدة عام 1905 بعد وفاة البارودي، بدأ الشاعر قصيدته في الرثاء موضحاً أثر خبر وفاة البارودي على نفسية حافظ إبراهيم يقول الشاعر:

ردوا عليّ بياني بعد (محمود) إني عيبٌ وأعياء الشعر مجهودي
ما للبلاغة غضبي لا تطاوعني وما لحبل القوافي غير ممدودي
ظننت سكوتي صفحا عن مودته فأسلمتني إلى هم وتسهيد¹⁵

تكشف مقدمة القصيدة عن حالة نفسية ألمت بالشاعر عندما سمع بالخبر؛ وهو ما أفقده صوابه، ومن ثم بلاغته كشاعر امتلك أدوات اللغة والبيان، مطالباً برد بيانه المسلوب، ومتعجباً من غضب البلاغة منه، ومن استعصاء الشعر على قريحته المعهودة عنه، تلك البلاغة التي ظننت سكوت الشاعر من أثر الصدمة نسياناً منه لصديقه وأستاذه البارودي. ثم يتطرق الشاعر لوصف بعض من سمات صديقه وأستاذه البارودي، يقول:

⁷ - ينظر: الرثاء، د. شوقي ضيف، دار المعارف، د. ت، القاهرة، ط4، ص 8

⁸ - ينظر: الرثاء في الشعر العربي، سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د.ت، ص 6

⁹ ينظر: فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية، خميس بن ماجد الصباري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2006م ص 80 وما بعدها

¹⁰ - ينظر: مراثي الحيوانات المستأنسة في الشعر العباسي، عزوزي عبد الصمد، مجلة الآداب واللغات، المجلد 22، العدد (1) ص 59

¹¹ - ينظر: العمد في محاسن الشعر العربي وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، 2/ 154

¹² - ينظر: رثاء الزوجة في الشعر العربي والفارسي، جرير بن عطية وخاقاني شرواني نموذجاً، نعيم عموري، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة 14 العدد (1)

1439هـ، ص 74

¹³ - ينظر: رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث، ديوان حصاد الدمع لمحمد البيومي أنموذجاً، آمال عودة سليمان، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الشرق الأوسط، د. ت، ص 42

¹⁴ - السابق، ص 47

¹⁵ - ينظر: ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1987م. ص 453

لبيك يا مؤنس الموتى وموحشنا

يا فارس الشعر والهيحاء والجود

مُلْكُ القلوب وأنت المستقل به

أبقى على الدهر من ملك ابن داود¹⁶

فالبارودي هو فارس الشعر ورائد النهضة الأدبية في العصر الحديث، وهو رائد الكرم والحرب، ولا غرو في ذلك فهو رب السيف والقلم، وقد كان البارودي وزيراً للجهادية في عهد الخديوي إسماعيل وابنه توفيق، وشارك في الثورة العربية، وهو قد حاز ملكاً عظيماً وهو ملك القلوب الذي هو أبقى من ملك نبي الله (سليمان) عليه السلام.

ورحيل البارودي عن الدنيا رحيل الذي استغنى عن كل شيء ولم يحفل بموجود، يقول حافظ:

لقد نزحت عن الدنيا كما نزحت

عنها لياليك من بيضٍ ومن سود

أغمضت عينيك عنها وازدريت بها

قبل الممات ولم تحفل بموجود¹⁷

ويتطرق الشاعر لوصف شعر البارودي من حيث السلاسة، وهو الشاعر الذي يضمن الزمان أن يوجد بمثله، فالسلاسة في منطقته، كما يجري الماء في العود، حتى أصبح ذكره يجري في كل بيت، وشعره كالمسك والعود، وقد زاده حلاوة بمدحه لخير الأنام محمد (صلى الله عليه وسلم) يقول حافظ:

تجري السلاسة في أثناء منطقته

تحت الفصاحة جري الماء في العود

في كل بيت له ماء يرف به

يغار من ذكره ماء العناقيد

لو حنطوك بشعر أنت قائله

غنيت عن نفحات المسك والعود

حليته بعد أن هذبته بسنا

عقد بمدح رسول الله منضود¹⁸

وإذا كان البارودي قد عانى في حياته بسبب ما تعرض من فصل من وظيفته جراء مشاركته في الثورة العربية، فيكفيه فخراً أنه شاعر، وشعره فيه مدح للنبي (صلى الله عليه وسلم) وإذا كان ما فعله من أجل وطنه زلة فأكرم بها من زلة، يقول حافظ:

إن هُذَّ ركنك منكوباً فقد رفعت

لك الفضيلة ركناً غير مهدود

إن المناصب في عزل وتولية

غير المواهب في ذكر وتخليد

أكرم بها زلة في العمر واحدة

إن صح أنك فيها غير محمود¹⁹

ويتطرق حافظ إلى وصف المنصب الذي تولاه البارودي وهو وزارة الجهادية، ويصف بلاءه في الحرب وأحوالها، وتضحيته بنفسه، وبلاءه الشديد، خصوصاً في معركة جزيرة كريد، وهو اليوم الذي يشبه يوم ذي قار الذي وقع قديماً بين العرب والفرس، والحرب بكل ما فيها هي المجال الذي تظهر فيه مهارات وبطولات البارودي، إضافة لمجال الشعر، يقول حافظ إبراهيم:

كنت الوزير وكنت المستعان به

وكان همك هم القادة الصيد

كم وقفة لك والأبطال طائفة

والحرب تضرب صنيدياً بصنيدي

تقول للنفس إن جاشت إليك بها

هذا مجالك سودي فيه أو بيدي

نسخت يوم كريد كل ما نقلوا

في يوم (ذي قار) عن (هاني بن مسعود)²⁰

ومسألة تضحية الشعراء من أجل إسعاد الآخرين معروفة منذ قديم الزمان، ويمكن تحليلها بأن الشعراء يعلمون أن للشعر

16 - السابق، الصفحة نفسها

17 - السابق، الصفحة نفسها

18 - السابق، ص 454

19 - السابق، الصفحة نفسها

20 - السابق، ص 455

دورا ورسالة ينبغي أن يؤديها في هذه الحياة، وهي مسألة خالدة في الآداب العالمية، والشاعر هو الهادي قومه، يسجل مفاخرهم ومحامدهم، وهو الذي يحترق ليضيء الطريق للناس²¹

ويمزج الشاعر بين مجالي الأدب والحرب ليظهر تفوق البارودي في الحرب وفتكه بالأعداء، فهو ينظمهم كما ينظم الشعر، وجعل وقوع القتيل بجانب القتيل في الحرب مثل أبيات القصيدة يضم فيها البيت إلى مثله على روي واحد، يقول حافظ:

نظمت أعداك في سلكِ الفناء به على روي ولكن غير معهود
كانهم كلم والموت قافيةً يرمي به عربي غير رعيد²²

فالبارودي هنا قد نظم أعداءه على روي غير مبتدع لم يعرفه الناس من قبل. وينتقل حافظ إبراهيم بعد ذلك لوصف الأثر النفسي لرحيل البارودي، يقول الشاعر:

أودي المعري تقي الشعر مؤمنه فكاد صرح المعالي بعده يودي
وأوحش الشرق من فضل ومن أدب وأقفر الروض من شدو وتغريد²³

فالشاعر يشبه البارودي بالمعري الذي بموته ينهار صرح الشعر أو يكاد ينهار حزنا عليه، ويوحش الشرق من الفضل ومن الأدب، بل ويقفر الروض من الغناء والفرح، ولا يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل يمتد إلى الشعر الذي تنبذه الأسماك بعد رحيل البارودي، وقد أصبح ضعيفا تمجه الأسماك وتتفر منه الطباع، لضعف بنائه وركاكة ألفاظه، واضطراب نظمه، ووجود الحشو فيه، يقول حافظ:

وأصبح الشعر والأسماك تنبذه كأنه دسم في جوف معود
ألوى به الضعف واسترخت أعتته فراخ يعتز في حشو وتعقيد²⁴

ولو أنصف الناس لدفنوا البارودي في جوف لؤلؤة من كنز حكمته، لا في القبر، ولو أنصفوا لدفنوه بدرج من صحائفه، ÷ يقول الشاعر:

لو أنصفوا أودعوه جوف لؤلؤة من كنز حكمته لا جوف أخدود
وكفّنوه بدرج من صحائفه أو واضح من قميص الصبح مقدود²⁵

ثم يوجه الشاعر رسالة لمحبي البارودي والسائرين في جنازته، والذين آلمهم رحيله عن الدنيا، طالبا منهم غض البصر فإن جبريل (عليه السلام) قد حضر تلك الجنازة مع الملائكة الكرام، يقول حافظ:

أقول للملأ الغادي بموكبه والناس ما بين مكبود ومفؤود
غضّوا العيون فإن الروح يصحبكم مع الملائك تكريما لمحمود²⁶

ويوجه حافظ كلامه للقبر الذي حوى جسد البارودي، فهو يخفي سنا قمر مقسم الوجه، محسودا من الناس، وقد حلّ البارودي بالقبر، وهو الشاعر الذي قريحته تجود بذلك الشعر الخالد على مرّ الأيام، يقول حافظ:

يا ويح القبر قد أخفى سنا قمر مَسَم الوجه محسود التجاليد
يا ويح حلّ فيه ذو قريحته لما بخدر المعالي ألف مولود²⁷

²¹ - ينظر: المازني شاعرا، د. عبد اللطيف عبد الحليم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 2005م، ص 74، 75

²² - ديوان حافظ، ص455

²³ - السابق، ص 456

²⁴ - السابق، الصفحة نفسها

²⁵ - السابق، الصفحة نفسها

²⁶ - السابق، الصفحة نفسها

²⁷ - السابق، ص 457

ويختتم حافظ قصيدته بتوجيه كلامه للبارودي كأنه حاضر أمامه لم يمت، وهو يشعر بالحياء منه، لتقصيره في رثائه، طالبا منه التماس العذر له في هذا التقصير، لأنه حرم الإجابة في رثائه، يقول حافظ:

محمودُ إني لأستحييك في كلمي حيا وميتا وإن أبدعتُ في تقصيدي
فاعذرُ قريضي واعذرُ فيك قائله كلاهما بين مضعوفٍ ومحدود²⁸

المبحث الثاني: التصوير الفني:

تعد الصورة وسيلة ومعيارا مهما في الحكم علي أصالة التجربة، وقدرة الشاعر علي تشكيلها في نسق، يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاه" (عصفور، 1980م، ص 5)

حازت الصورة حيزا كبيرا من اهتمام النقاد القدامى وأبرزوا أهميتها، ودورها الكبير في التأثير في الأسماع والقلوب (العسكري، 1952م، ص 269)

ويرى كثيرون أن الصورة بمثابة وعاء ينقل مشاعر الشاعر وأحاسيسه لجمهور المتلقين وهي أيضا "الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة" (هلال، 2004م، ص 417)

ويرى عصفور أن قيمة الصورة تنبع من طريقتها الخاصة التي تقدم بها المعنى، ومدى التأثير الذي يمكن أن تحدثه في المتلقي (عصفور، 1983م، ص 328) وقد تنوعت أنماط الصورة الفنية، وتوزعت ما بين التشبيه والاستعارة والكناية، وذلك على النحو التالي:

التشبيه:

يسعى التشبيه للغوص في تجربة الشاعر، ليستخرج منها معنى فائقا للعادة، وتحويله عن طريق المقارنة والتشبيه لشيء آخر مختلف تماما (الرباعي، 1984م، ص 128) ومن الأنماط التشبيهية التي اتكأ عليها حافظ في رثائه البارودي:

نظمت أعداك في سلكِ الفناء به على روي ولكن غيرُ معهود
كأنهم كلمٌ والموتُ قافيةٌ يرمي به عربيٌّ غيرُ رعيد²⁹

فالبارودي هنا قد نظم أعداءه على روي غير مبتدع لم يعرفه الناس من قبل، وهؤلاء الأعداء يشبهون الكلمات والموت قافية، فهو ينظمهم كما ينظم الشعر، وجعل وقوع القتل بجانب القتل في الحرب مثل أبيات القصيدة يضم فيها البيت إلى مثله على روي واحد.

الاستعارة:

ويقصد بها هي استعمال اللفظ في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع وجود قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي (الهاشمي، د.ت، ص 258) ومن نماذج الاستعارة الواردة عند حافظ قوله:

ما للبلاغة غضبي لا تطاوعني وما لحبل القوافي غيرُ ممدود³⁰

فالشاعر هنا يتخيل البلاغة إنسانا غاضبا لموت البارودي، وكان الأولى بالشاعر أن يصورها حزينة، فحالة الموت يناسبها شعور الحزن لا الغضب.

ويتوسل حافظ بالاستعارة التصريحية مصورا البارودي بأبي العلاء المعري، وكلا الشاعرين يمتلئ شعره بالحكمة

²⁸ - السابق، الصفحة نفسها

²⁹ - الديوان، ص 455

³⁰ - الديوان، ص 453

والموعظة، يقول:

أودي المعري تقي الشعر مؤمنه فكاد صرخ المعالي بعده يودي³¹

الكناية:

من الصور الفنية التي اتكأ عليها حافظ في نصه الكناية وهي تسهم في التشكيل الجمالي للصورة الفنية، وتكسب الصورة بعدا إيحائيا دلاليا، وتتسم الصور الكنائية بالتكثيف والإيجاز، ومن الكنايات التي وظفها حافظ قوله:

ردوا عليّ بياني بعد محمود إني عيّيت وأعيا الشعر مجهودي³²

فالصورة هنا كناية عن أثر موت البارودي على حافظ، فأثر الصدمة جعل الشاعر يفقد قدرته على قول الشعر في رثاء البارودي.

ومن الصور الكنائية قوله:

وأوحش الشرق من فضلٍ ومن أدبٍ وأفقرَ الروضُ من شدوٍ وتغريدٍ³³

فهي كناية عن أثر موت البارودي على الكون والحياة؛ فالشرق خلا من الفضل والأدب بموت البارودي، والرياض خلات من الغناء ومظاهر السعادة.

ومن الكنايات قوله:

لبيك يا مؤنس الموتى وموحشنا يا فارس الشعر والهباء والجود³⁴

كناية عن أثر وتأثير البارودي في حياة الناس، وكناية عن مكانته فهو رب السيف والقلم، ورائد النهضة الأدبية في العصر الحديث.

استدعاء التراث وتوظيفه:

للشاعر المعاصر علاقة وثيقة الصلة بالتراث، كانت إرهاباتها في عصر النهضة بمحاولات إحياء التراث التي تزعمها البارودي وتلاميذه، وقد مرت تلك العلاقة بأطوار متعددة، حتى وصلت إلى توظيف الشخصية التراثية، أو التعبير بها، وهي تقابل التعبير عن الشخصية التراثية التي تنظم نظاما تقريريا حياة الشخصية (زايد، 1997م، ص 13) وللشاعر علاقة بالتراث انطلاقا من كون التراث منجزا إنسانيا، لا شيئا قادمًا من الماضي يلزم تقبله كما هو، ومن هنا ينقل الشاعر المعاصر تأثير التراث إلى ذاته، وتصبح ذات المبدع عاملا مهما في البحث عن التراث وتكوين رؤية واضحة له، والإبداع في طرق ظهور التراث في النص الأدبي الجديد (السكر، 1999م، ص 218) وليس من حق الناقد أن يطالب الشاعر "بالانفصال في صوره عن أسلافه، لأنه يصبح كالمنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى، والفن لا يعرف الثورة النهائية على الماضي والانفصال الحاد" (ضيف، 1998م، ص 46) وقد استخدم حافظ في رثائه للبارودي أنماطا من التراث على مستوى التصوير والخيال.

ومن ذلك التوظيف التاريخي: يوم ذي قار، وهو من أيام لعرب التاريخية التي انتصروا فيها على الفرس، يقول الشاعر:

نسخت يوم كريد كل ما نقلوا في يوم (ذي قار) عن (هاني بن مسعود)³⁵

ويوم ذي قار من أيام العرب المجيدة، وأبلغها أثرا في انتصاف العرب من العجم، وذو قار موضع بين الكوفة وواسط،

³¹ - السابق، ص 456

³² - السابق، ص 453

³³ - السابق، ص 456

³⁴ - السابق، ص 453

³⁵ - السابق، ص 455

والقائد هاني بن مسعود هو أحد قواد المعركة.

ومن التوظيف الأدبي: تأثر الشاعر بالمتنبي في قوله:

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم³⁶

ويقول حافظ:

نظمت أعداك في سلكِ الفناء به
كانهم كلمٌ والموتُ قافيةً
يرمي به عربيٌّ غيرُ رعديد³⁷
على روي ولكن غيرُ معهود

والقصيدة تحفل بكثير من التراث الديني كما في حديثه عن ملك نبي الله سليمان؛ إذ يقول الشاعر:

ملك القلوب وأنت المستقل به
أبقى على الدهر من ملك ابن داود³⁸

ومن ذلك التراث الديني حديثه عن مدح البارودي للنبي (ص) في قصيدته والتي عارض بها قصيدة البوصيري في مدح

النبي(ص) وقد سمى البارودي قصيدته بـ (كشف الغمة في مدح خير الأمة) يقول حافظ:

لو حنطوك بشعرٍ أنتَ قائله
غَنَيْتُ عن نفحاتِ المسكِ والعود
حليته بعد أن هذَّبته بسنا
عَقِدَ بمدحِ رسولِ الله منضود³⁹

المبحث الثالث: المعجم الشعري والإيقاع الموسيقي

(1) المعجم الشعري:

يراد بالمعجم الشعري " تردد الكلمات بنسب مختلفة أثناء نص معين، سواء بنفسها أو بمرادفها، أو بتركيب يؤدي

معناها فتكون حقلاً أو حقولاً دلالية⁴⁰ ويجب أن تتلاءم الألفاظ مع التجربة الإبداعية، التي هي في مضمونها تعامل

بالألفاظ⁴¹ وتتشعب المفردات المعجمية بدلالات محددة، كون لغة المبدع لها وجود وكيان⁴²

وقد تعددت مصادر المعجم الشعري عند حافظ على النحو التالي:

(أ)معجم الأعلام التاريخية والأدبية التراثية:

مثل: رسول الله- ابن داود - هاني بن مسعود-.

(2)معجم الموت والمعاناة: ومنه ألفاظ:

الخطب- الموتى- الممات- نزحت- حنطوك- الموت - بيدي- أودعه- أودى- تتعى- مفؤود- أخدود.

(3)معجم الأدب والشعر:

بياني - الشعر - البلاغة- القوافي- فارس الشعر - منطقه - الفصاحة- اليراع- كلم - قافية - المعري

ومن خلال استقرار النص يمكن أن نرصد نمطين للمعجم الشعري للألفاظ، تدور فيهما ألفاظ الشاعر، وهما:

1 - معجم الألفاظ السهلة القريبة من لغة الحياة المتداولة: وهو كثير شائع في النص؛ لأنها تعكس الواقع المعاش والأحداث الراهنة، وكثير من هذه الألفاظ ظلت محتفظة بدلالاتها القريبة المباشرة .

³⁶ - ديوان المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص 387

³⁷ - السابق، ص 455

³⁸ - السابق، ص 453

³⁹ - السابق، ص 454

⁴⁰ - تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية التناص ، محمد مفتاح (1992م) ، ط3، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، ص58

⁴¹ - في الأدب السعودي رؤية داخلية، يوسف حسن نوفل (1984م) ط1، الرياض، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، ص53

⁴² - لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، الورقي، السعيد ، (1983م) ، ط2، القاهرة دار المعارف المصرية، ص 72

ومنها: مجهودي - الجود - لبيك - فارس - الأناشيد - السلاسة - حنطوك - العود - الوزير
2 - معجم تراثي: وهو معجم يلتزم الألفاظ التراثية التي تعكس ثراء لغة الشاعر وإطلاعه على التراث، ومن ألفاظه:
الهيحاء - القوافي - اليراع - الحسام - العقد - الحيد - منضود
(2) الألفاظ:

استمت ألفاظ حافظ بالوضوح والسهولة، ولا نجد ألفاظاً غامضة، أو صعبة في النص، والمتأمل يجد أمثلة كثيرة توضح ذلك.

وقد يلجأ الشاعر لصرف بعض الأسماء الممنوعة من الصرف ليستقيم الوزن، ومن ذلك قوله:

ملك القلوب وأنت المستقل به أبقي على الدهر من مُلكِ ابن داود⁴³

ويمكن القول إن أن لغة حافظ إبراهيم لغة شعرية بامتياز وهي من ذلك النوع الذي أشار إليه د. محمد عبد المطلب والذي يحوي تنوعاً فردياً متميزاً في الأداء، بما فيه من وعي واختيار، وانحراف عن المستوى العادي يساعد على نقل تجربة الشاعر إلى المتلقين⁴⁴.

وقد وفق حافظ في اختياره الألفاظ التي تلائم الحالة النفسية للمتلقين؛ والسياق العام لقصيدته، فهو حينما يصف مشاعره يستخدم ألفاظ تعكس الهم والحزن والألم والمعاناة ولوعة الفقد، وحينما يذكر سيرة البارودي الشعرية يتكأ على مفردات توائم تلك الحالة من ألفاظ تذكرهم بالماضي المجيد وشعرائه كالمعري، والمتنبي.

وإن كان يؤخذ عليه لفظة (البلاغة غضبي) في قوله:

ما للبلاغة غضبي لا تطاوعني وما لحبل القوافي غير ممدود⁴⁵

فالمناسب للسياق أن تكون البلاغة حزينه لفراق الشاعر لصديقه البارودي، لكن الشاعر أتى بلفظة غضبي، وكان الأفضل لو استعمل حزينه أو ما يرادفها.

والشاعر لم يتوعد في اختيار المفردات المناسبة للحالة النفسية، ولم يهبط إلى درك التعبير العامي، بل اتخذ بين ذلك سبيلاً، وتوسل بلغة شعرية اجتمع لها الجزالة والوضوح في تناسق منغم وجرس محبب، وبذل من الجهد ليختار مواطن الإبداع في الكلمة، فخلا شعره من العبارات المرصوفة والعبارات المصفوفة، وأعمل وعيه الفني في انتخاب الألفاظ من وحي خياله المتوهج مبتعداً عن عيوب اللفظة المفردة كالغرابة والسوقية والابتذال والتنافر بين الحروف⁴⁶

على أن هناك ملاحظة جديرة بالتسجيل في القصيدة محل الدراسة، وهي تتعلق بأسلوب حافظ إبراهيم وهي مخاطبة الميت أو المرثي كأنه حي يسمع ويستجيب لما يقال له، وربما كان مرد ذلك هو عدم تصديق الشاعر لخبر موت صديقه البارودي، فهو لا يزال يشعر به ملء خاطر، وهو لا يؤمن بموت الشعراء، بل يرى أن أثرهم باق بعد رحيلهم عن الدنيا؛ لذا نراه يخاطب البارودي معلناً السمع والطاعة له:

لبيك يا خير مَنْ هَزَّ اليراعَ وَمَنْ هَزَّ الحسامَ وَمَنْ لَبَّى وَمَنْ نُوْدِي⁴⁷

الإيقاع الموسيقي

نظم الشاعر قصيدته من بحر البسيط التام، ووزنه: مستعلن فاعلن مستعلن فاعلن، وقد دخل الخبن في تفعيله فاعلن في حشو البيت، وقد وردت العروض مخبونة ولها ضرب مخبون مثلها⁴⁸

43 - ديوان حافظ، ص 453

44 - ينظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبدالمطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، مصر. ، ط1 (1994م) ص186

45 - ينظر: ديوان حافظ، ص. 453

46 - ينظر: تاريخ النقد العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د. محمد زغول سلام، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ص 67

47 - ديوان حافظ، ص454

48 - ينظر: العروض التعليمي، د عبد العزيز نبوي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 3، 2000م، ص73

وقد اعتمد حافظ على الشعر العمودي الموروث عن الخليل بن أحمد، وقد استعان حافظ بعناصر الموسيقى الداخلية المتمثلة في التصريع، وغيره، ويتولد الإيقاع الداخلي من موسيقية اللغة سواء أكانت مفردة أم جملة أم عبارة.

التصريع:

ويراد به أن "يجعل العروض مقفاة تقفية الضرب"، والتصريع مما استحسن حتى إن أكثر الشعر صرع البيت الأول منه، وإذا جاءت العروض مخالفة للضرب في وزنها جاز أن تكون موازنة له إذا كان البيت مصرعا⁴⁹ والتصريع خاص بالشعر العمودي فقط، وقد جاء بكثرة في الشعر، وبخاصة في أوائل القصائد، وتكرر كثيرا عند القدماء، وقد سار حافظ على نهج القدماء في كل شعره، يقول الشاعر في مفتتح قصيدته:

ردوا عليّ بياني بعد (محمود) إني عيبٌ وأعيا الشعر مجهودي⁵⁰

ويمكن القول إن الجانب الموسيقي في النص جاء منسجما مع ما عرف عن موسيقى الشعر العربي الخليلي.

خاتمة البحث: توصل البحث لمجموعة من النتائج، منها:

أولاً: حرص الشاعر حافظ إبراهيم على أن يبرز حزنه على رحيل البارودي، وقد تبدى ذلك من خلال تناوله لدوره في إحياء الشعر، وما يتعلق بحركة النضال المصري ضد المحتل الإنجليزي.

ثانياً: تناول حافظ في رثائه البارودي دوره في حركة نهضة الشعر في العصر الحديث، ولكنه بالإضافة لذلك تناول حزنه على الرحيل والفرار.

ثالثاً: اتكأ الشاعر على الصورة الفنية وأنماطها المتنوعة من تشبيه واستعارة وكناية، واتكأ على التراث بمصادره المتنوعة من تراث ديني وأدبي وتاريخي؛ لكي يرسم صورة لحزنه على رحيل البارودي.

رابعاً: جاء معجم الشاعر متنوعاً ثرياً، حافلاً بالألفاظ السهلة البسيطة المنتقاة بعناية، وتنوعت أنماط المعجم الشعري لديه. خامساً: وجدت بعض الألفاظ التي أخذت على الشاعر، وعدت في غير موضعها، لكن ذلك لا يقلل من مكانة الشاعر وموهبته الأدبية.

سادساً: جاء شعر الشاعر على النمط الخليلي التقليدي المتوارث، فهو الشاعر التراثي، واستخدم بحر البسيط في صورته التامة.

المصادر والمراجع

الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (1996م) تحقيق د. عبد القادر حسين، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب.
البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبدالمطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1 (1994م)
تاريخ النقد العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، 1964م
تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص، محمد مفتاح (1992م)، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت
ديوان المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.
ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1987م.
الرثاء في الشعر العربي، سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د.ت،
الرثاء، د. شوقي ضيف، دار المعارف، د.ت، القاهرة، ط4،

⁴⁹ - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (1996م) تحقيق د. عبد القادر حسين، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، ص446

⁵⁰ - الديوان، ص 453

- العروض التعليمي، د عبد العزيز نبوي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 3، 2000م،
 العمدة في محاسن الشعر العربي وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، 2 / 154
 في الأدب السعودي رؤية داخلية، يوسف حسن نوفل (1984م) ط1، الرياض، مؤسسة دار الأصالة للثقافة
 والنشر والإعلام
 لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، الورقي، السعيد، (1983م)، ط2، القاهرة دار المعارف
 المصرية
 المازني شاعرا، د. عبد اللطيف عبد الحليم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 2005م
الرسائل العلمية:
 رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث، ديوان حصاد الدمع لمحمد البيومي أنموذجا، آمال عودة سليمان، رسالة
 ماجستير، كلية الآداب، جامعة الشرق الأوسط، د. ت
 فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية، خميس بن ماجد الصباري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2006م
الأبحاث العلمية:
 رثاء الزوجة في الشعر العربي والفارسي، جرير بن عطية وخاقاني شرواني نموذجا، نعيم عموري، مجلة اللغة العربية
 وآدابها، السنة 14 العدد (1) 1439هـ،
 مراثي الحيوانات المستأنسة في الشعر العباسي، عزوزي عبد الصمد، مجلة الآداب واللغات، المجلد 22، العدد (1)

عنوان البحث

شبهات حول: حقوق المرأة في الإسلام، والرد عليها

د. طاهر صبحي طه الشيخ¹

¹ أستاذ مساعد بكلية العلوم والآداب بجامعة الجوف، المملكة العربية السعودية.

بريد الكتروني: Tselshikh@Ju.edu.sa Elshikh111@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/5>

تاريخ القبول: 2024/03/08م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

حاولت في هذا البحث توضيح بعض الشبهات المثارة حول حقوق المرأة مفصلاً الرد عليها حتى لا يحدث عند بعض الناس لاسيما غير المتقنين دينياً لبساً أو حيرة أو وهما حين يسمعون بهذه الشبهات التي تهدف إلى التشكيك في الإسلام وتشريعاته .

الكلمات المفتاحية: المرأة – شبهات – الميراث- القوامة - الرجل

RESEARCH TITLE

**DOUBTS ABOUT: WOMEN'S RIGHTS IN ISLAM,
AND THE RESPONSE TO THEM****Dr. Taher Sobhey Taha Elshikh¹**

¹ Assistant Professor, College of Science and Arts, Al-Jouf University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: Tselshikh@Ju.edu.sa Elshikh111@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/5>

Published at 01/04/2024**Accepted at 08/03/2024****Abstract**

Abstract: In this research, I tried to clarify some of the suspicions raised about women's rights, detailing the response to them, so that some people, especially those who are not religiously educated, do not cause confusion, confusion, or delusion when they hear about these suspicions that aim to cast doubt on Islam and its legislation.

Key Words: Women - suspicions - inheritance - guardianship - men

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المُشْرِع لما أراد ، والقاضي بحكمه العدل بين كل العباد ، لا معقب لحكمه وإليه المعاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله رب كل العباد ، وأشهد أن محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، اصطفاه الله تعالى بالرسالة ، ومحا به ظلم أهل الجاهلية والإلحاد.

وبعد ،

في إطار الحملات المضادة للإسلام وأحكامه والتي تهدف إلى تشكيك المسلمين بأحكام دينهم ، أكتب هذا البحث مساهمة متواضعة في بيان الحق الواضح ، ورداً للشبهات المثارة على ديننا الحنيف . وجاء هذا البحث كاشفاً عن بعض هذه الشبهات راداً عليها .

مشكلة البحث :

تظهر المشكلة في الالتباس الذي يحدث عند بعض الناس لاسيما غير المتقنين دينياً حين يسمعون بهذه الشبهات التي تهدف إلى التشكيك في الإسلام وتشريعاته .

أهداف البحث: الأهداف المعرفية : معرفة الهدف الذي يخطط له أعداء الإسلام وهو: تشكيك المسلمين بدينهم ، ومعرفة الأسباب التي ترتب عليها التفريق في الحكم بين الرجل والمرأة أحياناً.

الأهداف الإدراكية: كشف الحكمة الشرعية التي تظهر جمال التشريع الإسلامي في المسائل محل الشبهة .
الأهداف الوجدانية والسلوكية : أن يعيش المسلم حياته بكامل الصدق والإيمان بشرع الله دون أى تردد أو شك ، وعدم الانصات أو الانسياق حول مثيري هذه الشبهات .

الدراسات السابقة :

نظراً لأهمية هذا الموضوع فقد تناولته الأيدي بالكتابة ، من ذلك :

- شبهات وأباطيل لخصوم الإسلام حول ميراث المرأة لرفعت طاحون
- شبهات حول حقوق المرأة في الإسلام د: نهى قاطرجي
- شبهات مثارة حول قضايا متعلقة بالمرأة لعبد الرحمن السحيم

خطة البحث :

- المبحث الأول: التعريف بأن دين الإسلام له خصوم وأعداء.
- المبحث الثاني: موضوع إرث المرأة نصف ما يرثه أخوها
- المبحث الثالث: مسألة القوامة على النساء للرجال
- المبحث الرابع: مسألة الطلاق بيد الرجل
- منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التحليلي بتتبع الشبهات وتحليلها وصولاً لإبطالها وبيان خطئها .

المبحث الأول: التعريف بأن دين الإسلام له خصوم وأعداء

قال الله تعالى : **سَمَّوْكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ١١٣** سجي¹ ، فالإسلام له خصوم وأعداء كافرون مظهرون لكفرهم ، أو مسالمون بالقول مبطنون بالظلم

¹ - الأنعام : 112 - 113

والفسق في الصدور والنفوس ، يضمرون حقداً على الإسلام وأهله ، ينفثون حقدهم في تخطيطهم المستمر للنيل من وحدة المسلمين وإثارة الفتن بينهم تقريباً للصف وتشتيماً للكلمة ، أو زعزعة ثقتهم بدينهم وعقيدتهم وتشريعات الله لهم في دستورهم قرآناً وسنة ، ويظهر هذا في المحاولات المتعددة للتشكيك في القضايا الإسلامية المسلّم بها لدى المسلمين ، وفي هذا الطريق المعوج نجدهم يلبسون ثياب أهل الحق ويتسترون بها لئيلسوا على الناس أمرهم ، فيتمثلون بعبارات نصره الحق والوقوف بجانب المظلومين لجلب القلوب والأعداد إليهم وتكثير سوادهم ، فيظهرون تارة متخفين باسم ينادي بنوع معين من حقوق وحرّيات يزعمونها للإنسان ، وتارة بدعوى حقوق المرأة والوقوف بجانب جنس النساء ، فيظهرون عدة شبهات ظنوا في مخيلتهم أنها ترزعزع ثقة المسلمين بشرعهم وشريعتهم ، وتبدل في نفوسهم قوة صلتهم بدينهم ، ويجعلهم يعترفون بنقص شريعتهم أو تقصيرها ، لكن باءت محاولاتهم بالفشل والخيبة ، قال تعالى : **سَمَحَ أَفْلاً يَنْدَبُرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ٨٢ سجي ٢

فشريعة مصدرها الإله الحكيم العليم الخبير لا تأتي بنقص ، ولا تتطوي على تقصير ، ولا تشتمل على المحاباة والمجاملة ، كما زعم أولئك الأفاكون الكاذبون الظالمون ، فهم يقولون ويظهرون للناس قولهم إن حقوق المرأة مسلوّبة وشخصيتها منعدمة في التشريع الإسلامي فأمرها ليس لها بل الرجل قوام عليها ، وطلاقها ليس بيدها بل بيد غيرها زوجاً أو قاضياً ، لا حق لها باتخاذ قرار انفصالها ، وإرثها على النصف من إرث أخيها الذكر ، ويُعَدِّد الرجل أربع زوجات وهي لا حق لها في أمر التعدد ، ويضعون هذه الشبهات في قوالب من الجمل المليحة والكلام المعسول الذي يُظْهِر حرصهم على المساواة بين الجنسين وإعطاء المرأة ما تم سلبه من حقوقها ، فينخدع بعض من لا علم عنده ولا بصيرة بكلامهم ويتبعونهم في غيهم ويرددون كلامهم .

تقول الدكتورة نهى قاطرجي في مقالتها حول هذه الشبهات (٣) :

" يكثر الحديث في هذه الأيام عن حقوق المرأة وحرّيتها حيث يحاول العلمانيون أن يشوهوا صورة المرأة في الإسلام ويظهروها وكأنها مسلوّبة الحقوق مكسورة الجناح، فالإسلام بنظرهم فَرَّقَ بينها وبين الرجل في الحقوق وجعل العلاقة بينهما تقوم على الظلم والاستبداد لا على السكن والمودة ، الأمر الذي يستدعي من وجهة نظرهم قراءة الدين قراءة جديدة تقوم على مراعاة الحقوق التي أعطتها الاتفاقيات الدولية للمرأة ومحاولة تعديل مفهوم النصوص الشرعية الثابتة كي تتوافق مع هذه الاتفاقيات ."

وتقول الدكتورة جيهان الطاهر محمد (٤) :

" لقد ظل موضوع المرأة ومكانتها في المجتمع ، محلاً للجدل في معظم المجتمعات والحضارات على مدى تاريخ الإنسانية ، ولقد كرم الإسلام المرأة ، وجعلها في المكان اللائق بها ، وبهيمنة قيم الحضارة المعاصرة ذات البعد الغربي فكراً وثقافياً وسلوكياً ، أدى ذلك إلى قيام محاولات عديدة للسعي إلى تسويق هذه القيم من خلال ترويج فكرة العالمية خاصة في جانبها الاجتماعي والسلوكي ، فبدأت هيئة الأمم المتحدة بأنشطة في هذا المجال فيما يخص قضية المرأة ، نتج عنها اتفاقيات ووثائق دولية صادرة عن مؤتمرات دولية متأثرة بالفكر الأنثوي المتطرف ، إذ تستمد أفكاره من العلمانية القائمة على فصل الدين عن الدولة . إن هذه الاتفاقيات والموثائق الدولية تمثل تحدياً خطيراً ومعادياً للآديان السماوية وقد أكرم الله بلاد الحرمين الشريفين بأن جعل دستورهما الكتاب والسنة ؛ فأصبح للمرأة في هذا البلد الطاهر

^٢ النساء : ٨٢

^٣ - (منتديات حراس العقيدة) مقال للدكتورة: نهى قاطرجي: بعنوان شبهات حول حقوق المرأة في الإسلام والرد عليها.

^٤ - مضامين الاتفاقيات والموثائق الدولية الخاصة بقضايا المرأة المسلمة المعاصرة ، د/ جيهان الطاهر محمد عبد الحليم ، على موقع الملتنقى الفقهي

<http://fiqh.islammassage.com/NewsDetails.aspx?id=5158>

مكانتها المستمدة من الشرع الحنيف ؛ حتى إنه كان هناك محاولات لتغريب المرأة المسلمة من خلال ندوات ومؤتمرات عالمية و اتفاقيات تعقد لهذا الشأن فَطِنَ لها ولاة الأمر ، فبادروا إلى إعلان موقفهم الواضح برفض هذه الأفكار؛ لمخالفتها للإسلام "

فقد تعهد الله لهذا الدين بالحفظ والصيانة ، ووفق له علماء أجلاء يردونهم عن غيهم وبطشهم، وهذه الشبهات وتلك الضلالات منها ما ثبت فيه الرد الواضح في بطون المؤلفات العلمية لأئمة المسلمين وكتبهم ، لكنه الجهل ، أو إن شئت قلت التجاهل عن هذه الجوابات الشافية الكافية إما لغرض الحقد على المسلمين والكره للدين ، وإما لغرض إثارة الفتن والوقیعة بين أفراد المجتمع الواحد ، وإما لغرض دنيوي وإن كان على حساب الآخرة . ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ويسطع الحق واضحاً بلا أي ريب ، قال سبحانه وتعالى : **سَمِحِرِيذُونَ لِيُطْفَؤُا نُّورَ اللَّهِ بِأَفْوِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩ سَجَى ٥** وها أنا الآن أجمع لك ردوداً مما ذكره أهل العلم عن بعض هذه الشبهات بما يقتضيه المقام في هذا البحث .

المبحث الثاني :

موضوع إرث المرأة نصف ما يرثه أخوها

قال سبحانه وتعالى: **سَمِحِرِيذُونَ لِيُطْفَؤُا نُّورَ اللَّهِ بِأَفْوِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩ سَجَى ٥** وقالوا بأن ظلم المرأة هنا متحقق ، فالتساوي في الأخوة أصل لمبدأ التساوي في الإرث بينهما ، ويرون أنه لا داعي لأن تأخذ أقل ممن هو في درجتها .

لكن يرد عليهم من خلال النقاط الآتية:

1 - هذه الآية مُحْكَمَةٌ لا تقبل التأويل ⁷، ونحن كمسلمين إنما نحقق قول ربنا **سَمِحِرِيذُونَ لِيُطْفَؤُا نُّورَ اللَّهِ بِأَفْوِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩ سَجَى ٥** فالسمع والطاعة دون مجادلة للحكم أو انتظار ظهور الحكمة الشرعية منه يعتبر أحد المقاصد الأساسية للإسلام ، فلو ظهرت الحكمة فيها ونعمت ، وإن لم تظهر لنا فنحن راضين بالله ربنا حاكماً علينا ومشروعاً ونسلم له فيما شرعه .

2 - فإذا أردنا أن ننظر في الحكمة من إرثها قدر نصف أخيها ، فانظر أولاً إلى ما قبل الإسلام فقد كانت المرأة لا ترث شيئاً ، بل هي ذاته كانت تعتبر جزءاً من التركة ، يرثها الابن الأكبر للميت ويتمتع بها تمتع الأزواج ، فلما جاء الإسلام كرمها وجعل زواجها محرماً على ابن الميت ، قال الله سبحانه: **سَمِحِرِيذُونَ لِيُطْفَؤُا نُّورَ اللَّهِ بِأَفْوِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩ سَجَى ٥** .

3 - جعل لها الإسلام نصيباً من التركة لها حق التصرف فيه ، وإن كان أقل من نصيب الذكر فهذا له أسبابه ، وأهمهما أن الرجل هو المطالب بالإنفاق عليها وأن المرأة ملتزمة منه ماليا ومعنوياً ، فهو الأب المنفق على بناته ، ثم البنات تتزوج

⁵ - الصف 8 ، 9

⁶ - النساء : ١١

⁷ - إرشاد ذوي الأفهام إلى حقيقة الاجتهاد والاستحسان ، د / محمد إبراهيم الحفناوي ص 11

⁸ - النور : 51

⁹ - النساء : ٢٢

فتنتقل النفقة إلى الزوج ويلتزم بالإنفاق شرعا على زوجته ، ثم لو مات الزوج فنفتها على أولادها ، فإن لم يكن لها أولاد تعود نفقتها على أهلها ، وبهذا نجد المرأة لا تنفق غالباً شيئاً على متطلبات الحياة من مالها ، فمالها في ازدياد ومال الرجال حولها يخرج منه نصيب لها ، فكان العدل ألا يكون نصيبها مثل نصيب أخيها بل يكون نصيب أخيها أكثر لأنه المنفق عليها أو على أمها ، فكان تشريع الإسلام بزيادة نصيب الابن عن نصيب البنت هو العدل والإنصاف ، وعلى هذا جاءت أحكام الشريعة . وصدق الله : **سَمَحَ أَفْحَكُمُ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ٥٠ سجي 10

المبحث الثالث

مسألة القوامة على النساء للرجال

قال سبحانه وتعالى : **سَمَحَ الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قُنُتْنَ حُفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** ٣٤ سجي 11

فقد اتخذ البعض من هذا الحكم شبهة للطعن في تشريعات الإسلام أو التشكيك في مبدأ المساواة فيه ، وذلك بقولهم: إن المرأة لها عقل وقدرة على التدبر وتصريف الأمور فلماذا كان التشريع بإطلاق القوامة في البيت للرجل وحده ، وإبعاد المرأة وكأن لا وجود لها أو كأنها أساس ومتاع بالبيت لا قيمة له والرد على هذه الشبهة من عدة أوجه على النحو التالي :

لا نسلم بهذا الكلام الذي يُشَبَّه المرأة في الإسلام بأنها أساس في البيت أو لا قيمة لعقلها بل هذا كلام مغلوط 12. والصواب : أن الإسلام لم يهدر قيمة المرأة ومكانتها في البيت ، بل جعل للرجل الحق في مشاورتها في الأمور التي تفهم فيها وتدرک مسائلها كأمر الرضاعة والفظام ونحوها . كما في قول الله تعالى: **سَمَحَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ٢٣٣ سجي 13 ، بل وجدنا زوجة النبي صلى الله عليه وسلم " أم سلمة " رضي الله عنها تحاوره وتشير عليه بأمر أصلح الله به حال المسلمين في صلح الحديبية ، وكان هذا فضل وأثر بارز لها يدل على راحة عقلها ، ولو لم يكن من فضلها إلا مشورتها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحل في قصة الحديبية لما امتنع منه أكثر الصحابة لكفاها 14.

فالرجل والمرأة في البيت أسرة تحتاج لقائد وأمير تسيّر على رأيه ، لتستقيم الأمور ، فإن أي جماعة لا بد لها من أمير تسيّر على رأيه إذا كانت تبغي الفلاح والصلاح ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كنتم ثلاثة فأمرؤ أحدكم) 15، وقال الشاعر:

10 - المائدة: ٥٠

11 - النساء: ٣٤

12 - مجلة البحوث الإسلامية ، معنى نقص العقل والدين عند النساء 101 / 29

13 - البقرة: ٢٣٣

14 - سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحى الشامي 11 / 187 ، وقصة ذلك الأمر: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما انتهى من صلح الحديبية فقال : [يا أيها الناس ! انحلوا و اطلقوا] فما قام رجل من المسلمين فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة فقال : [يا أم سلمة ! ما شأن الناس ؟] قالت له : يا رسول الله ! قد أحل بهم ما رأيت كأنهم كرهوا الصلح فاعمد إلى هديك حيث كان و انحل و اطلق فإنك لو فعلت ذلك فعلوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحراها ثم جلس فخلق فقام الناس ينحرون و يحلقون فخلق رجال منهم و قصر آخرون.(السيرة النبوية لابن حبان 280)

15 - أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن ، (تخريج أحاديث الإحياء للعراقي 5 / 121) .

لا يَصْلُحُ النَّاسُ قَوْضَى لَا سِرَّةَ لَهُمْ ... وَلَا سِرَّةَ إِذَا جُهِلَهُمْ سَادُوا

فلا بد من قائد للجماعة ، وهذه الأسرة جماعة صغيرة تحتاج لقائد ، فمن يكون هذا القائد ؟؟ لو فرضنا احتمالات فها هنا ثلاثة احتمالات ، الاحتمال الأول : أن يكون الرجل هو القائد والقوام ، والاحتمال الثاني : أن تكون المرأة هي القائد على الأسرة ، والاحتمال الثالث : أن يكون القوام على الأسرة من خارج البيت ، ليس أحد الزوجين بل شخص آخر ، وهذا الاحتمال يرفضه العقل والطبع السليم ولا يرضي به عاقل لأنه يترتب عليه اطلاع أجنبي عن الأسرة بكل محتوياتها وخصوصياتها ، والاحتمال الثاني يترجح عليه الاحتمال الأول بأن يكون الرجل هو القوام والمدير لأمر البيت والمسموع الكلمة فيه وهذا هو الصواب والصحيح ، لأن المرأة في طبيعتها تختلف عن الرجل بعض الشيء ، سمح الرجال قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَلِحُوا فَنَنْتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ٣٤ سجي 16 ، فالرجل مُفَضَّلٌ عليها بقوة العقل عن العاطفة فهو أجدر بتدبير أمور البيت ، أما المرأة فعاطفتها أقوى من العقل عندها ، وهذا ليس عيبا وإنما ميزة عندها ، ولتستطيع القيام على أمور الأسرة من الناحية المعنوية ، وتكون مركزاً للحنان والسكن والمودة والرحمة ، ولتستطيع القيام بموضوع الأولاد وتربيتهم ، فكان الرجل يتصرف في أمور البيت المالية والمرأة تتصرف بعاطفتها في أن تعتني بأولادها وتملأ البيت بالسكينة والرحمة ، وما أجمل ما اختصر به الإمام القرطبي الكلام في أسباب قوامة الرجل حين تعرض لتفسير الآية حيث قال عن الرجال : يقومون بالنفقة عليهن والذب عنهن ، وأيضاً فإن فيهم الحكام والأمراء ومن يغزو ، وليس ذلك في النساء 17 . لذا كان استحقاقهم للقوامة على النساء صيانة لهن ولحفظهن لا لتملكهن 18

المبحث الرابع

مسألة الطلاق بيد الرجل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الطَّلَاقُ بِالرِّجَالِ ، وَالْعُدَّةُ بِالنِّسَاءِ) 19

قالوا تشكيكاً في تشريع الإسلام لجعل أمر الطلاق بيد الرجل:

إن المرأة لا سبيل لها على نفسها ، وكأنها أصبحت مملوكة للزوج ، فسلطة إنهاء الزواج بيده يستعملها برأيه ومشيتته .
والرد على هذه الشبهة على النحو التالي :

بأن الحكمة كلها في تشريعات الإسلام ، وأن الادعاء بأن في تشريعاته ظلم وتحيز لطرف على آخر هو الظلم بعينه ، فإن الإسلام ابتداء يريد للزواج أن يكون مستمراً ، تدوم بهجته وسعادته وتدوم حياة الأسرة في سكينه ومودة ، لكن قد تعرض أمور واضطرابات يجعل الاستمرار بين الزوجين غير ممكناً ، ومن هنا شرع الإسلام الانفصال والفرقة بين الزوجين ، لكن لمن تكون القدرة على الطلاق وإحداث الفرقة ؟؟ هنا ثلاث احتمالات :
الاحتمال الأول : أن يكون الطلاق بيد الزوج ، والاحتمال الثاني : أن يكون بيد الزوجة ، والاحتمال الثالث : أن يكون بيد القاضي .

فأما الاحتمال الثالث : بأن يكون الطلاق بيد القاضي فسوف يضطر الزوج لأن يظهر الأسباب التي جعلته يطلق زوجته وفي ذلك كشف لعيوبها مما يجعل رغبة الرجال في الزواج بها بعد طلاقها منه ضعيفا او نادرا أو منعما ، فكان طلاق الرجل لها بعيدا عن القضاء ستر عليها لعل الله أن يرزقها زوجاً آخر ، ثم لم يكن الأمر سلطة بلا ضابط ولا قيد ، بل تم

16 - النساء : ٣٤

17 - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) 5 / 168.

18 - التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور 5 / 38

19 - البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملن 8 / 97.

تقييد الزوج بعدد معين من الطلقات لو تجاوزها لا يتمكن من إرجاع الزوجة لعصمته ، ثم بالطلاق يثبت لها حقوقها من مؤخر الصداق والنفقات ونحو ذلك فالأمر ليس طلاقاً بلا كلفة بل تجله الالتزامات المالية يفكر في الأمر كثيراً قبل إيقاعه ، أما الزوجة فلم يجعل الإسلام الطلاق بيدها صيانة لها ولأسرتها عن أن تهدم الكيان الأسري في أول غضبة أو أقل اضطراب لأن طبيعتها أنها أشد عاطفة وسريعة الانفعال ، وربما اتخذت قرارات في لحظة ضيق وألم يندم عليها كل أفراد الأسرة ، فكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (يَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرُنَ الْإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِخْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ) فقد لا تستطيع أن تستجمع قوتها في أقل الشدائد أو المواقف العصبية فيترتب انهيار الكيان الأسري وتشرد الأولاد ، ولم يحرمها الإسلام أن تطالب بالانفصال بل لها ذلك ببذل بعض المال عن طريق الخلع ، وهذا أيضاً للتفكير قبل أن تنفذ وتخطط قبل أن تشرع في الطلب ، كما شرع لها أيضاً طلب التطليق عند الحاكم ، وهنا تظهر الزوجة للحاكم أسباب طلب الطلاق مما قد يفترض به حال الزوج لو كان مقصراً عن إتيانها ما شرع لها أو مسيئاً لمعاملتها ، وعلى الزوج حينئذ إذا وجد الطلاق من حقها أن ينفذ لها مطلبها حتى لا يفترض حاله ، وإلا فإنها برفعها الأمر للحاكم سينكشف سره ويفتضح أمره ، وهذا بيان لمكانة المرأة حيث حرص الإسلام على أن تكون مستورة الحال حتى في طلاق زوجها لها ، ومن أجمل ما قيل في ذلك : أن أحد العقلاء كان في طريقه لطلاق زوجته فلما سئل عن سبب ذلك؟ ، قال : لم أكن لأفصح أهل بيتي ، فلما طلقها ، قيل له: الآن أنت طلقته فأخبرنا عن السبب ؟ وما الأمور التي اشتكت منها ؟: قال : لم أكن لأتكلم بغيبة مسلم .

فصيانة الإسلام وحفاظه على المرأة أمر واضح ، إلا أن بعض الشباب والفتيات إذا لم تكن عنده الثقافة الدينية أو كانوا بعيدين عن تعاليم الدين فيخشى عليهم التأثير بمثل هذه الشبهات ، لذا كان الهدف من هذا البحث التحذير منها وبيان بطلانها وفسادها .

الخاتمة والنتائج :

- 1 - الشريعة الإسلامية كاملة وصالحة لكل زمان ومكان ، ولا تتناقض في أحكامها ، ولا محاباة.
- 2- المرأة المسلمة سلاح قوي في بناء المجتمع يريد أعداء الإسلام استخدامه في زعزعة المجتمع المسلم واستقراره ، ومواجهة ذلك لا تتم إلا بالتمسك بتعاليم الإسلام وفقه أحكامه .
- 3 - المساواة بين الرجل والمرأة أمر قرره الشرع ، وما اختلف من أحكام بينهما فهذا مرجعه إلى اختلاف طبيعة كل منهما ، فالمساواة بين غير متكافئين في كل الأمور ظلم وليست عدلاً .
- 4 - اختصاص الرجل بقوة العقل غالباً ، واختصاص المرأة بقوة العاطفة ليس عيباً فيهما بل لكل منهما مجال في الحياة يتناسب مع طبيعته التي خلقه الله بها .
- 5- قوامة الرجل على المرأة للحفاظ عليها وصيانتها لا لتملكها أو تسلط الرجل عليها .
- 6- معرفة أحكام الشريعة الإسلامية وفقهها أمر ضروري لابد على كل مسلم من الإحاطة بجانب منها يحفظه من الزلل واتباع الشبهات .

التوصيات:

- 1- مراجعة العادات والتقاليد الموروثة الخاطئة وتصحيحها على وفق قواعد وضوابط التشريع الإسلامي
- 2 - اجتهاد العلماء ودعمهم مادياً ومعنوياً لنشر صحيح الدين ، ورد كل باطل ، وكشف زيف أهل الضلال ورد شبههم .
- 3- الاستفادة التامة من جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في تثقيف أفراد المجتمع دينياً وغرس القيم الإسلامية ، وكشف فساد هذه الشبهات و ضلالها.

والله الموفق وعليه التكلان

المراجع

- القرآن الكريم
- السنة النبوية
- إرشاد ذوي الأفهام إلى حقيقة الاجتهاد والاستحسان ، د / محمد إبراهيم الحفناوي
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة: الأولى، 1425هـ-2004م
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر : 1984 هـ
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين) المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت 806هـ) الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م
- الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م .
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت 942هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م السيرة النبوية لابن حبان
- كفاية النبيه في شرح التنبيه، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (ت 710هـ)، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، م 2009 .
- مضامين الاتفاقيات والمواثيق الدولية الخاصة بقضايا المرأة المسلمة المعاصرة ، د/ جيهان الطاهر محمد عبد الحليم
- مجلة البحوث الإسلامية مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
- (منتديات حراس العقيدة) <http://www.hurras.org/vb/showthread.php?t=30>
- موقع الملتنقى الفقهي <http://fiqh.islammmessage.com/NewsDetails.aspx?id=5158>

عنوان البحث

مخالفات الإمام الأمدي لجمهور الأصوليين
مسائل الإجماع (أنموذجاً)

د. إبراهيم محمد أحمد حسين¹

¹ الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والآداب جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية،

البريد الإلكتروني : hasn800@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/6>

تاريخ القبول: 2024/03/18م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى حصر المسائل الأصولية التي خالف فيها الإمام الأمدي رحمه الله مذهب جمهور الأصوليين (مسائل الإجماع أنموذجاً). يعتبر الإمام سيف الدين الأمدي (رحمه الله) من العلماء البارزين في علم أصول الفقه، ومؤلفاته الأصولية خير دليل على هذا، فالحاجة ماسة إلى الوقوف على المسائل والآراء التي خالف فيها الإمام الأمدي جمهور علماء الأصول، ولا سيما أن الإمام الأمدي معروف عنه أنه من العلماء المحققين، قال ابن خلدون (رحمه الله): "والأمدي مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل".

الكلمات المفتاحية: الإمام الأمدي، الأصوليين، الإجماع.

RESEARCH TITLE

**IMAM AL-AMIDI'S CONTRADICTIONS TO THE
FUNDAMENTALIST MASSES ISSUES OF CONSENSUS (A MODEL)****Dr. Ibrahim Mohammed Ahmed Hussein¹**

¹ Assistant Professor, Department of Islamic Studies, College of Arts and Sciences, Al-Jouf University, Saudi Arabia, Email: hasn800@yahoo.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/6>

Published at 01/04/2024**Accepted at 18/03/2024****Abstract**

Objective of the research: This research aims to identify fundamentalist issues in which Imam Al-Amadi, may God have mercy on him, contradicted the doctrine of the scholars' audience (consensus issues as a model). Imam Saif al-Din al-Amadi (may God have mercy on him) is one of the leading scholars of Usul al-Fiqh, and his fundamentalist literature is the best proof of this and the subdivision of issues.

Key Words: Imam Al-Amidi, fundamentalist, consensus

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :
 فإن علم أصول الفقه من أعظم العلوم قدراً ، وأرفعها ذكراً ، وأنفعها فائدة ، به يُعرف استنباط الحلال والحرام ، ومن خلاله
 تنضبط المسائل والأحكام ، وقد هيا الله للشرعية علماء أجلاء ، حملوا رايتهما بصدق وإخلاص ، فكانوا بحق حجة من
 حجج الله على خلقه ، وكانوا بحق ورثة الأنبياء وأعلام الهدى .
 ومن هؤلاء العلماء الأفاضل الإمام سيف الدين الأمدي رحمه الله العلامة الأصولي الشافعي المتوفى سنة 631 هـ أحد علماء
 الأصول المحققين الذين كان لهم باع واسع وأثر واضح في علم أصول الفقه .
 وقد عُرف عن الإمام الأمدي عنايته بتحقيق المذاهب ، وتفريع المسائل ، وتحرير الأقوال ، والدقة في نسبة الأقوال إلى قائلها ،
 هذا وقد اشتمل البحث على أربع مباحث وخاتمة .

أما المباحث فهي كالتالي :

المبحث الأول: هل يشترط في الإجماع: دخول العوالم؟

المبحث الثاني: هل يعتبر قول المجتهد المبتدع في انعقاد الإجماع؟

المبحث الثالث: انقراض العصر هل هو شرط في انعقاد الإجماع؟

المبحث الرابع: إذا اختلف أهل العصر في مسألة على قولين هل يجوز لمن بعدهم إحداث قول ثالث؟
 وأما الخاتمة فتناولت فيها أهم نتائج البحث ، ثم قمت بعمل فهرس المراجع والمصادر والموضوعات .

مخالفات الإمام الأمدي لجمهور الأصوليين

مسائل الإجماع (أنموذجاً)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: هل يشترط في الإجماع: دخول العوالم؟

المبحث الثاني: هل يعتبر قول المجتهد المبتدع في انعقاد الإجماع؟

المبحث الثالث: انقراض العصر هل هو شرط في انعقاد الإجماع؟

المبحث الرابع: إذا اختلف أهل العصر في مسألة على قولين هل يجوز لمن بعدهم إحداث قول ثالث؟
 المبحث الأول

اعتبار العوالم في الإجماع.

المراد بالعوالم هنا: من ليس بمجتهد في الأحكام الشرعية، إذ الإجماع المعتبر في فنون العلم: هو إجماع أهل ذلك الفن
 العارفين به دون من عداهم، فالمعتبر في الإجماع في المسائل النحوية قول جميع النحويين، ونحو ذلك، ومن عدا أهل
 ذلك الفن فهو في حكم العوالم.

قال الإمام الرازي: المعتبر بالإجماع في كل فن: أهل الاجتهاد في ذلك الفن، وإن لم يكونوا من أهل الاجتهاد في
 غيره. (1)

وقال الإمام الزركشي: " وكل واحد يعتبر قوله إذا كان من أهل الاجتهاد في ذلك الفن. " (2)

وإذا ثبت ذلك فربّ نحويٍّ أو متكلمٍ أو مفسرٍ ك العامي بالنسبة إلى علم الأحكام، ويلحق بهم: طلبة الفقهاء الذين لم

(1) المحصول (198/4)

(2) البحر المحيط (466/4)

يبلغوا رتبة النظر والاستدلال والاجتهاد.⁽³⁾

وإذا عرف المراد بالعامي، فقد اختلف الأصوليون في اعتبار العامي في انعقاد الإجماع أو عدم اعتباره على ثلاثة مذاهب:

(الأول): ذهب جمهور العلماء من الأصوليين إلى: أنه لا عبرة بموافقة العامي في الإجماع.⁽⁴⁾

(الثاني): ذهب الإمام الغزالي، وابن السبكي، وحكي عن القاضي الباقلاني، وبعض المتكلمين: أنه يعتبر موافقة العامي في الإجماع مطلقاً.⁽⁵⁾

(الثالث): ذهب الإمام الباجي: إلى أنه يعتبر قول العوام في الإجماع العام، وهو ما ليس بمقصود على العلماء وأهل النظر، كالعالم بتحريم الزنا، وشرب الخمر، دون الإجماع الخاص الحاصل في دقائق الفقه.⁽⁶⁾

رأي الإمام الأمدي في المسألة:

ذكر الإمام سيف الدين الأمدي في هذه المسألة قولين:

(الأول): ذهب إلى القول بعدم اعتبار قول العامي من الأمة في انعقاد الإجماع، ونسب هذا القول إلى أكثر الأصوليين.

(الثاني): اعتبار قول العامي في انعقاد الإجماع، ونسب هذا المذهب إلى القليل من العلماء، وذكر: أن القاضي الباقلاني مال إلى هذا الرأي، ثم اختار هذا المذهب.

قال الإمام الأمدي في الأحكام: "ذهب الأكثرون: إلى أنه لا اعتبار بموافقة العامي من أهل الملة في انعقاد الإجماع ولا بمخالفته، واعتبره الأقلون، وإليه ميل القاضي أبي بكر⁽⁷⁾، وهو المختار.⁽⁸⁾" ونقل الإمام الأمدي: هذه العبارة في منتهى السؤل بنصها.⁽⁹⁾

حقيقة الخلاف في هذه المسألة :

اختلف الأصوليون في حقيقة الخلاف في هذه المسألة، هل هو لفظي أو معنوي؟

فذهب القاضي الباقلاني وإمام الحرمين: إلى أن الخلاف خلاف لفظي في الحقيقة، وليس خلافاً في أن مخالفاتهم تقدر في حجية الإجماع، وأن هذا خلاف مهول أمره⁽¹⁰⁾، ويرجع إلى العبارة المحضة، والحكم فيه: أننا إن أدرجنا العوام في حكم

(3) التوضيح في شرح التنقيح ص(291)

(4) البرهان(439/1) والمحصول لابن العربي(121) شرح مختصر الروضة(31/3)المحصل(196/4) شرح تنقيح الفصول(267) كشف الأسرار على البزدوي(3/237) شرح الكوكب المنير(225/2)التحبير(1551/4).

(5) المستصفى (181/1) الأحكام للأمدي (204/1) رفع الحاجب(173/2) نهاية الوصول(2648/6)

(6) أحكام الفصول (465/1) الإشارات للباقي (88)

(7) نقل الأمدي هذا القول عن القاضي أبي بكر الباقلاني (رحمه الله) ، غير أن الصحيح من قول الباقلاني: هو أنه لا يرى الاعتداد بالعوام في المخالفة، وإنما يرى الاعتداد بهم في الوفاق لانعقاد الإجماع ، ووجه قوله: "هو أننا إن أدرجنا العوام في حكم الإجماع ؛ أطلقنا القول بإجماع الأمة، وإلا فلا نطلق ذلك، فإن العوام معظم الأمة وكثيرها" هذا ما نقله الزركشي في سلاسل الذهب قائلاً: "والذي رأيته في كتاب التقريب للقاضي التصريح بعدم اعتبارهم ، بل صرح بنقل الإجماع على ذلك". سلاسل الذهب (343)

قال ابن السبكي في الإبهاج " ينبغي أن يتمهل في هذه المسألة فإن الذي قاله القاضي في مختصر التقريب ما نصه : "الاعتبار في الإجماع بعلماء الأمة حتى لو خالف واحد من العوام ما عليه العلماء لم يكثر بخلافه، وهذا ثابت اتفاقاً وإطباقاً، إذ لو قلنا: إن خلاف العوام يقدر في الإجماع، مع أن قولهم ليس إلا عن جهل، أقضي هذا إلى اعتبار خلاف من يعلم أنه قال من غير أصل، على أن الأمة اجتمعت علمائها وعوامها: أن خلاف العوام لا يعتبر به (الإبهاج 384/2)

(8) الأحكام (191/1)

(9) قال الأمدي في منتهى السؤل: : ذهب الأكثرون القائلون بالإجماع: إلى أنه لا اعتبار بالعامي من أهل الملة في الموافقة والمخالفة، واعتبره الأقلون، وبه قال القاضي أبو بكر، وهو المختار " منتهى السؤل ص (59)

(10)يقال:هالني الشيء يهولني هولاً، إذا أفزعك، فهو هائل، وأمر مهول أي مفرع. تصحيح التصحيح للصفدي ص(500)

الإجماع المطلق، أطلقنا القول بإجماع الأمة، وإن لم ندرجهم في حكم الإجماع، أو بَدَرَ من بعض طوائف العوام خلافاً، فلا يطلق القول بإجماع الأمة، فإن العوام معظم الأمة، بل نقول: أجمع علماء الأمة.⁽¹¹⁾

وذهب آخرون: إلى أن الخلاف معنوي، فإن إجماع العلماء لا يكون حجة على أهل العصر حتى لا يسوغ مخالفتهم، إلا بأن يتبعهم العامة من أهل عصرهم، والاحتجاج بالإجماع عند دخول العوام فيه يكون قطعياً، وبدونهم يكون ظنياً.⁽¹²⁾ ومن ينظر بتأمل إلى وجه اختيار الأمدي: اعتبار قول العامي من أهل الملة وفقاً وخلافاً، يلاحظ أنه إنما يقصد اعتبار وفاقهم في انعقاد الإجماع خاصة، بمعنى أن خلافهم لا يعتد به في الحقيقة.

فقد وجّه الإمام الأمدي رأيه قائلاً: "لأن قول الأمة إنما كان حجة لعصمتها عن الخطأ بما دلت عليه الدلائل السمعية من قبل، ولا يمنع أن تكون العصمة من صفات الهيئة الاجتماعية من الخاصة والعامة .."

وبعد أن ناقش أدلة الجمهور خلص إلى قوله: "الاحتجاج بالإجماع مع دخول العوام فيه يكون قطعياً ، وبدونهم يكون ظنياً".⁽¹³⁾ فيتضح بذلك أن الأمدي يجعل اعتبار العوام في وفاق الإجماع لا الاعتداد بخلافهم في غير ذلك.

دليل الإمام الأمدي علي، والجواب عنه.

وقد استدل الإمام الأمدي على ذلك فقال: "وذلك لأن قول الأمة إنما كان حجة لعصمتها عن الخطأ، بما دلت عليه الدلائل السمعية من قبل⁽¹⁴⁾، ولا يمتنع أن تكون العصمة من صفات الهيئة الاجتماعية من الخاصة والعامة، وإذا كان كذلك فلا يلزم أن تكون العصمة الثابتة لكل ثابتة للبعض؛ لأن الحكم الثابت للجملة لا يلزم أن يكون ثابتاً للأفراد.⁽¹⁵⁾

الجواب عن هذا الدليل:

أولاً: بأن الدلائل السمعية العامة ينبغي تخصيصها وحملها على الفقهاء الذين يعرفون طريق الأحكام؛ لأن قول العامي بلا مستند خطأ، والخطأ لا عبرة به، ولأن الصحابة (رضي الله عنهم) أجمعوا على عدم اعتبار العوام ، وإلزامهم اتباع العلماء.⁽¹⁶⁾

ثانياً: أن الأمة إنما كان قولها حجة إذا قالوه عن استدلال، وهي إنما معصومة عن الخطأ في استدلالها، والعامة ليست من أهل النظر والاستدلال حتى تعصم عن الخطأ، فصار وجودهم وعدمهم بمنزلة واحدة، يدل عليه أن العامة يلزمهم المصير إلى قول العلماء فصار العلماء كأنهم المتصرفون فيهم فيسقط اعتبار قولهم.⁽¹⁷⁾

ثالثاً: أن القول بالاعتداد بالعوام في الإجماع يجعل الإجماع مستحيلاً؛ إذ يستحيل جمع أقوال جميع المسلمين والوقوف على قول كل واحد منهم، كما يستحيل اتفاقهم جميعاً مع اختلاف عقولهم وأهوائهم ومشاربهم، وبالتالي فهذا القول يؤدي إلى بطلان الإجماع وهو باطل.⁽¹⁸⁾

وقد استدل الجمهور على أن العامي لا يعتد بقوله في الإجماع بما يلي :

(أولاً): أن قول العامي غير مستند إلى دليل، وإلا لم يكن عامياً، وما ليس مستنداً إلى دليل يكون جهلاً وخطأً ؛ لأن الشرع

⁽¹¹⁾ التلخيص لإمام الحرمين (40/3) البحر المحيط (463/4 ، 464) التحرير (15539/4) .

⁽¹²⁾ الإحكام للأمدي (193/1) البحر المحيط (464/4) .

⁽¹³⁾ الإحكام (194/1)

⁽¹⁴⁾ أي الأدلة الدالة على حجية الإجماع. راجع ص(126)

⁽¹⁵⁾ الإحكام للأمدي (193/1)

⁽¹⁶⁾ قواطع الأدلة (241/3) إحكام الفصول (466/1)

⁽¹⁷⁾ قواطع الأدلة (241/3)

⁽¹⁸⁾ شرح العضد (33/2)

حرّم القول بغير علم ، والجهل والخطأ , غير معتبر. (19)

(ثانياً): أن العامي إذا خالف أهل الاجتهاد، فقال: بالنفي، وقالوا: بالإثبات أو بالعكس، فإما أن يعتبر قولهما، فيجتمع النقيضان، أو يلغى قولهما فيرتفع النقيضان، وتخلو الواقعة عن حكم، أو يقدم قوله فيفضي إلى تقديم ما لا مستند له، والكل باطل، فيتعين الرابع: وهو تقديم قول المجتهد عليه وهو المطلوب. (20)

(ثالثاً): أن الصحابة (رضي الله عنهم) أجمعوا: على عدم اعتبار العوام والزمامم اتباع العلماء، قاله القاضي عبدالوهاب. (21)

المذهب الراجح في المسألة:

المذهب الراجح هو: ما ذهب إليه جمهور الأصوليين: من أن العامي لا يعتد بقوله في الإجماع، وذلك لقوة ما استدلوا به وسلامته من المعارض، علماً أن الأمدي في نهاية المسألة مال إلى تقسيم الإجماع قسمين: قطعي، وهو ما اتفق عليه المجتهدون والعوام، وظني وهو ما اتفق عليه العلماء المجتهدون فقط.

المبحث الثاني

هل يعتبر في انعقاد الإجماع قول المجتهد المبتدع (22) ؟

اتفق العلماء على أن الإجماع ينعقد بمخالفة المجتهد المبتدع إذا كانت بدعته مكفرة، فلا يعتد بخلافه، ولا يؤنس بواقعه؛ لأنه ليس من الأمة المعصومة عن الخطأ عند اتفاقها على أمر ديني، واختلفوا في انعقاد الإجماع مع مخالفة المجتهد المبتدع إذا كانت بدعته غير مكفرة، (23) على أقوال:

(الأول): لا يعتد بخلافه، وينعقد الإجماع مع مخالفته، وهو ما ذهب إليه الجمهور من العلماء. (24)

(الثاني): يعتبر قول المجتهد المبتدع، فلا ينعقد الإجماع بمخالفته، وهذا قول: الغزالي والهندي واختاره ابن الحاجب. (25)

وظاهر كلام ابن السمعاني: أنه مذهب الشافعي، كما قال الزركشي. (26)

(الثالث): تعتبر موافقته في حق نفسه دون غيره، بمعنى: أنه يجوز له مخالفة الإجماع الذي انعقد بدونه، ولا يجوز لغيره ذلك. (27)

وهذا القول ذكره الإمام الأمدي ولم يسم من قال به من العلماء. (28)

قال الإمام الزركشي: " حكاة: الأمدي، وتابعه المتأخرون. " (29)

(الرابع): إن ذكر المجتهد المبتدع مستنداً صالحاً اعتدّ بقوله، وإلا فلا، فإذا بين مأخذ، وكان صالحاً للأخذ به اعتبرناه ، قال ابن السمعاني: ولا بأس بهذا القول. (30)

(19) شرح تنقيح الفصول ص (276) نهاية الوصول (2648/6)

(20) شرح مختصر الروضة (33/3)

(21) نقله عنه القرافي في شرح تنقيح الفصول (267)

(22) البدعة في اللغة: هي الاختراع علي مثال سابق، ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة [مختار الصحاح ص (18) والمجتهد المبتدع : هو المخطئ في الأصول بتأويل. بيان المختصر (1/ 548)

(23) البحر المحيط (422/6)

(24) قال الأستاذ أبو منصور البغدادي قال أهل السنة: لا يعتبر في الإجماع وفاق القدرية والخوارج والرافضة، وهكذا رواه أشهب عن مالك، ورواه العباس بن الوليد عن الأوزاعي، ورواه أبو سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن، وحكاة أبو ثور عن أئمة الحديث. نقله عنه الزركشي في [البحر المحيط (515/3)

(25) المستصفي (145/1) رفع الحاجب (176/2) نهاية الوصول (2609/6)

(26) البحر المحيط (515/3)

(27) بيان المختصر (1/ 550) غاية الوصول شرح لب الأصول ص (112) حاشية العطار (211/2)

(28) الإحكام (228/1)

(29) البحر المحيط (468/4)

(30) قواطع الأدلة (247/3)

رأي الإمام الأمدي في المسألة:

اختار الإمام الأمدي أن لا ينعقد الإجماع دون المجتهد المبتدع، قال (رحمه الله): "المجتهد المطلق إذا كان مبتدعاً لا يخلو: إما أن لا يكفر ببدعته، أو يكفر، فإن كان الأول فقد اختلفوا في انعقاد الإجماع مع مخالفته نفيًا وإثباتًا، ومنهم من قال: الإجماع لا ينعقد عليه، بل على غيره، فيجوز له: مخالفة إجماع من عداه، ولا يجوز ذلك لغيره، والمختار: أنه لا ينعقد الإجماع دونه." (31)

وما اختاره الإمام الأمدي يتفق مع رأي جماعة من المحققين كإمام الحرمين والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، والغزالي، وغيرهم. (32)

قال إمام الحرمين: "والمبتدع إن كفرناه لم نعتبر خلافه ووفاقه، وإن لم نكفره فهو من المعتبرين إذا استجمع شرائط المجتهدين" (33)

قال الإمام الشيرازي: "ويعتبر في صحة الإجماع اتفاق كل من كان من أهل الاجتهاد سواء كان مدرساً مشهوراً أو خاملاً مستوراً وسواء كان عدلاً أميناً أو فاسقاً متهكاً، لأن المعول في ذلك على الاجتهاد والمهجور كالمشهور والفاسق كالعدل في ذلك." (34)

قال الإمام الغزالي: "المبتدع إذا خالف لم ينعقد الإجماع دونه إذا لم يكفر، بل هو كمجتهد فاسق وخلاف المجتهد الفاسق معتبر." (35)

ووافق ابن الحاجب الأمدي اختياراً واستدلالاً فقال: "مسألة المبتدع بما يتضمن كفرًا، كالكافر عند المكفر، وإلا فكغيره، وبغيره، ثالثًا: يعتبر في حق نفسه فقط." (36)

دليل الإمام الأمدي ومن وافقه:

علل الإمام الأمدي اعتبار قول المجتهد المبتدع في انعقاد الإجماع فقال في الإحكام: "لكونه من أهل الحل والعقد، وداخلًا في مفهوم لفظ الأمة المشهود لهم بالعصمة، وغايته أن يكون فاسقًا وفسقه غير مذلٍ بأهلية الاجتهاد، والظاهر من حاله فيما يخبر به عن اجتهاده: الصدق، كإخبار غيره من المجتهدين." (37)

واعتمد ابن الحاجب هذا الدليل في الاستدلال على مختاره فقال: "لنا أن الأدلة لا تنتهض دونه." (38) وتقرير الدليل: أن الأدلة الدالة على الإجماع شاملة لهذا المجتهد المبتدع بغير ما يتضمن كفرًا، فلا تنتهض دونه ; لكونه من المجتهدين، وفسقه لا يخل بأهلية الاجتهاد. (39)

واعترض على هذا الدليل: بأن المجتهد المبتدع إذا كان فاسقًا، فالفاسق غير مقبول القول إجماعاً فيما يخبر به، فكان كالكافر والصببي، ولأنه لا يجوز تقليده فيما يفتي به فلا يعتبر خلافه كالصببي. (40)

والجواب: إنما لا يقبل قول المجتهد المبتدع فيما يخبر به إذا لم يكن متأولاً وكان عالماً بفسقه، وأما إذا لم يكن كذلك

(31) الإحكام (287/1)

(32) وهو اختيار الشيخ أبي الخطاب و الصفي الهندي والأصبهاني. التمهيد (253/3) نهاية الوصول (2609/6) بيان المختصر (308/1)

(33) البرهان (266/1)

(34) اللع ص (91)

(35) المستصفي (145/1)

(36) بيان المختصر (549/2)

(37) الإحكام (287/1) منتهى السؤل ص (59)

(38) مختصر ابن الحاجب (549/2)

(39) بيان المختصر (550/2)

(40) الإحكام (229/1) رفع الحاجب (177/2)

فلا، وعلى هذا فلا نسلم امتناع قبول فتواه بالنسبة إلى من ظهر صدقه عنده.

وأما الصبي فإنما لم يعتبر قوله لعدم أهليته بخلاف ما نحن فيه، وإن كان الثاني يعني الكافر فلا خلاف في أنه غير داخل في الإجماع لعدم دخوله في مسمى الأمة المشهود لهم بالعصمة، وإن لم يعلم هو كفر نفسه.⁽⁴¹⁾ وبمثل هذا أجاب ابن الحاجب.⁽⁴²⁾

القول الراجح في المسألة:

الراجح من هذه الأقوال، هو القول باعتبار قول المجتهد المبتدع في انعقاد الإجماع، لأنه من جملة المؤمنين، وهو متصف بأهلية الاجتهاد، غايته أنه مبتدع نضله في ذلك الاعتقاد، لكن ذلك لا يخل بأهلية اجتهاده، ولا يبطل الثقة عن أخباره مطلقاً، إذا كان من مذهبه: أنه لا يجوز الكذب، لا سيما فيما يخبر عما أدى إليه اجتهاده.⁽⁴³⁾ والله أعلم

المبحث الثالث:

انقراض العصر⁽⁴⁴⁾ هل هو شرط في انعقاد الإجماع ؟

تحريم محل النزاع :

اتفق العلماء الذين يحتجون بالإجماع: على أن العصر إذا انقضى أي مات جميع المجمعين ولم يتغير رأيهم، أنه إجماع صحيح، فلا تجوز بعده المخالفة.⁽⁴⁵⁾

كما اتفقوا على: أنه لا يشترط انقراض عصر اللاحقين، إذ لو اشترط لم يستقر إجماع أبداً؛ لتلاحق العصور.⁽⁴⁶⁾ وإنما الكلام في كون الانقراض شرطاً في الإجماع، هذا هو محل الخلاف.

اختلف العلماء في اشتراط انقراض العصر على ثلاثة أقوال:

(الأول): أن انقراض العصر ليس شرطاً في صحة الإجماع، فمتى حصل الإجماع ولو للحظة انعقد وصار حجة، وهذا قول جمهور العلماء.⁽⁴⁷⁾

(الثاني): أن انقراض العصر شرط في صحة انعقاد الإجماع، وهذا ظاهر قول الإمام أحمد، وأكثر أصحابه، واختاره: بعض الشافعية.⁽⁴⁸⁾

(الثالث): أنه إن كان المجمعون قد اتفقوا بأقوالهم أو أفعالهم أو بهما معاً فانقراض العصر ليس شرطاً لصحة الإجماع، وإن كان الإجماع سكوتياً فالانقراض شرط فيه، وممن ذهب إلى هذا التفصيل الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني،⁽⁴⁹⁾ وأبو منصور البغدادي.⁽⁵⁰⁾

⁽⁴¹⁾ الإحكام(229/1)

⁽⁴²⁾ بيان المختصر(550/2) رفع الحاجب(177/2) الردود والنقود(536/1)

⁽⁴³⁾ نهاية الوصول(2609/6)

⁽⁴⁴⁾ انقراض العصر: هو موت من اعتبر فيه، وهم المجتهدون من غير رجوع واحد منهم عما أجمعوا عليه. شرح الكوكب المنير(246/2)

⁽⁴⁵⁾ شرح اللمع(732/2)

⁽⁴⁶⁾ البحر المحيط(512/4) إرشاد الفحول(398/1)

⁽⁴⁷⁾ وإلى ذهب الأئمة الثلاثة أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأكثر أصحابهم، كما اختاره بعض الحنابلة وبعض المعتزلة، وقد أومأ إلى هذا الرأي الإمام أحمد في رواية. كشف الأسرار(450/3) فوائح الرعموت(282/2) إحكام الفصول(373/1) شرح تنقيح الفصول ص(330) الإبهاج(393/2) البحر المحيط(510/4)

⁽⁴⁸⁾ كابين فورك وسليم الرازي والجبائي من المعتزلة. العدة لأبي يعلى(1095/4) روضة الناظر(482/2) شرح الكوكب المنير(246/3) الإبهاج(393/2) المعتمد(70/2)

⁽⁴⁹⁾ وإلى هذا القول ذهب الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني. نقله عنه ابن السمعاني في قواطع الأدلة(16/3)

⁽⁵⁰⁾ البحر المحيط(512/4)، إرشاد الفحول(264/1)

اختيار الإمام الأمدي في المسألة:

اختار الإمام الأمدي من هذه الأقوال القول الثالث: وهو أن انقراض العصر ليس شرطاً فيما إذا كان المجمعون اتفقوا بأقوالهم وأفعالهم، وأنه شرط في الإجماع السكوتي.

قال الإمام الأمدي (رحمه الله): "ومن الناس من فصل وقال: إن كان قد اتفقوا بأقوالهم أو أفعالهم أو بهما، لا يكون انقراض العصر شرطاً، وإن كان الإجماع: بذهاب واحد من أهل الحل والعقد إلى حكم، وسكت الباقي عن الإنكار مع اشتغاره فيما بينهم، فهو شرط، وهذا هو المختار.⁽⁵¹⁾

وقال في منتهى السؤل: "مذهب أكثر أصحاب الشافعي، وأبي حنيفة، والأشاعرة، والمعتزلة أن انقراض العصر ليس شرطاً في انعقاد الإجماع، خلافاً لأحمد بن حنبل، والأستاذ أبي بكر بن فورك، ومنهم من شرط ذلك في الإجماع السكوتي دون غيره، وهو المختار.⁽⁵²⁾

دليل الإمام الأمدي ومن وافقه:

استدل القائلون بالاشتراط في الإجماع السكوتي فقط، بأن أهل الاجتهاد إذا اتفقوا على حكم حادثة بالقول أو بالفعل أو بهما معاً، فإن الإجماع هنا ينعقد؛ لأن العصمة تحصل لهم بمجرد حصول الاتفاق، دون أن يتوقف ذلك على انقراض العصر، أما لو سكت المجتهد ولم يظهر موافقة للمجمعين فإنه قد يكون في حال التفكير، فإن أظهر المخالفة جاز له ذلك، وإن مات ولم يظهر خلافاً علم أنه موافق لهم، راضٍ قولهم وحينئذ ينعقد الإجماع.⁽⁵³⁾

اعتراض على هذا الدليل:

نوقش دليل القائلين باشتراط الانقراض في الإجماع السكوتي بأنه دليل ضعيف؛ لأن سكوت المجتهد لو كان دالاً على رضاه وموافقة لقول المجمعين لدل على ذلك قبل موته، ولا حاجة لاشتراط انقراض العصر، وإن لم يكن دالاً على الموافقة فإنها لا تحصل بموته؛ لأنه قد يموت وهو يضمن الخلاف.⁽⁵⁴⁾

أدلة الجمهور على عدم اشتراط انقراض العصر:**استدل الجمهور على ذلك بأدلة كثيرة منها:**

(الأول) ولعله من أقواها، ما ذكره ابن الحاجب: وهو أن دليل السمع دلّ على أن اتفاق الأئمة حجة مطلقاً، من غير تقييده بانقراض عصرهم وموتهم، فيجري على العموم؛ لأن الأصل عدم التقييد⁽⁵⁵⁾

(الثاني): أن التابعين كانوا يحتجون بإجماع الصحابة (رضي الله عنهم) رغم أن عصرهم لم ينقرض، بل قد كان بعضهم موجوداً، كأئس بن مالك (رضي الله عنه) ... ولو كان انقراض العصر شرطاً لما جاز ذلك.⁽⁵⁶⁾

واعترض على هذا الدليل: بأنه غير مسلم، فيلزمكم إثباته، ولو سلم ثبوته فلا حجة لكم فيه؛ لأن هناك من يقول بحجية قول الصحابي وحده، فعمل من احتج من التابعين إنما احتج بقول الواحد منهم لا بإجماعهم.⁽⁵⁷⁾

وقد ضعف ابن تيمية (رحمه الله) هذا الاعتراض، وذلك؛ لأن من يشترط انقراض العصر في المجمعين فاشتراطه له في الواحد أولى؛ لأن قول الواحد بعد رجوعه لا يكون حجة اتفاقاً، وإذا احتج بقول هذا الواحد في حياته مع كونه إذا

⁽⁵¹⁾ الإحكام (256/1)⁽⁵²⁾ منتهى السؤل (66)⁽⁵³⁾ الإحكام (257/1) منتهى السؤل (67)⁽⁵⁴⁾ المحصول (151/4)⁽⁵⁵⁾ بيان المختصر (325/1)⁽⁵⁶⁾ المستصفى (371/2) روضة الناظر (476/2)⁽⁵⁷⁾ العدة (1103/4)

رجع يبطل اتباعه، فالاحتجاج بقول الجماعة في حياتهم أولى.⁽⁵⁸⁾

المذهب الراجح في المسألة:

الذي يترجح من هذه الأقوال هو قول جمهور العلماء، وهو أن انقراض العصر لا يشترط في انعقاد الإجماع؛ لأن الأدلة الدالة على حجية الإجماع ليس فيها اشتراط انقراض العصر، ولأن الله تعالى عصم الأمة من أن تجمع على الخطأ، فإذا أجمع علماء الأمة فإنه لا يمكن إفساد هذا الإجماع لمجرد اجتهداد قد يكون خطأً. والله أعلم.

المبحث الرابع

حكم الاجتهاد فيما اختلف فيه أهل العصر ؟

إذا تكلم المجتهدون جميعهم في عصر من العصور في مسألة، واختلفوا فيها علي قولين، فهل يجوز لمجتهدين في عصر آخر إحداث قول ثالث ؟

اختلف علماء الأصول في ذلك علي ثلاثة أقوال:

(الأول): لا يجوز إحداث قول ثالث مطلقاً، سواء كان القول الثالث رافعاً لما اتفق عليه المجتهدون

الأولون، أو غير رافع له، وإلى ذلك ذهب جمهور الفقهاء.⁽⁵⁹⁾

(الثاني): يجوز مطلقاً وإلى ذلك ذهب الظاهرية وبعض الحنفية، ونسبه ابن السبكي إلى الظاهرية⁽⁶⁰⁾

(الثالث): التفصيل بين ما يرفع حكماً متفقاً عليه فلا يجوز، وبين ما لا يرفعه فيجوز، وهذا هو المختار للرازي، وابن الحاجب، والبيضاوي.⁽⁶¹⁾

ومثال الأول: المذبح الذي تركت التسمية عليه، قيل: يؤكل مطلقاً سواء كان الترك عمداً أو سهواً، وقيل: لا يؤكل مطلقاً، فالتفصيل بين العمد والسهو ليس رافعاً لشيء أجمع عليه القائلان الأولان، بل هو موافق كل قسم منه لقائل.

ومثال الثاني: الجد مع الأخوة في الميراث⁽⁶²⁾، قيل: الجد يرث المال كله، وقيل: يقاسم الإخوة، فالقول بأنه لا يرث أصلاً قول ثالث رافع لما أجمع الأولان فلا يجوز.

رأي الإمام الأمدي في المسألة:

اختار الإمام الأمدي (رحمه الله) التفصيل في هذه المسألة.

قال (رحمه الله): "والمختار في ذلك إنما هو التفصيل، وهو أنه إن كان القول الثالث مما يرفع ما اتفق عليه القولان فهو ممتع لما فيه من مخالفة الإجماع، وأما إن كان القول الثالث لا يرفع ما اتفق عليه القولان، بل وافق كل واحد من القولين من وجه، وخالفه من وجه، فهو جائز إذ ليس فيه خرق للإجماع.⁽⁶³⁾

⁽⁵⁸⁾ المسودة ص (322)

⁽⁵⁹⁾ وهو ما أشار الشافعي إليه، وعليه نص الإمام أحمد، ونقله الثقات عن الأكثرين وقال الأستاذ أبو منصور: "وهو قول الجمهور" وقال الباجي: "وهو قول كافة أصحابنا" الرسالة (596) أصول الجصاص (329/3) التمهيد لأبي الخطاب (310/3) أحكام الفصول (502/1) المسودة (2 / 633)

⁽⁶⁰⁾ الإبهاج (369/2) شرح الكوكب (266/2) الكافي شرح البزدوي للسغناقي (1604/4) إرشاد الفحول (170/1)

⁽⁶¹⁾ الإبهاج (369/2) المحصول (4 / 129) شرح تنقيح الفصول ص (328) شرح مختصر الروضة (88/3)

⁽⁶²⁾ اختلف العلماء في توريث الجد مع الإخوة على مذهبين: (الأول): ذهب أبو بكر الصديق، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير (رضي الله عنهم) إلى أن الجد يُسقط جميع الإخوة والأخوات من جميع الجهات كما يسقطهم الأب، وروي ذلك عن عثمان وعائشة وأبي بن كعب وأبي الدرداء ومعاذ بن جبل وأبي موسى وأبي هريرة (رضي الله عنهم) قال قتادة وأبو ثور، وأبو حنيفة، والمزني.

(الثاني): وذهب على بن أبي طالب وابن مسعود وزيد بن ثابت (رضي الله عنهم) إلى توريثهم معه وعدم حجبهم به، وبه قال مالك والأوزاعي والشافعي وأبو يوسف ومحمد ومسروق وعلقمة وشريح، والإمام أحمد. المغني لابن قدامة (64/7) المحلى لابن حزم (383/9) بداية المجتهد (377/2)

⁽⁶³⁾ الأحكام (269/1) منتهى السؤل ص (70/69)

دليل الإمام الأمدي على المسألة:

استدل الإمام سيف الدين الأمدي (رحمه الله) على اختياره مذهب التفصيل بأنه: إن كان القول الثالث مما يرفع ما اتفق عليه القولان فهو ممتنع، لما فيه من مخالفة الإجماع.

ثم ضرب الأمثلة لذلك فقال: كما في مسألة الجارية المشتركة، فإنه إذا اتفقت الأمة فيها على قولين وهما امتناع الرد، والرد مع العقر، فالقولان متفقان على امتناع الرد مجاناً، فالقول به يكون خرقاً للإجماع السابق.

وكذلك في مسألة الجد، فإنه إذا اتفقت الأمة على قولين وهما: استقلاله بالميراث، ومقاسمته للأخ فقد اتفق الفريقان على أن للجد قسطاً من المال، فالقول الحادث: أنه لا يرث شيئاً يكون خرقاً للإجماع.

وكذلك في مسألة النية في الطهارة إذا اتفقت الأمة فيها على قولين، وهما اعتبار النية في جميع الطهارات، وعلى اعتبارها في البعض دون البعض، فقد اتفق القولان على اعتبارها في البعض، فالقول المحدث النافي لاعتبارها مطلقاً يكون خرقاً للإجماع السابق.

واستدل للشق الثاني من التفصيل: بأنه إن كان القول الثالث لا يرفع ما اتفق عليه القولان، بل وافق كل واحد من القولين من وجه وخالفه من وجه، فهو جائز إذ ليس فيه خرق للإجماع. (64)

وقد اعتمد ابن الحاجب هذا الدليل في الاستدلال للمسألة، قال (رحمه الله): "لنا أن الأول مخالفة للإجماع فمُنِعَ، بخلاف الثاني". (65)

وقال الأصفهاني: "احتج على التفصيل الذي هو الصحيح بأن الأول - وهو القول الثالث الراجع لما اتفقا عليه - مخالفة للإجماع، فيكون ممنوعاً؛ لأن خرق الإجماع غير جائز بالاتفاق، بخلاف الثاني، وهو القول الثالث الذي لم يرفع ما اتفقا عليه، فإنه لا يكون مخالفة للإجماع، فلا يكون ممنوعاً عنه، فإن القول بالفسخ في بعض العيوب الخمسة دون البعض، لا يكون رافعاً لما اتفقا عليه، فلا يكون ممتنعاً، كما لو قيل مثلاً: لا يقتل مسلم بذمي، ولا يصح بيع الغائب، وقيل: يقتل مسلم بذمي، ويصح بيع الغائب، فإن القول الثالث: - وهو أن يقتل مسلم بذمي، ولا يصح بيع الغائب، أو عكسه، أي: لا يقتل مسلم بذمي ويصح بيع الغائب - لم يمنع بالاتفاق؛ لأنه لم يرفع ما اتفقا عليه، بل يكون موافقاً لكل من القولين في مسألة دون أخرى. (66)

الاعتراضات الواردة على هذا الاستدلال:**اعتراض الجمهور على هذا الاستدلال باعتراضات هي:**

(الأول): بأن من قال بالإثبات مطلقاً لم يقل بالتفصيل، وكذلك من قال بالنفي مطلقاً، فالقول بالتفصيل قول لم يقل به قائل. (67)

والجواب عن هذا الاعتراض: أن عدم القائل به مما لا يمنع من القول به، وإلا لما جاز أن يحكم في واقعة متجددة بحكم إذا لم يكن قد سبق فيها لأحد قول، وهو خلاف الإجماع. (68)

(الثاني): أن من القائلين بالنفي والإثبات مطلقاً، قائل بنفي التفصيل؛ فالقول بالتفصيل يكون خرقاً للإجماع. (69)

والجواب عن هذا الاعتراض: لا نسلم ذلك، فإن قول كل واحد منهما بنفي التفصيل إما أن يعرف من صريح مقاله أو من

(64) الإحكام (269/1)

(65) مختصر ابن الحاجب (590/1)

(66) بيان المختصر (592/1)

(67) الإحكام (270/1) بيان المختصر (332/1) شرح مختصر الروضة (88/3)

(68) الإحكام (270/1) بيان المختصر (332/1)

(69) الإحكام (270/1)

قوله بالنفي أو الإثبات مطلقاً، الأول ممنوع حتى أن كل واحد من الفريقين لو صرح بنفي التفصيل لما ساغ القول بالتفصيل، والثاني غير مستلزم للقول بنفي التفصيل وإلا لامتنع القول بالتفصيل فيما ذكر من مسألة المسلم بالذمي وبيع الغائب، وهو ممتنع⁽⁷⁰⁾

(الثالث): القول بالتفصيل فيه تخطئة كل واحد من الفريقين في بعض ما ذهب إليه، وتخطئة الفريقين تخطئة للأمة، وذلك محال.⁽⁷¹⁾

الجواب عن هذا الاعتراض: بأن تخطئة كل الأمة بحيث يكون تخطئة بعضهم في أمر وتخطئة البعض الآخر في غير ذلك الأمر غير ممتنع، بل الممتنع تخطئة كل الأمة فيما اتفقوا عليه، والقول بالفصل لم يستلزم تخطئتهم فيما اتفقوا عليه.⁽⁷²⁾

الرأي الراجح في المسألة

هو ما اختاره الأمدي والرازي والبيضاوي وابن الحاجب؛ وذلك لقوة دليلهم، وسلامته عن المعارض. الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد إتمام هذا البحث الذي هو بعنوان "مخالفات الأمدي الأصولية لجمهور العلماء مسائل الإجماع أنموذجاً" يمكن إجمال نتائج البحث في النقاط الآتية:

1. بينت هذه الدراسة شخصية الإمام الأمدي الأصولية إذ كان لديه قدرة فائقة على صياغة المسائل الأصولية، وتحرير محل النزاع فيها، وبيان أقوال العلماء.
2. أظهرت هذه الدراسة أن الإمام الأمدي رحمه الله صاحب شخصية مستقلة، لا يدين لأحد بالتبعية، ولا لمذهب بالتقليد، يظهر ذلك من خلال الحرية الكاملة والاستقلال التام في شخصيته من خلال آرائه، في المسائل السابقة.
3. الدقة والتحقيق، وهذه ميزة تمتاز بها شخصية الإمام الأمدي عند ذكره لأقوال العلماء ومذاهبهم، وعند تحرير محل النزاع. وبعد فهذه محاولة متواضعة للوقوف على مخالفات الإمام الأمدي لجمهور العلماء في مسائل الإجماع، والله تعالى أسأل أن ينفعنا بما علمنا أنه نعم المولى ونعم النصير.

د/إبراهيم محمد أحمد حسين

⁽⁷⁰⁾ الردود والنقود (576/1) رفع الحاجب (231/2)

⁽⁷¹⁾ شرح مختصر الروضة (88/3)

⁽⁷²⁾ الإحكام (270/1) بيان المختصر (331/1)

فهرس المراجع والمصادر

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن:

1. أحكام القرآن للإمام أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص المتوفى 370هـ طبعة دار إحياء التراث العربي.

ثالثاً : كتب الحديث الشريف وعلومه :

1- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: للإمام أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1419هـ. 1989م

2- سنن ابن ماجه للحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه ، طبعة المكتبة العلمية، بيروت.

3- سنن أبي داود. للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني. طبعة دار الريان للتراث.

4- سنن البيهقي الكبرى. للإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. طبعة دار الكتب العلمية.

5- سنن الدارقطني للإمام علي بن عمر الدارقطني المتوفى 385هـ طبعة دار المعرفة بيروت.

6- سنن النسائي للإمام أحمد بن شعيب النسائي . ط دار الفكر - بيروت

7- صحيح مسلم بشرح النووي ط دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى 1384 هـ -

رابعاً: كتب الفقه وأصوله:

1- الإبهاج شرح المنهاج للإمام علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى 685هـ وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفى 771هـ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية.

2- الإجماع حقيقته وحجيته لفضيلة الدكتور عبدالغني عبدالخالق طبعة دار المحدثين للبحث العلمي ط. 2008م

3- إحكام الفصول في أحكام الأصول للإمام أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى 474هـ ت/عبد المجيد تركي طبعة دار الغرب الإسلامي.

4 الإحكام في أصول الأحكام للإمام سيف الدين علي الأمدي المتوفى (631هـ) طبعة دار الكتب العلمية.

5- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن علي الشوكاني المتوفى 1255هـ ط. دار الكتاب العربي الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م

6- الإشارة في أصول الفقه لأبي سليمان بن خلف الباجي، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز ت/ عادل عبد الموجود وعلى محمد عوض.

7- أصول البزدوي. "كنز الوصول إلى معرفة الأصول لعلي بن محمد البزدوي الحنفي البزدوي، المتوفى 482 هـ ط - دار الكتاب العربي - بيروت

8- أصول الجصاص" الفصول في الأصول" لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص الرازي 370هـ ط. وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية 1414هـ - 1994م

9. أصول الفقه لأبي زهرة للشيخ محمد أبي زهرة طبع ونشر دار الفكر العربي - القاهرة سنة 1377هـ 1957م .

10. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني المتوفى 749هـ دار المدني السعودية الطبعة الأولى 1406هـ 1986م ت/ محمد مظهر بقا

11. التبصرة في أصول الفقه أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي المتوفى 476هـ دار الفكر الطبعة: الأولى 1403هـ ت/ د. محمد حسن هيتو.

12. التحصيل من المحصول للإمام سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي المتوفى 682هـ طبعة مؤسسة الرسالة - تحقيق د/ عبد الحميد أبو زنيد.

13. تصنيف المسامع بجمع الجوامع. للإمام محمد بن بهادر الزركشي المتوفى سنة 794 هـ تحقيق الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية.
 14. التلويح على التوضيح للإمام سعد الدين التفتازاني المتوفى (792هـ) طبعة المكتبة التوفيقية - تحقيق/ خيري سعيد.
 15. التمهيد في أصول الفقه للإمام محفوظ بن أحمد بن الحسين أبو الخطاب الكلوزاني المتوفى 510 هـ ت د/ مفيد أبو عمشة طبعة المكتبة المكية.
 16. التمهيد في تخريج الفروع على الأصو للإسنوي المتوفى 772 هـ ت د. محمد حسن هيتو ط. مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1400 هـ
 17. الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة 204 هـ طبعة مكتبة الحلبي الطبعة
 - 18- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب تاج الدين السبكي ط. عالم الكتب بيروت 1999 م -
 19. - شرح تنقيح الفصول لشهاب القرافي المتوفى 684 هـ سنة 684 هـ طبعة دار الفكر . بيروت.
 20. كشف الأسرار شرح المصنف على المنار للإمام أبي البركات النسفي طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.
 - 21- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام لعبد العزيز البخاري الحنفي المتوفى: 730 هـ ط. دار الكتاب الإسلام.
 22. المحصول للإمام محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي المتوفى 606 هـ تحقيق د/ طه جابر العلواني طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة 1418 هـ - 1997م
 23. المستصفي في علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى 505 هـ طبعة دار الفكر.
 - 24- المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية حققها: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الكتاب العربي بيروت.
 25. المعتمد في أصول الفقه للإمام محمد بن علي الطيب أبو الحسين البصري المعتزلي المتوفى: 436 هـ ت/ خليل الميس دار الكتب العلمية - بيروت.
 - 26- المعونة على مذهب عالم المدينة للقاضي عبد الوهاب البغدادي، تحقيق د/ عبد الحق حميش، طبعة مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة.
 27. منتهى السؤل سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الأمدي طبعة دار الكتب العلمية الأولى سنة 1424م
 - 28- المنحول للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة 505 هـ، طبعة دار الفكر - بيروت.
 29. ميزان الأصول في نتائج العقول للإمام علاء الدين السمرقندي المتوفى 539 هـ طبعة مكتبة التراث تحقيق د/ محمد ذكي عبد البر ط. ثانية 1418 هـ 1997م.
 30. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي المتوفى سنة 772 هـ ط محمد علي صبيح وأولاده.
 - 31- الوافي في أصول الفقه حسام الدين حسين بن علي بن حجاج بن علي السغناقي المتوفى سنة 714 هـ تحقيق د/ أحمد بن محمد حمود اليماني، طبعة دار القاهرة سنة 1423 هـ 2003م
- خامساً : كتب المعاجم:**
- 1- تاج العروس من جواهر القاموس للإمام محمد بن محمد بن الزبيدي المتوفى 1205 هـ . طبعة دار الهداية
 - 2- تهذيب اللغة للإمام الأزهري. ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح.
 - 3- الصحاح في اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ). طبعة دار العلم للملايين- بيروت.
 - 4- القاموس المحيط للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى (817هـ) طبعة دار الفكر 1415 هـ 1995م.
 - 5- لسان العرب. للإمام محمد بن مكرم بن منظور المصري. ط دار صادر. بيروت.

RESEARCH TITLE

EFL Teacher's strategies in teaching reading through distance learning in Secondary female schools

Rahmeh Mohammad Soud Elshebli¹

¹ Teacher of English at the Ministry of Education, Jordan

Email: Rahmaalsheble@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/7>

Published at 01/04/2024

Accepted at 19/03/2024

Abstract

This study investigates EFL teachers' practices in teaching reading through distance learning, during COVID-19 pandemic that the world suffered because of, and schools shifted to distance learning. It also investigates whether EFL teachers' practices are influenced by certain variables, such as years of experience, and school type. To achieve this aim, a questionnaire was designed as a primary instrument to collect data and it covered three dimensions of EFL teachers' practices (pre-, while-, and post-reading stages). It addressed a sample of 71 Jordanian EFL female teachers. They were from both public and private secondary schools. The questionnaire comprised 25 items, and these items were adapted from different studies. Data were collected and analyzed using descriptive statistics. The findings were discussed to reach conclusions via SPSS (Version 23). The results of the study showed to what extent EFL teachers used reading strategies while teaching the three stages of reading through distance learning. As for the classifying variables, the results showed statistically significant differences ($\alpha = 0.05$) associated with school type in favor of post-reading stage. Most EFL teachers used more strategies in the post-reading stage when teaching through distance learning, whereas the pre-reading strategies were the least used. On the other hand, the responses showed no statistically significant differences according to years of experience in the three reading stages. It is recommended to do more research on the same topic and focus on other variables, such as the gender.

Key Words: Distance learning; reading stages; strategies.

استراتيجيات معلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية في تدريس القراءة عبر التعلم عن بعد في المدارس الثانوية للبنات

رحمه محمد سعود الشبلي¹

¹ معلمة لغة انجليزية في وزارة التربية والتعليم في الاردن

بريد الكتروني: Rahmaalsheble@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/7>

تاريخ القبول: 2024/03/19م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

تتناول هذه الدراسة ممارسات معلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية عند تدريس القراءة من خلال التعلم عن بعد، خلال جائحة كوفيد-19 التي عانى منها العالم وتحول المدارس إلى التعلم عن بعد. كما تبحث أيضًا فيما إذا كانت ممارسات معلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية تتأثر بمتغيرات معينة، مثل سنوات الخبرة ونوع المدرسة. ولتحقيق هذا الهدف، تم تصميم استبيان كأداة أساسية لجمع البيانات، وقد غطى ثلاثة أبعاد لممارسات معلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية (مراحل ما قبل وأثناء وبعد القراءة). وقد تناولت عينة مكونة من 71 معلمة أردنية للغة الإنجليزية كلغة أجنبية. وكانوا من المدارس الثانوية العامة والخاصة. تتكون الاستبانة من 25 فقرة، وهذه البنود مقتبسة من دراسات مختلفة. تم جمع البيانات وتحليلها باستخدام الإحصاء الوصفي. وتمت مناقشة النتائج للوصول إلى الاستنتاجات عبر برنامج SPSS (الإصدار 23). وأظهرت نتائج الدراسة إلى أي مدى استخدم معلمو اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية استراتيجيات القراءة أثناء تدريس مراحل القراءة الثلاث من خلال التعلم عن بعد. أما بالنسبة لمتغيرات التصنيف فقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha=0.05$) مرتبطة بنوع المدرسة لصالح مرحلة ما بعد القراءة. استخدم معظم معلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية استراتيجيات أكثر في مرحلة ما بعد القراءة عند التدريس من خلال التعلم عن بعد، في حين كانت استراتيجيات ما قبل القراءة الأقل استخدامًا. وفي المقابل أظهرت الإجابات عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية باختلاف سنوات الخبرة في مراحل القراءة الثلاث. يوصى بإجراء المزيد من الأبحاث حول نفس الموضوع والتركيز على المتغيرات الأخرى، مثل الجنس.

الكلمات المفتاحية: مراحل القراءة؛ الاستراتيجيات.

Introduction

Nowadays, English language can be considered as a global language. It is the most important language and the only one to be widely used in all the continents (Melitz, 2016). Therefore, teaching and learning this language is undoubtedly very essential in our life. So, "education systems around the world give special attention to teaching of English" (Petal and Jain, 2008). Accordingly, teaching English as a foreign language requires working on its basic skills that are very important for making students able to communicate effectively by using this language. These skills are reading, listening, speaking, and writing. All these skills complement each other. Reading and listening are receptive skills. On the other hand, writing and speaking are productive skills. This research focuses on teaching reading which is very important. It can be considered as "an essential part at the starting points of learning language" (Al-dmour, 2019). So, EFL teachers need to work effectively with their students to make sure that they acquire this skill and can communicate with others by using it. To make this happen, EFL teachers should pay attention to the three stages of reading when teaching reading lessons as well as to the strategies and the activities that they apply during these stages in their language classroom.

Teaching can be either through face to face or distance learning and online classes. Due to COVID-19 situation, it affected several aspects in our life. Until 19 December 2023, there have been 772 838 745 confirmed cases of COVID 19, including 6 988 679 deaths, reported to WHO" (World Health Organization, 2023). This was the reason of school closure during 2020. Therefore, many schools moved from traditional teaching in classrooms to online teaching. That shifting required great efforts from EFL teachers to maintain the teaching process. Teaching English language might be challenging for some teachers, and this might be more difficult during the pandemic since it demands creating a learning environment using technology efficiently. Reading is very important skill for students' academic success, and it makes students able to improve the other skills. Despite its importance, it can be considered as a neglected skill (Slimani, 2016). So, I believe that EFL teachers should focus on teaching this skill effectively and give it great efforts while teaching it either in both face to face and online teaching. In this light, this study sets to investigate the commonly used strategies by EFL teachers in teaching reading through distance learning. Also, this study is to unveil the statistically significant differences ($\alpha = 0.05$) associated with school type and years of experience.

Statement of the problem

Since reading skill is very essential and its importance is increasing everyday around the world, this study is to investigate the commonly used strategies by EFL teachers in teaching reading, especially during the 3 stages, through distance learning.

Research Questions

The following research questions guide this study:

- 1-What are the commonly used strategies by EFL teachers among the three stages of reading through distance learning?
- 2- Are there any statistically significant differences in means among EFL teachers' strategies during teaching reading through distance learning that can be attributed to the school type?
- 3- Are there any statistically significant differences in EFL teachers' strategies when teaching reading through distance learning that can be attributed to years of experience?

Significance of the study:

1. Theoretical importance:

It is expected that this study will enrich the literature with descriptive research that addresses the strategies EFL teachers used in teaching the 3 stages of reading (pre-, while-, and post reading) through online learning, especially that there are few studies on this domain. Therefore, the findings can be used as a way of understanding teachers' practices during the pandemic and whether there are any neglected stages of reading.

2. Practical importance:

It is expected that the results of the present study will help to reveal the strategies that EFL teachers use to teach reading skills through distance learning. Thus, it can help EFL teachers reflect on their strategies while teaching reading and improve their practices in case some of them neglect some of the stages. Additionally, this study can motivate other researchers to conduct more research associated with other variables such as gender. It may inspire researchers to address EFL teachers' strategies in teaching other skills such as writing, listening, and speaking. Moreover, this study could help the Jordanian Ministry realize the importance of designing courses for training EFL teachers on how to teach the three reading stages through distance learning.

Need of the study

Despite all the studies that were conducted, there are few that focused on finding out EFL teachers' practices and the strategies that they use or neglect while teaching the 3 stages of reading skills through distance learning. Hence, this is what this descriptive study focused on to investigate.

Literature Review

Reading skills

One of English Language skills that is needed to be mastered by students is reading. It has an essential role in students' learning process. (Mohammed et al., 2019) Reading can be seen as "an interactive process in which readers construct a meaningful representation of a text using effective reading strategies." (Pourhosein Gilakjani & Sabouri, 2016, p.224). According to this definition of reading, EFL teachers should plan to use suitable reading strategies reading comprehension in order to help students understand the text. Moreover, EFL teachers should teach reading comprehension by using different strategies according to students' levels, interests and many theories about those strategies are presented by different researchers, such as Brown (2001). According to Madforia, these strategies can be delivered by using three stages for enhancing students understanding of the text (2017).

Three stages of reading

This study aims to investigate EFL teachers' strategies in teaching reading through distance learning. It examines the practices and the strategies that are used by EFL teachers during the 3 stages of reading: pre, while and post reading stage (Rehman et al., 2020; Madfori, 2017; Nordin et al., 2013; Marinaccio, 2012; Antoni, 2010; Taprak & Almacioglu, 2009).

1) Pre-reading stage

Pre-reading stage is very important for students' learning because it enhances their interests in the subject or topic of the reading text (Saricoban, 2002). Additionally, Marinaccio (2012) highlights that it is essential for all EFL teachers to realize the fact that using strategies in the pre-reading stage helps their pupils in understanding the information and engaging them in

reading as well as using them is important for students' comprehension. Despite its importance, many EFL teachers may not use pre reading strategies in their lesson as Alyousef (2006) concluded in his research that there are many EFL teachers who ignore this stage. There are many activities and strategies that EFL teachers can use during this stage. Firstly, before starting with the text, EFL teachers can ask students some questions to activate their prior knowledge. Hayes and Tierney (1982) clarified that this activity helps student to understand the text. Secondly, Saricoban (2002) stated that EFL teachers may ask their students to try to predict the topic based on reading the title of the text. Thirdly, students can be asked to predict the type of the reading material. Fourthly, they may be asked to identify key words which are related to the text in the pre-reading stage. Moreover, describing pictures which are related to the given reading material is also one of the activities that EFL teachers can ask their students to do. Also, they can use pictures to help students to guess the meaning of some words before starting with the text (khamraeva, 2016). In addition to that, teachers can ask students to preview the text before reading. Finally, asking students to read the first sentence of each paragraph before reading the text is one of the pre reading strategies (Nazurty et al., 2019).

2) While-reading stage

As Banditvilai (2020) pointed that the purpose of while-reading stage is to help students to comprehend the writer's goal, style, and skills, as well as to enhance the comprehension of the text structure, explain text topic, and identify the main idea. Rehman et al. (2020) stated that this stage can be seen as a crucial one in which EFL teachers have to make students concentrate to fulfill the outcomes of the reading passage. In Rehman et al.'s study (2020), there were various activities and strategies that teachers can use during the while-reading stage to help students understand the text, such as asking students to answer questions while reading the text, take notes, identify main ideas and analyze the text. Moreover, EFL teachers can ask students to identify new words and use dictionary to find their meaning (Antoni, 2010). Furthermore, there are other strategies that can be used in this stage, like asking students to read the whole passage quickly to understand the main idea, predict or guess the text meaning, re-read for better understanding, confirm or reject predictions, and interpret the text by making inferences and drawing conclusions, etc. (Nazurty et al., 2019).

3) Post-Reading stage

Widodo (2009) discussed that " post reading stage was designed to extend the understanding of the students learned at the pre-reading and while reading stages". Also, its main aim is to make a connection of what students read and of their life (Nisa, 2017). One of the activities that EFL teachers may use in this stage is asking students to give their opinions about the reading material (Nisa, 2017; Nordin et al., 2013). The second possible strategy is summarizing the main ideas of the text (Cakıcı, 2016; Nordin et al., 2013). Moreover, EFL teachers may ask students to answer different questions after reading the text and to evaluate and criticize the text (Rehman et al., 2020; Nazurty et al., 2019; Cakıcı, 2016). In addition to the previous strategies, EFL teachers can ask students to make inferences after finishing reading the passage (Nazurty et al., 2019), retell the meaning of the text (Rehman et al., 2020), discuss the text after reading (Cakıcı, 2016) and create another possible conclusion for it.

Teaching reading through distance learning

"Over 1.7 billion students around the world have had their education disrupted by the spread of coronavirus disease worldwide" (Dietrich et al., 2020). So all schools on that time shifted from traditional teaching in real classrooms to online teaching or what is called as "distance learning" because of the pandemic. Distance learning process might not be easy for some

teacher or some schools because that shifting and that change happened suddenly without having the ability to get ready for this from of teaching (Alily et al., 2020). Dolidze (2013) explained that some studies revealed that distance learning has some advantages on teaching the English language, whereas teaching this language without physical presence support may be impossible. So, this study is to investigate EFL teachers' strategies in teaching reading through distance learning.

Methodology

This study aims to find out the strategies Jordanian EFL teachers used in teaching reading. Specifically, after the spread of Coronavirus all over Jordan, Jordanian schools, both public and private, were closed and teachers started teaching online.

A) Participants

The present study sample consists of 71 female EFL teachers. They teach English language with different experiences. 46 of them teach in secondary public schools and 26 EFL teachers teach in secondary private schools in Jordan.

B) Instrument

A questionnaire was used to collect data for this study. The questionnaire comprised twenty-five items and these items were adapted from different studies, like (Antoni, 2010; Rehman et al., 2020). All the 25 items were in the form of statement by using 5-point Likert type scale. The participants were asked to rate the strategies in the questionnaire in terms to what extent they agree that they used the strategies or not in teaching reading through distance learning using the following scale: (1= Strongly disagree, 2= Disagree, 3= Neutral, 4= Agree, 5= Strongly agree). The statements were related to teacher's strategies in teaching reading through distance learning. Specifically, the survey questionnaire targeted three main parts: pre-reading strategies, while-reading strategies, and post-reading strategies. The other 2 questions were multiple choices. They included aspects such as school type and the experience of the teacher. The validity of the questionnaire was checked by asking experts to judge its content validity. The data have been collected and analyzed by using tables. After that, the findings have been discussed to reach conclusions.

Findings

The aim of the present study is to find out the commonly used strategies by EFL teachers in teaching reading. After collecting the data, the gathered data was analyzed by using descriptive statistics in order to answer and address my research questions.

Question no.1: what are EFL teachers' strategies in teaching the three stages of reading through distance learning?

The first research question targeted EFL teachers' strategies in teaching the three stages of reading through distance learning. It is a way to discover the strategies EFL teachers use in pre, while and post reading stages during the online learning.

Table 1: Means and standard deviations of the 3 reading stages

Stages	Mean	Std. Dev.
Pre-reading stage	3.75	.907
While-reading stage	3.85	.744
Post-reading stage	4.11	.560

Table (1) shows mean values and standard deviations of the 3 reading stages. It can be seen that EFL teachers claimed and agreed that the used strategies and activities significantly higher

in the post-reading stage ($M=4.11$, $SD=.560$). In other words, the mean of the used strategies in while-reading stage comes on the second level ($M=3.85$, $SD=.744$). The lowest used strategies were in the pre-reading stage ($M=3.75$, $SD=.907$).

In order to answer the first question, means and standard deviations have been calculated for the strategies of each one of the three stages of reading. First, Table (2) shows means and standard deviations for EFL teachers' strategies in teaching the pre-reading stage.

To check the reliability of the statements in pre reading stage, they have been analyzed using SPSS software and the researcher have found that Cronbach Alpha was 0.862 which is considered a high level of consistent reliability. The average of the strategies in the pre reading stage ranges between 3.36 and 4.20 and the average of all items is considered to be high.

Table 2: *Descriptive statistics for EFL teachers' strategies in the pre reading stage*

EFL teachers' strategies in the pre reading stage		M	SD
1	I ask students to answer questions to activate their prior knowledge.	4.20	.965
2	I ask students to predict the topic based on reading the title.	3.78	1.270
3	I ask students to predict the type of the reading material. (Story, article....)	3.57	1.149
4	I ask students to identify key words related to the text.	3.89	1.349
5	I ask students to participate in describing pictures which related to the text.	3.78	1.355
6	I ask students to preview the text before reading.	3.36	1.214
7	I ask students to read the first sentence of the paragraphs.	3.58	1.297

The data presented in Table (2) shows means and standard deviations for EFL teachers' strategies when teaching the pre-reading stage. It is clear in Table (2) that when teaching the pre-reading stage through distance learning, the highest used strategies that EFL teachers agreed on asking students to answer questions to activate their prior knowledge ($M= 4.20$, $SD= .965$) and asking them to identify key words related to the text ($M= 3.89$, $SD= 1.349$). On the other hand, it appears that EFL teachers agreed that the lowest used strategy is previewing the text before reading ($M= 3.36$, $SD=1.214$).

To check the reliability of the statements in while reading stage, they have been analyzed using SPSS software and the researcher have found that Cronbach Alpha was 0.884 which is considered a high level of consistent reliability. The average of the strategies in the while reading stage ranges between 3.07 and 4.31 and the average of all items is considered to be high.

Table 3: *Descriptive Statistics for teachers' strategies while teaching reading*

EFL teachers' strategies while teaching reading		M	SD
1	I ask students to read the whole passage quickly to understand the main idea.	3.90	1.115
2	I ask students to identify main ideas.	4.18	.983
3	I ask students to predict or guess the text meaning.	3.56	1.124
4	I ask students to re-read for better understanding.	3.07	1.117
5	I ask students to confirm or reject predictions.	3.54	1.198
6	I ask students to identify new words and use dictionary to find meaning.	4.06	1.149
7	I ask students to analyze the text while reading.	4.04	1.027
8	I ask students to take notes while reading.	3.93	1.105
9	I ask students to answer questions while reading the text to check their understanding.	4.31	.944
10	I ask students to interpret the text (make inferences, draw conclusions, etc.)	3.96	.813

The data presented in Table (3) shows means and standard deviations for EFL teachers' strategies in teaching the while-reading stage. It is clear in Table (3) that when teaching the while-reading stage through distance learning, the highest used strategies that EFL teachers agreed on asking students to answer questions while reading the text to check students' understanding ($M= 4.31$, $SD= .944$) and asking them to identify main ideas. ($M= 4.18$, $SD= .983$). On the other hand, it appears that EFL teachers agreed that the lowest used strategy is asking students to re-read for better understanding. ($M= 3.07$, $SD=1.117$).

To check the reliability of the statements in post reading stage, they have been analyzed using SPSS software and the researcher have found that Cronbach Alpha was 0.768 which is considered sufficient for the purpose of the questionnaire. The average of the strategies in the post reading stage ranges between 3.50 and 4.74 and the average of all items is considered to be high.

Table 4: *Descriptive Statistics for teachers' strategies after teaching reading*

EFL Teachers' strategies after teaching reading		M	SD
1	I ask students to make inferences after finishing reading the passage.	3.96	1.013
2	I ask students to give their opinions about the reading material.	4.28	.826
3	I ask students to summarize the main ideas of the text.	4.32	.766
4	I ask students to retell the meaning of the text.	4.22	.791
5	I ask students to answer questions after reading the text.	4.74	.503
6	I ask students to create another possible conclusion for the text.	3.96	.999
7	I ask students to evaluate and criticize the text.	3.50	1.151
8	I ask students to discuss the text after reading.	3.94	1.047

The data presented in Table (4) shows means and standard deviations for strategies teachers used in teaching the while-reading stage. It is clear in Table (4) that when teaching the post-reading stage through remote learning, the highest used strategies that teachers agreed on asking students to answer questions after reading the text. ($M= 4.74$, $SD= .503$) and asking them to summarize the main ideas of the text. ($M= 4.32$, $SD= .766$). On the other hand, it appears that teachers agreed and pointed that the lowest used strategy is asking students evaluate and criticize the text. ($M= 3.50$, $SD=1.151$).

Question no.2: Are there any statistically significant differences ($\alpha =0.05$) in strategies EFL teachers used in teaching reading through distance learning that can be attributed to the type of school (public or private)?

The second question addressed the type of school where EFL teachers teach the 3 stages of reading through distance learning. It is a way to clarify the differences between EFL teachers' strategies either in public or in private school during the 3 stages.

Table 5: *Means and standard deviations of using the strategies in the 3 reading stages according to the school type*

		Mean	Std. Dev.
Pre-reading	public	3.42	.950
	private	4.34	.400
	Total	3.75	.907
While-reading	public	3.58	.760
	private	4.33	.395
	Total	3.85	.744
Post-reading	public	4.00	.595
	private	4.32	.427
	Total	4.11	.560

Table (5) shows means and SDs of using the strategies in the pre, while and post reading stages according to the school type. From the data, it is clear that using the strategies in the private schools is higher than the public schools when teaching all the stages through distance learning. The results indicated that using the strategies in the private schools ($M= 4.34$, $SD= .400$) is higher than the public schools ($M= 3.42$, $SD= .950$) in the pre-reading stage. Secondly, using the strategies in the private schools ($M= 4.33$, $SD= .395$) is higher than the public schools ($M= 3.58$, $SD= .760$) in the while-reading stage. Finally, using the strategies in the private schools ($M= 4.32$, $SD= .427$) is higher than the public schools ($M= 4.00$, $SD= .595$) in the post-reading stage.

Table 6: One Way ANOVA for using the strategies in the 3 reading stages according to the school type

		Sum of Square	df	Mean Square	F	Sig.
Pre-reading	Between Groups	13.926	1	13.926	21.986	.000*
	Within Groups	43.705	69	.633		
	Total	57.631	70			
While-reading	Between Groups	9.394	1	9.394	22.003	.000*
	Within Groups	29.885	70	.427		
	Total	39.279	71			
Post-reading	Between Groups	1.753	1	1.753	5.979	.017*
	Within Groups	20.521	70	.293		
	Total	22.273	71			

*Note: Significant at the .05 level.

To answer the second research question, further analyses were conducted to investigate the impact of the school type on using the strategies using One Way Analysis of Variance (ANOVA). In Table (6), the results show that ($p < 0.05$) and there is a statistically significant difference between public and private schools at ($\alpha=0.05$), ($F= 21.986$), ($p= .000$) in using pre reading strategies in favor of the private school ($M= 4.34$, $SD= .400$). Moreover, the results revealed that ($p < 0.05$) and there is a statistically significant difference at ($\alpha=0.05$), ($F= 22.003$), ($p= .000$) in using while reading strategies in favor of the private schools ($M= 4.33$, $SD= .395$). Finally, the table indicates that ($p < 0.05$) and there is a statistically significant difference at ($F= 5.979$), ($p= .017$) in using post reading strategies in favor of the private school ($M= 4.32$, $SD= .427$).

Question no.3: Are there any statistically significant differences ($\alpha =0.05$) in strategies EFL teachers used in teaching reading through distance learning that can be attributed to the experience of the teacher?

The third question addressed the impact of the experience of the teacher on EFL teachers' strategies in teaching the 3 stages of reading through distance learning. This could be a great attempt to find out the differences between EFL teachers' strategies during the 3 stages attributed to teacher's experience.

Table 7: Means and standard deviations of using the strategies in the 3 reading stages according to teacher's experience

		N	M	Std. Dev.
Pre-reading	Less than 5 years	27	3.91	.967
	More than 5 years	44	3.66	.866
	Total	71	3.75	.907
While-reading	Less than 5 years	28	3.87	.798
	More than 5 years	44	3.85	.716
	Total	72	3.85	.744
Post-reading	Less than 5 years	28	4.13	.584
	More than 5 years	44	4.11	.551
	Total	72	4.11	.560

Table (7) shows means and SDs of using the strategies in the pre, while and post reading stages according to the experience of the teacher. From the presented data, it is obvious that EFL teachers with less than 5 years' experience have a high use of strategies than EFL teachers with more than 5 years' experience while teaching all the stages through distance learning. Based on the results, using the strategies by EFL teachers with less than 5 years' experience ($M= 3.91$, $SD= .967$) is higher than EFL teachers with more than 5 years' experience ($M= 3.66$, $SD= .866$) in the pre-reading stage. Secondly, using the strategies by EFL teachers with less than 5 years' experience ($M= 3.87$, $SD= .798$) is higher than EFL teachers with more than 5 years' experience ($M= 3.85$, $SD= .716$) in the while-reading stage. Finally, using the strategies by EFL teachers with less than 5 years' experience ($M= 4.13$, $SD= .584$) is higher than EFL teachers with more than 5 years' experience ($M= 4.11$, $SD= .551$) in the post-reading stage.

Table 8: One Way ANOVA for using the strategies in the 3 reading stages according to teacher's experience

		Sum Squares	odf	Mean Square	F	Sig.
Pre-reading	Between Groups	1.081	1	1.081	1.319	.255*
	Within Groups	56.550	69	.820		
	Total	57.631	70			
While-reading	Between Groups	.009	1	.009	.015	.902*
	Within Groups	39.270	70	.561		
	Total	39.279	71			
Post-reading	Between Groups	.010	1	.010	.032	.859*
	Within Groups	22.263	70	.318		
	Total	22.273	71			

*Note: Significant at the .05 level.

To answer the third question, ANOVA was used to see the impact of the experience of the teacher on using the strategies in teaching reading through distance learning. Table (8) shows that ($p > 0.05$) which means that there is no statistically significant difference at ($\alpha=0.05$) on using the strategies in the pre, while and post reading stages attributed to EFL teachers' experience.

Discussion

After analyzing the results of the questionnaire, it is obvious from EFL teachers' practices and the strategies or activities they used that the majority of EFL teachers' strategies and activities were mainly in the post-reading stage when teaching through distance learning, whereas the pre-reading stage has the lowest mean. Although post-reading stage is very important, this doesn't mean to neglect the pre-reading stage. Alyousef (2006) stated that there are many EFL teachers who ignore pre-reading stage and some of them may claim that the reason of that is that they do not have enough time to focus on it despite the fact that pre-reading stage is considered as an essential stage which help EFL teachers to activate and encourage their students before starting with the reading material. Therefore, Compton (2009) concluded that while teaching English skills through online system, EFL teachers should do their best to acquire the required skills that would help them to teach effectively. So, even when teaching reading through online, EFL teachers should be aware of focusing on the three stages of reading without ignoring any stage, especially pre- reading stage according to its important role in the process of teaching reading skill.

To address the second question, means, SDs and ANOVA were used to analyze the impact of school type of EFL teachers who taught the three stages of reading through distance learning. According to the effect and the impact of school type, the results showed that there is a statistically significant difference between EFL teachers' strategies in teaching the 3 reading stages through online learning in public and private schools. From the data, it is clear that using the strategies in the private schools is higher than the public schools when teaching all reading stages through distance learning. So, it is obvious that EFL teachers who work in private school EFL teachers gave more attention to using strategies and designing activities for the 3 reading stages, whereas public school EFL teachers showed less interest in using some strategies. The reason of that might be because of the policy of the public and private school and the way of teaching in these 2 types of school. It is clear that teaching through online learning might depend on what EFL teachers in private schools use, like: live meetings or certain platforms which make it easier for EFL teachers to interact with their students, use different strategies for all stages. White (2009) highlighted the importance of having interaction between EFL teachers and students in distance education. Finally, to answer of the third question, ANOVA was used and it was clear that there is no statistically significant difference at ($\alpha=0.05$) on using the strategies in the pre, while and post reading stages attributed to EFL teachers' experience. That means that teaching reading strategies has no relationship with EFL teachers' experiences.

Conclusion

Reading skill is very important and teaching this skill sufficiently is essential for our students. EFL Teachers should do their best to design their activities taking into consideration implementing the strategies of the 3 stages of reading because of the importance of each stage in the process of teaching reading. There is a limitation in this study, which is that all the participants were female, so there was no chance to study EFL teachers' practices according to their gender.

This study concludes that EFL teachers in Jordan taught different activities and used different strategies that are related to the 3 stages of reading while teaching through distance education. However, some of these EFL teachers should "provide more reinforcement and guidance in the process of reading comprehension" (Kurniaman et al., 2018). When teaching this skill through distance learning, EFL teachers should try to create an online interaction with their students and choose the appropriate tasks. (Compton, 2009)

Recommendations

In the light of the main findings of the current study, the following recommendations are made:

First, based on the results of the present study, it was clear that the majority of the commonly used strategies by EFL teachers in teaching reading through distance learning were mainly in the post-reading stage, while on the contrary; pre-reading stage has got the lowest mean. This could indicate that most EFL teachers may not be aware of the importance of pre-reading stage and the results shows that teachers used fewer strategies in this stage than the other stages. This may invite EFL teachers to use more pre-reading strategies in their lessons.

Second, according to the importance of the current study, it is recommended to have more researches that are related to the same topic and that focus on other variables such as: gender of the EFL teachers and how they may affect EFL teachers' practices while teaching reading skill through distance learning. In addition to that, the results revealed that there is no statistically significant difference on using the strategies in the 3 stages attributed to EFL teachers' experience. Thus, more researches can be conducted related to EFL teachers' experiences.

Finally, given that the answers of the participants of the present study showed that the level of using reading strategies in the private schools is higher than the public schools when teaching all the 3 reading stages through distance learning. Consequently, this invites the Jordanian Ministry to design effective courses for training EFL teachers in public schools on the importance of using reading strategies during teaching the 3 reading stages in both face to face and online learning.

References

- Al-Dmour, M. A. Y. (2019). The Importance of Teaching Reading Skills of English Language Using Variety of Techniques in Jordanian Curriculum. *Journal of Educational and Psychological Sciences* 3(15), 204–221
- Antoni, N. (2010). EXPLORING EFL TEACHERS' STRATEGIES IN TEACHING READING COMPREHENSION. *Jurnal Penelitian Pendidikan*, 11(2).
- Al Lily, A. E., Ismail, A. F., Abunasser, F. M., & Alqahtani, R. H. A. (2020). Distance education as a response to pandemics: Coronavirus and Arab culture. *Technology in society*, 63, 101317.
- Alyousef, H. S. (2006). Teaching reading comprehension to ESL/EFL learners. *Journal of language and learning*, 5(1), 63-73.
- Banditvilai, C. (2020). The effectiveness of reading strategies on reading comprehension. *International Journal of Social Science and Humanity*, 10(2), 46-50.
- Brown, H.D. (2001) Teaching by Principles: An Interactive Approach to Language Pedagogy. Second Edition. New York: Pearson Education Company
- Cakıcı, D. (2016). EFL teachers' beliefs about the use of reading strategies. *Journal of Language and Linguistic Studies*, 12(2), 183-194.
- Compton, L. K. (2009). Preparing language teachers to teach language online: A look at skills, roles, and responsibilities. *Computer Assisted Language Learning*, 22(1), 73-99.
- Dietrich, N., Kentheswaran, K., Ahmadi, A., Teychené, J., Bessière, Y., Alfenore, S., ... & Hébrard, G. (2020). Attempts, successes, and failures of distance learning in the time of COVID- 19. *Journal of Chemical Education*, 97(9), 2448-2457.
- Mohammed 'F. S. 'Zahran 'S. A. 'Zaza 'M. S. M. ' Abdel-Haq 'E. M. (2019). The

Relationship between EFL Reading Comprehension Skills and Attitude towards Reading among Preparatory Stage Pupils. *Journal of Faculty of Education*. Benha University. Faculty of Education. 30(119),1-18

Hayes, D. A., & Tierney, R. J. (1982). Developing readers' knowledge through analogy. *Reading Research Quarterly*, 256-280.

Khamraeva, G. I. (2016). Benefits of implementation of pre-, while and post reading activities in language learning. *International scientific journal*, 4(1), 45-46.

Kurniaman, O., Zufriady, Z., Mulyani, E. A., & SB, N. S. (2018). Reading Comprehension Skill Using Graphic Organizer for Elementary School Students. *Journal of Teaching and Learning in elementary Education (JTLEE)*, 1(2), 75-80.

Marinaccio, J. (2012). The most effective pre-reading strategies for comprehension.

Melitz, J. (2016). English as a global language. In *The Palgrave handbook of economics and language*. pp.(583-615). Palgrave Macmillan, London.

Narea Velasco, M.M. (2017). *Influence of methodological stages: pre-while-post in reading skill* (Bachelor's thesis, University of Guayaquil. Faculty of Philosophy, Letters and Sciences of the Education.).

Nazurty, R., Priyanto, N., Anggia Pratiwi, S., & Mukminin, A. (2019). Learning Strategies in Reading: The Case of Indonesian Language Education Student Teachers. *Universal Journal of Educational Research*, 7(11), 2536-2543.

Nisa, B. (2017). Learning English Reading Skill Through E-Learning. *Wanastra: Jurnal Bahasa dan Sastra*, 9(2), 151-155.

Nordin, N. M., Rashid, S. M., Zubir, S. I. S. S., & Sadjirin, R. (2013). Differences in reading strategies: How ESL learners really read. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*, 90, 468-477.

Patel, M. F., & Jain, P. M. (2008). *English language teaching*. Sunrise Publishers and Distributors.

Pourhosein Gilakjani, Abbas & Sabouri, Narjes. (2016). How Can Students Improve Their Reading Comprehension Skill?. *Journal of Studies in Education*. 6(2),229-240

Rehman, A. U., Khan, K., Almas, A., Mohamad, M., & Ismail, N. H. (2020). Teachers' Teaching Reading Strategies at Public Elementary Schools in Haripur District. *Creative Education*, 11(4), 468-478.

Saricoban, A. (2002). Reading strategies of successful readers through the three phase approach. *The Reading Matrix*, 2(3).

Slimani, Said. (2016). Teaching English as a foreign language in Algeria . *Revue Sciences Humaines*. 44,33-44. Retrieved from <http://search.mandumah.com/Record/668790>

TOPRAK, E., & ALMACIOĞLU, G. (2009). Three reading phases and their applications in the teaching of English as a foreign language in reading classes with young learners. *Journal of Language and Linguistic Studies*, 5(1).

White, C. (2009). Towards a learner-based theory of distance language learning: The concept of the learner-context interface. Routledge.

Widodo, H. P. (2009). Key Issues in Teaching EFL/ESL Intensive Reading: A Videotaped Self- Observation Report. *Journal of Effective Teaching*, 9(3), 38-58.

World Health Organization (2023), WHO Coronavirus Disease (COVID-19) Dashboard, Available online at <https://covid19.who.int/> .

عنوان البحث

منطق العمل التضامني في التعاونيات الإنتاجية النسائية ومقاومة الهشاشة الاجتماعية بالمغرب

د/ ابراهيم الحياي¹

¹ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، المغرب
البريد الإلكتروني: socio.research80@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/8>

تاريخ القبول: 2024/03/18م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

يسعى هذا المقال إلى مقارنة إشكالية كيفية اشتغال قيم ومبادئ الاقتصاد التضامني في الواقع الفعلي لبعض التعاونيات المحلية النسائية بالمغرب. وبشكل أدق، فهو يروم الكشف عن أشكال العمل التضامني السائدة عند المتعاونات المديرات والمديرات فيها، ومدى انطواء هذه الأشكال على القيم المستهدفة من الاقتصاد الاجتماعي والتضامني بشكل عام. لقد تم البحث، أولاً، في السياق التاريخي والظروف السوسيواقتصادية التي كانت وراء ظهور ودينامية مجمل التعاونيات في شكلها التنظيمي الحديث، وعلى رأسها التعاونيات النسائية التي تنشط أكثر في قطاعات الفلاحة والصناعة التقليدية. ثم ثانياً، تم إجراء بحث سوسيولوجي كيفي استكشافي لعشرين وحدة من تعاونيات النساء بقرى نائية ومراكز شبه حضرية مختلفة. واهتدى في الأخير، إلى نتائج أولية تؤكد تعدد أشكال العمل التضامني (النزعة العائلية، الاستغلال بحثاً عن الربح الشخصي المادي أو المعنوي، تفويض أمور التدبير والإشراف والتواصل إلى الرجال الخ.) بحسب منطق ورهانات النساء الفاعلات والفاعلين أصحاب المشاريع، وتضع مبادئ الاقتصاد التضامني وقيم العمل المستقل وروح النوع الاجتماعي في المحك.

مهما كان التفسير، وسواء فسر الأمر بجدلية القيم التقليدية والتحديثية، والمحلي والكوني، وفاعليتها في مؤسسات وتنظيمات المجتمع كما أقر بذلك العديد من السوسيولوجيين (باسكون مثلاً)، أو فسر باستغلال فرص الاقتصاديين الرأسمالي والاجتماعي حسب المصالح والرهانات الشخصية للفاعلات، فإن تقوية القيم الموجهة لذات الاقتصاد تتوقف أكثر على توفير التكوين وأشكال الدعم المتعددة، والتأطير والمواكبة والمصاحبة لفائدة التعاونيات النسائية قصد الإنخراط أكثر في أفق الدولة الاجتماعية، عبر الرفع من مؤشرات العمل المستقل، والإنصاف النوعي، والحد من الهشاشة الاجتماعية. وتلك غاية النموذج التنموي الجديد بالبلاد.

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد الاجتماعي التضامني، التعاونيات النسائية، التضامن/العمل التضامني، منطق الفاعل ورهاناته، الهشاشة الاجتماعية.

RESEARCH TITLE

The logic of solidarity work in women's productive cooperatives and resistance against social precariousness in Morocco

Dr. Alhiani Brahim¹

¹ Faculty of Arts and Human Sciences, Cadi Ayyad University, Morocco

Email: socio.research80@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/8>

Published at 01/04/2024

Accepted at 18/03/2024

Abstract

This article attempts to highlight how the social and solidarity economy's values have effectively worked in feminine cooperatives in rural Morocco. In fact, it intends to point out how the logic of solidarity functions through social representations and practices of manager/cooperator-members studied within the work spaces as well as how it differs from one to another according to their divergent interests, even if such cooperatives have been regarded as a good space for alternative social values to limit repercussions of the steady dominance of the capitalist productive economy, and its negative impact on the potential society.

This essay first focuses upon the historical context and socio-economic conditions of feminine cooperatives' emergence and dynamism in the sectors of craftsmanship, textile, agricultural and forestry production. Secondly, exploratory qualitative research has been conducted through non-directive individual interviews in 20 units of such cooperatives in remote areas and different semi-urban centers.

It finally leads to some preliminary results that, according to the logic and strategic stakes of active women, emphasize the multiple forms of solidarity work (familism, exploitation in search of material or moral personal gain, delegating management, supervision, and communication responsibilities to men, etc.), and then question the solidarity economy initiatives' practice and values. Therefore, strengthening the values linked to this economy itself – that could reduce social precariousness and create independent work - depends more on providing training, tutoring, counselling and multiple forms of support in order that the reality of these cooperatives would become both more involved in the social state and in harmony with all advanced social policies made for the promotion of social cooperatives and self-employment projects. This, indeed, is a challenge and the goal of the country's new development model as well.

Key Words: Social and solidarity economy, Feminine cooperatives, Solidarity (work), Actor's logic and strategic stakes, Social precariousness.

• مقدمة الدراسة (أهميتها وأهدافها، الدراسات السابقة وإشكالية البحث):

يعتبر موضوع التعاونيات والعمل التضامني النسائي من المواضيع المهمة التي تتسم بالجدة والراهنية، لانخراطه ضمن ما يسمى بالاقتصاد الاجتماعي والتضامني البديل للاقتصاد الرأسمالي، إن أهمية هذا البحث تزداد حين ينخرط في أفق تخصصات فرعية جديدة وواعدة في العلوم الاجتماعية: سوسيولوجيا الريادة (المقاولاتية) النسائية، وسوسيولوجيا التعاونيات والتضامنيات الاجتماعية، والسياسات الاجتماعية، كما يدرس، في ظل مفاهيمها وطرقها، مسارات بعض التعاونيات، ومنطق الفاعلات المتعاونات فيها من خلال تمثالاتها وممارساتها في فضاءات العمل. وبالرغم من أهمية وراهنية هذا الموضوع، فإنه لم ينل حظه من التحليل السوسيولوجي الأمبريقي على المستوى العربي والمحلي. ذلك أن القراءة المتفحصة لمجموعة من المؤلفات وحتى الأطروحات الجامعية والمقالات، كشفت لنا أن معظم هذه الدراسات ركزت على جوانب اقتصادية أو قانونية أو ذات صلة بالتسويق والتدبير والإدارة. وبالرغم من تطرق هذه الدراسات لجوانب علمية مهمة تتعلق بآليات التدبير الإداري والاستراتيجي للتعاونيات، وتنظيمها على المستوى البيوي والوظيفي، وإسهاماتها في الاقتصاد المحلي، إلا أنها لم تهتم بالجوانب الاجتماعية التي نود التركيز عليها في هذه الدراسة حول التعاونيات والتضامن النسائي. ومن هنا يتضح بجلاء أن مجال التعاونيات في علاقاتها بالتضامن والرابط الاجتماعي والهشاشة مازالت بكرًا من جهة، وتعتريها، من جهة أخرى، صعوبات جمة إن على المستوى النظري المفاهيمي أو البحث الميداني.

بدلاً من الانطلاق من مبادئ الاقتصاد التضامني والتركيز عليها لفهم ما ينبغي أن يكون عليه واقع اجتماعي معين ويصير التحليل معيارياً، يسعى هذا البحث إلى البحث أولاً في أصول ودينامية هذا الاقتصاد (الشكل التعاوني بالخصوص)، ثم ثانياً إلى استكشاف وتشخيص التضامن كما هو في هذا الواقع. لذلك، يتوخى معالجة إشكالية التضامن في التعاونيات الإنتاجية النسائية باعتبارها تنظيمات حديثة منخرطة فيما يسمى بالاقتصاد الاجتماعي التضامني بالمغرب منذ نهاية الألفية المنصرمة... فالتعاونيات في روحها وأشكالها المختلفة تتميز عن بقية المقاولات العادية بقيامها مبدئياً على التضامن والتعاون المتبادل والتماسك بما هي قيم اجتماعية بديلة للحد من التقلبات والانعكاسات السلبية للهيمنة المضطردة للاقتصاد الإنتاجي الرأسمالي، وتأثيرها السلبي على شرائح المجتمع، لكنها في واقع الحال قد تشتغل بمنطق ازدواجي متأرجح بين هذا وذاك، وتصير، بالتالي، مهووسة أكثر بهواجس الربح المادي السريع والتنافس الدائم الشرس والاستغلال بدلاً من تحقيق التماسك الاجتماعي وإعادة بناء الرابطة الاجتماعية. ومن المؤكد في الأدبيات السوسيولوجية أن التضامن مفهوم مفتاح لفهم درجة اندماج الأفراد في فضاءاتهم المهنية ومجتمعاتهم، بحيث يظل التضامن العضوي عند دوركهايم توصيفاً دالاً على علاقات التكامل بين الأفراد في المجتمعات الحديثة المتميزة بتقسيم شديد للعمل، على اعتبار أن هذا التكامل يعتمد إلى حد كبير على اندماج الأفراد في عالم الشغل¹. لذلك، فإن هذا البحث يسعى إلى مساءلة الأشكال والآثار غير الطبيعية للعمل داخل التعاونيات والتي تقف عثرة أمام التضامن العضوي (والتشاركي) في حملته السوسيولوجية. وبعبارة أدق، فهو يتوخى مساءلة المنطق الذي يشتغل من خلاله التضامن النسائي في بعض التنظيمات التعاونية بالمجتمع المغربي (القروي على الخصوص). فواقع هذا التضامن لا يمكن فهمه على أنه -كما يتبجح بذلك السياسويون- مجرد استمرار لقيم متجذرة تاريخياً في تقاليد المغاربة كما تجلى ذلك في تضامن "جماعة"، وما ارتبط به من ممارسات "ازرفان" و"التويضة" و"الوزيعة" و"الخطارات" و"الشرد" و"الخماسة" وغيرها مما لها أهمية كبرى في التنشئة الاجتماعية على التضامن والانصاف الاجتماعي، هذا على الرغم من كون ثقافة التعاون والتضامن والعمل الجماعي التي يتأسس عليها الاقتصاد الاجتماعي والتضامني ليست حديثة بداهة هذا الاقتصاد في المجتمع المغربي، كما لا يمكن فهم

¹ Serge Paugam (Dir.), **Repenser la solidarité : l'apport des sciences sociales**, Paris, PUF, coll. « Le lien social », 2007, réédition « Quadrige » 2011 (avec une nouvelle préface à l'édition « Quadrige »).

هذا التضامن انطلاقاً من اختزاله ضمن نموذج تضامني واحد وبسيط نظراً لطبيعة المجتمع المركبة واعتباره خاصية عصره كما يقول بول باسكون، ولكن التضامن- كما تبين هذه الدراسة الاستكشافية الأولية- يحمل معاني كثيرة ضمن سيورة دينامية الفعل في الحقل التعاوني؛ فهو غير مستقل عن استراتيجيات ورهانات الفاعلين والفاعلات بالمعنى السوسيولوجي الكروزي للمفهوم. إن تحليل تمثيلات الفاعلات المتعاونات والمنخرطات في تنظيمات الاقتصاد التضامني يكشف عن وجود أنماط مختلفة من التضامنيات الفردية والجماعية باختلاف السياقات المجالية والتحديات والإكراهات الاجتماعية. إن رهانات مقاومة الخسارة والعطالة مثلاً أو مظاهر الهشاشة الاجتماعية بشكل عام تملي على النساء المتعاونات، مع امتلاكهن لهوامش من الفعل الحر حسب السياق، إلى تقمص استراتيجيات من استراتيجيات الفعل التضامني. فكيف ظهرت التعاونيات الإنتاجية النسائية بالمغرب؟ وما المبادئ والقيم التي تتأسس عليها؟ وما هي إذاً، أشكال التضامن تلك؟ وما المنطق الذي يحكم أفعال المتعاونات في فضاء العمل ببعض من هذه التعاونيات؟

تعتبر هذه الإشكالية أساسية وفي صلب هذا المقال، وينطوي منطوقها حول نظرية الفعل والفاعل الاستراتيجي كما هي معهودة في الأدبيات التنظيمية. كما تسير على نهج مختلف نسبياً عن بقية المسارات التي سلكتها الدراسات السابقة. إذ لا تخرج هذه المسارات عن أفق تحليلية أربعة:

- **الأفق التحليلي الأول تنموي أو بدائي**، تتخبط فيه كل الأبحاث والدراسات التي تروم البحث عن مدى قدرة التعاونيات على المساهمة في التنمية (توفير العمل، تحسين الدخل وظروف الاقتصاد المعيشي، تشجيع السياحة المحلية، والمبادرات النسائية الخ)، وتتمين المنتوجات الترابية، والتقليل من الآثار المناخية على سكان الجبال والسهول القروية بشكل خاص. بتعبير آخر، كيف يمكن لهذا الاقتصاد التضامني أن يكون بديلاً للاقتصاد الحديث عبر تظافر جهود الدولة لتشجيعه وتنميته وتحسين ظروفه بشتى المجالات. ومن هذه الأبحاث، نذكر على سبيل المثال لا سبيل الحصر، أعمال باسكون عن واقع بعض التعاونيات المدعمة من لدن الدولة الناشئة، وأدوارها في عملية تحويل الفلاحة من النموذج التقليدي إلى النموذج العصري²، وكذا الأعمال المنجزة في العدد الأول من المجلة المغربية للتعاونيات المنشورة من لدن مكتب تنمية التعاون سنة 2011، وكذا بعض التقارير الوطنية كتقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي حول الاقتصاد الاجتماعي والتضامني³، فهو وإن كان يسعى إلى صياغة التوصيات الضرورية لتطوير الإطار القانوني لهذا الاقتصاد، وتشجيعه للإسهام أكثر في النمو المندمج، فإنه يقوم أيضاً على تشخيص واقع هذا الاقتصاد، وحركيته، وديناميته بالمغرب، ومقارنته بالتجارب العالمية بغية اقتباس عناصر إصلاحية مهمة. هذا علاوة على أعمال نقدية متعددة تقوم على الوقوف على التحديات المؤسسية والإكراهات السوسيواقتصادية التي يتعين التصدي لها للإسهام في التنمية والنموذج الجديد للتنمية بالمغرب⁴. وثمة أعمال سوسيولوجية معدودة تناقش أفق هذا الاقتصاد في التشغيل ومحاربة الهشاشة

² Paul Pascon, « Les unités d'exploitation à caractère coopératif : Buidda Mars al Bghal (Haouz de Marrakech) » - H. T.E. O.N.I. - mars 1964. n° 7

« La coopération : Utopie utile au progrès agricole », Conférence donnée le 5 mars 1968 à la Caisse Nationale de Crédit Agricole et le 6 mars au Séminaire de Formation des Cadres des Centres de Travaux aux Chênes. 6 p. ronéotées, inédites.

« Les coopératives laitières du Tadla. Problématique ». Questionnaire en collaboration avec J. Bonnet et J. Chiche. 7 p. dactylographiées, inédites - 4 janvier 1977.

³ الاقتصاد الاجتماعي والتضامني: رافعة لنمو مُدمج، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، إعداد اللجنة الدائمة المكلفة بقضايا التكوين والتشغيل والسياسات القطاعية، إحالة ذاتية رقم 19 / 2015، مطبعة سيياما، الرباط، المغرب، 2015

⁴ انظر على سبيل المثال:

وتحقيق التماسك الاجتماعي؛ ومن ذلك مثلاً دراسة بوخريص لهذا الاقتصاد في شقه الجمعي⁵، وبيانه من خلال دراسة سوسيولوجية ميدانية للدينامية الجموعية بإقليم الراشدية، كيفية انتقالها من التطوع إلى العمل المأجور ضمن شروط اجتماعية معينة.

- **الثاني إداري تدبيري⁶**؛ يقتصر على دراسة كيفية تدبير هذه التعاونيات، ومواجهتها لإكراهات التسويق والصعوبات القانونية، وإدارة الجودة، والانخراط في الأسواق الخارجية وغير ذلك. وبالرغم مما لهذا الأفق من أهمية، فإنه يبقى ضيقاً ومحدوداً لا ينفذ أكثر إلى العمق الاجتماعي لهذه المنظمات.
- **الأفق الثالث تقني إنتاجي** تظل فيه الدراسات حبيسة البحث عن الطرق المثلى لزيادة إنتاج المنتجات الغابوية (زيت أركان، والعسل، ومسحوقات طبيعية وطبية الخ.)، وتجويدها عبر تطوير الطرق التقليدية، واستدماج الآلات الحديثة في الإنتاج والمعييرة الخ. وغالباً ما تندرج هذه الدراسات في حقل دراسة الصناعة الغذائية، والفلاحة البيولوجية، والأمن الغذائي، والتحليل البيوكيميائي للمنتجات الطبيعية⁷.
- **الأفق التحليلي الرابع**، وهو ذو أهمية كبيرة لارتباطه بموضوع بحثنا هذا، ويتعلق بدراسة التعاونيات في صلتها بالمرأة، والنوع الاجتماعي. ومنها على سبيل التذليل، الدراسة المجالية التي أنجزها كل من *ايبورك والراوي* حول تأثير الريادة والمقاولاتية التعاونية على سيروية استقلالية النساء إن على مستوى المعرفة والإرادة أو على مستوى السلطة وتوزيع الموارد. حسب هذه الدراسة، وإن كان ثمة تأثير سلبي في المجالات القروية النائية، فإن هناك انعكاسات إيجابية ملموسة عند النساء في بقية المجالات. غير أن الأمر يقتضي تقوية أنظمة المراقبة والمصاحبة لفائدة التعاونيات النسائية⁸. كما تجدر الإشارة في هذا السياق إلى دراسة *جيلو Gillot* الاستقصائية عن تعاونيات النساء الفلاحية بالرباط، والتي تعتبرها، بالرغم من كل العقبات والقيود، واقعا بدأ يشهد تنفيذ عمليات التمكين السوسيواقتصادي لفائدة النساء في المغرب. هذا على الرغم من وجود قراءات نقدية تبين كيف وجدت النساء أنفسهن محصورات في "مشاريع صغيرة" أبقتهن في وضعهن الهش وحبيس العمل بشكل غير رسمي، كما أضافت

- Khalid Didi, Hicham Attouch, « *Dynamique Coopérative au Maroc et Nouveau Modèle de Développement* », In : **International Journal of Financial Accountability, Economics, Management, and Auditing**, 2022, 4 (2), ff10.5281/zenodo.6841208ff. Ffhal-03745669f

⁵ انظر: بوخريص فوزي، في *سوسيولوجيا العمل الجمعي بالمغرب: من التطوع إلى العمل المأجور*، إفريقيا الشرق، المغرب، 2015.

⁶ انظر على سبيل المثال لا الحصر:

- Mustapha Jaad, « *Management des coopératives féminines au Maroc : Pratiques et compétences* », in : **Moroccan Journal of Entrepreneurship, Innovation and Management (MJEIM)**. ISSN: 2509-0429 Volume 5, numéro2, 2020, pp : 32- 42
- Omari, Soumia, et Fatima Elkandoussi. « *Analyse de la stratégie marketing des produits de terroir : cas de l'huile d'argan cosmétique des coopératives de la région Souss-Massa-Drâa* ». Christophe, Bernard, et Roland Pérez. **Agro-ressources et écosystèmes : Enjeux sociétaux et pratiques managériales**. Villeneuve d'Ascq : Presses universitaires du Septentrion, 2012. (pp. 323-339)

⁷ انظر بعض أطروحات الدكتوراة في تخصص الكيمياء الحيوية والبيولوجيا الخلوية والجزيئية من قبيل:

- Badreddine Asma, « *Préparation et caractérisation d'extraits d'Argania Spinosa et d'Huile d'Argan et évaluation de leurs effets Neuroprotecteurs in Vivo et in Vitro* », Thèse de Doctorat En cotutelle, Université de Bourgogne Franche-Comté – Dijon, France + Faculté des Sciences et Techniques, Université Hassan I – Settat, Maroc, 2016. (<https://theses.hal.science/tel-01499664>)

⁸ Aomar Ibourk, Soukaina Raoui, « *Impact des Coopératives Féminines Sur L'autonomisation Des Femmes au Maroc- Analyse Spatiale* », **Proceedings of the 33^o Congreso Internacional del CIRIEC**, Spain, 2022

إليه قيوذا وضغوطا اجتماعية يومية⁹. تتضافر إلى ذلك، دراسة سوسيولوجية كيفية مهمة- لإيمان- عن عشرين تعاونية نسائية؛ وهي تحاول الكشف عن أوجه التداخل بين الحس التعاوني والمصلحة الشخصية، وانعكاساته السلبية على السلطة وخدمة المصالح الجماعية وتطوير الثقافة التعاونية. لتهتدي إلى التشديد على اضطراب التعاونيات- وتحث تأثير إكراهات المحيط والسوق- إلى "اختيار متعاونات مدبرات ورئيسات يتمتعن برأسمال ثقافي وعلائقي واقتصادي يسهل تطوير مهاراتهم. ومن ثم فإن استثمار هؤلاء المدبرات والجهود التي يبذلنها لإدارة وتدبير التعاونية تميل إلى إضفاء الشرعية على تعزيز سلطتهم داخل البنية وخدمة مصالحهم الشخصية بدلا من المصلحة الجماعية"¹⁰.

مهما كان الأمر، تبقى إشكالية هذه الدراسة متسمة بالجدة والوجاهة؛ وتتخطى، نوعا ما، ضمن الأفق التحليلي الأخير، ساعية إلى استكشاف الواقع المتعدد وغير المتجانس لأشكال التضامن والتعاون في صفوف المتعاونات المدبرات والعاملات في الاقتصاد التعاوني بالعالم القروي على نحو خاص.

1. منطلقات سوسيولوجية نظرية ومنهجية:

1.1. تحديدات مفهومية أولية:

في البداية، يتوقف الأمر على ضرورة الوقوف على مجموعة من المفاهيم الأساسية التي تشكل نواة البحث وتتسج عناصر إشكاليته، وهي على النحو الآتي:

أ. الاقتصاد الاجتماعي والتضامني *Economie Sociale et Solidaire*:

يختلف تعريف الاقتصاد الاجتماعي (أو الشعبي، أو الاقتصاد ذي التوجه الاجتماعي كما ينعت في بعض البلدان) من باحثين لآخرين باختلاف خلفياتهم النظرية، وباختلاف السياقات التاريخية أيضا. فثمة من يعرفه انطلاقا من مقارنة وصفية تنطلق من دراسة الوضع القانوني لتنظيماته (Henri Desroche)، وثمة من يعرفه طبقا لمقاربة معيارية تنظر في كيفية الالتزام والانخراط في القيم والمعايير الخاصة بهذا الاقتصاد (Jacques Defourny)، أو تبعا لمقاربة شكلية ورسمية لا تعترف بها إلا حين تتوفر فيها قواعد قانونية معينة (Claude Vienney)، علاوة على وجود تعريف مستمدة من مقاربات سوسيواقتصادية (كما عند لافيل Jean-Louis Laville)، وقائمة على ضرورة تجاوز التصور التقييدي للاقتصاد الاجتماعي لأنه يشير جزئيا إلى الاقتصاد الاجتماعي الممأسس والموجه بقوة نحو منطق التكيف مع نمط السوق للإنتاج. لذلك يتعين تعريف الاقتصاد الاجتماعي، حسب لافيل -من خلال نهج وظيفي يختزله إلى ظاهرة متبقية للدولة والسوق¹¹. وهو في الواقع، مفهوم مركب يتشكل من "تنظيمات -في شكل تعاونيات، وتعاضديات، وجمعيات- تحد، في قوانينها وأنظمتها الداخلية، من توزيع الأرباح وسلطة المساهمين بالرساميل"¹². ومهما اختلفت التعاريف باختلاف زوايا النظر إلى مفهوم الاقتصاد الاجتماعي، فإن هذا الاقتصاد يقوم على مبادئ كثيرة تضي على أنواعه وأشكاله خصائص نوعية تميزها عن المقاولات الفردية (بطابعها الجماعي) والعمومية (بطابعها الخاص)، والشركات الرأسمالية (بكونها تجمعاً لأفراد وليس للرساميل، ومن دون سعيها في المقام الأول إلى تأجير، وتحقيق ربح وعائد عليها).

⁹ Gaëlle Gillot, "Les coopératives, une bonne mauvaise solution à la vulnérabilité des femmes au Maroc ?", *Espace populations sociétés* [Online], 3/ 2016, Online since 31 January 2017.

¹⁰ Igamane, Saâdeddine. « Les inégalités de pouvoir au sein des coopératives de femmes au Maroc », *RECMA*, vol. 358, no. 4, 2020, pp. 87-101.

¹¹ Alain-G. Gagnon et Jean-Pierre Girard (Dir.), *Le mouvement coopératif au cœur du XXI^e siècle*, Presses de l'Université du Québec, Canada 2001, p. 24

¹² Jean-Louis Laville (dir.), *L'économie solidaire*, Paris : CNRS Éditions, 2011, pp : 9- 10

وبالرغم من كون هذا الاقتصاد يستهدف خدمة الإنسان وبناء الرابط الاجتماعي بالدرجة الأولى، فإنه لا يستبعد البعد التجاري الكامن في المقاولات، والموجود بشكل خاص في غالبية التعاونيات¹³.

إذا كان الأمر كذلك، فإن مفهوم الاقتصاد التضامني ليس سوى امتداد لمفهوم الاقتصاد الاجتماعي بالرغم من قيامه أكثر على منطق التضامن الجماعي والاقتصاد المتعدد والاندماجي، بحيث إذا كان الحديث عن مفهوم التضامن *Solidarité*، والتضامن العضوي *Solidarité organique* في المجتمع الحديث كان بالأساس عند إميل دوركهايم *Durkheim*، على اعتبار أن تقسيم العمل يبني الرابط الاجتماعي، فإن النزعة التضامنية في هذا الاقتصاد تسعى إلى "نزع التسليع *Dé-marchandisation*" الجزئي عن العمل. وفي هذا الأمر، نجد لافيل، يقترح مفهوم الاقتصاد التضامني كبديل للاقتصاد الاجتماعي، ما دام يشمل مشاريع ومبادرات تضع التضامن في قلب الأنشطة الاقتصادية.

في السياق المغربي، يقترح المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي تعريفا لهذا الاقتصاد على نحو يحفظ فيه على مقومات وخصوصيات المجتمع المغربي، ويضمن له الانفتاح على محيطه الخارجي؛ بحيث "يعبر عن مجموع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية التي تنتظم في شكل بنى مهيكلة أو تجمعات لأشخاص ذاتيين أو معنويين، بهدف تحقيق المصلحة الجماعية والمجتمعية، وهي أنشطة مستقلة تخضع لتدبير مستقل وديمقراطي وتشاركي، يكون الانخراط فيه حرا. كما تنتمي إلى الاقتصاد الاجتماعي والتضامني جميع المؤسسات التي تركز أهدافها الأساسية بالدرجة الأولى، على ما هو اجتماعي، من خلال تقديمها لنماذج مستدامة ومدمجة من الناحية الاقتصادية، وإنتاجها سلعاً وخدمات تركز على العنصر البشري، وتندرج في التنمية المستدامة ومحاربة الإقصاء"¹⁴. وتعود مبادئ هذا الاقتصاد إلى القيم الفكرية والاجتماعية السائدة في أوروبا في القرن الثامن عشر؛ قيم الإرادة والتماسك والتعاون والتضامن المتبادل ورفض ثقافة التصديق والاستجداء بما هي قيم اجتماعية بديلة للحد من التقلبات والانعكاسات السلبية للهيمنة المضطربة للاقتصاد الإنتاجي الرأسمالي، وتأثيرها السلبي على شرائح المجتمع¹⁵. ويمكن الاستدلال في هذه الحقبة التاريخية بالمشاريع والمبادرات التعاونية والتعاضدية التي تعود إلى "رواد روشدال المنصفون *Rochdale Equitable Pioneers*" في إنجلترا سنة 1844، وفريدريش فيلهلم رايفايزن *Friedrich Wilhelm Raiffeisen* "في ألمانيا سنة 1847"¹⁶؛ وقد كانت سنة 1844 مع نجاح التعاونية الانجليزية نقطة تحول في تاريخ الحركة التعاونية عالمياً وتأسيس اتحادات وتحالفات دولية تعاونية في أواخر هذا القرن، وسبباً في انتشار هذا النوع من التنظيم بكافة أنحاء أوروبا والعالم، وفي تنوع أنشطته بتنوع حاجات المجتمعات الاستهلاكية والزراعية والإسكانية والصحية والأشغال النسائية والمدرسية والعمالية وغير ذلك. وبالرغم من ذلك، فإن "المبادرات الحقيقية لم تبدأ إلا مع ظهور آثار الأزمة التي عرفها نظام الدولة -الرعاية والاقتصاد المختلط خلال الربع الأخير من القرن العشرين، حيث أعربت بعض الدول الأوروبية عن اهتمامها بالتنظيمات النموذجية للاقتصاد الاجتماعي"¹⁷. ذلك أن الفكرة كانت متجسدة بداية بأوروبا في الثمانينيات، تحت قيادة البلد الإيطالي عبر خلقه نظاماً قانونياً مؤطراً للتعاونيات الاجتماعية الناجحة في تلبية الحاجيات التي تعجز عنها المصالح والمرافق العمومية. لتنتقل الدينامية إلى باقي الدول الأوروبية وفرنسا على الخصوص. وفي الولايات المتحدة، أسهمت العديد من الجهات الفاعلة في تطوير الفكرة: وخصوصاً الجامعات الرئيسية وعلى رأسها جامعة هارفارد (كلية إدارة الأعمال) التي أنشأت مبادرة المقولة

¹³ Christine Collette, Benoît Pigé, *Économie sociale et solidaire : Gouvernance et contrôle*, Ed. Dunod, Paris, 2008 pp : 7- 8.

¹⁴ الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، مرجع سبق ذكره، ص. 42

¹⁵ محمد كريم، الاقتصاد الاجتماعي بالمغرب: التنمية المعاقلة وجدلية الاقتصاد والمجتمع، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012، ص ص 42-43

¹⁶ الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، مرجع سبق ذكره، ص. 39

¹⁷ م. ن.، ص. 39

الاجتماعية (Social Enterprise Initiative) في عام 1993، وكذا المؤسسات الكبرى بما فيها "Ashoka" التي لا زالت من الرواد العالميين المتألقين في تجسيد برامج مخصصة لأصحاب المشاريع الاجتماعية¹⁸.

على الرغم من استعمال الاقتصاد الاجتماعي والتضامني بصيغة ودلالة واحدتين، فإن بعض الباحثين يميزون بين الاقتصاديين من زوايا مختلفة تميزها جوهريا من حيث الزمن والسياق التاريخيين، فإذا كان الاقتصاد الاجتماعي قد ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أساس فرضية التناقض الأساسي بين عناصر الإنتاج، وتحديدًا بين الرأسمال والشغل، فإن مفهوم الاقتصاد التضامني لم يتبلور إلا في عقد الثمانينات من القرن الماضي للتعبير عن فرضية وجود فوارق وتميزات اجتماعية عميقة بين الفئات، وبين الأجيال، وبين الجهات والأمم، وبين الإنسان والطبيعة. مما يعني أنها في سياق ديناميكي بديل لإعطاء نفس جديد في فلسفة التضامن على غير الشكل القديم المعتاد في الاقتصاد الاجتماعي. ومن زاوية الدلالات والغايات، فإن الاقتصاد الاجتماعي يختزل أبعادا فردية (المتعاون، العضو، المنخرط) في الانخراط داخل التعاونيات والجمعيات والتعاضديات، وتكريس مبادئ المساواة والتعاون والمساهمة بين الأفراد، ويتحرك في دائرة إنتاج وتوزيع واستهلاك البضائع والخدمات التسويقية، بينما يختزل الاقتصاد التضامني أبعادا جماعية (النوع، السن، الفئة، الجهة)، ويتسع ليشمل دائرة التنمية البشرية (تحسين الدخل والمعيشة والصحة، وتقليص التفاوتات المجالية، وخدمة المعوزين والأشخاص في وضعية الهشاشة الاجتماعية)، بل يخترق قيم وآليات اقتصاد السوق عبر اللجوء إلى المساعدات العمومية، وتكريس ممارسات التجارة المنصفة، والسياحة التضامنية، وخدمات القرب وغير ذلك¹⁹.

كيفما كان الحال، فإن المفهومين يردان بالترادف في السياق المغربي وفق الخصوصيات التاريخية والاقتصادية والثقافية، كما يتسم الاقتصاد الاجتماعي والتضامني بالمغرب- حسب الدراسات والتقارير الرسمية المتوفرة في هذا الشأن- بالتعدد والتنوع وعدم الانسجام أحيانا في الأنشطة ومجالات الاستثمار، وهيمنة الأنشطة الإنتاجية الفلاحية والحرف التقليدية علاوة على اختلاف المشاكل التسويقية والتنظيمية والتنافسية عن غيرها مما تواجهه بقية الأشكال القانونية من مقاولات الاقتصاد الرأسمالي. إذا كان الأمر كذلك، وإذا كانت التعاونيات شكلا مهما من الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، فما المقصود بها وبالتعاونيات النسائية على نحو خاص؟ وما المقصود كذلك بالتضامن النسائي في العمل؟

ب. التعاونيات والتضامن النسائي في العمل (العمل التضامني النسائي):

يعرف المشرع المغربي التعاونية بوصفها تنظيما يتألف من مجموعة "أشخاص ذاتيين أو اعتباريين أو هما معا اتفقوا أن ينضم بعضهم إلى بعض (خمسة أشخاص طبقا للتعديلات الأخيرة) لإنشاء مقولة تتيح لهم تلبية حاجياتهم الاقتصادية والاجتماعية، وتدار وفق القيم والمبادئ الأساسية للتعاون المتعارف عليها ولا سيما تلك المتمثلة في العضوية الاختيارية المفتوحة للجميع، والإدارة الديمقراطية للتعاونيات، والمساهمة الاقتصادية للأعضاء، والإدارة الذاتية والمستقلة، والتكوين والتدريب والإعلام، والتعاون بين التعاونيات، والالتزام نحو المجتمع"²⁰. ويميز المشرع بين ثلاثة أصناف: "تعاونيات يزودها أعضاؤها بمنتجات قصد بيعها للأغيار بعد تحويلها، أو بخدمات قصد تقديمها إليهم ؛ وتعاونيات إنتاج

¹⁸ Mouvement des entrepreneurs sociaux, **Le livre blanc des entrepreneurs sociaux : L'efficacité économique au service de l'intérêt général**, Editions Rue de l'échiquier, Paris, France 2012, P. 12

¹⁹ اعتمدنا في إقامة هذا التمييز على: محمد كريم، مصدر سبق ذكره، ص: 42-46 (وقد اعتمد هو الآخر على كتابات الباحثة الفرنسية المعروفة "الينا لاسيدا Elena Lasida" في مجالي الإبيستيمولوجيا الاقتصادية والاقتصاد التضامني بالمعهد الكاثوليكي بباريس. أنظر على نحو أخص إحدى مقالاتها الأساسية في هذا الموضوع:

<http://encyclopedie-dd.org/encyclopedie/terre/5-5-l-economie-solidaire/l-economie-solidaire-une-maniere.html>)

²⁰ انظر المادة الأولى من القانون رقم 12. 112 المتعلق بالتعاونيات كما تنفيذه بالظهير الشريف رقم 14. 189 صادر في 27 محرم 1436 (21 نوفمبر 2014)

المواد أو تقديم الخدمات لفائدة أعضائها؛ وتعاونيات تقدم عملا مأجورا لفائدة أعضائها²¹.

تعتبر التعاونيات النسائية (أو تعاونيات النساء) ضربا من التعاونية كما يحددها المشرع المغربي. وسميت بهذا الاسم لكونها تنظميات تنشئها حصرا فئة الفتيات والنساء، وتهيمن فيها عملا وتديبرا وإدارة، وتعكس شكلا من المقاولاتية أو الريادة النسائية (Entrepreneuriat Féminin)، ولكونها أيضا مدخلا أساسيا لبناء الرابط الاجتماعي والاندماج السوسيوميهمني للنوع الاجتماعي في المغرب. وقد كانت وراء ظهورها عدة عوامل اجتماعية تختزل في ضرورة الاستجابة لحاجات المجتمع المحلي ومحاربة البطالة والهشاشة لدى النساء، وتحسين وضعهن المعيشي من خلال مشاريع إنتاجية وخدمانية صغيرة مدرة للدخل مثل تربية المواشي وتربية النحل وإنتاج منتجات أركان والزعفران، وصناعة النسيج والزراعي وغيرها.

بالنظر إلى مفهوم العمل أو الشغل، والعمل التعاوني بشكل خاص، فإن هذا المفهوم في الدراسات السوسيولوجية المعاصرة، غالبا ما يتم استدعائه في صلته بالرابط الاجتماعي والهشاشة والبطالة، وفي علاقته بهويات وثقافات الأفراد والاعتراف الاجتماعي، وبالنوع الاجتماعي وعدم المساواة والرفاه والاستهلاك الخ. إن العمل قيمة مركزية في المجتمع، وتنميته اجتماعيا يمنح له دورا أساسيا في اندماج الأفراد وبناء الرابط الاجتماعي؛ فالعمل مصدر شرعي للثروات والموارد والأجور، ومعياري ضروري لنيل الاعتراف لدى الأفراد والمجتمع بشتى الدلالات التي يحيل عليها مفهوم الاعتراف (إن على مستوى نيل الرضى والقبول، والحقوق، أو على مستوى التحديد أو الهوية الاجتماعية التي لا يمكن بناؤها إلا عبر الأوضاع التي يحتلها الأفراد داخل فضاءات العمل التي ينخرطون فيها على الدوام)²². وبشكل خاص، يعد العمل في التنظيمات النسائية بمثابة عمل تعاوني Travail coopératif يقوم على تقسيم المهمات والأنشطة بين المتعاونات علاوة على العوائد والأرباح المجنية؛ كما تحصل أحيانا لدى فئات عمل معينة إمكانية العمل الفردي على نحو جماعي كلي أو تنسيقي متكامل Travail collaboratif. غير أن العمل التعاوني يشغل بمنطق التضامن على نحو يجعله ينخرط في أفق ما يسمى، سوسيولوجيا، ببناء الرابط الاجتماعي Lien Social²³؛ ورهانات الاقتصاد التضامني بشكل عام. إن اختلاف أشكال هذا التضامن من تعاونية لأخرى -كما سيتضح في الحالات المدروسة- يؤكد تعدد القيم الموجهة لها: قيم عائلية، وقيم السوق، وقيم السياسة الخ. مما يعني أنها ليست بالضرورة استمرارا لقيم "اجماعة" بالعالم القروي كما يدعي بعض الساسة والخبراء المحليين في التنمية، وحتى وإن كانت التعاونية تقوم في ظاهرها وقوانينها التأسيسية على قيم التضامن والتقاسم وبناء الرابط الاجتماعي، فإن اشتغالها في واقع الحال محكوم بمنطق الاستغلال الرأسمالي للمأجورين المؤقتين حسب عملهم، وإمكانية التحرر من الضرائب، والتحرك في الأسواق تحت مظلة تشجيع المنتج المحلي والتضامن الاجتماعي، بل حتى إمكانية الإستفادة من مساعدات المنظمات الخارجية في هذا الشأن. وهو ما يعني ضمنا أن الاختيارات ليست محكومة بالضرورة بالقرارات والمرامي التشريعية، وإنما برهانات فردانية ونفعية تتيح إمكانية الإنزاح عنها.

²¹ المصدر القانوني السالف الذكر.

²² Barbusse B. , Glaymann D. , **Introduction à la Sociologie**, Ed. Foucher, Paris, France 2000 p: 153

للتوسع في الموضوع، انظر كتابات سيرج بوغام حول الموضوع.

²³ للتعلم في المنظور السوسيولوجي للمقاولة (التعاونية بشكل خاص) بما هي مؤسسة لبناء الرابط والتضامن والتنشئة، يمكن الرجوع إلى الكتابات التالية:

- Sainsaulieu R. (Dir.), **L'Entreprise, une affaire de société**, Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques, Paris 1990
- Bernoux, Philippe, **La Sociologie des entreprises**, 03ème édition, Seuil, Paris, 2009

ت. الهشاشة الاجتماعية:

انتقل مفهوم الهشاشة من المجال الطبي الحيوي والبيئي إلى العلوم الاجتماعية وانتشر انتشارا واسعا مع سنوات الثمانينات من القرن الماضي وخصوصا بعد نهاية مرحلة النمو الاقتصادي والتقدم الاجتماعي التي كانت تدعى بالثلاثين الذهبية « Trente glorieuses » (1945-1975). وقد كان الاهتمام به سوسيولوجيا في فرنسا كمسألة اجتماعية جديدة-بالمعنى الذي يتحدث عنه كاستل R. Castel- في ظل مساءلة التحولات النوعية للمجتمع وتماسكه الكلي. وتدل الهشاشة الاجتماعية Précarité ou Vulnérabilité sociale على "عدم قدرة الأفراد والمنظمات والمجتمعات على تحمل الآثار السلبية للضغوط المتعددة التي يتعرضون لها. تعود هذه التأثيرات جزئيا إلى الخصائص الموروثة في التفاعلات الاجتماعية والمؤسسات وأنساق القيم الثقافية. يقول أوليفر سميث Oliver-Smith، "إن مفهوم الهشاشة الاجتماعية يعبر عن تعدد الأبعاد للكوارث والمصائب، من خلال تركيز الانتباه على مجموع العلاقات في وضعية اجتماعية معينة والتي تشكل، في اقترانها بعوامل وقوى بيئية، شرطا منتجا للكارثة أو الفاجعة"²⁴. من مظاهرها "علاقات السلطة التي تستبعد مجموعات معينة أو أفراد معينين من الاستفادة من الحد من مخاطر الكوارث أو جهود التعافي بعد الكوارث. وتظهر هذه العلاقات فيما بين الأفراد أو المجموعات السوسيو اقتصادية، ضمن بنيات المؤسسات، أو الحوارات المحددة ثقافيا حول الضغوطات".

غير أن هذا المفهوم يظل متعدد الدلالات والاستخدامات في علم الاجتماع، بحيث ينعدم فيه أي تعريف موحد أو حتى أي مجهود لتفكيكه وإعادة بنائه نظريا علما أنه مشحون برهانات وتصورات كثيرة. لذلك، تتناول الأطر التحليلية السائدة وفق مفاهيم مجاورة كثيرة كال فقر Pauvreté أو التقفير Paupérisation، والتمهيش Marginalité، والبؤس Misère، والإقصاء Exclusion، وعدم التأهيل Disqualification، وعدم الانتماء Désaffiliation، وغيرها. والأمر يرجع حسب بريسون Maryse Bresson، إلى تفضيل أغلب الباحثين السوسيولوجيين الانطلاق أحيانا من تحليل وضعية الأفراد أو الفئات الهشة أو الأكثر عرضة للهشاشة (كالأطفال والنساء والمسنين والشباب في وضعية فشل دراسي على الخصوص)، والاستعانة بكل المعارف المسعفة في فهم حالات معيشية ومشخصة بعينها كما في البطالة وظروف العمل غير اللائق، والمستوى المعيشي غير القار، والحرمان وصعوبة الحصول على السلع الاستهلاكية والقيود المفروضة على الغذاء والمأوى والعلاج، إضافة إلى دراسة أشكال عدم الاستقرار في تصنيف بعض المناطق والمجالات "كالضواحي الحساسة" و"غيتو" الفقراء والمهاجرين، التي ترمز إلى صعوبة "العيش معاً"²⁵. وبشكل مختصر، يمكن القول أن الخيط الناظم للدراسات السوسيولوجية السائدة حول موضوع الهشاشة يكمن في البحث في سيرورة هشاشة Processus de précarisation الأوضاع والأفراد والفئات الاجتماعية، مشددة أحيانا على حالات تهديد الأمن الاجتماعي، أو المخاطر المسببة للإقصاء والقهر، أو عدم الاستقرار في الشغل (الذي ليس بالضرورة نتاج مسارات مهنية عالية المخاطر في الفشل)، وأحيانا أخرى، يتم التركيز على اختيارات الأفراد، و"الهامش المتبقي للفاعلين للتفاوض بشأن وضعهم أو بناء هويتهم الاجتماعية"²⁶. مما يعني، بالمجمل، أننا أمام براديجمان أساسيان في تحليل سيرورة الهشاشة تندرج ضمنهما مقاربات نظرية كثيرة: براديجم كلياني بنيوي ينطلق من تحليل المؤسسات والبنيات والظواهر وما لها من تأثير على الأفراد وقدرة على بناء التضامانات والروابط الاجتماعية، في مقابل براديجم فرداني يقوم على تحليل أفعال الأفراد وفئات معينة (كالمهاجرين والمهمشين الخ) بالنظر إلى اختياراتهم ومساراتهم واستراتيجياتهم في الحياة اليومية.

²⁴ Koko Warner (Dir.), *Perspectives on Social Vulnerability*, UNU-EHS SOURCE. UNU- EHS, 2007 p. 14

²⁵ Maryse Bresson, *Sociologie de la précarité*, 2eme édition, Ed. Armand Colin, Paris 2010, p. 123

²⁶ Ibid., pp. 123- 124

2.1. منطلقات منهجية في البحث:

تسعى هذه الدراسة السوسيوولوجية المتواضعة لأن تكون استطلاعية استكشافية أولية لواقع التضامن في صفوف المتعاونات (والمعاونين) بالتعاونيات النسائية عبر إجراء 20 مقابلة معمقة مع حالات متباينة من التعاونيات المتخصصة في إنتاج وتسويق المنتجات المحلية بالمجتمع القروي وشبه الحضري في المغرب، علاوة على الاستعانة في التحليل ببعض من الإحصائيات الرسمية المتعلقة بهذا النوع من التعاونيات؛ وهي دراسة تقوم على نظرية الفعل، بحيث تلامس أفق التحليل الاستراتيجي للفاعلين المحليين، والفعل التضامني المنظم، كما تقوم على تأويل الأفعال والممارسات انطلاقاً من التمثلات والتصورات الفردية والجماعية المولدة لها كما هي مبنية ومروجة عند مختلف الفاعلين. لذلك تبقى محدودة بحدود أهدافها الاستطلاعية، وعدم إمكانية تعميم نتائجها على التنظيمات التعاونية الموجودة في المنطقة. لكن تبقى منطلقاً أولياً لمقاربة المنطوق الاجتماعي للسياسات الاجتماعية في التشغيل الذاتي والمشجعة على الخصوص للمبادرات التعاونية بالمنطقة؛ وذلك عبر مساءلة مبادئ وقيم التضامن في واقع هذه التنظيمات المنخرطة في فلسفة الاقتصاد الاجتماعي والتضامني من جهة، وإعادة التفكير الإجرائي، من جهة أخرى، في واقع العمل التعاوني، ومستقبل التمكين الاقتصادي للمرأة والتضامن القائم على "الجندر" موازاة مع تطوير تشريعات تتلاءم ومنطق السياسات الاجتماعية المناسبة لهذا الميدان.

2. التعاونيات الإنتاجية بالمغرب (القروي): نظرة سوسيو تاريخية:

إن ظهور الشكل العصري المنظم للتعاونيات في الفضاء المغربي لم يكن أبداً عبثاً، كما أنه ليس نتاج نضال عمالي معين، ولكنه قد أفرزته ظروف تاريخية مرتبطة بالعهد الكولونيالي، والسياسة الفرنسية الموجهة لتطوير المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعة التقليدية عند مستوطنينها في البداية. وإذا كانت هذه المنظمات تقوم، مبدئياً، على تلبية حاجات أعضائها بالنظر إلى احتياجات المجتمع الاقتصادية كانت أو اجتماعية أو ثقافية، فإن ظهورها غالباً ما يكون مقروناً بالأزمات الاقتصادية القائمة، أو عدم قدرة المقاولات الكلاسيكية أو مؤسسات الدولة على تلبية تلك الحاجات. غير أن تطورها في الواقع المغربي، يمكن توصيفه تبعاً للمراحل التاريخية التالية:

- في المرحلة الكولونيالية، يرجع تنظيمها إلى سنة 1922، بعد صدور ظهير شريف يجيز إنشاء تعاونيات استهلاكية بين المستوطنين بهدف تسهيل تأسيسها في البلاد. كما ظهر في عام 1935 ظهير ثان يتعلق بالقرض المتبادل والتعاون الفلاحي لإنشاء تعاونيات فلاحية لفائدتها. بعد حولين فيما بعد، منح تعديل تشريعي للمغاربة حق المشاركة في تأسيس تعاونيات الحبوب. ولأسباب سياسية واقتصادية تخدم أكثر مصالح المستعمر الفرنسي، صدر ظهير 1938 يسمح للمغاربة بإنشاء تعاونيات حصرياً في القطاعين الزراعي والحرفي²⁷. إن بعضاً من هذه التعاونيات أي 62 وحدة تقريباً والتي يغلب عليها الطابع الزراعي والحرفي، بقيت قائمة عشية الاستقلال²⁸.
- في مرحلة الاستقلال، اتسمت أكثر بتدخل الدولة الشامل إلى حد تبعية التعاونيات لسلطتها، وذلك عبر إصدار مراسيم تجيز إنشاء التعاونيات المعدنية والسكنية، والتعاونيات الزراعية داخل وخارج الاستصلاح الزراعي، وإنشاء مكتب تنمية التعاون عام 1962، وإعادة هيكلته كمؤسسة عمومية سنة 1975 لدعم التعاونيات سواء تعلق الأمر بتقديم المنح والمساعدات المادية، أو بتقديم التأطير القانوني والتكوين التقني. وقد ترتبت عن ذلك:

²⁷ Zouiten Mounir, Mekkaoui Alaoui Younes, *Du Coopérativisme au Maroc : Évolution, Contraintes et Opportunités*, Revue Française d'Economie et de Gestion « Volume 3 : Numéro 11 », 2022, p 172

²⁸ مكتب تنمية التعاون، "لمحة عن تاريخ التعاونيات بالمغرب"، منشورة في الموقع الرسمي للمكتب: <https://www.odco.gov.ma>.

➤ من الناحية الكمية، زيادة في حجم التعاونيات (من 62 تعاونية في عام 1957 إلى حوالي 2000 في عام 1983)²⁹.

➤ من الناحية الكيفية، اتكالية على الدولة وغياب روح المبادرة والقدرة على تطوير المشروع التعاوني بسبب سوء توظيف وتدبير المساعدات. وفي هذا المضمار، نجد السوسيولوجي المغربي باسكون دارسا لبعض التعاونيات والصعوبات التي تواجهها في هذه الفترة الانتقالية، معتبرا "الصيغة التعاونية في بداياتها وسيلة لا تضاهي لتحويل الفلاحة التقليدية إلى فلاحية حديثة، لكن دون امتلاك منظور ورؤية واضحة أو تطوير لقطاع تعاوني كبير تدعمه الدولة"³⁰ (مع استثناءه لبعض التعاونيات؛ كتعاونية عين تلمست³¹، التي تعد في نظره نموذجا يوتوبيا نادرا).

- مرحلة الثمانينيات من القرن المنصرم، حيث تبنت الدولة سياسة التدخل النسبي في التعاونيات والانسحاب التدريجي من بعض القطاعات التي تشتغل فيها. وقد أصدرت القانون 83-24 المحدد للنظام الأساسي العام الموحد للتعاونيات، وكذا مهام مكتب تنمية التعاون. وقد شدد على مسألة استقلالية التعاونيات، وضرورة تكوين العنصر البشري وهيكل الحركة التعاونية. غير أن تطبيقه قد كشف عن مدى ضعف ملاءمته للواقع والحاجة إلى الإصلاح. لذلك أقرت تعديلات جمة تمت الموافقة على آخرها في المجلس الحكومي لستمبر 2011³².
- منذ مستهل الألفية الثالثة، تم تشجيع إنشاء التعاونيات وتسهيل مساطره، باعتبارها مدخلا أساسيا لخلق العمل المدر للدخل، وتحقيق الاندماج السوسيومهني إضافة إلى تهمين النواتج المحلية. ونظرا لأهمية الرهان على هذا الشكل من الاقتصاد، وجسامة مسؤولية تطويره، نهجت الدولة سياسة تشاركية مع كل الأطراف الداخلية والخارجية، عبر تفعيل عدة برامج وطنية فيما بين القطاعات كالمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، والمغرب الأخضر وغيرها. لذلك لم يكتسي ذاك المدخل من بين المداخل العمومية والخيارات الاجتماعية أهمية أكبر؛ بحيث لم تخصص له إجراءات وموارد مالية مهمة إلا مع إطلاق وتفعيل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية في مايو/أيار 2005³³. وهو ما أسهم بالفعل في تزايد أعداد هذه التعاونيات في كل جهات البلاد بالرغم من مواجهتها لمشكلات الدعم والمواكبة والتأطير. ومن الناحية التشريعية وبالنظر إلى ضرورة إحداث تعديلات تتسجم وروح العصر، فقد أحدث قانون 112.12 المتعلق بالتعاونيات كما تم تغييره وتعديله.

في حقيقة الأمر، عرف المجتمع المغربي أشكالا متعددة غير شكلية من التعاون والتضامن الاجتماعي لعبت فيها المرأة دورا بارزا (كما في التوزيع مثلا) منذ قرون، كما عرف حركة تعاونية- في شكلها التنظيمي الحديث- منذ تحقيق الاستقلال وبداية تدخل الدولة في تسييرها قبل الانسحاب منها في بعض القطاعات سنة 1983، بل حتى قبل الاستقلال حيث أسست الحماية الفرنسية تعاونيات زراعية وحرفية منذ 1937. وبالرغم من هذا كله، فإن التعاونيات النسائية قد شكلت ظاهرة اجتماعية وبرزت بالأساس في القطاع الفلاحي منذ الثمانينيات وأوائل التسعينات. وهذا لا يعني أبدا غياب

²⁹ إحصائيات مكتب تنمية التعاون

³⁰ Paul Pascon, « Les unités d'exploitation à caractère coopératif : Buidda Mars al Bghal (Haouz de Marrakech) » - H. T.E. O.N.I. - mars 1964. n° 7 - p. 293

³¹ Paul Pascon, « La coopérative de production agricole d'Ain Talmast: Expérience ou utopie? » in : **Les hommes, la terre et l'eau. Bulletin**, n° 6, oct. 1963, de l'Office National des Irrigations.

³² مكتب تنمية التعاون، "لمحة عن تاريخ التعاونيات"، المصدر سبق ذكره.

³³ Saïd Ahrouch, « Les Coopératives au Maroc : Enjeux et évolutions » in : **RECMA – Revue Internationale De L'économie Sociale**, N° 322, 2011, p : 24

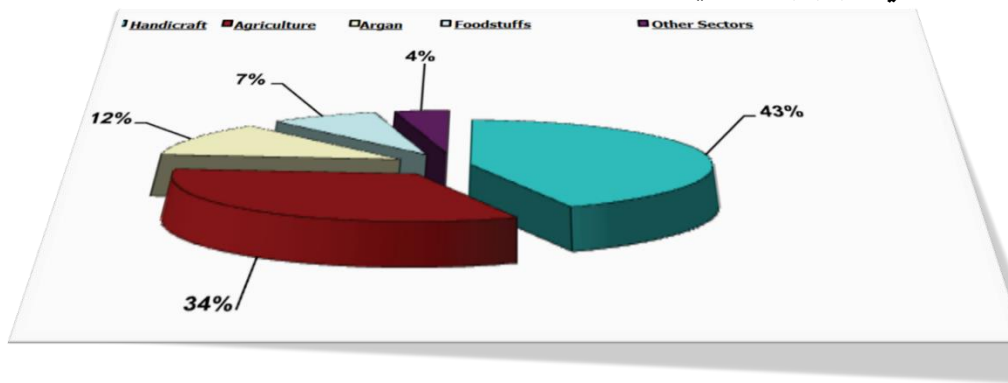
الأعمال والحرف في صفوف النساء قبل هذه السنوات أو حتى في الفترة الكولونيالية. فقد سبق لباحثين أن تحدثوا عن أعمال خاصة بالنساء، ومنها مثلاً كما سردها بروسبير ريكارد ³⁴ Prosper Ricard بمدينة فاس في سنوات العشرينيات؛ الفطالة (صانعة ومعدة الكسكس)، والخبازة، ومعلمة كعب الغزال أو البسطيلة، ومعلمة الزرابي، والنغافة، والطياية، والقابلة، والحناية، والهضارة، والغسالة الخ. وأكثر من ذلك، فقد كانت التعاونيات النسائية تشغل في مجال الصناعة التقليدية في مرحلة ما قبل الاستقلال. في هذا السياق، تتحدث الأدبيات العلمية ³⁵ عن تشكل أول تعاونية مغربية نسائية مختصة في نسج الحنايل والزرابي التقليدية في قصبة الأوداية بمدينة الرباط عام 1949. غير أنه في الراهن، بفضل استفادة تعاونيات النساء من برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية المعلن عنها بدءاً من 2005، تطورت كمياً ونوعياً كما يتضح في الخطاطة التالية:

التمثيل البياني رقم (1): تطور تعاونيات النساء بالمغرب:



تبعاً لإحصائيات مكتب تنمية التعاون (*Office du Développement de la Coopération*) عن النسيج التعاوني النسائي بالمغرب في نهاية 2015، يناهز عدد تعاونيات النساء 2280 مقولة، وعدد المتعاونين فيها ما مجموعه 37960 عضواً (بمتوسط 16 لكل تعاونية)، وبرأسمال متوسط تقدر قيمته بحوالي 7460 درهم لكل تعاونية، وبالأهمية الملحوظة لها في قطاعي الفلاحة والصناعة التقليدية كما تبين الخطاطة التالية:

التمثيل القطاعي رقم (2): توزيع تعاونيات النساء حسب القطاعات بالمغرب:



المصدر: إحصائيات مكتب تنمية التعاون، 2016

³⁴ Prosper Ricard, « Les métiers manuels à Fès », Hespéris Tamuda, IV, 2e semestre, 1924 : 205-220.

³⁵ انظر على سبيل المثال:

- REMACOOP (*Revue Marocaine des Coopératives*), N° 1, Revue éditée par l'Office du Développement de la Coopération (ODCO), 2011.
- Patricia Defever-Kapferer, Marie-Pascale Rauzier, *Maîtres artisans – Coopératives féminines du Maroc*, Ed. Langages Du Sud, Casablanca, 2018.

تجدر الإشارة إلى احتلال جهة سوس ماسة درعة المرتبة الأولى في إنشاء المقاولات-التعاونيات بمعدل 1485 وحدة من 13882 تعاونية في النسيج التعاوني المغربي، و54419 متعاون، ومنها 356 تعاونية نسوية بالجهة في نهاية 2014³⁶. إن هذه التعاونيات الإنتاجية- ويستثنى منها تعاونيات الاستهلاك والسكن- وإن كانت تتخبط في الاقتصاد التعاوني وتتأسس على مبادئ الديمقراطية وحس المسؤولية، وقيم التضامن والتشارك والمساواة، فإنها في الوقت ذاته مقاولات مهووسة في واقع الحال بهواجس الربح والجودة التي يفرضها منطق السوق المعولم. ومادامت تستثمر في الرأسمال البشري بالدرجة الأولى، والمنتجات المحلية لتحسين أوضاعهم المادية والاجتماعية عبر تهمين المنتج المحلي المستثمر فيه، فإنها تظل تعبيراً عن عمق ما يسمى بالمقاولاتية الاجتماعية، وتتسم بخصائص كثيرة من أهمها:

✓ تعدد وتنوع الفاعلين الاجتماعيين إن على مستوى النوع والفئة، أو على مستوى الأنشطة ومجالات الاستثمار (التعاونيات والتعاضديات والجمعيات)، ووجود طلب اجتماعي على كل أشكال الاقتصاد الاجتماعي والتضامني.

✓ سيادة الطابع التقليدي في مجالات الاشتغال (الطابع الحرفي والإنتاجي الفلاحي الغابوي) وخصوصاً في أغلب التعاونيات النسائية والشبابية، هذا علاوة على مواجهة المتعاونين لإشكالية شبكة الشراكة والتسويق المتسع النطاق، وتحديات هيمنة الطابع غير المهيكول وغير الرسمي الذي يطغى على جانب كبير من علاقات الشغل، والهشاشة المترتبة عنه (الأجور المتدنية، انعدام عقود العمل، وغياب الحماية الاجتماعية الخ)، وإشكالات التفاوت الكبير بين الوسط الحضري والوسط القروي.

✓ مواجهة أصحاب التعاونيات لإكراهات مزدوجة: داخلية (ضعف حكمتهم، وقلة رساميلهم الخاصة بسبب الإسهامات المحدودة جداً من حيث عدد الحصص الاجتماعية، وبسبب عدم إعادة استثمارهم للفوائد في التعاونيات)، وخارجية تشريعية ومؤسسية وسوسيو اقتصادية (صعوبة ولوجهم للقروض البنكية، والطلب العمومي، والاستجابة لمتطلبات السوق، وضعف تنسيقياتهم، ومواكبة تعاونياتهم، وانعدام انتقائية برامج الدعم، وانعدام التغطية الاجتماعية للفاعلين المتعاونين)³⁷.

جدير بالذكر أن ثقافة التعاون والتضامن والعمل الجماعي التي يتأسس عليها الاقتصاد الاجتماعي والتضامني (وعلى رأسه التعاونيات) ليست حديثة بحدثة الظاهرة في المجتمع المغربي، بل هي متجذرة في تقاليد المغاربة كما تجلى ذلك في تنظيمات تضامن "جماعة"، وظواهرها في ممارسات (ك"التوزيع" و"الوزيعة" و"الخطارات" و"الشرذ" و"الألواح" وغيرها)³⁸ مما له أهمية كبرى في التنشئة الاجتماعية على التضامن والجزر والانصاف الاجتماعي. غير أن دينامية هذا القطاع لم تكن ملحوظة بشكل مستقل وفي حلة جديدة ومنظمة ومهيكلية، إلا مع الألفية الثالثة³⁹. ولهذا فإن تبجح بعض الفاعلين السياسيين والجمعويين في خطاباتهم بهذه الممارسات، وتفسيرهم (اليوتوبي أو الايديولوجي إن صح النعت) لظاهرة المقاولاتية الاجتماعية التضامنية كنتيجة حتمية لاستمرار تلك الثقافة، لا يمكننا من فهم حقيقة التضامن في هذه التنظيمات بل حقيقة التعقيدات الاجتماعية للمجتمع المغربي المركب، ولا يسمح برصد السلوكات الانتهازية والاستغفالية للأفراد في إطار العلاقات التضامنية الماكرواجتماعية وذلك لاعتبارين سوسيوولوجيين اثنين: الأول أن تلك الآليات والقيم التضامنية ارتبطت بنسق العمران البدوي حسب التعبير الخلدوني، وفي سياق التضامن الآلي بلغة دوركهيم بحيث تحكم

³⁶ انظر الإحصائيات في الموقع الرسمي لمكتب تنمية التعاون على الرابط الآتي:

http://www.odco.gov.ma/index.php?option=com_content&view=article&id=156&Itemid=&lang=ar

³⁷ المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، مصدر سبق ذكره، ص: 52-79

³⁸ Maria-Angels Roque (Dir.), **La société civile au Maroc : L'émergence de nouveaux acteurs de développement**, Editions Publisud, Paris 2004, pp : 268-272

³⁹ المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، م. ن.، ص: 37-38

المجتمع البسيط قيم القرابة والدم بدافع التضامن للحفاظ على ثروة ومصالح العائلات والعشائر والقبائل. والاعتبار الثاني يكمن في صعوبة الحسم في النماذج التضامنية الخاصة بالمجتمع المغربي بسبب القصور في المعرفة المونوغرافية وفردة كل نموذج تضامني باعتباره خاصية عصره وتشكيلته الاجتماعية حسب بول باسكون، بل باعتبار النموذج تعبيراً عن التمايزات والتراتبيات الاجتماعية الموجودة على كل مستويات المجتمع، بحيث يبدو نموذج "التضامن المترتب عن القرابة العصبية" (البطريكية) مختلفاً عن "التضامن الصوفي والايديولوجي" (الزوايا)، "والتضامن القبلي"، "والتضامن الفيودالي"⁴⁰. الشيء الذي يدل على مدى تعدد واختلاف أشكال التضامنيات الاجتماعية في المجتمع المغربي على نحو خاص.

3. أشكال واستراتيجيات التضامن لمقاومة الهشاشة في التعاونيات النسائية القروية وشبه الحضرية (عرض وتحليل نتائج البحث الاستكشافي):

1.3. "التضامن الرأسمالي" لجلب الربح السريع:

لقد وضعنا سابقاً، أن التضامن وإن كان ينظر إليه عموماً على أنه أساس للإجتماع البشري أي أساس لدخول الأفراد في علاقات مع أعضاء المجتمع، فإن أي توافق حول مفهومه هو شبه منعدم في العلوم الاجتماعية. ويصعب التمييز الدقيق بين شتى أشكاله المختلفة؛ وإن كان الحديث عنه الآن يقتضي نوعاً من الفعل (مادياً) (دعم، قرض شرفي الخ) أكان أم معنوياً (تمكين، وتشجيع) تجاه الفئات الهشة والأكثر عرضة للخطر، كما يراهن في الخطابات الرسمية على أشكال مستدامة من التضامن كالتضامن الإيكولوجي والتضامن مع أجيال المستقبل. وبالرغم من هذا كله، فإنه من الممكن الأخذ، عموماً، بالتعريف السوسيولوجي الذي ينظر للتضامن على أنه "مجموع الإجراءات والآليات التي تضمن إعادة توزيع أو تبادل الخيرات والمصالح والخدمات بين الأفراد أو المجموعات الاجتماعية، سواء في إطار مؤسسة معينة أو المجتمع على نطاق أوسع. ويفترض وعياً بالانتماء المشترك الذي يخلق واجبات التبادلية Réciprocité"⁴¹. ما يعني أن التضامن ليس مجرد مضمون أو مشاعر وأحاسيس ولكنه سيرورة وآليات للتبادل وإعادة التوزيع، بل فعل وسلوك استراتيجي يوجه التضامن ويمنحه شكلاً معيناً. لذلك لا يكتسي التضامن معنى حين نبحث في أصله ومصدره (هل هو خاص أم عام؟ داخلي أم خارجي؟ ذاتي أم مؤسساتي؟)، ولكن أيضاً من خلال سيرورته لدى الفاعلين، والوظيفة التي يمكن أن يفي بها (حماية مصالح الأفراد أو إدماجهم في المجتمع الخ.) في التنظيم-التعاوني، ما دام المتعاونون أو المتعاونات ليسوا مجرد أدوات ووسائل في خدمة التعاونية وأهدافها وغاياتها الأساسية، بل هم أيضاً فاعلون استراتيجيون يسعون دوماً إلى تحقيق رهاناتهم ومصالحهم الخاصة.

تشتغل بعض التعاونيات النسائية والمختلطة أيضاً بمنطق ما نسميه بالتضامن الرأسمالي لأنها تتخبط أكثر، وهي مهووسة بالمنطق التنافسي وتحقيق الربح المادي، فيما نسميه بالاقتصاد الرأسمالي بالرغم من استثمارها في تامين وتطوير المنتجات المحلية Produits du terroir (وبالأخص منتجات الورد العطرية أو الزعفران أو أشجار أركان والصبارة). فكيف يشتغل هذا التضامن إذن؟ من الواضح في بعض تعاونيات منتجات الورد العطري بنواحي ورزازات- موضوع الاستجواب، كيف أن المتعاونات والمتعاونين المنشئين لها والمالكين للأسهم فيها يتكفلون ويتضامنون كأعضاء متعاونين بحيث تتكامل كل أدوارهم، ويندمجون في جماعات العمل، ويحتكرون توزيع حصة الأسد كل حسب أسهمه، كما يحتكرون السلطة التنظيمية في مواقعهم بالمكتب الإداري للتعاونية، ويعملون على تدويرها بشكل تناوبي على نحو يمكن من الاحتفاظ بها في يدهم كأعضاء رئيسيين ذوي فرص متكافئة، ومسؤولين جماعياً، بالتنظيم التعاوني. ذلك أن إكراهات

⁴⁰ محمد كريم، م. ن.، ص 90-93

⁴¹ Van Pevenage, Isabelle. « La recherche sur les solidarités familiales. Quelques repères », *Idées économiques et sociales*, vol. 162, no. 4, 2010, p.7

السوق وتنافس مقاولات كبرى متجذرة في منطقة دادس (وخصوصا شركة عطور المغرب) فرضت عليهم هذا الشكل من التضامن الهادف إلى ضمان الحد المرغوب فيه من الربح والتنافس بالرغم من جدتها وبروزها مؤخرا في العقد الأخير من هذه الألفية. تشغل هذه التعاونيات بهذا المنطق إلى درجة إدماجها في المكاتب للمتعاونات المستثمرات الأجنبية ضمانا لنقوية فرصة تحقيق التنافس عبر الاستيراد وتسويق منتوجات الورد العطري في أماكن القرب وعن بعد وفي المعارض والأسواق الخارجية وخصوصا دول الاتحاد الأوروبي. إن أهداف إحدى التعاونيات المختصة في إنتاج الورد⁴² مثلا تكمن بالأساس -حسب الرئيس التنفيذي المستجوب- في «تأمين السلسلة الإنتاجية للورد من أولها إلى يائها (منذ الإصلاح والتقليم مروراً بالإنتاج والتحويل والتقطير والتجفيف ونهاية بالعرض والتسويق)، وكذا الرفع من مستوى المردودية والمنافسة العالمية في الأسواق الأوروبية، علاوة على تحسين مستوى عيش الساكنة المحلية». وهذا البعد الاجتماعي يكمن -في نظره- في تحقيق «الاستقلالية المالية للنساء»، مع العلم أن هذه التعاونية تهتم في النساء المتعاونات ذوات مستوى تعليمي متوسط أو ضعيف في أغلب الحالات: «3 نسوة ضمن 5 أفراد في الهيئة المسيرة للتعاونية والمالكة لأسهم معينة فيها، في حين، تبقى المتعاونات المنخرطات (حوالي 30 امرأة) بمثابة عاملات موسميات أيام العمل المؤقت (الإنتاج والتحويل) الذي لا يتجاوز 40 يوما في السنة». وإذا كان هؤلاء النساء العاملات يتقاضين، بالتالي، «أجرا يوميا يتراوح ما بين 100 و150 درهم»، فإن الأخريات المؤسسات للتعاونية -وهن قلة- يشتغلن طول السنة، ويؤديون وظائف وأعمال متعددة -تحويلية وتسويقية وتواصلية وإدارية- يتقاضين أجورا دائمة حسب الأرباح المجنية من الإنتاج، وتبعا لأسهم كل فاعل وفاعلة متعونة. وتظل هذه الأرباح مهمة بالنظر إلى أهمية أنشطة الإنتاج والتحويل إن على المستوى الكمي أو الكيفي؛ إذ «لا يقل مستوى إنتاج ماء الورد عن 600 لتر، وكمية الورد المجفف عن 200 كيلوغرام، وكمية الزيوت عن 250 لتر خلال فترة الإنتاج».

تجدر الإشارة في الوقت نفسه إلى كون التعاونية كشكل تنظيمي رسمي، قد تنطوي في أماكن أخرى على إمكانية التحول إلى مقولة عائلية دون التصريح بذلك، وحالات متعددة يمكن الاستدلال بها في هذا المضمار. كما قد يلجأ الفاعلون في هذا النوع من التنظيمات الاقتصادية إلى السعي أحيانا للتخلص من الأعداد المتزايدة للمستخدمين الدائمين والمتضامنين بقوة القانون وذلك بغاية الحفاظ على قسط كبير من الأرباح المقتسمة، واحتكار السلطة فيها من طرف نفس الأفراد الفاعلين.

2.3. التضامن العائلي أو القرابي كاستراتيجية للاستمرارية والبقاء:

يدل التضامن العائلي Solidarité Familiale في معناه الواسع على نوع من التماسك الذي يفضل به أعضاء مجموعة اجتماعية (العائلة الممتدة أو القرابة أو الشبكة العائلية) بمصالح بعضهم البعض. وبالتالي، فإن التضامن هو حالة من العلاقات بين الأشخاص الذين يدركون مجتمع المصالح، ويترجمونه بشكل ملموس في مختلف سلوكات وقنوات التواصل (الجمعة أو العيش المشترك) أو التبادلات (الدعم)⁴³. إن النزعة العائلية Familiarisme هي إحدى الخصوصيات الثقافية التي تسم المجتمعات العربية على الخصوص. لذلك، فهي الأخرى تطبع مقاولات مغربية معينة بما فيها الشكل التعاوني؛ على اعتبار أن المقاولات التعاونية هي الأخرى ليست أبدا في انفصال عن المجتمع المحيط بها، بل أكثر من ذلك، يتعين اعتبارها متجذرة ومرتسخة في العلاقات الاجتماعية، أو ذات إرساء وترسيخ اجتماعي نسبي

⁴² (ت. و. ف.).

⁴³ Van Pevenage, Isabelle. « La recherche sur les solidarités familiales. Quelques repères », *Idées économiques et sociales*, vol. 162, no. 4, 2010, pp.7-8

بالحمولة السوسيولوجية لمارك غرانوفيتز ⁴⁴ *Granovetter*، سواء أكان هذا الترسيخ علائقيا (العلاقات الشخصية المؤثرة في الفعل الاقتصادي) أو بنيويا (شبكة العلاقات الكبرى)؛ إذ ليست مجرد نتاج خيار اقتصاد السوق بل هي شكل من المؤسسات الاجتماعية القائمة على الإطار المؤسساتي والعلائقي المتنوع. إن مدى شدة أو ضعف شبكة العلاقات العائلية والقروية وغيرها عند أصحاب التعاونيات على المستوى المحلي، هو من الشروط المحددة لاستراتيجياتهم وعلاقاتهم بالسوق، ولكيفية اشتغال تنظيماتهم، بل إن نجاح هذه المقاولات الاجتماعية أكثر من أي نوع آخر بالمنطقة المدروسة قد يرتفع احتمال تفسيره بقوة الروابط الاجتماعية المحلية كجزء لا يتجزأ من الثقافة الراسخة.

في السياق ذاته، تكشف مقابلات مع بعض الرئيسات المؤسسات للتعاونيات كيف أن أغلب التعاونيات النسائية تشغل بمنطق التشبيك العائلي والقروية أيضا إذ تتضمن بعض أفراد العائلات الممتدة، وتستعين أيضا إلى جانب الدعم العمومي، بأشكال المساندة والدعم العائلي (الأداتي والتقني والمالي)، هذا علاوة على تشغيلها للنساء المحترفات كما في التعاونيات الحرفية، والتشبيك مع نساء وتعاونيات أخرى تنشط في المجال نفسه. ومن ثمة، فهي الأخرى تتخبط في الامتداد القيمي للمقولة العائلية المغربية. يتجسد هذا التضامن العائلي في احتكار النساء ذات قرابة عائلية في المنطقة لما يمكن تسميته بالمثلث الذهبي (أي المواقع التنظيمية الحساسة والأكثر أهمية: رئيس مجلس إدارة التعاونية، ونائبه، وأمين المال أو الصندوق) في بنية التعاونيات النسائية بحيث تحتكر الأسهم والمواقع المهمة حتى وإن تجددت المكاتب أو اقتضى الأمر إنشاء تعاونيات أخرى مثيلة أو فرعية أو بديلة. وهو ما تعبر عنه التمثلات التي تسود لدى هذه الفئة من التعاونيات النسائية- تلك التي تشغل في إنتاج زيوت ومشتقات ومنتجات شجرة الأركان Spinoza بسوس، من قبيل "لمعاونة والثقة من الدار، ولد الدار هو الأول، نتعاونون ونتضامن مع الجميع مع القريب ومع العائلة، وبالخصوص لي بغا اخدم، الزمن صعب والتضامن الأسري مهم الخ."؛ وهي كلها بمثابة تمثلات مولدة لممارسات موجهة بقيم التضامنيات العائلية (كالثقة والرابط الدموي وغير ذلك) التي تسهم في استمرار التعاونية بمنطق عائلي، وتلافيا لأية إمكانية الوقوع في أي تهديد خارجي. إنها تروم، في واقع الحال، إلى تحقيق الأمن والحماية والاحتماء في أحضان العائلة. لكنه غالبا ما نجد في هذا النوع من التعاونيات النسائية مشاكل مرتبطة بالاتكالية، والانتظارية أحيانا، تدفع بعض عناصر العائلة إلى الصراع والانشقاق في بعض الحالات.

3.3. التقرب والتحالف لاكتساب التأثير والريادة وضمان الامتيازات التضامنية:

كشفت المقابلات الفردية والخرجات الاستكشافية لبعض التعاونيات النسائية والمختلطة أيضا في العالم الريفي، عن مدى وجود شكل من التضامن يكتسي فيها دلالة التحالف الإستراتيجي كقوة ضغط فعالة وليس فقط كقوة لضمان احتكار بعض الأعمال الإنتاجية، ومواجهة التنافس الشرس، والحفاظ على التواجد الدائم في السوق المستهدفة، ولكن أيضا كجماعة مصلحة وكقوة ضغط فاعلة في الأوقات المناسبة. تستمد هذه التعاونيات قوتها من انتمائها وتقربها للسلطة ولأحزاب الحكومة الراهنة، ومن ثمة قدرتها على التأثير في المحيط الاجتماعي، وسهولة الاستفادة من التمويل الخارجي أو من برامج الدعم والتأهيل والتكوين التي تراعيها وتمولها مؤسسات الدولة (قطاعية أكانت كما في وزارة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي والتضامني، ووزارة الفلاحة (المخطط الأخضر) وغيرها، أم وكالات ومكاتب كالتعاون الوطني أو الوكالة الوطنية لتنمية مناطق الواحات وشجر الأركان، أم برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية). ولنا في حالة مستجوبة بنواحي مراكش ⁴⁵ نموذجا على التعاونيات النسائية في مجال الصناعة التقليدية التي تتخبط أكثر ضمن أفق هذا

⁴⁴ Mark Granovetter, *Sociologie économique*, Traduit par : Isabelle This Saint-Jean, Sciences humaines, Ed. Seuil, Paris 2008

⁴⁵ ت. ص. ت.

النوع من التضامن. إن قدرة المرأة المؤسسة لهذه التعاونية منذ 2017 على استمالة وادماج أزيد من 68 امرأة قروية من كل الدواوير المحيطة، فهي مسألة لا تعزى فقط إلى كونها بنت المنطقة أو مدفوعة سيكولوجيا نحو الحماسة والتألق وتحقيق الذات، كما لا تفسر بمستواها الدراسي الذي لا يتجاوز السلك الابتدائي، ولكنها ترجع بالدرجة الأولى إلى تفكيرها في الزعامة والريادة عبر تقربها إن لم نقل انتمائها لأحزاب ذات هيمنة وقوة في المشهد السياسي والمنطقة المعنية؛ إذ سبق أن ترشحت مؤخرا في حزب سياسي هام، مما يجعلها تمتلك نوعا من الرأسمال الرمزي الآتي من عالم السياسة. فإذا كان العمل عند السوسيولوجيين -كما عند بولتونسكي وثيفينو⁴⁶ Luc Boltanski et Laurent Thévenot- فضاء لبناء عوالم التوافقات الاجتماعية المتعددة، فإن العمل التعاوني عند الشابة رائدة أرضية لبناء عالم متجسد في الشهرة والتأثير وتأكيد الانتماء للحزب وللمجال ذاته. وبفضله، استطاعت أن تسوق ليس فقط لعلامتها التجارية ومنتجاتها التقليدية (في الفصالة والخياطة والتطريز والزراعي والمصنوعات الجلدية والنباتية)، ولكن أيضا لخصوصيات منطقتها وحاجاتها، وكذا علامتها وبصمتها في تحقيق التغيير المنشود بالمنطقة. "التعاونية كما تقول السيدة، هي الوحيدة الموجودة في الدوار، وتستقطب نساء كل الدواوير المجاورة. هدفها كامن في تنمية المرأة القروية الأكثر عرضة للهشاشة، وخصوصا الفتيات المنقطعيات عن الدراسة وضحايا الزواج المبكر أو الطلاق (...)"، علاوة على تمكينها من العمل ومنحها تكوينات وشواهد في مجال الاشتغال (...). الأساس أنني أحدث التغيير في منطقتي، وأنقل صوت المنطقة عبر وسائل الإعلام نظرا لمكانة تعاونيتي عند القائد ورئيس المجلس الجماعي، كما أخلق التضامن فيما بين النساء، مستثمرا في ذلك قيم الزعامة والريادة وروح المسؤولية وإبداع الحلول. بفضل هذا الإنجاز، أصبحت أفضل امرأة رائدة في العمل التعاوني النسائي سنة 2021 على المستوى المغربي"⁴⁷. وقد جمعت في مهامها بين رئاسة التعاونية ذاتها وقيادة جمعية أخرى في المنطقة مستفيدة -بفضل شبكة العلاقات مع الفاعلين ذوي النفوذ أيضا- من التمويل الخارجي (الأمريكي والكندي) على الخصوص، وتمكن من الإسهام في التنمية الاجتماعية عبر مشاريع تعبيد الطرق والتشجير والتوعية، وتوفير النقل المدرسي بالدواوير المجاورة.

بهذا المعنى، شكلت الجمعيات منطلقا للانتقال من العمل التطوعي إلى العمل المأجور، وإضفاء الشرعية الأخيرة على هذا العمل عبر خلق تعاونيات لتثمين المنتجات والمصنوعات المحلية، كما شكلت أيضا فضاء لتصريف الفعل السياسي وتوجيه الفعل التضامني في المنطقة.

4.3. التضامن في التعاونيات النسائية بين هشاشة النوع، وهشاشة الوضع والمجال:

في أغلب التعاونيات النسائية المستجوبة، يغيب فيها التضامن الذي يقوم على روح المقاربة بالنوع الاجتماعي ولا يحضر فيها إلا كأفق انتظار؛ هذا على الرغم من وجود تنظيمات أخرى مباشرة أو غير مباشرة ترافق وتصاحب هذه التعاونيات في عمليات التوعية وتمكين المرأة من الحقوق الاقتصادية، والترافع عنها وتحقيق الإنصاف النوعي، بينما يسود فيها الحس التضامني والتعاوني الذي ينطوي على أشكال مقاومة الهشاشة الاجتماعية خصوصا في العالم القروي. ولعل هذا ما يعبر عنه المستجوبات بعبارات من مثل "المرأة خاصها تخدم باش تحارب الجهل والفقر والبطالة"، "نتضامنوا مع شبابنا المعطل باش اخدم ويقضي ويتعلم في التعاونيات"، و"نتضامنوا ونعملوا من أجل طرف من الخبز"، و"تقضيو باش نعيشو وما نفشلو" وغيرها مما يجانسها. ولهذه العبارات اليومية دلالة هامة؛ إذ بقدر ما تكشف عن ضرورة تجربة العمل أيا كان نوعها لكسب القوت اليومي، وعن الرغبة في التخلص من الفقر والبطالة والهشاشة، بقدر ما ترسخها الأجور الزهيدة و"التضامنية"، وسيادة التوافق على العقود المؤقتة في العمل أحيانا، وتترسخ بالتالي "ثقافة الخبز والملجأ المؤقت وعدم

⁴⁶ Boltanski Luc, Thévenot Laurent, *De la justification. Les économies de la grandeur*, Paris, Gallimard, 1991

⁴⁷ مقابلة مع السيدة ح. ل. رئيسة تعاونية، دجنبر 2021.

الاستقرار" في شبكات الفعل والتصور عند الفاعلات المتعاونات. وما هذا كله سوى انعكاس للريادة "النسائية" القائمة على الضرورة والحاجة إن صح التعبير.

من الطبيعي إذن أن تستهدف هذه التعاونيات النسائية الفئات المقاومة لأشكال الهشاشة. إن استجوابنا لثلة من التعاونيات الإنتاجية لأركان بسوس مثلا، يكشف عن وجود ثلاث فئات؛ وهي على الترتيب الآتي:

➤ "فئة العجزة التي لا تشعر إلا بمشاعر الدونية والوحدة والتهميش في حالة مكوثها في المنزل، ولا يكون لديها إحساس بأية قيمة اجتماعية إلا حين تتخبط في العمل التعاوني لأنها، ومن منظور الرئيسة وأمينة المال المستجوبة، تقوم بأدوار "إحياء التراث الشعبي وخلق الأنسة والتجاوب بين المتعاونات".

➤ فئة المطلقات التي تبحث دوما عن فضاء العمل "للاندماج الاجتماعي، والتفيس عن مشاكل اللوم الاجتماعي أو الأسري والتمتع بالحرية والاستقلالية".

➤ فئة النساء المحتاجات لأنهن في حاجة إلى مدخل أو نشاط مذر للدخل ولو كان غير قار.

➤ الشابات العازبات وإن كن حالة نادرة في بعض التعاونيات الريفية في المناطق النائية نظرا لرفض الآباء خروجهن من المنزل وعدم رضاهم على عملهن ورجبتهم في التحكم فيهن قصد تهيئتهن للزواج (الأدوار التقليدية في التقسيم الجنسي للعمل)

لقد استطاعت هذه التعاونيات، فعليا، تجسيد بعض من مبادئ الاقتصاد التضامني بحيث مكنت المرأة القروية على الخصوص، من أداء أدوار إنتاجية مربحة ولو كانت المشاريع المذرة لدخلها جد صغيرة أو لا ترقى إلى المستوى المطلوب أحيانا، وكذا امتلاك استقلالية نسبية في اتخاذ القرارات الفردية والأسرية، كما شكلت قطرة وحلقة وصل بينها وبين المؤسسات الاجتماعية الأخرى المتبقية. لقد شكلت فضاء لتجربة حياة مشتركة وتقاسم الخبرات والقيم التضامنية الجديدة من أجل تنمية الرأسمال البشري قبل تحسين الرأسمال المادي. وموازية مع الأنشطة الإنتاجية التي أسست بمقتضاها، انخرطت التعاونيات النسائية هاته، هي الأخرى ضمن برامج التوعية والتحسيس والتكوين والتأطير إضافة إلى برامج محو الأمية. غير أنها لا زالت هي الأخرى تشغل بمنطق استغلال هذا الرأسمال في العمل مقابل أجور قليلة، كما تواجه إكراهات مؤسساتية وتحديات اجتماعية وثقافية كثيرة تجعل مساهمتها في بناء الرابط محدودة؛ لعل أهمها يكمن في سيادة الطابع الأبوي والتقليدي في مجالات الاشتغال (الطابع الحرفي والنسجي والإنتاجي الفلاحي الغابوي)، هذا علاوة على مواجهة المتعاونات لإشكالية ضعف شبكة الشراكة والتنسيق والوزن في التكتلات الاقتصادية، وضعف مواكبة المشاريع وضعف المرافعة عن الحقوق والتسويق متسع النطاق وعدم إعادة استثمار الفوائد في تطوير التعاونيات، علاوة على هيمنة الطابع غير المهيكل على جانب كبير من علاقات الشغل، والهشاشة المترتبة عنه (الأجور المتدنية، انعدام عقود العمل، وغياب الحماية الاجتماعية الخ)، وإشكالات التفاوت الاجتماعي القائم على النوع وكذا بين المجالين الحضري والقروي.

خاتمة البحث وآفاقه:

بالنظر إلى إشكالية الفعل التضامني ومنطقه في التعاونيات النسائية، بين ما هو عليه في واقع الحال، وما هو منتظر من تنظيمات الاقتصاد الاجتماعي والتضامني بالمغرب، اهتدينا - من خلال هذه الدراسة الاستكشافية الأولية وغير القابلة للتعميم (وتلك هي حدودها) - إلى التأكيد على تعدد أشكال التضامن التي تضع مبادئ الاقتصاد التضامني وقيم العمل المستقل وروح النوع الاجتماعي في المحك، كما تسائل دورها في تقويض عوامل الهشاشة الاجتماعية عند النساء الأكثر عرضة للهشاشة: المطلقات والأرامل والمعوزات والفئات الأقل تمدرسا أو المنقطعات عن التمدرس بالمجتمع القروي على الخصوص. وفي هذا السياق، يتعين توجيه شكل التضامنيات في التعاونيات والتأثير فيها حتى تتمايز عن منطق

مقاولات الاقتصاد الرأسمالي وتتساق مع روح الاقتصاد الاجتماعي والتضامني والمسؤول اجتماعيا، وحتى تقطع مع التصرفات والسلوكيات التي تمتع من قيم عائلية، وتقضي إمكانية الانفتاح خارج العائلة والتمتع بروح المبادرة والاستقلالية. كما أن التضامن القائم على النوع الاجتماعي لا يزال غير قوي مادامت بعض التعاونيات النسائية تقوض فيه أمور التدبير والإشراف والتواصل إلى الرجال، بل مادامت أدوار المتعاونات في غالبيتها تقليدية لا تتعدى أعمالا يدوية في الإنتاج وإن كانت مأجورة. إن العمل التضامني النسائي - ما زال في واقع الحال، يقوم على علاقات الاستغلال؛ التي تفتح المجال للحديث عن تعاونيات تقاوم أشكال الهشاشة في بعدها المادي والرمزي موازنة مع تهمين المنتجات المحلية، والمساهمة في السياحة الإيكولوجية. وهو ما يدعو-طبقا للنموذج التنموي الجديد- إلى ضرورة الرفع من فعالية آليات وأشكال الدعم المقدمة للنهوض بهذه التعاونيات، ومواكبة التمكين الاقتصادي للنساء المتعاونات والحاملات لمشاريع مزرعة للدخل، علاوة على ضرورة توفير الحماية الاجتماعية الضرورية لكل فئاتها المتعددة في العمل، وذلك في أفق تحقيق مجتمع عادل قائم على اقتصاد تضامني مستدام. ولعل هذا الدرب هو ما سارت عليه السياسات الاجتماعية الجديدة في هذا المضمار مستهدفة بذلك تحقيق أهداف وغايات ما يسمى بالدولة الاجتماعية.

لائحة المصادر والمراجع:

- الاقتصاد الاجتماعي والتضامني: رافعة لنمو مُدمج، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، إعداد اللجنة الدائمة المكلفة بقضايا التكوين والتشغيل والسياسات القطاعية، إحالة ذاتية رقم 19 / 2015، مطبعة سيياما، الرباط، المغرب، 2015
- بوخريص فوزي، في سوسيولوجيا العمل الجماعي بالمغرب: من التطوع إلى العمل المأجور، إفريقيا الشرق، المغرب، 2015.
- محمد كريم، الاقتصاد الاجتماعي بالمغرب: التنمية المعاقلة وجدلية الاقتصاد والمجتمع، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،
- مكتب تنمية التعاون، "لمحة عن تاريخ التعاونيات بالمغرب"، منشورة في الموقع الرسمي للمكتب: <https://www.odco.gov.ma>.
- القانون رقم 12. 112 المتعلق بالتعاونيات كما تنفيذه بالظهير الشريف رقم 189. 14. 1 صادر في 27 محرم 1436 (21 نوفمبر 2014)
- Ahrouch S., « Les Coopératives au Maroc : Enjeux et évolutions » in : **RECMA – Revue Internationale De L'économie Sociale**, N° 322, 2011
- Barbusse B., Glaymann D., **Introduction à la Sociologie**, Ed. Foucher, Paris, France 2000
- Bresson M., **Sociologie de la précarité**, 2eme édition, Ed. Armand Colin, Paris 2010
- Collette Ch., Pigé B., **Économie sociale et solidaire : Gouvernance et contrôle**, Ed. Dunod, Paris, 2008
- Defever-Kapferer P., Rauzier M.P., **Maîtres artisanes - Coopératives féminines du Maroc**, Ed. Langages Du Sud, Casablanca, 2018
- Gagnon A. G., Girard J. P. (Dir.), **Le mouvement coopératif au cœur du XXIe siècle**, Presses de l'Université du Québec, Canada 2001
- Gillot G., "Les coopératives, une bonne mauvaise solution à la vulnérabilité des femmes au Maroc ?", **Espace populations sociétés** [Online], 3/ 2016, Online since 31 January 2017.
- Granovetter M., **Sociologie économique**, Traduit par : Isabelle This Saint-Jean, Sciences humaines, Ed. Seuil, Paris 2008
- Igamane, S., « Les inégalités de pouvoir au sein des coopératives de femmes au Maroc », **RECMA**, vol. 358, no. 4, 2020

- Ibourek A., Raoui S., « *Impact des Coopératives Féminines Sur L'autonomisation Des Femmes au Maroc-Analyse Spatiale* », **Proceedings of the 33^o Congreso Internacional del CIRIEC**, Spain, 2022
- Laville J. L. (Dir.), **L'économie solidaire**, CNRS Éditions, Paris, 2011
- Mouvement des entrepreneurs sociaux, **Le livre blanc des entrepreneurs sociaux : L'efficacité économique au service de l'intérêt général**, Editions Rue de l'échiquier, Paris, France 2012
- Paugam S. (Dir.), **Repenser la solidarité : l'apport des sciences sociales**, Paris, PUF, coll. « Le lien social », 2007, réédition « Quadrige » 2011 (avec une nouvelle préface à l'édition « Quadrige »).
- Pascon P., « *Les coopératives laitières du Tadla. Problématique* ». Questionnaire en collaboration avec J. Bonnet et J. Chiche. 7 p. dactylographiées, inédites - 4 janvier 1977.
- Pascon P., « *La coopération : Utopie utile au progrès agricole* », Conférence donnée le 5 mars 1968 à la Caisse Nationale de Crédit Agricole et le 6 mars au Séminaire de Formation des Cadres des Centres de Travaux aux Chênes. 6 p. ronéotées, inédites.
- Pascon P., « *Les unités d'exploitation à caractère coopératif : Buidda Mars al Bghal (Haouz de Marrakech)* » - H. T.E. O.N.I. - mars 1964. n° 7
- Pascon P., « *La coopérative de production agricole d'Ain Talmast: Expérience ou utopie?* » in : **Les hommes, la terre et l'eau. Bulletin**, n° 6, oct. 1963, de l'Office National des Irrigations.
- **REMACOOP (Revue Marocaine des Coopératives)**, N° 1, Revue éditée par l'Office du Développement de la Coopération (ODCO), 2011.
- Roque M. A. (Dir.), **La société civile au Maroc : L'émergence de nouveaux acteurs de développement**, Editions Publisud, Paris 2004
- Ricard P., « *Les métiers manuels à Fès* », **Hespéris Tamuda**, IV, 2e semestre, 1924
- Sainsaulieu R. (Dir.), **L'Entreprise, une affaire de société**, Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques, Paris 1990
- Van Pevenage, I., « *La recherche sur les solidarités familiales. Quelques repères* », **Idées économiques et sociales**, vol. 162, no. 4, 2010
- Warner K. (Dir.), **Perspectives on Social Vulnerability**, UNU-EHS SOURCE. UNU- EHS, 2007
- Zouiten M., Mekkaoui A. Y., « *Du Coopérativisme au Maroc : Évolution, Contraintes et Opportunités* », **Revue Française d'Economie et de Gestion** « Volume 3 : Numéro 11, 2022

منظومة القيم والمتغيرات الشكلية في تصميم الفضاءات الداخلية

احمد نجاح طه¹، أ.م.د. ياسر كريم حسن²

¹ الجامعة التقنية الوسطى/ كلية الفنون التطبيقية، العراق. بريد الكتروني: ahmediphone756@gmail.com

² الجامعة التقنية الوسطى/ كلية الفنون التطبيقية، العراق. بريد الكتروني: yasir@mtu.edu.iq

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/9>

تاريخ القبول: 2024/03/18م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

حظي موضوع القيم باهتمام واسع عند شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية والفلسفية كافة، بوصفها من المفاهيم المتأصلة في حياة الشعوب، لأن القيم تسعى إلى تحقيق الخير الأسمى في المجتمع عبر ما تتمخض عنه من مُحفّزات الارتقاء والكمال والسمو بأي فعل إنساني. ولأن التصميم الداخلي أحد تجليات تلك الأفعال، فقد استند على منظومة من القيم والضوابط والالتزامات والمبادئ التي تتسم بالبعد القيمي الإنساني، لتبرز كحكم معياري في التفاضل بمقدار التزام النتائج التصميمية بتلك المبادئ.

ونظراً لصيرورة التغييرات التي تطرأ على القيم والحاجات والالتزامات بمرور الزمن ومن مكان إلى آخر، فإنها تفتح الشكل على كل الخيارات الممكنة والتفسيرات المختلفة على وفق ما يُناسب ظروفها، بما يعكس دورها الإثرائية في إحداث مُتغيرات شكلية نابعة من فعل السلوكي يستنبطه المصمم من تلك القيم بهدف الارتقاء بذائقة المُجتمع، سيما الفضاءات الداخلية متعددة الوظائف الخدمية والثقافية والتعليمية (ميدان الدراسة) لذا غُيّت هذه الدراسة بتصميم فضاء داخلي يطرح قراءات مُعبرة تُثري مدركات المتلقي بقيم مجتمعه الأصيلة وتوفر له سُبُل الراحة وتحترم كرامته الإنسانية خلال معاشته للفضاء الداخلي. تكون البحث من أربعة فصول، تناول الفصل الأول مشكلة البحث التي تبلورت بالتساؤل التالي "ماهي العلاقة بين منظومة القيم والمتغيرات الشكلية في تصميم الفضاءات الداخلية؟" أما هدف هو "كشف علاقة منظومة القيم في تصميم الفضاءات الداخلية وتحديد انعكاساتها في إحداث متغيرات شكلية". وتضمن الفصل الثاني مبحثين، تناول المبحث الأول، مفهوم منظومة القيم في التصميم الداخلي، بينما تطرق المبحث الثاني إلى التمثيلات القيم والمتغيرات الشكلية في تصميم الفضاءات الداخلية، وصولاً إلى مجموعة مؤشرات استخدمت لإعداد استمارة تحليل نماذج عينة البحث. اعتمد البحث المنهج الوصفي في عملية تحليل النماذج في إجراءات البحث التي عرضها الفصل الثالث والتي تمخضت عن ثلاثة نماذج منتقاة من أصل (١٢) أنموذجاً من المجتمع الأصلي من أعمال المصمم العالمي (Foster Norman) في قارة آسيا بين عامي ٢٠٢٢-٢٠٠٦، فيما أسفر الفصل الرابع عن مجموعة من النتائج التي انتهت إليها البحث ومن أهمها:

1. حققت قدرة المصمم على اعتماد القيم الدينية في الفضاءات الداخلية من خلال قيم غائبة في الخشوع ضمن الانموذج الاول والثاني والثالث المتحقق شامل في محددات الفضاء الداخلي.

2. أكدت دراسة المصمم الداخلي على القيم السياسية في الفضاء الداخلي من خلال سياسة الدولة عبرت عن مستويات الانعكاس من خلال العناصر ضمن الانموذج الاول من خلال التحقيق الواضح في تصاميم الجدران والاسقف، بينما كان التحقيق نسبياً في تصاميم الارضيات، اما بالنسبة للانموذج الثاني والثالث فقد كان التحقيق الشامل واضحاً في تصاميم المحددات الداخلية. وصولاً إلى التوصيات والمقترحات المُستقبلية.

الكلمات المفتاحية: القيم، المنظومة، منظومة القيم، المتغير، الشكل.

RESEARCH TITLE

THE SYSTEM OF VALUES AND FORMAL VARIABLES IN THE DESIGN OF INTERIOR SPACES

Ahmed Najah Taha¹, ASS. Prof. Dr. Yasir Kareem Hassan²

¹ Central Technical University/College of Applied Arts, Iraq. Email: ahmediphone756@gmail.com

² Central Technical University/College of Applied Arts, Iraq. Email: yasir@mtu.edu.iq

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/9>

Published at 01/04/2024

Accepted at 18/03/2024

Abstract

The subject of values has garnered widespread attention across various philosophical and intellectual doctrines, being deeply rooted in the lives of societies. Values inherently seek to achieve the highest good within a community through the catalysts of advancement, perfection, and the elevation of human action. Given that interior design is a manifestation of these actions, it is based on a system of values, regulations, commitments, and principles characterized by a humanistic dimension. This system emerges as a standard judgment in evaluating the extent to which design outcomes adhere to these principles.

Due to the constant evolution of values, needs, and commitments over time and across different locations, it opens up the field to various possibilities and interpretations according to circumstances. This reflects its enriching role in bringing about formal changes stemming from behavioral actions derived by designers from these values. The aim is to enhance societal taste, particularly within multifunctional interior spaces serving cultural, educational, and service purposes.

This study focuses on designing an interior space that presents expressive readings enriching the recipient's awareness of their authentic societal values while providing comfort and respecting their human dignity during their experience within the interior space. The research comprises four chapters, starting with the first chapter addressing the research problem crystallized by the question: **"What is the relationship between the system of values and formal changes in the design of interior spaces?"** The goal is to **uncover the relationship between the system of values in the design of interior spaces and identify its reflections in bringing about formal changes.**

The second chapter consists of two sections. The first discusses the concept of the system of values in interior design, while the second delves into the representations of values and formal changes in the design of interior spaces, leading to a set of indicators used to prepare an analysis form for the research sample. The research adopts a descriptive methodology in analyzing the models in the research procedures presented in the third chapter, which yielded three selected models out of a total of 12 original models from the works of the global designer Norman Foster in Asia between 2006-2022. The fourth chapter presents a set of research findings, including:

The designer's ability to adopt religious values in interior spaces through values of piety was achieved comprehensively in all three models regarding the internal space determinants.

The interior designer's study confirmed political values in the interior space through state policies reflected at varying levels within the elements in the first model, while the investigation was relatively extensive in the designs of internal determinants for the second and third models.

Finally, the study concludes with recommendations and future proposals

Key Words: Values, System, Value System, Change, Form.

الفصل الاول مشكلة البحث والحاجة اليه:

1-1 مشكلة البحث:

تعد منظومة القيم نسقاً معيارياً يُشكل رؤية حضارية صادقة وانعكاساً حقيقياً للتفاعلات الحضارية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية لأي مُجتمع في حقب التاريخ كافة، بوصفها إحدى من المفاهيم المتأصلة في حياة الشعوب التي تُحقق الخير الأسمى في المجتمع عبر ما تنتجه من انطباعات ارتقاء أي فعل إنساني وكماله وشموه، ولأن التصميم الداخلي أحد تجليات ذلك الفعل، فهو يستند على منظومة من القيم والضوابط والالتزامات والمبادئ التي تتسم بالبعد القيمي الإنساني، إذ تكون كمؤشرات معيارية يُعنى خلالها بتحقيق معايير الجودة في تصميم الفضاء الداخلي. ولأن العلاقة الجدلية بين الفرد والفضاء الداخلي أي بعلاقة المؤثر والمتأثر، فالفضاء الداخلي يُعد لغة المصمم التي تركز مفرداته التكوينية من قيم الإنسان ويُطبعها في صياغات شكلية تتوخى تصدير التأثيرات والأحاسيس المبتوثة عبر هذه التكوينات وإمكانية إحالتها إلى سلوك وظيفي وجمالي ومعرفي عبر تفاعل الإنسان مع تلك الشكليات المفعمة بالقيم. مما تقدم يُلاحظ أن ثمة مبرر موضوعي لتناول البحث الحالي هذا الموضوع بالدراسة لغرض الوقوف على طبيعة العلاقة بين منظومة القيم وانعكاساتها في التصميم الداخلي، والوصول إلى أهم الأسس والمرتكزات التي من شأنها تقييم وتقويم العملية التصميمية لصياغة فضاءات داخلية. تحمل قيماً ومعاييراً تنمي مدارك متلقي تلك القيم الحسية. في ضوء المبررات أنفة الذكر تبلورت مشكلة البحث بالتساؤل التالي: **ماهي العلاقة بين منظومة القيم والمتغيرات الشكلية في تصميم الفضاءات الداخلية؟**

2-1 أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث من خلال:

توفير قاعدة معرفية للنظريات في التصميم الداخلي يستند إليها المصمم، بغية محاولة التصدي لأزمة القيم وضعف دورها في مراحل العملية التصميمية والتنفيذية كافة، بصفتها تُمثل جزء من أزمة الالتزام بالقيم في عالمنا المعاصر. فضلاً عن أهمية عمق مفهوم منظومة القيم في القرار الذاتي والموضوعي لكل مرحلة من مراحل العملية التصميمية من خلال إيضاح المعاني المرتبطة بالمكان لما لها من قيمة نوعية في التصميم الداخلي المعاصر.

3-1 هدف البحث: يهدف البحث الحالي إلى ما يأتي:

كشف علاقة منظومة القيم في تصميم الفضاءات الداخلية وتحديد انعكاساتها في إحداث متغيرات شكلية.

4-1 حدود البحث:

1. الحد الموضوعية: دراسة منظومة القيم في تصميم الفضاءات الداخلية كمرتكزات تُفصح عن أبعاد إنسانية التي

تتجسد عبر متغيرات شكلية تُحاكي جانب تلقي الحدث.

2. الحد المكانية: يتحدد البحث بدراسة المشاريع التصميمية للمراكز الثقافية والتعليمية والخدمية المنفذة وقيد التنفيذ

للمصمم المعماري العالمي (Norman Foster) في حدود قارة آسيا.

3. الحد الزمانية: المشاريع التصميمية التي تم إنشائها وقيد الإنشاء في المدة بين عام (٢٠٠٤ - ٢٠٢٢) م.

5-1 تحديد المصطلحات: وردت المصطلحات في عنوان البحث الحالي وكما يأتي:

1- المنظومة:

(لغويًا): (اسم)، صيغة المؤنث لمفعول نظم. والمصدر (النظم): التأليف، وضم شيء إلى شيء آخر. ونظَّمُهُ: أَلَفَهُ وجمعه في سلك¹.

(اصطلاحاً): تأخذ المنظومة معانٍ عدة، من بينها المؤسسة والنظام فهي تستخدم حسب الاستعمال إذ تعرف: بأنها بنية ذات تكامل وترابط بين مكوناتها وعناصرها بعضها ببعض ترابطاً وظيفياً محكماً، يقوم على أساس من التفاعل الحيوي بين عناصر هذه المنظومة ومكوناتها².

¹ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: قاموس المحيط، ط6، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1998، ص1162.

² علي سعد وطفة، علي شهاب: علم الاجتماع المدرسي، مجد المؤسسات الجامعية للدراسات، لبنان، 2004، ص41.

(اجرائي): مجموعة من المعايير والالتزامات والمبادئ المتفاعلة والمتراصة فيما بينها بحيث يكمل بعضها البعض الآخر، وتثري مجمل العملية التصميمية والتنفيذية، وتلزم التصميم بأنظمة وضوابط أخلاقية ذات أبعاد (روحية وجمالية وإدائية) تسير وفقها وتتخلق بأهدافها.

2- القيم:

(لغويًا): مفرداها قيمة عرفها (ابن منظور) بأنها: ثَمَن الشيء بالتقويم.. ويقال تقاوموا في بينهم³. (اصطلاحًا): القيم: " هي أساس ما يُسمى بالحكم التقويمي، والذي يمثل المدح أو القدر لصفات يراها المصدر المقيم من المفاضلة بين شيئين أو أكثر⁴.

3- منظومة القيم:

(اجرائي): هي مجموعة من المراجع المعيارية والضوابط والمبادئ الأيديولوجية والإنسانية التي تحكم العملية التنموية الفضاء الداخلي في صياغة نتائجها بالصفة الأمثل، وتنظوي تلك المجموعة في تراتبية على وفق تسلسل هرمي محدد على وفق طبيعة الوظيفة المؤداة للفضاء الداخلي وبما يواكب زمكانية التصميم ويتواءم طبيعة مجتمعه وبيئته المحيطة.

4- المتغير:

(لغويًا): عرفه (الفيروز أبادي) على إنه: تغير عن حاله: تحول، وغيره: جعله غير ما كان، وحوله وبدله، والاسم: الغير، ويقال غير الدهر: أي أحداثه المتغيرة⁵.

(اصطلاحًا): ما يمكن تغييره أو ما يمكن تغييره أو ما يترع إلى التغيير، والمتغير هو الانتقال من حالة إلى أخرى⁶. (اجرائي): المتغير: مفردة المتغيرات، وهي الخصائص والصفات والتمثيلات والسجية والشاكلة التي يصطبغ بها الفضاء الداخلي بشكله الظاهري، انعكاسا لفعل قوى كامنة وهي القيم، والتي تمتلك سلطة التأثير في إحداث جملة من السمات ذات الدلالات المعبرة عن الكيفية والآلية التي يكون عليها نسق الفضاء الداخلي، وما ينطوي عليه من معاني سامية وقيمية.

5- الشكل:

(لغويًا): عرفه (ابن منظور) الشكل الجمع أشكال وشُكُول، يقال هذا طريق ذو شواكل، أي تتشعب منه طرق جماعة، وشكل الشيء صورته المحسوسة أو المتوهجة⁷.

(اصطلاحًا): عُرِف الشكل بأنه: مقولة تعبر عن العلاقة الباطنية ومنهج التنظيم وتفاعل عناصر الظاهرة وعملياتها بينها وبين نفسها وبينها وبين البيئة، ثمة شكل بالمعنى الإدراكي الحسي هو شرط ضروري للتشخيص الإدراكي الحسي للمحتوى وثمة شكل بالمعنى البنائي وهو تناغم معين أو علاقة تناسبية للأجزاء مع الكل وكل جزء مع الآخر يمكن تحليلها⁸. (اجرائي): هو الصياغة المظهرية للأبعاد التكوينية لعناصر التصميم وتكويناته، والذي يُمثل انعكاسا صادقاً للمفاهيم والقيم السامية والمتطلبات الإنسانية الأخلاقية، يصوغه المصمم الداخلي على وفق اعتبارات ثقافية وحضارية وعلمية ووظيفية (إدائية وجمالية)، تقنية.. يستقيها من طبيعة المجتمع، ويُجسدها بهيات تركيبية من أجل الوصول لمصاف الكمال والجودة، وبما ينمي ذائقة المجتمع ورفاهيته، ويُلبّي حاجاته ورغباته.

³ ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003، ص464.

⁴ المهندس، كمال ومجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مكتبة لبنان، بيروت، 1979، ص167.

⁵ الفيروز ابادي: مصدر السابق، ص453.

⁶ المسدي، عبد السلام: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1984، ص175.

⁷ ابن منظور: مصدر السابق، ص169.

⁸ البعلبكي، منير: قاموس المورد. إنكليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ص89.

الفصل الأول مشكلة البحث والحاجة إليه:

2-1 المبحث الأول: مفهوم منظومة القيم في التصميم الداخلي

لتحديد مفهوم المنظومة القيم لابد من الوقوف عند القيم، فقد تعددت وجهات النظر بشأن تحديد مفهوم القيمة بسبب تعدد مجالات القيم وتعدد التوجهات الفكرية والمنطلقات النظرية والصيغة التخصصية التي تحول دون اتفاق الباحثين على إسناد معنى واحد للقيمة. فالقيمة واحدة من المفاهيم التي اهتم بها الكثير من الباحثين في مجالات مختلفة، فعلماء النفس يعنون بالقيم النفسية وعلماء الدين يعنون بالقيم الدينية، ويُعنى علماء الاقتصاد بالقيم الاقتصادية، فيما يُعنى علماء الاجتماع بالقيم الاجتماعية.. وهكذا دواليك، ونتيجة لهذا ما من تعريف جامع مانع للقيمة⁹.

2-1-1 مفهوم منظومة القيم:

يتسع مفهوم القيمة ليشمل مفهوم منظومة القيم التي تشمل مجموعة القيم الموجهة للنسق الحضاري لأي مجتمع، وفقاً لترتيب وأسبقية لتفضيلات يمنحها الفرد أو المجتمع لتلك القيم. فكل مجتمع أولوياته، ولذا تختلف القيم من مجتمع لآخر، وإن وجدت قيم مشتركة بينها، ويصاحب كل تغيير يطرأ على مجتمع ما تغيير في مجموعة القيم لأنها تمثل حلقة ضمن سلسلة متواصلة ومتداخلة من القيم. فيمكن النظر إليها بصفاتها مستويات ومعايير تُعزز الممارسة الاجتماعية وتدعمها، وقد يسميها الكثيرون نسقاً قيمياً في أي مجتمع، حسب الثقافة السائدة فيه. فوجود مجموعة منتظمة ومتسلسلة ومتعددة من القيم تمثلها القواعد والخبرات في علاقة نسقية وفق بنية متماسكة ومتراصة هي ما يمكن أن نسميه منظومة قيم، ووجودها مرتبط بالمجتمع، بصفته المجال الحيوي الذي نستدل من خلاله على القيم. كما أن ثمة ترابط بين النسق الحضاري لأي مجتمع ومنظومة القيم وأن أي تحول يطرأ على أحدهما الآخر¹⁰. كما تمثل مجموعة المعايير التي يتمسك بها المجتمع سواء بشكل صريح أو ضمني. وتتمثل بكل نظام يتضمن قيماً راسخة في المجتمع، وعليه يمكن الكلام عن قيم اقتصادية وقيم ثقافية وقيم اجتماعية وهكذا¹¹. ودائماً ما يجري الحديث عن مجموعة من القيم، لا قيمة واحدة فحسب، لأن أي مجتمع لا يستقيم من دون منظومة قيم تتناول مناحي حياته وتفاصيلها كبيرها وصغيرها، حاضرها ومستقبلها، يجتمع حولها وتوحد صفوفه¹². وتُشير منظومة القيم إلى ترتيب القيم عند الأفراد حسب أهميتها، فنظام القيم ترتيب هرمي لمجموعة القيم التي يتبناها الفرد أو المجتمع ويحكم سلوكه أو سلوكهم. أو مجموعة قيم الفرد أو المجتمع مرتبة وفقاً لأولوياتها¹³. واختلف البعض في ذلك، إذ رأوا أنها تمثل انعكاس أنماط الصراع والانسجام بين القيم، كما تُشير فاعليتها إلى القدرة على بلوغ النتائج المرغوب بها وتُمثل أيضاً القدرة على تلبية حاجات الفرد والجماعة¹⁴. منظومة القيم إذاً هي البعد الجامع للقيم والإطار الذي تندرج تحته وتتسلسل فيه القيم وفقاً للضرورة والأولوية والأهمية لدى أفراد المجتمع ووفقاً للحاجة المستجدة، إذ تتفاعل وتتداخل القيم لتتكامل فيما بينها، ويتقدم بعضها أو يتراجع وفقاً لمعطيات المكان والزمان ورؤية الإنسان الفاعل الذي يختار ما يواكب التغيير ويوائم ماضيه وحاضره مستشرفاً آماداً زمنية قادمة. ويعود الاختلاف بين مجتمع وآخر إلى تفاوت ترتيب القيم وفقاً لأهميتها ضمن المنظومة القيمية للمجتمعات مما يجعل للمنظومة القيمية الدور الفاعل والبارز في رسم التوجه الفكري لأي مجتمع.

2-1-2 مفهوم منظومة القيم في التصميم الداخلي والعمارة:

⁹ عبد اللطيف محمد خليفة. ارتقاء القيم، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، إبريل ١٩٩٢، ص ٣١-٣٠.

¹⁰ التابعي، كمال والبهنساوي، ليلي. مصدر سابق، ص 22.

¹¹ محمد أحمد بيومي. علم الاجتماع والقيم، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٠، ص ١5٨.

¹² اللافي، جمال. منظومة القيم. مصدر سابق، 2016.

¹³ Wolman, B.B. Dictionary of Behavioral Science, London The Macmillan Press Ltd., 1975.p. 81.

¹⁴ Rokeach, Milton. The Nature of Human Values, Free Press, New York. 1973, p:5-20.

تُعد المنظومة القيمية أهم مفاهيم القياس الخاصة بصياغة النتاج الشكلي والمعنوي وتحقيق فهم الإنسان المعرفي كما تُسهم في تحديد قنوات الاتصال والتواصل التاريخي بفعل انتقاء واستثمار معايير ومحددات جديدة تنتج اندفاعاً ثورياً يمتاز بطاقة متجددة تحقق تكامل الإنسان مع البيئة المحيطة مكونة أداة لنقل الفكر ضمن شفرات حضارية ثقافية على الرغم من اختلاف الأطر المرجعية والمجتمعية لكل مفردات البيئة الحياتية¹⁵. ويقودنا هذا المفهوم إلى التساؤل عن الكيفية التي يتأثر بها تصميم البيئة الداخلية بمنظومة القيم، ولماذا تتأثر بهذه القيم. إن الفضاءات الداخلية بصفتها بنيات وظيفية يجب أن تتوفر لها المقدرة على الثبات والديمومة وقدر من الجمال، على أن الوظيفة نفسها أصبحت متعددة، وبتعدد الوظائف تتعدد التكوينات الفضائية وتتطور قيم تصميمية وجمالية جديدة في القرن الحادي والعشرين أصبح المبنى الواحد يؤدي وظائفاً عدة وبالتالي أصبح يحمل قيماً كثيرة. فالمجتمعات الإنسانية تحكمها قيم جوهرية تمثل نواة هويتها وتحيط بهذه النواة قيم محيطية كالمدارات حول النواة الجوهرية، كلما اقتربت من النواة أصبحت أقوى لأنها تستمد قوتها من قوة النواة وثباتها وبالعكس كلما ابتعدت سهل تغييرها، فكأنها مثل علاقة الإلكترون بنواة الذرة، إذ لا تفقد الذرة إلا الإلكترونات الطرفية وحقيقة الأمر أن بنية الفضاء الداخلي تقع ضمن المجال القيمي المحيط بالنواة بينما المعاني التي تكتسبها غالباً ما تنتجها النواة نفسها وبالتالي فإن الشكل المصمم غالباً ما يكون في مأزق لأنه قد يكتسب معاني جوهرية تجعله مكبلاً صعب التغيير بينما تُجبر تقنيات التصميم ومواده وتغير الظروف من زمن لآخر الشكل على التغيير¹⁶. تمثل القيم من ناحية أخرى معياراً للنتاج التصميمي وتكون بمثابة أرث حضاري يحقق شفرة تواصلية تنقل الأفكار عبر سيرة الزمن وتُعد شاهداً يعكس الأنماط الأصلية لمراجع شكلية تُستثمر مستقبلاً في إحياء الذاكرة الجمعية، وتُسهم في إنتاج أشكال تصميمية أصلية تتسم بموضوعية الغرف العام الآتي من تفاعل وترابط مجموع القيم الذاتية لأفراد المجتمع، أي استحداث المعايير التي تؤلف المرجع المشترك العام وتضم البديهيات المعرفة المقاسة وغير المقاسة (كالعلاقات المعنوية والعاطفية). فالغرف، على هذا الأساس، يكون أحد الأركان الأساس لهوية المجتمع الذي يُكسب الشكل خصوصية الانتماء المكاني بصبغة حضارية تحقق الهوية الجمعية¹⁷. وتؤكد نظريات (ميشيل فوكو) ما بعد البنيوية، المفهوم الخاص للخطاب القيمي الذي يعتمد على التكوين الثقافي المحدد تاريخياً، فالناس يفهمون الواقع من الوفرة الجامحة للأشياء الموجودة، ويتم ترتيبها وتشكيلها باستطراد يضمن السياق المحدد لعصرهم، ويُشدد (فوكو) على إن المعاني المحملة بالقيم والأفكار لا تُشكل بمعزل عن بعضها لأنها تقع ضمن السياق التاريخي والثقافي والاجتماعي والظروف الخطابية التي تسمح لها بأن تكون ممكنة. كما إن القيم لا تستمر تاريخياً إذ تتشكل تشكلاً عقلانياً على وفق شروط استطراديه وسياقية مُعينة في وقت معين. ومن تطبيق نظريات ميشيل فوكو) على البيئة الداخلية، يمكن التوصل إلى أن هوية الفضاء ليست سوى حاصل جمع قيم ومعانٍ غير مُستقرة على مر الزمان ويتمثل عدم الاستقرار التاريخي عبر مقارنة الظروف السياقية الاجتماعية والأهمية الثقافية¹⁸.

2-1-3 أنواع منظومة القيم في التصميم الداخلي:

إذ تُعتبر عملية التصميم مجرد خطوة واحدة من عمليات معقدة لمُحاولة خلق قيمة، ولا سيما تكوين فضاءات داخلية ذات قيمة والخطوات التي تتضمنها عملية إنشاء القيمة هي التصميم والتنفيذ وما بعد الاستخدام، وللمشاركين بهذه العملية وجهات نظر مختلفة حول نوع القيمة التي يُمكن إنشاؤها، كما تختلف القيم بين شتى الحركات المعمارية المتباينة ومدارس

¹⁵ الصائغ، لهيب علي. مصدر سابق، ص ١٧.

¹⁶ النعيم، مشاري عبد الله. سفر العمران، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط ١، الدمام، السعودية، ٢٠١٠، ص ١٢٠-١١٩.

¹⁷ الصائغ، لهيب. مصدر سابق، ص ٢٠.

¹⁸ Tran, Jennifer. *Static Illusions, Architecture Identity, Meaning and History*, Curtin University, 2011, p.9.

التصميم والعمارة المختلفة، فقد يُسلط مهندسو التصميم الضوء على القيمة الفنية والجمالية من التأكيد على ابتكارات التصميم التقنية، بينما ينظر المستثمرون إلى القيمة الربحية التي يعود بها تصميم المبنى، وينظر آخرون إلى قيمة التصميم بما يلبي احتياجاتهم ويحقق أهدافهم وقد تتنوع هذه الاحتياجات مما يؤدي إلى تفعيل أنواع مختلفة من القيم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والبيئية والسياسية التي يمكن تصنيفها على قيم تتوافق مع الاحتياجات الإنسانية الأساس الخمس على حد وصف (هرم ماسلو)¹⁹. لذلك تؤثر أنواع مختلفة من القيم في عملية التصميم وكل واحدة من هذه القيم تنفرع إلى قيم أخرى كما تتداخل بينها وكل قيمة تؤدي بدورها إلى تحقيق قيم أخرى. وهذا التصنيف ما سيعتمده هذا البحث، كما يمكن التمييز بين قيم جوهرية وأخرى أداتية للتصميم، تجعل أولاهما التصميم جيداً في حد ذاته، وتتعلق أخراهما بالغرض من التصميم. فالأولى هي القيم التي تُحقق أشياء جيدة بسبب خصائصها الذاتية تقيم غائية تُحقق غايات التصميم) والثانية تحقق الأشياء الجيدة لأنها وسيلته لما هو جيد (تتمثل بالمتغيرات الشكلية المحققة للغاية، وتُقدم سلسلة العلاقات بين القيم الغائية والوسيلية سلسلة كاملة من القيم²⁰، وقد يتوقف بنا السؤال عن الكيفية التي يمكننا أخذها في الاعتبار وتحقيقها في التصميم، وهو ما سيتطرق له البحث عند دراسة أنواع القيم وكيفية تمثيلها في التصميم، وهي كالآتي.

2-1-3 القيم الدينية

تتمحور أصول القيم الدينية حول تعاليم الشرائع السماوية لتكون الفيصل في الحكم على الأشياء، فما يتوافق من أعمال مع تلك التعاليم فهو عمل حسن وذو قيمة، بينما يقل شأن قيمة العمل الذي يُخالفها. يتعامل الدين مع القيم سواسية، ويُعدها قوةً علياً مُستمدة من الله عز وجل، وهو المرجع للوجود كله. والدين ليس عنصراً خاصاً منفرداً للقيمة، بل هو إطار كل القيم. فالأديان السماوية المنزلة إلى الناس في إطار عقيدة التوحيد، جاءت كلها لتؤكد حرية الإنسان وكرامته وقاومت الظلم والعدوان عليه وأعلنت حقوقه كلها²¹. فالمسيحية تكبر بشعور ما يترتب عليها من ثواب، والإسلام يعد كل من القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرا القيم الأساسان والإنسان في مُقابل ذلك هو محور القيم، وهدف القيم الارتقاء بالإنسان ليصل أعلى المراتب بالإيمان وقيمة الأشياء من ناحية ما تحصله للإنسان من حسن الأفعال أو قبحها²². وتأثير الدين في العمارة وبنيتها الداخلية يصنع علاقة الفضاء المادي بأسلوب استخدامه، الأمر الذي يُولد المعاني المجتمعية التي تُعطي للعمارة وأشكالها معانيها التي تتوق (للثبات)²³. إذ يُفصح خطاب القيم الدينية عن سمات مظهرية تُبرز جانب الهيبة والوقار والخشية كعوامل مؤثرة ذات خطاب يؤكد حدين، يُسهم الأول منهما في تنمية وتعميق إحساس الفرد بالقوة الذاتية المُستمدة من الإيمان بقدره الخالق عز وجل، وقُدسية ومشروعية انتماءاته الدينية، فيما يؤدي الخطاب الثاني إلى إيقاع الهيبة والرغبة والخشية في قلب المتعب، ففي حضارة وادي الرافدين والحضارة الفرعونية كانت المعابد تتخذ تنظيمات شكلية ذات معانٍ إيحائية، تؤسس لمظاهر اقترانه، لسمات الهيبة والخشوع والتواصل الروحي مع الآلهة المفترضة في ذلك الحين²⁴. كما في الشكل (2-1)، وهكذا يلجأ المصمم الداخلي لاستحداث شكل ذي مضامين تعبر عن المعاني الجوهرية المشتركة ويعكس الهوية الدينية للمستخدمين بتطبيع التشكيل من جانبيين:

¹⁹ هرم ماسلو: هو مصطلح أطلق على النظرية التي ابتكرها عالم النفس الأمريكي (ابراهيم ماسلو) عام ١٩٤٣، التي تناقش ترتيب حاجات الإنسان ووصف الدوافع التي تحركه، وتم تمثيلها بشكل هرمي، بدءاً من الحاجات الفسيولوجية ثم حاجات الأمان الحاجة للتقدير، وتقدير الذات والحاجات المعرفية والجمالية، وفحوها ان الإنسان يسعى لتحقيق حاجاته الأساس أولاً ثم يسعى لتحقيق حاجات ذات مستوى وطموح أعلى بالترتيب المصدر: صحيفة الخليج - <http://alkhaleej.ae>

²⁰ Jeroen van den Hoven, 2015, p:271

²¹ أحمد عبد الحليم عطية. مصدر سابق، ص ١٣٤.

²² رسلان، صلاح الدين. القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣٥-٣٦.

²³ النعيم، مشاري عبد الله. سفر العمران، مصدر سابق، ص ٥٤.

²⁴ الإمام، علاء الدين كاظم. خطاب التصميم الداخلي وانعكاسه السلوكي في فضاء السلطة، مصدر سابق، ص ٤٨-٤٧.

الأول: جانب القداسة كقيمة غائية عبر (دلالات رمزية) تثير مشاعر الانتماء للدين من خلال تجليات المكان، باقتران بنية الفضاء المادية بأشكال رمزية كالقباب والمآذن والأبراج والعقود والزخارف والمقرصات، يستقيها المصمم من رمزية دور العبادة، كقيم وسيليه للوصول للغاية الأسمى وهي تعزيز قدسية انتماءات الفرد المتلقي، لتتحول إلى قيم صريحة ومعلنة تمنح الفضاء القداسة والجلال، ومن ثم تنعكس بتأثيرات إيجابية للتواصل مع الفضاء.

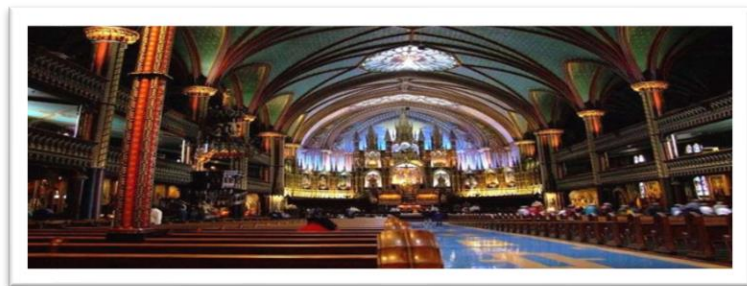
الثاني: جانب العظمة والخشوع وإثارة مشاعر الهيبة والرغبة لدى المتلقي لعظمة المكان كقيمة غائية عبر (دلالات مادية وحسية) تتجسد بصريحه وضخامة التشكيل ونقائه وفرض النظام عبر تناظر التشكيل التام ومركزية وفخامة مواد وألوانه وتباينات الضوء والظل وحضور الفضاء المتكامل كقيمة وسيليه تسفر عن مشاعر الهيبة والعظمة واحترام المكان في ذهن المتلقي. كما تعد العقيدة الإسلامية أحد أبرز المؤثرات في تشكيل الناتج التصميمي للبيئة الداخلية الإسلامية بما امتاز به النهج الإسلامي من وسطية تتوازن بها الماديات والمعنويات لأنه. منبع احتياجات الإنسان الروحية والمعنوية. كما إنها تنظيم لاحتياجات المجتمع المعيشية من القيم السلوكية للحياة بهدف التوصل إلى الإنسان المتكامل²⁵. وتتجلى القيم الدينية في نظريات الفكر الإسلامي في دلالات مادية ودلالات حسية، وكل منها تعكس متغيرات شكلية، وهي كالآتي:

أولاً. دلالات القيم المادية: تظهر القيمة الدينية بالالتزام الواضح بمجموعة من السمات والخصائص التصميمية الثابتة لكل عصر (الانفتاح نحو الداخل والحفاظ على المقياس الانساني والايقاعية والهندسية من خلال التوافق والتناغم بنظام إيقاعي بتكرار ونسق يُولد الوحدة. فضلاً عن الوحدة والتنوع في أسلوب التنظيم والتعبير وفي تكرار عناصر التزيين وأساليبه والألوان والاتجاهات)²⁶:

ثانياً. دلالات القيم الحسية: تظهر كمصدر للجمال المجرد النابع من الجمال الحسي الذي يُمثل البساطة ويزخر بخدمة حاجات الإنسان محملاً بإيجابية التأثير والالتزام بمنفعة الناس. ومن سماتها.

1. التجريد: فالفضاء يتجرد من أي تصوير شكلي يتعارض مع روحية الإسلام ويبتعد عن التكلف، وما يحويه من روحانية لا نهائية وبالجمال مع كل ما يتضمنه من معاني الإيمان والاحترام والخُشوع. والاتجاه إلى التبسيط ولا سيما من الخارج والغنى من الداخل، كما الشكل (1-2).

2. المرونة وقابلية التكيف والامتداد الأفقي: تتجلى في امتداد فضاءات المباني في أي اتجاه، وتتيح هذه المرونة منظومة تستوعب التغيير والإضافة والتعديل والتحوير من خلال علاقة الجزء بالكل. وقد تظهر في تفاصيل الفضاء الزخرفية ظهوراً واضحاً، كما الشكل (2-2).



شكل (1-2) يوضح القيم الروحية والدينية -كاتدرائية نوتردام باريس -الطرار القوطي

المصدر: <https://arabic.rt.com/culture>

²⁵ ابراهيم جواد آل يوسف، وآخرون مصدر سابق، ص ١٦٠.

²⁶ المالكي، قبيلة فارس. الهندسة والرياضيات في العمارة، دراسة في التناسب والمنظومات التناسبية، دار الصفاء للنشر، عمان، ٢٠٠٠، ص ٣٧٩-٣٨١.

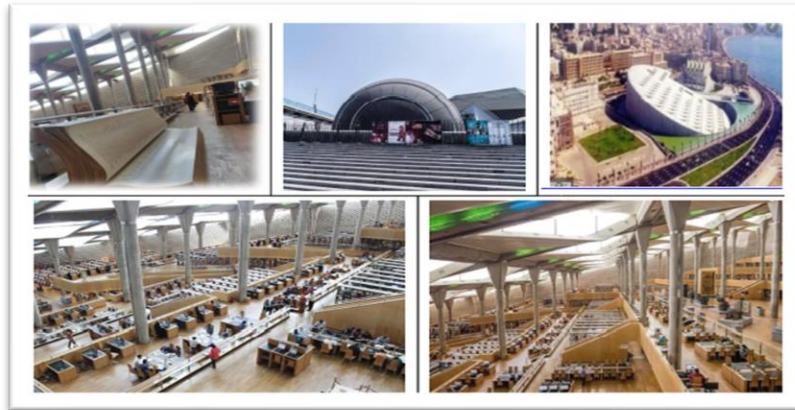


شكل (2-2) يوضح سمات التجريد الجامع الكبير - الرياض

المصدر: <https://www.moia.gov.sa>

لا تتجسد القيم الدينية في تصميم فضاءات العبادة فحسب، بل يمكننا الاستعانة بها للوصول إلى حيز داخلي يتمتع بمظاهر القدسية والهيبة في نفوس مُستخدميه وما يُعزز مكانة المبنى من ناحية أخرى. نجد ذلك في تصميم الفضاء الداخلي لمكتبة الإسكندرية الجديدة في مصر، في الشكل (2-3).

يتوق معمار مكتبة الاسكندرية الجديدة في لجوئه لهذا التوظيف (الموحد) للسقف، إلى الاحتفاظ بالأهمية المؤولة لهذا المبدأ في مبناه، لزيادة ترسيخ مفهوم روح المكان²⁷.



شكل (2-3) يوضح تجسيد القيم الدينية في تصميم الفضاءات الداخلية العامة - مكتبة الإسكندرية الحديثة - تصميم شركة snohetts النرويجية

المصدر: <https://gate.ahram.org.eg/Media/News/2020>

2-3-1-2 القيم السياسية

يتميز الفرد الذي تسود لديه هذه القيم بدوافع القوة والمنافسة والقدرة على توجيه الآخرين، إذ تبرز شخصية المصمم بالتزامه في الإيفاء لحاجات المجتمع وقضايا البيئة بإيجاد الحلول المعاصرة لها²⁸. ومن ناحية أخرى لا شك أن الدولة ونظامها السياسي تأثيرها المباشر في امتلاك وسائل الإنتاج أو بناء الخطط المستقبلية لمشاريع التنمية وتحديد تلك الأبعاد وأولوياتها²⁹. وغالباً ما ترتبط العمارة بالسياسة واستخدام السياسيين أياها كأداة للوصول إلى أغراضهم الرمزية ومخاطبة شعوبهم مادياً وبصرياً عن طريقها³⁰، في هذا الصدد يرى المعماري (Leon Krier) أن "العمارة ليست سياسية، إنها مجرد أداة للسياسة". ويمكن أن نتوقف هنا عند مبنى الكونغرس الأمريكي (الكابيتول) كما في الشكل (2-4) الذي يمثل أحد أهم

²⁷ سارة ربيع. عقار له تاريخ، مكتبة الاسكندرية الجديدة، البناء بمبادئ الفلسفة، جريدة الشرق الأوسط، ٨/١١/٢٠١٥.

²⁸ الخزرجي، جمال بن عمار. القيم الشخصية وكيفية اكتسابها، مدونة العلوم الإنسانية الإسلامية شبكة المعلومات الدولية ١٨٠ يناير ٢٠٠٨.

²⁹ الحسيني اياد حسين عبد الله. فن التصميم، الفلسفة النظرية التطبيق، ج ٣، إصدار دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، ٢٠٠٨، ص ٢٠٨.

³⁰ النعيم، مشاري عبد الله. سفر العمران. مصدر سابق، ص ١٢.

المباني السياسية في العالم، فهذا المبنى مثل على الدوام الرمز السياسي المعماري الأبرز، ويعد من أعظم المباني في واشنطن، إذ تضيف الأعمدة العالية الكثيرة المصنوعة على الطراز الإغريقي المزخرف، والقبة الضخمة المستديرة، فضلاً عن الرخام الأبيض الذي يكسو المبنى من الخارج، جمالاً متقدراً مقترناً بدلالات ومعاني (تأريخية ورمزية)، لاسيما الارتفاع النصبي لفضاء القبة الداخلي الذي يبلغ نحو (٨٨ م)، بما يمنح سمات الهيبة والعظمة والقوة والسلطة العليا، وقد وصف بأنه يحمل سمات متحفية تحويه فضاءاته الداخلية من لوحات ومنحوتات محفورة تعكس أحداثاً مهمة عن التاريخ الأمريكي³¹. فإن تداخل السياسة بالتصميم تداخل عميق وعلى أصعدة متعددة لا يقف فقط عند البعد البصري "الأيقوني" بل يمتد إلى السياسات العمرانية التي غالباً ما تخدم أغراضاً سياسية وظفها السياسيون لخدمة مصالحهم.



شكل (2-4) يوضح مبنى الكونغرس (كابيتول) - واشنطن

المصدر: <https://lite.almasryalyoum.com>

ولطالما عُدَّت العمارة وبيئاتها الداخلية أداة سياسية بيد الحكام، فجاءت كثير من الشواهد والصُّروح، رموزاً تُعبر عن حُفَب السلاطين والأمراء، كبناء المساجد والقصور، وتشيد الأسوار الدفاعية، ولابد أن تستقر القيم السياسية وتُترجم على شكل استقرار حضاري³².

فغالباً ما يقترن العمران بإظهار سلطة الدولة وهيبتها، ويجسد نهجها الذي تُسير عليه، لذلك تُشيد القصور لتبرز عظمة السلطة السياسية عبر سمات القوة والسيطرة والتنظيم، كما هو حال قصر الحمراء في الأندلس الذي يعد تحفة تأريخية وأغنى ما توصلت إليه الحضارة الإسلامية، إذ اقترن بسمات شكلية كالتناسب والاتزان والاعتدال والتناظر دلالة على سياسة الدولة وعظمتها وعكس استقرارها السياسي والاقتصادي والاجتماعي كما الشكل (2-5).



شكل (2-5) يوضح سمة التوازن والتماثل والتناسب والاستقرار -قصر الحمراء -إسبانيا

المصدر: <https://www.aa.com.tr>

وهكذا تكمن تجليات القيم السياسية في التصميم الداخلي عبر البعد البصري الأيقوني للتشكيل الذي يمنح سمات السيطرة

³¹ الإمام، علاء الدين كاظم. مصدر سابق، ٢٠١٣، ص ١٢٠.

³² محمود وحيد محمود صيدم، مصدر سابق، ص ٣٧.

والعظمة والقوة على مستويات عدة لتشكل بدورها منظومات القيم السياسية وهي: مستوى العناصر: عبر الارتفاع النسبي وصرحيه عناصر الفضاء الداخلي المحملة بالرموز والمعاني التاريخية. مستوى العلاقات: التي تُفصح عن حالة الاستقرار السياسي وهيبة الدولة وتنظيمها كعلاقات التوازن والتناسب والتماثل والتناظر.

مستوى القيمة المادية: للخامات الداخلة في التصميم من ناحية متانتها وجودتها ونفاستها. كما تبرز لتحقيق أهداف الدولة السياسية والاجتماعية. ومما تجدر الإشارة إليه إن هرم اللوفر الزجاجي الذي صممه المعماري الصيني الأمريكي (L.M.PEI) عام ١٩٨٩ كإضافة لمتحف اللوفر في باريس كما في الشكل (2-6) ، كما نلمس بصمة المعمار من خلال التصميم المتفرد والتميز بعملية إضافة مغايرة للتصميم الأصلي.



شكل (2-6) يوضح البعد البصري الأيقوني النسبي للفضاء والتشكيل الرمزي للهرم والقيم المادية للتشكيل التي تجمع بين المتانة والجدة والقوة - هرم اللوفر الزجاجي - باريس

المصدر: <https://www.okaz.com.sa>

2-3-3 القيم النظرية

تتمثل القيم النظرية بمجموعة القيم التي يعبر عنها اهتمام الفرد بالعلم والمعرفة والسعي وراء القوانين التي تحكم الأشياء بقصد معرفتها ويتصف صاحب القيم النظرية بقدرته على النقد والنظر إلى الأمور بموضوعية³³. إذ فرض صدى النقلة العلمية والتقنية التي يشهدها عصرنا الحالي تحولات كبيرة على الأصعدة كافة، ولا سيما حقل التصميم الداخلي. فاقترنت بنتائج أفصحت عن مُتغيرات شكلية غير مسبقة مهدت لظهور أنماط تصميمية متنوعة على مستويات عدة، بحسب مفهوم القيم النظرية وهي كالآتي:

أولاً. مستوى التكوين الشكلي لعناصر الفضاء الثابتة والمتحركة: فقد جاءت بمتغيرات شكلية مُستجدة مع تنوع وتحرر واضح منح هياكل غرائبية بعيدة عن الأشكال الإقليدية ذات الزوايا القائمة والأسطح المستوية إلى هياكل مُتراكبة ومتداخلة بتراكيب مُعقدة وديناميات واضحة ولم تبتعد عن كل ما هو تقليدي فحسب، فقد مهدت الثورة المعلوماتية إلى اختفاء الوحدات القياسية للفضاء الداخلي ليحل محلها ما يُسمى بالعمارة الذكية، في محاولة إضفاء المرونة والتكيف مع الفضاء، حققت العزل التام وتوفير أكبر قدر ممكن من الخصوصية دون الحاجة إلى فاصل مادي فيزيائي يفصل بين الفضاءات وذلك من خلال الجدران الهولوجرافية Holographic Walls فضلاً عن الجدران ذات النوافذ الكرسطالية LCD التي تحولت إلى شاشات داخل الفضاء ونوافذ نطل منها على عالم غير فيزيائي وتطورت لتصبح عنصراً تشكيلياً وظيفياً وفي بعض الأحيان الفكرة الرئيسية لحل المشروع³⁴.

ثانياً. مستوى الخامات وقيمة التشكيل المادية تشهد التصاميم المعاصرة استخدام مواد تواكب النقلة المفاهيمية والعلمية

³³ منى سيد عثمان بدر، وآخرون. العلاقة بين فلسفة التصميم وفلسفة القيم، مجلة العمارة والفنون، العدد ٧، مصر، ٢٠١٧، ص ٣.

³⁴ مدحت احمد سمرة. استخدام تقنيات المستقبل لتطوير فراغات التعليم المعماري في مصر، مجلة العمارة والفنون العدد العاشر مجلة العمارة والفنون العدد العاشر DOI:0044815/10.12816 ، ص ٥٦٢-٥٦٣.

التي يشهدها العصر، تمتاز بمرونتها وقابليتها على التكيف مع سياقها المحيط، ووضحت قيمة وسيلية أدواته لتحقيق قيم غائية نهائية كبرى، فلم تقتصر على تأثيراتها البصرية لتكوين متغيرات شكلية جاذبة إنما حققت أبعاداً وظيفية أسمى، إذ تفاعلت التكنولوجيا الرقمية لإنتاج مواد حديثة ذكية Smart Materials لها القدرة على التغير والتحول بما يلزم الظروف المحيطة، كما إنها قادرة على الإحساس بالطاقة وإطلاقها وتخزينها حسب الحاجة، إضافة إلى خفة وزنها وقوة احتمالها وإمكانية التحكم بها عن بعد وسهولة فكها وتركيبها.³⁵ كما ظهرت المواد المتطورة كأحد الحلول الذكية بدمجها مع البيئة المحيطة فيمكن تعديلها وفقاً لتغيرات البيئة عن طريق أجهزة الاستشعار بما يهيئ بيئة ملائمة ومريحة، كالزجاج الذكي عبر تقنية التحكم برقائق كهربية داخل الزجاج، تتيح للمستخدم التحكم بدخول كمية الضوء التي يريدها في فترة زمنية بغض النظر عن حجم النافذة، ويتوافر بأشكال منحنية.³⁶

ثالثاً. مستوى تقنيات التصميم والتنفيذ: مهدت الثورة العلمية لتطور مستوى تقنيات التصميم والتنفيذ التي اقترنت بأساليب وأدوات ووسائل متنوعة ومُستجدة، عمقت من مستويات الفكر التصميمي من ناحية التفكير والمعرفة والتجريب، وكان للطبيعة الدور الأبرز في استلهام المصمم تقنياته الفكرية والتطبيقية (العملية) منها، إذ أفصحت عن معالجات تصميمية وبيئية ومناخية متفردة. فقد فرض التقدم التكنولوجي إمكانيات ساعدت على تطور الفكر التصميمي باستغلال الطبيعة وهي الملهم الأول للإنسان. فقد قدم المعماري نورمان (فoster) تصميمه لمبنى سويس ري في لندن عام ٢٠٠٤، كما موضح في الشكل (2-7)، ومن خلال رؤيته العضوية طوّر من شكل ثمرة (الأناناس) الشهيرة باستخدام برامج الحاسوب الآلي عبر توظيف شبكة خارجية على شكل خلايا معينة الشكل كبديل للأعمدة التقليدية، كما أن المبنى بتصميمه المبتكر يُحقق توفيراً في استهلاك الطاقة يصل إلى حوالي ٥٠% مقارنة بالمباني المماثلة التقليدية باستخدام الأقفان الحلزونية التي تسبب فروقاً في ضغط الهواء تعمل على توليد تيار هواء داخلي. كما تتكون واجهة المبنى من طبقتين من الزجاج تحيطان بتجويّف يتم تهويته بالستائر الموجهة إلكترونياً.³⁷



شكل (2-7) يوضح التشكيل العضوي وفق تقنيات الحديثة لمبنى سويس ري - لندن

المصدر: <https://www.sayidaty.net>

لقد مكن التطور التكنولوجي والعلمي من تغيير أساليب التكوين الشكلي وتعدد أطرها، ولم يقتصر على تغير المواد والتكوينات والهياكل الإنشائية، إنما شمل النظم والتقنيات والوسائل المتطورة باستمرار، فأفصحت عن انعطافات ثورية وتحولات متسارعة، لتغيير القيم الحاكمة للتصميم إلى قيم تتناسب عصرها منحت الحرية الكاملة للمصمم الداخلي لئلا يُصمم ويختار التوجه الذي يحقق له التميز والتفرد، لذا تولت مسميات أنماط عدة كالعمارة العضوية والهجينة والجينية والكريستال والخوارزمية والبارامترية والوسائل وغيرها من الأنماط.

³⁵ خالد محمود هيبه. العمارة المعاصرة والتكنولوجيا: رؤية نقدية مجلة جامعة أم القرى للهندسة والعمارة، المجلد 5 العدد 1، ٢٠١٣، ص ٦٥٥٩

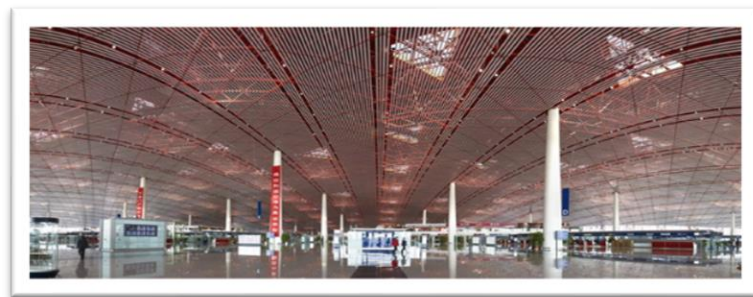
³⁶ مدحت احمد سمرة. مصدر سابق، ص ٥٦٣.

³⁷ خالد محمود هيبه. مصدر سابق، ص ٥٩.

2-1-3-4 القيم الاقتصادية

ترتبط القيمة في الاقتصاد بالمنفعة وتتخذ منحنيين، الأول يتعلق بجانب براغماتي يتحقق بوجود منفعة أي ما يتحقق نتيجة العمل من نفع وفائدة، والجانب الآخر قيمة المبادلة أي قيمة الشيء مساوياً بالمقدار والتقدير شيئاً آخرًا مكافئاً له. أي تعني صالحية الشيء لإشباع الحاجة (قيمة المنفعة لمتاع ما)، فهي تؤول إلى المنفعة التي يُحققها الشيء³⁸، وفي هذا الصدد وصف (Ada Smith) في كتابه (ثروة الأمم) ما عرفه بمفارقة القيمة، وهي أن للأشياء ذات القيمة الأكبر في الاستخدام قيمة ضئيلة أو معدومة في كثير من الأحيان، وعلى العكس من ذلك فإن الأشياء ذات القيمة المالية الأكبر في التبادل غالباً ما تكون قيمتها قليلة في الاستخدام. وكان هناك ردان على تلك المفارقة، فقد عمد الشيوعيون إلى القضاء على التناقض من خلال تصور مجتمع يؤكد على الضروريات ذات قيمة الاستخدام الأكبر، التحكم بالكماليات التي لها قيمة تبادلية صرفية تقريباً، فكان للنهج الوظيفي ميزة العدل لكنه ارتكب خطأ كخطأ معظم التصاميم الوظيفية التي تؤثر الحياة من أجل البقاء فحسب دون تحقيق الرفاهية، من ناحية أخرى أخذ الرأسماليين مفارقة (Smith) على الاتجاه المعاكس فقد أرادوا تحويل كل شيء إلى سلعة قابلة للاستبدال، وبهذا ركز الشيوعيون على قيمة الاستخدام وركز الرأسماليون على قيمة التبادل. في الحقيقة إن تلك المفارقة لا تتضمن الصراع بين القيمتين، ولكن أيضاً الصراع الأساس بين ما نحتاج إليه وما نرغب فيه أي بين القيمة الأخلاقية والقيمة المادية كمفارقات واضحة المعالم³⁹.

ويمكننا رؤية قيم الموازنة بين الحاجات والرغبات في مطار العاصمة بكين الدولي تصميم نورمان فوستر كما في الشكل (2-8).



شكل (2-8) يوضح قيم الموازنة بين الحاجات والرغبات عبر قيم البساطة، مطار بكين - الصين

المصدر: <https://www.archdaily.com>

إن تشكيل الفضاء الداخلي بحد ذاته قيمة اقتصادية، لأنه يسعى لتوفير مكان تُمارس فيه الأنشطة المختلفة بإداء عال، وقد تتجلى القيمة الاقتصادية في مبدأ البساطة والتجريد، وفي استخدام المواد المتوفرة، وطرق التعامل معها بيئياً⁴⁰. كما تتجلى في استخدام الموارد المتاحة وعدم تدميرها في الحاضر والمستقبل وإعادة تأهيل المباني القديمة واستخدامها تبعاً لمفهوم تقليل استهلاك الطاقة والموارد⁴¹.

2-1-3-5 القيم الاجتماعية

تحتل القيمة الاجتماعية مكانة مركزية بين القيم، وتأتي هذه القيمة من مفهوم الحاجة وتلبية رغبة المجتمع وفقاً لعاداته وأعرافه. ولا تُدرك ماهية القيم وفق المفهوم الاجتماعي لولا الاتفاق الجمعي على وجودها، ولا بد لها من أن

³⁸ الجابري، محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، سلسلة كتب. نقد العقل العربي، ج 4، مركز دراسات

الوحدة العربية، بيروت. ٢٠٠١، ص ٥٥

³⁹ Thomas, Fisher Architecture. *Design and Ethics Tools for Survival*, oxford, Ox28Dp, UK, 2008, p: 15-16.

⁴⁰ محمود وحيد محمود صيدم، مصدر سابق، ص ٣٧.

⁴¹ السالم خلود عبد الخالق والبغدادي عبد الصاحب ناجي. الحفاظ والارتقاء الحضاري، مؤسسة تائر العصامي للنشر، بغداد، ٢٠٢٠، ص ٢٠

تشتق من المجتمع، أي قيم المجتمع تعكس حالة الذوق العام ويرتقي به، وينتج من خلاله ومن تفاعلاته وتفسيراته وحرفته، وبالتالي لا يكون التصميم غريباً ولا غرائبي بل هو منتج "أصيل"، فالشكل العبقري شكل كامن في عقول الجماهير يولد في حالات تاريخية محددة ليكون ملك الجماهير عبر الأجيال. فحتى مع تغير المزاج العام أو تغير الأجيال تبقى العبقريّة الكامنة التي شكلت الفضاء الداخلي حاضرة يُعاد تفسيرها لتلائم المزاج الجديد⁴²، وتتوحد القيم الاجتماعية للتصميم ما بين⁴³ :

- قيم التغيير الاجتماعي.
- قيم التفاعل الاجتماعي

أولاً. قيم التغيير الاجتماعي:

غالباً ما يحرص المصممون على الوصول إلى ابتكارات تصميمية مسؤولة مجتمعياً، عبر دمج القيم الاجتماعية بالتصميم، أي معالجة قيم المجتمع والتعبير عنها عبر ثقافة التصميم المادية. ويمكن وصف قيمة التصميم هذه على إنها التزام بتغيير المجتمع نحو الأفضل من خلال تشكيل بيئة الفضاء الداخلي. فغالباً ما يرى المصممون الملتزمون بقيمة التصميم للتغيير الاجتماعي عملهم كأداة لتحويل البيئة المبنية وأولئك الذين يعيشون فيها⁴⁴.

يرى (Parsons) الذي خاض في تفسير ظاهرة التغيير في نظريته المعقدة عن الفعل الاجتماعي، أن التغيير يتحقق نتيجة لطرائق المجتمع في استجاباته لتحديات المشكلات التي يمر بها في مختلف مستويات الأنساق حسب ترتيبها، فالقيم الثقافية (الأيولوجيا والأفكار والعقائد) هي التي تضبط وتحدد مدارج التغيير واتجاهاته. ويرى أن قيادة القيم لمسيرة التغيير تنبعث ابتداءً من النظام الثقافي Cultural System الذي تقوم أهم أنظمتها الفرعية بمهام صيانة النظام الكلي، لمواجهة مشكلات التصدع الذي قد ينجم عن مشاكل التغيير، وصولاً إلى نظام المجتمع⁴⁵. ولقد أرست حركة الحداثة الغرض الاجتماعي بفرض قيم اجتماعية معينة ضمن تصميماتها فدمجت قيم ومبادئ الانفتاح والشفافية. ويصعب فهم أعمال المعماريين من أمثال (Le Corbusier) و (Gropius) دون مراعاة التحول الجذري للمجتمع، من خلال تأثير التصنيع والتقنيات الجديدة. فقد كشفت تلك الأعمال عن صفات الحياة الجديدة النقية والعقلانية وساعدت في تشكيلها في المجتمع. ويؤكد (Hares) في كتابه "الوظيفة الأخلاقية في العمارة" على إن العمارة لا تقف عند وظيفتها الأدائية والشكلانية، وإنما تشمل مع المجتمع ونسيجه الاجتماعي والسياسي، وهذا كله مسؤولية البيئة المبنية⁴⁶.

اذ يحدث تغيير قيم المجتمع وفقاً لثلاث توجهات، إذ يرى الكثير من المنظرين أمثال (August Conte) و (Durkheim) على إن التغيير يتخذ مساراً موحداً تجاه المسار الغربي، فستغدو كل المجتمعات في نهاية مسيرة التطور مطابقة لمنظومة النموذج الغربي. وقد يراها الكثير من الموالين للغرب أن البيئة الداخلية التي تُشكل محملاً قيمياً بما تحمله من مضامين (إبداعية إيجابية) كتوجه أول، مقابل (التقليدية) كتوجه ثاني على إنها تحمل معاني الجمود وإن التطور يتمثل بتجريد المجتمع من التقليدية. لقد أصبح هذا المنظور في حساب الماضي، فالنظريات الحديثة ترى إن مسارات التطور أضحت (متعددة الاتجاهات) وهذا هو التوجه الثالث للتغيير⁴⁷، فلم يعد النظر للتقليدية على أنها معيق للتغيير الاجتماعي، لأن

⁴² النعيم، مشاري، مصدر سابق، ص ٦٥.

⁴³ Holm, Ivar. Op. Cit., 2006.

⁴⁴ SANOFF, H. Community participation methods in design and planning, New York, Wiley. 2000.

⁴⁵ Pearsons, Michael Parker; Richard, Colin, Architecture and Order; Approach to Social Space, Ledge, London, 1997 p.38-52

⁴⁶ Jeroen van den Hoven, and Others, Op. Cit, P 600-601.

⁴⁷ Robertson, IAN, Sociology, Published by worth Publishers, Inc, New York. 1981, p. 13-51.

تقدّم المجتمعات ذات الحضارة الراسخة يعتمد على غرس عناصر التنمية الجديدة في القيم الحضارية السائدة، فالتقليدية يمكن أن تظل حية في وجه التيارات العنيفة إذا اتجهت لمواكبة الحاضر⁴⁸.

وعلى ذلك فإن قيم التغيير الاجتماعي تشمل ثلاث توجهات هي:

- عصرية (مسايرة للواقع المستحدث).

- تقليدية (مسايرة لقيم الماضي).

- متعددة الاتجاهات (مسايرة بين قيم الماضي وقيم الحاضر).

ثانياً. قيم التفاعل الاجتماعي (تلبية الاحتياجات الاجتماعية):

يؤكد (Schulz) على دور المصمم في السيطرة على البيئة لتحقيق التفاعل الإنساني، بالسيطرة على التنظيم الداخلي للمبنى من خلال أربعة جوانب للعمل التصميمي هي:

التحكم الفيزيائي Physical Control بالسيطرة على تنظيم الفضاء الداخلي.

الإطار الوظيفي Functional Frame من خلال تحديد الحجم والكيفية للفضاء والمحاور.

السياق الاجتماعي Social Context بتحديد مدى التفاعل الإنساني والاجتماعي.

الترميز الثقافي Cultural Symbolization للقيم الإنسانية ونظمها الرمزية.

إذ ينبغي على الفضاء الداخلي توفير محيط ملائم لتشكيل السلوك من خلال تبادل المشاعر الطيبة مع الآخرين وتحقيق مستوى من الحاجات النفسية المهمة كالآمن والخصوصية وتعزيز التفاعل الاجتماعي، أي أن هناك علاقات متشابكة بين الفعاليات البشرية والفضاءات الداخلية وإن تغيير أحدها يستوجب تغيير الثاني⁴⁹، فمن خلال النظر في تحديد الديناميكيات الاجتماعية والوظائف وخصوصية كل وظيفة وما تتطلبه من تشكيل تفاعلي أثناء مراحل التصميم والتنفيذ، ويتحقق التفاعل من التمايز المكاني المستمر، وتعد التكوينات الفضائية المناسبة خير مثال على ذلك، سواء الشكلية التي تتخللها المنحنيات أو المناسبة مع الزمن بالانفتاح نحو الخارج والفضاءات المفتوحة التي تقدم الدعم الفعال للاحتياجات الفردية، والتفاعلات الجماعية على الرغم من أن هذه النماذج تُعد لغة مُستجدة على واقعنا التصميمي⁵⁰.

فإننا بحاجة إلى مكان لا يتجاوب مع فرديتنا فقط، بل يوفر الأمان الذي يتيح لنا أن ندرك أنفسنا كشيء غير مكتمل، نحتاج فيه للآخرين، أي بحاجة إلى مجتمع حقيقي يقدم تفسيرات لمكاننا في سياق تاريخي مستمر⁵¹.

يمكننا تحديد آليات التفاعل الاجتماعي في تصميم الفضاءات الداخلية بما يلي:

أولاً. آلية التحكم بالسياق الفيزيائي: تتعلق بآليات تنظيم الفضاء عبر طرق وأساليب التنظيم التجميعي والمتشابك والأكثر تعقيداً في التشكيل، وعبر التكوينات الفضائية الشكلية (المناسبة) كالمنحنيات والانكسارات، والزمنية عبر الانفتاح نحو الخارج.

ثانياً. آلية التحكم بالسياق الوظيفي: يتم التعبير عن الغرض الاجتماعي عبر المساحات الكبيرة والفضاءات المفتوحة بعضاً على بعض أو الممرات والمحاور الواسعة والتخصيص الوظيفي للمساحات.

⁴⁸ Smocks, JJ, From Tradition to Modernity, **Higher Education in an Era of Global change Education and society**, Vol (16), No. (1), 1998, p. 15-26.

⁴⁹ المعموري، عبد الله سعدون سلمان، إنسانية العمارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص 9.

⁵⁰ Zhini poh – **Fluid architecture, Questioning the validity of fluid Architecture as a socially progressive Model** Through Case Studies, M.A. Architecture, University of Westminster, London, 2017, p: 87.

⁵¹ Harries, Karsten. **The Ethical Function of Architecture**, the MIT Press, Cambridge, Massachusetts, U.K., 1997 p: 265.

ثالثاً. آلية السياق الاجتماعي: وهي تتعلق بتفاعل المستخدم مع الآخرين من خلال التمايز المكاني المستمر الذي تتخلله الأماكن الحميمة، بما يحقق خصوصية لأجزاء معينة للتخفيف من رهبة الفضاء، وعن طريق المباني المؤسسية المتعددة الفعاليات والمتاحة لأكثر عدد من الأشخاص.

رابعاً. آلية السياق الثقافي: والتي تتعلق بتفاعل المستخدم مع تكوينات الفضاء، عبر المكان المحمل برموز المعاني الإنسانية والثقافية والحضارية والعقائدية (عادات وتقاليد).

فإن تعامل الفرد المستخدم مع تلك التكوينات له تأثيراً قوياً على تجربته الحية داخل الفضاء وتفاعله معه.

2-1-3-6 القيم الجمالية

تتمثل القيمة الجمالية للتصميم الداخلي بالصياغة المظهرية لتشكيل الفضاء الداخلي، والتي لها القدرة على إثارة المشاعر الإيجابية، وإثارة المتعة والانفعالات وتفعيل إدراك المتلقي الحسي، وغالباً ما يتجسد جمال التكوين الشكلي عبر العلاقات الرابطة بين عناصره بغض النظر عن جماله المادي أو الوظيفي أو التقني أو الاتصالي المحمل بروح العصر، عبر ما تُفصح عنه العلاقات من معنى كامن لتفاصيله. ويُدرك الجمال كقيمة وفقاً لخزين المتلقي المعرفي وحالته النفسية عبر ما لديه من صور ذهنية وخبرة فنية متراكمة.

ويمكن تصنيف القيم الجمالية إلى ما يلي:

1. القيم الحسية: وهي ما يستشعر الإنسان من معاني جمالية البيئة عبر الخصائص المادية الملموسة من خلال اللون والحجم والهيئة والملمس، بوصفها مثيرات حسية ذات تأثيرات بصرية متعددة تستقطب الحواس جميعها، فهي قيم ظاهرة ترتبط بالعناصر المدركة ويرتغن الإدراك الحسي بقدرة التفاعل مع الشكل من عدمه، وتستند على طبيعة وكَم الخزين المعرفي لدى المتلقي.

2. القيم الشكلية: وتنشأ من خلال الخصائص البنائية للتعدد الصوري للكيلات المتشكلة من الهيئة وتُناسب الأبعاد الشكلية والإيقاعات المتنوعة، وما تحمله الأشكال من إقترانات تعبيرية وتؤدي دوراً فاعلاً في الإحساس بالمعنى الجمالي بمستواه الشكلي، أي تنشأ من اللذة التي يجدها الذهن في إدراك جميع أنواع العلاقات. وقد تكون تشابه أو تماثل أو تضاد، وتقع هذه العلاقات بين العمل الكامل وبين أجزائه، أو بين بعض الأجزاء أو بين كليات فنية مختلفة⁵².

3. القيم الارتباطية: وتُسمى بالقيم الرمزية أو قيم المضمون، وهي تُضفي على الموضوعات الجمالية معنى، وتصبح مرتبطة بالتصميم عبر ما تحويه من مضامين فكرية تُذكر المتلقي بأشياء أو أفكار أو أحداث موجودة أو كانت موجودة خارج المجال الجمالي⁵³.

2-2 المبحث الثاني: التمثيلات القيم والمتغيرات الشكلية في تصميم الفضاءات الداخلية

2-2-1 حضور الشكل في التصميم:

ينشأ الشكل تبعاً لعوامل المصمم الذاتية أو لموضوعية الفكرة التي تلائم المجتمع وعاداته وأعرافه وقيمه، ومن هنا تتعدد أساليب النمط الواحد يؤكد (المسيري) على إن العمارة ومكوناتها الداخلية هي نتاج مادي ولكنه شديد التعقيد والتركيب ومُحمل بالصفات والعلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية فضلاً عن القيم الجمالية والتشكيلية، بل قد تُطال العمارة العناصر الحضارية والأبعاد المعرفية. تتطلب عملية تشكيل الفضاء الداخلي، وفق هذا المنظور،

⁵² الامام، علاء الدين كاظم منصور. القيم الجمالية بين البساطة والتعقيد في التصميم الداخلي، بحث منشور، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد ٢٠،

العدد ٨٦، ٢٠١٤، ص ١٣٢-١٢٩

⁵³ الغبان، باسم قاسم. مفاهيم عامة في فلسفة التصميم، ط ١، مكتب الفتح للطباعة والاستنساخ، بغداد، ٢٠١٥، ص ١٢٧.

نموذجاً مركباً لتفسيرها وفهمها⁵⁴. ويؤكد (Haring) "على وجوب استنباط شكل الفضاء الداخلي من عوامل لا شكلية، كالعوامل السياسية والاجتماعية والتكنولوجية. فالشكل ليس سوى استجابة لعوامل عاطفية وعقلانية متعددة معقدة وإن على المصمم ألا يفرض الشكل بل يستنتجه من الواقع الحياتي المحيط بالفضاء". تعد أشكال العناصر التي تُؤلف الفضاء الداخلي المكون الفعلي في إبداع تشكيله وتنظيمه، لما لها من تأثير في توجيه النشاط والسلوك الإنساني من خلال البنية الشكلية الفيزيائية أو ما يحمله الشكل من صفات تعبيرية تؤدي إلى عملية اتصال فكري⁵⁵.

وصنف (Ching) خواص شكل الفضاء الداخلي إلى⁵⁶:

أ- الهيئة التي تمثل التشكيل المميز للحدود والسطوح، وهي المبدأ الذي يتم من خلاله تصنيف الأشكال.

ب- الخواص البصرية وتشمل الحجم والمقياس واللون والملمس.

ت- الخواص العلانية وتشمل الموضع والتوجيه والثبات البصري.

ويصنف (بونت) الشكل على مستويين تبعاً لتلك العلاقة بين الشكل والمعنى هما:

الشكل الفيزيائي (المادي) والشكل الدلالي. ويقصد بالشكل الفيزيائي مجموعة المعالم المدركة ادراكاً مباشراً أو غير مباشر، مثل الهيئة واللون والملمس والرائحة والصوت ودرجة الحرارة.. وهكذا.

أما الشكل الدلالي فتجريد للشكل الفيزيائي يضم بعض المعالم التي تُشير إلى معنى⁵⁷.

ويؤكد (جنكيز) على أن ثمة مجموعة أخرى من المدلولات الضمنية في (اللاوعي) يمكن أن توضحها العمارة وبنيتها الداخلية، وهذه تتضمن الأعراف الاجتماعية، والمعلومات الأنثروبولوجية، وهي إما واضحة جداً أو غامضة جداً لتصبح مدلولاً (في الوعي). ويوضح أن بنية الفضاء بلا شك قادرة دوماً على الدلالة على شيء ما. وركز جنكيز على ما وصفه بأنه البنية التي تؤثر في الناس، وميزها بأنها تقصد إيصال رسالة⁵⁸. فقد يصرف المصممون جُلَّ اهتمامهم على الشكل وكيفية إظهاره عندما يوكل إليهم مهمة إنجاز تصميم معين. في حين إن الأجدر بهم البحث عن منظومة من المبادئ والقيم تكون بمثابة أنموذج لا سلوب العيش، ثم محاولة تجسيده في الواقع. وهذا ما يُفسر محاولة العديد من المصممين الوصول إلى التصميم المثالي ويسعون في إثر خلقه، ذلك إن القيم تُرشدنا إلى عيش حياة جيدة⁵⁹.

2-2-2 التمثلات القيم ومتغيرات الشكلية:

إن تصميم البيئة الداخلية أبعد من أن يكون محض تلبية لمنجز تصميمي وظيفي أو حلاً لمشكلة معينة، فهو وسيلة لتلبية الحاجات المستجدة بما يتلاءم مع الزمان والمكان والبيئة الثقافية التي تضمه، ويسعى إلى أن يكون عملاً متقناً مركباً بلامح وتفصيل تعكس قيم المجتمع المصمم له للوصول إلى الحالة الأمثل التي تستجيب لمتطلبات الفرد والمجتمع المادية منها والمعنوية.

ولهذا يحرص المصمم الداخلي على تضمين عناصر تكويناته الفضائية قيماً عميقة الجذور ورموزاً اقترانيه تتفاعل في محصلة قوى تتمخض عنها تكوينات شكلية مبتكرة تُحاكي القيم والمفاهيم المتنوعة في مرجعياتها، فتستثير مشاعر الوحدة

⁵⁴ المسيري، عبد الوهاب. الإنسان والحضارة، دار الهلال للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٨.

⁵⁵ الإمام، علاء الدين كاظم. بنية الشكل الجمالي في التصميم الداخلي، ط ١، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٤، ص ٢٦.

⁵⁶ Ching, Francis, D.k. **Architecture: Form, Space, and Order**, 2nd Edition, International Kindle Paperwhite, 1996, p.320-321.

⁵⁷ Bonta, Juan. **Signs Symbole and Architecture, notes for a Theory of Meaning in Design**, 1980

⁵⁸ Jenks, Charles . **Signs ,Symbole and Architecture**, The Architwcture Sign, John Wiley & Sons, 1980,

⁵⁹ Thomas Fisher, **Op. Cit.**, p: 152-153.

والاندماج النفسي مع المكان بتفعيلها مشاعر الانتماء والهوية المشتركة⁶⁰، فالتصميم ليس ذلك الفن الذي يُشبع غرور المصمم في التعبير عن أسلوبه أو طريقة تفكيره مهما كان مبدعاً، بل هو فن معالجة البيئة ومكوناتها معالجة خلاقة تُؤسس الحياة والمجتمع بما يتناسب مع تنامي الوعي والقيم الإنسانية العليا. ومهما يكن من أمر، فإن فلسفة التصميم نتاج بيئة معينة أنثروبولوجيا ثقافة وسلوك وعقيدة وتراث وعادات وتقاليد وتكنولوجيا وتطويره في تلك البيئة، ثم تطبيق تلك المعطيات ووضعها في التداول الإنساني⁶¹.

إن العمارة وفضاءاتها الداخلية منظومة قيمية، لا مجرد منظومة طرز، تؤثر بانقسامها إلى قيم أداتية بدائية وفعل إنساني حر، تكون حركة الوعي فيه أكثر اشتداداً بين الفكر والتكنيك⁶² يتمخض عنه حضور التصميم الداخلي في هيئة حدث مخصوص بزمان ومكان وإنسان معينين، مؤكداً جوهرية الاختلاف ضمناً، إذ يمكن أن تتحول القيم إلى لغة يختص بها فضاء داخلي لحضارة ما يتميز عن فضاء حضارة أخرى⁶³.

وربما تظهر تمثيلات القيمة بمظهر (سلوكي أو فعل يختلف باختلاف القيم ذاتها)، فقد تأخذ قيمة الصدق، على سبيل المثال، مظهراً يتجلى ببساطة توجهات الحداثة، أو التعبير المنشئ الصريح للعمارة الفائقة، أو الارتباط بالسياق والماضي لعمارة ما بعد الحداثة ومن ثم فإن ظهور القيم يتبعه مظهر وتشكيل يتجلى بهيئة فعل أو ممارسة⁶⁴.

حقيقة الأمر إن الأشكال تنمو بمرونة عالية في البداية حتى تصل مرحلة الاستقرار وهذه المرحلة غالباً ما تصنعها "الثقافات" التي تتكون منها الطرز. ذلك أن لكل ثقافة أسلوبها في ابتكار الأشكال التي تستقر بعدئذ في الذاكرة ومن ثم تتغير تلك الأشكال ببطء شديد من بعد الاستقرار الأول، بيد إنها تظل في حالة حركة، إذ إن فكرة التغير والنمو الشكلي والاستقرار وثيقة الصلة بالإنسان وتتعاكس على كل ما يبتكره. فالأشكال المصممة تمر بحالة حركة ونمو ثم تستقر لتصبح ضمن الأشكال المعروفة جماعياً لتستخدم بعد ذلك للدلالة على الهوية التي هي أصلاً في حالة صيرورة متغيرة. فنحن نميز بين الثقافات من خلال الأشكال التي تنتجها. فمهما تغيرت هيئة المسجد على سبيل المثال، سهل التعرف عليه لأنه شكل مستقر ولا يُطال التغير سوى الهامش، أما الجوهر فمستقر، ويصدق هذا الأمر على كثير من الأشكال حولنا.⁶⁵

في مطار شانغي في سنغافورة، الشكل (٢-٩) أدرك المعماري (Moshi Safadi) بذكاء عناصر المكان الأنثروبولوجي وعالجها بعناية فائقة على المستويات الوظيفية والجمالية والسياحية والاقتصادية والترفيهية والخدمية في التصميم، فنقل البيئة الخارجية الغابات والمياه والطيور في ذلك البلد الصغير إلى فضاءات المطار الداخلية. ووفقاً لوجهة نظر ميشيل فوكو في اركيولوجيته (الحفر في البنية العميقة) من بنية مفتوحة إلى بنية مغلقة ولكنه أبقى عليها بنية مفتوحة إشارة لديمومة الحياة واستمرارها، أي أن طراز التصميم الداخلي سيظل على الدوام لا يتغير بتغير الأسلوب أو الطراز، بل رسخ مفهوم ثقافة المجتمع بعلاقته الوثيقة بالبيئة، وحولها إلى عملية تجارية (مطار وخدماته)⁶⁶.

⁶⁰ الإمام، علاء الدين كاظم. مصدر سابق، ٢٠١٣، ص ٩٣

⁶¹ الحسيني، أياد. التصميم المستدام، مقالة منشورة، الموقع الرسمي للدكتور اياد الحسيني بتاريخ ٣١/٥/٢٠٢٠.

⁶² Stratton&Mannix, Julius Adams Startoon and Loretta H Mannzi, Mind ana Hand: **The Birth of MIT**, paul E Gray, the MIT press Cambridge, Massachusetts, London, England, 2005, P190-192.

⁶³ رسول، هوشيار قادر. العمارة والتكنولوجيا دراسة تحليلية للفعل التكنولوجي في العمارة، اطروحة دكتوراه، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص ٨.

⁶⁴ عدي عباس عيود. التكنولوجيا بعداً قيمياً وأثرها في العمارة المعاصرة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة التكنولوجية، قسم هندسة العمارة، ٢٠١٥، ص ٢٠.

⁶⁵ ابونا، روني سامي منصور، مصدر سابق، ص ٦٧.

⁶⁶ الحسيني، أياد. التصميم المستدام، مصدر سابق.



شكل (2-9) يوضح انعكاس منظومة القيم الجمالية والاقتصادية او الاجتماعية والبيئية في تشكيل الفضاء الداخلي - مطار شانغي - سنغافورة

المصدر: <https://www.safarway.com>

ونلمس في مطار بغداد الشكل (2-10) الذي صممه شركة باسيفيك اليابانية وعالجت الفضاءات الداخلية بعناصر وثيقة الصلة بالثقافة العراقية ومفرداتها التاريخية والتراثية بأقواس إنارة اسلامية مفككة مُستسَخنة من دور العبادة والجوامع والأضرحة والمزارات في العراق. أي إن الشركة المصممة اعتمدت الثقافة الدينية في صياغة الأسلوب المعماري للفضاء الداخلي. فنجد التصميم في التعبير عن الثقافة العراقية المحلية تعبيراً موفقاً بتبنيه الماضي كبنية مغلقة غير قابلة للانفتاح، هي مرجعية التصميم الأساس والوحيدة ⁶⁷.

ولكن على الرغم من ذلك ثمة نوع من الإثارة والإغلاق الإدراكي البصري (كما في الجشتالتية). فقد نَقَذ المصمم فكرة العقود من دون أن تؤثر الأعمدة على انسيابية الحركة، فجعلها معلقة غير مكتملة. اما العقد كقيمة رمزية في الإسلام فهو دعوة ترحيبية للدخول من عالم معلوم إلى آخر مجهول، ليأتي استكمالاً لفكرة الإثارة وجمالية معطياتها في كلا التصميمين (مطاري بغداد وسنغافورة) غاب المصممان غياباً مطلقاً وحضرت منظومة القيم الثقافية والحضارية التي تربط المجتمع بالحياة ونمط العيش حضوراً طاعياً ⁶⁸.



شكل (2-10) يوضح انعكاس القيم الدينية والحضارية في التصميم الداخلي - مطار بغداد الدولي - بغداد

المصدر: <https://www.ina.iq>

2-2-3 اتجاهات القيم في العمارة والتصميم الداخلي:

تتباين توجهات القيم في التصميم الداخلي ما بين تحقيق مكانة الفضاء المُصمَّم المُثقل بالقيم وما بين معايير الجودة من النواحي الوظيفية والجمالية والبيئية. ويُحسم المصمم توجهه على وفق بعد فكري يستقيه من أبعاد المجتمع المصمم له ويستلهمه من قيم ذلك المجتمع. ولكي تحقق القيم تأثيرها المعنوي لا بد أن تتخلق بمنظومة قيمية أخلاقية

⁶⁷ الحسيني، أياد. التصميم المستدام، مصدر سابق.

⁶⁸ الحسيني، أياد. التصميم المستدام، مصدر سابق.

تمنح الإحساس بالمكان وتمنحه البعد الروحي فضلاً عن أبعاده الوظيفية والجمالية، وتُعرف القيم عموماً وفي التصميم الداخلي والعمارة خصوصاً في ضوء أربع توجهات هي⁶⁹:

2-2-3-1 المكانة

يكتسب الفضاء الداخلي قيمته من المكانة والحضور اللذان يُفصح عنهما عبر العديد من الخصائص. فقد ينال الكثير من الفضاءات مكانة مرموقة لدى المتلقي بمجرد معرفة مغزاها والغرض منها والوظيفة التي تؤديها، حتى وإن كانت بصياغات بسيطة كدور العبادة والمحاكم وأماكن التعليم وغيرها، فإن قصدية البنية المصممة من ناحية الغرض والهدف من إنشائها ليست أحكاماً وظيفية فقط، وإنما قيمية في بنيتها العميقة فلا بد من الحكم القيمي لتقييم مشروع تصميمي من ناحية القصد إلى إنه يهدف إلى الوصول إلى "الأسْمَى" لتحقيق فضيلة قيمية للعمل. إذ تُضفي طبيعة المشروع بعداً قيمياً يمكن قياسه من منطلق القصدية أولاً، أي إن الفضاء الداخلي يُحقق وظيفة قيمية في محيطه حتى لو أدى وظيفته العملية مشروع غيره في ذلك المكان وتلك البيئة الاجتماعية، لخدمة قضايا إنسانية وفق قوانين أخلاقية وقيم اجتماعية⁷⁰. فالمكان يحمل قيم الحميمية والاحتواء والعاطفة وتُعدّ هذه القيم جوهرية في بناء مكان تعلق ذكره في ذهن ولهذا يذهب (Bachelard) في مؤلفه *The poetics of space*: شاعرية المكان إلى القول بأن "البيت الذي يتم اختياره ليس بصندوق خامد، بل هو حيز مشغول يتجاوز هندسية الفضاء"⁷¹. وتكون قيم الحميمية والعاطفة بمقدار التفاعل المتبادل بين المتلقي والمؤثر، مما يؤدي إلى تحريك الشعور بالعاطفة يبدأ هذا التفاعل من لحظة الإدراك البصري، ويستمر إلى مرحلة التأمل والتعرف على أبعاد التكوين الشكلي، وصولاً إلى المضمون التصميمي والوظيفي، ليأسر المشاهد التصميمي عاطفة المتلقي ويُحرك إحساسه ويثير الدهشة بصور متعددة من القيم العاطفية، منها⁷²:

١. جمالية التكوين التشكيلي، المتمثل بالنسب الهندسية والعلاقات البصرية المتوافقة في الفضاء الواحد، أو مجموع الفضاءات والمساحات المحيطة.

٢. بساطة وحدات التكوين، وتكرارها الذي يُنظمها في ظل التنوع والوحدة اللانهائية.

٣. التنوع في نسب الفتحات وتوزيعها وإيقاعها، ضمن وحدة التكوين.

٤. عبقرية الإداء الوظيفي، وكفاءة ملائمة الفضاء لبيئته المحيطة، والمعالجات التي تحقق الوظيفة، ضمن الظروف والإمكانات المحلية.

٥. تضمين معاني ورموز تراثية بروح مُعاصرة لتكوين فضاءات مُبدعة التشكيل والوظيفة والإدراك.

ويرى (Hanz sedlimary) أن الوصول إلى مهمة تصميمية رائدة تحقق مكانة للبنية المصممة لا بد من توافر مجموعة من المبادئ التي تضفي على التصميم جانباً اعتبارياً وحضورياً جيداً من خلال:

أولاً. الأمان: (Safety)

لكي يُحقق الموقف التصميمي مكانة لا بد أن يتصف بالأمن ويمنح أكبر قدر منه⁷³.

ويتجسد ذلك في توفير فضاء يمنح الفرد المأوى الجسماني والنفسي، أي ضمن مأوى حقيقي يمنح الأمان والإحساس بالمكان، ويوفر الثقة بالعالم المادي المحيط به والمُحتضن له وهنا تكمن المفارقة في تناقض توفير فضاء آمن في ظل بيئة مُتغيرة غير مُستقرة، ويتناول (Bachelard) هذه المفارقة عندما يتحدث عن الأعشاش، فالعش يشعرنا بالأمان على الرغم

⁶⁹ عدي عباس عبود، مصدر سابق، ص ٢٠

⁷⁰ عبد الله سعدون سلمان، مصدر سابق، ص ١٥٧

⁷¹ Bachelard, Op. Cit., p.47.

⁷² محمود وحيد محمود صيدم. مصدر سابق، ص ٢٣-٢٥

⁷³ Harries, Karsten, Op. Cit. p. 290

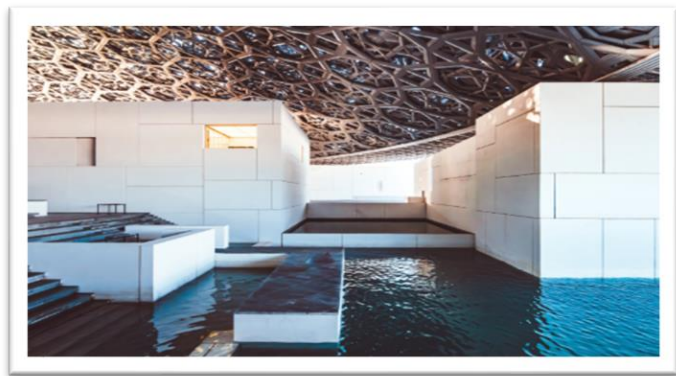
من المخاطر التي تحيق به، إذ تشير استعارة العش إلى الحب المدعوم بالثقة بالعالم دون سبب لهذه الثقة⁷⁴، الشكل (2-11).



شكل (2-11) يوضح توفير بيئة امنية عبر الشكل البيضي المغلق الشبيه بالعش لمبنى مدرسة وتعمق النوافذ المرتفعة والصور العالي ذو الفتحات الاحساس بالمكان -الهند المصدر: <https://www.dkarchitects.com>

ثانياً. الخيال: (Imagination)

غالباً ما يمنح الخيال للتشكيل المصمم مكانة ومنزلة، وإن تضمنه بشكل خاص يُحيط التصميم بميزة واضحة⁷⁵، سيما الخيال السردي الذي يُعبر عن صفات المكان وما يتعلق بثقافة معينة وقيمها لا غنى عنه، لأنه يزيل القوالب الجامدة والآليات المحددة بصفاتها طقوس للتصميم ويتخطاها فينأى بالتصميم عن ضيق الأفق⁷⁶، ينظر الى الشكل (2-12). ويعتقد المنظر (ادموند بورك) إن فلسفه الخيال الأخلاقي هي " القدرة على التفكير خارج منطقة الجزاء وتصور أساليب أخلاقية ذات منفعة وتستند على العقل والنظام والسلام والفضيلة". ويشير الخيال الأخلاقي إلى قوة الإدراك التي تتخطى حواجز الأحداث اللحظية لأننا لا نستطيع أن تحقق معايير جيدة إذا كنا نعتد على التجربة الشخصية الفعلية مرشداً معيارياً في ممارسة المهنة، وذلك من أجل هدف أسمى يحقق رسالة إنسانية ذات منفعة لتطوير المجتمع. يُولد الخيال الأخلاقي معقولة التصور وينتج قرارات نابعة من القيم وهذا النوع من الخيال هو ما المصمم الناجح كي يولد ممارسة أخلاقية لتصاميم عقلانية خاضعة للقيم والمبادئ⁷⁷.



شكل (2-12) يوضح الخيال السردى المعبر عن صفات المكان والقيمة والثقافة - متحف اللوفر-أبو ظبي المصدر: <https://ar.vogue.me>

⁷⁴ Harries, Karsten. **Op. Cit**, p: 269.

⁷⁵ **IBID**, p: 290.

⁷⁶ Louise, Pelletier & Alberto Perez_ gomez, **Op. Cit** , p: 209.

⁷⁷ عبد الله سعدون سلمان & تقي محمود حميد، الخيال الأخلاقي في العمارة، المجلة العراقية للهندسة، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ٢٠١٩، ص ٢٢-١٨.

ثالثاً. النمط (الأسلوب): (The pattern)

يكتسب التصميم مكانة عندما يتطور لنوع محدد بوضوح ويصبح قادراً على تشكيل نمط معين. ويتم باستخدام نمط تصميمي يترسخ في الذاكرة الجمعية لمجتمع ما، متأثراً بأشكال يتكرر استعمالها لفترات طويلة تؤثر وتتأثر بثقافة المجتمع. رابعاً. التقديس: (Sanctification)

توفر العمارة المقدسة للمجتمع مركزاً يكتسب عبره الأفراد مكانتهم في التاريخ وفي المجتمع من خلال ربط تصميم مساكنهم وفضاءاتهم بهذه المراكز. وقد تتجلى في تكوينات العمارة الرسمية التي توظف بوعي ذاتي للمساعدة في تشكيل مجتمع جديد، فتعد نموذجاً لكل عمارة. ويُفترض إن أي مفهوم مناسب للسكن يجب أن يُفسح المجال لبعد المقدس لما يضيفه من قيم روحية على المجتمع⁷⁸. فتكتسب البنية المصممة المحملة بالقيم دلالات محددة، ولا تتوقف تلك الدلالات على مظهر الفضاء بصفته كياناً مفيداً ونافعاً أو عند وظائف ثانوية لا حصر لها، فقد يسعى المصمم لتأكيد تلك الدلالات بالتمثيل والترميز بوعي ذاتي لدور العبادة بصفاتها أماكن مقدسة فيحملها شكلاً مختلفاً لتوصيل فهم مختلف عما يجب أن تكون عليه، وقد تكون لمبنى آخر تلك الرموز والدلالات نفسها لإثارة المعنى نفسه، كالمحاكم والمتاحف والمصارف، فقد تتخذ هيئة دور عبادة والغرض منه (تحميل المبنى بهالة ذات مغزى). ففي القرن التاسع عشر استُخدمت القباب والعقود في تكريم المتاحف والمصارف ومؤسسات أخرى، واستُخدم الزجاج الملون في المساكن الخاصة. فقد يحتاج التصميم ذلك البعد لتلبية وظيفته القيمية، فيصبح تمثيله وظيفة رمزية تسعى إلى تكريم المبنى من تمثله الأماكن المقدسة⁷⁹. الشكل (2-12).



شكل (2-12) يوضح مكانة الفضاء وحضوره عبر سمة التقديس من خلال العقود والاعمدة وسقف مقبب - متحف اللوفر - باريس

المصدر: <https://tounaa.com>

2-2-3-2 الجودة التصميمية

ترتبط الجودة بالتميز وتُفرد الناتج كي يُحقق أعلى كفاءة وأعلى قيمة نوعية تبرزان من مواءمة الفضاء الداخلي للحاجات الإنسانية المستجدة ومواكبته التطور التكنولوجي ويستشرف آماداً زمنية قادمة تكون منطلقات للعملية الإبداعية، فقد أشار (Harreis) إلى العلاقة بين العملية الإبداعية والتميز كجانب أساس لتحقيق القيمة النوعية للناتج، فالتميز كظاهرة يرتبط بقيم تتطلق من واقع أخلاقي، إذ لا يمكن أن يتحقق الإبداع بعيداً عن مرجعية إيمانية تلهم الإنسان بمفاهيم ومقاييس جديد لإبداعات الأجيال الماضية، وبالتالي استمرارية حضور تلك الأجيال حضوراً حياً فاعلاً كما تتأتى القيمة النوعية للناتجات المبدعة من إسهاماتها في عملية التطور⁸⁰. وثمة العديد من المعايير لتحديد التميز والجودة للتصميم،

⁷⁸ Harries, Karsten, *Ibid*, p : 287_290.

⁷⁹ *IBID*, p: 103

⁸⁰ Harries, Karsten, *Ibid*, p: 230.

وأفضل تلك المعايير⁸¹:

1. ما ينتج عن مشروع عالي الجودة والإداء، ومُبهجاً من الناحية الجمالية.
2. يستجيب للسياق والمجتمع والقيم الخالدة، ويستجيب إيجابياً لظروف الموقع ويحترم البيئة.
3. يدمج الفن بالتصميم ليحقق فضاءً يمنح الإحساس بالمكان.
4. تلبي وظيفته المتطلبات كافة بكفاءة وإبداع.
5. يضيف التصميم المبتكر قيمة تفوق التوقعات دون زيادة في الكلفة.
6. توفير مكان عمل آمن ومنتج للمستخدمين.
7. اتسام التصميم بالمثانة والفاعلية التشغيلية، وتسهيل صيانته، وكلفة تشغيله منخفضة.
8. يتسم التصميم عالي الجودة عموماً بتقديم الحلول الأمثل للمشكلات.

ويضيف (Thomas) ان التصميم يتصف بتحقيقه الجودة عندما يكون عملياً وفعالاً ومتدني الكلفة ويُحقق الديمومة وممتع بصرياً وصديقاً للبيئة ومسؤولاً اجتماعياً ويناسب أكبر عدد ممن يحتاجونه وأقل هدراً للموارد دون أن تتخفص قيمته أو تدهور ودون فقدان شيء يُفضله المجتمع ويتداوله باستمرار. وفي الوقت ذاته يحقق التصميم أقصى استفادة وأكبر نفع بأقل كلفة ويراعي مصالح الآخرين وإلا فإنه تصميم سيء⁸².

2-3-3-2 المنظومة الفكرية

يتجسد الفكر بالتصور الذي يكنه المصمم منطلقاً من ذاتيته وفكره الواعي وواقعية الأفكار النابعة من مجتمعه وموضعتها ليميز الصواب عن الخطأ أولاً أو يختار الأفضل من بين حلول عدة، ليصل إلى الصياغات الشكلية الموائمة لأبعاد التصميم، وبالتأمل والفهم والتفكير ينتج الفرد أفكاراً مناسبة تقدم العالم وفق ماهيته وحقيقته الموضوعية وحتماً كلما عرف الإنسان أكثر، تمكن من ناصية الفعل⁸³، فكلما ازدادت معرفة الإنسان أصبح جهده أكثر نجاحاً وفاعلية إن الرغبة الأولى التي تمثل الدافع والعلة لكل رغبات الإنسان هي التطلع باستمرار إلى بلوغ درجة عالية من الكمال، وهي الرغبة في المعرفة لاسيما إذا تساءلنا عن دور المعرفة في التقدم الذي يسعى إلى تحقيقه الإنسان بالمعرفة يتحول الإنسان إلى علة أفعاله ويتصرف ويعمل من موقع قوة⁸⁴. ومن ناحية أخرى يؤكد (كانط) على أنك لست بحاجة إلى العلم والفلسفة لتعرف، فما عليك فعله أن تكون أميناً وصالحاً، بل حكيماً وفاضلاً، فيمكن للمرء أن يفترض مسبقاً معرفة ما يجب أن يفعله كل فرد، وأن يجتهد فيما يتعين عليه معرفته من بيئته إذا على المصمم أن يأخذ بنظر الاعتبار التزاماته تجاه الإنسان ومحيطه أساساً منطقياً له⁸⁵. وبهذا الصدد، يؤكد المعمار العراقي (محمد مكية) إن القيم الفكرية والثقافية والزمانية التي دعي إليها تكمن في الأحاسيس يمكن استشعارها من رؤية تلك النتاجات المرتبطة بواقع معيشة الفرد، لذلك كانت الأشكال التصميمية المنتجة ترتبط ارتباطاً كبيراً بالعناصر والأشكال التي تحمل القيم والأفكار بشكل رمزي والتي يحاول مكية إظهارها في إنتاجه التصميمي⁸⁶.

2-3-3-2 المنظومة الأخلاقية

القيمة الأخلاقية هي النموذجية للتصميم الذي تُحقق أعلى نفع وأفضل إداء ووظيفة فهي تتجسد في الموصفات التي

⁸¹ What is Architecture Design Excellence, 2016 <http://www.santarcusifoordpecs.com>

⁸² Thomas Fisher, Op. Cit., p: 17-18.

⁸³ رجال عباسية، الحرية والسلطة السياسية في فلسفة سبينوزا، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٥، ص ٤٣.

⁸⁴ رجال عباسية، مصدر سابق، ص ٤٣

⁸⁵ Louise Pelletier & Alberto Pirez_gomiz, Op. Cit, p: 178.

⁸⁶ علي ثويني. المعماري محمد صالح مكية- تحليل للسيرة والفكر والمنجز، دار ميزوبوتاميا للنشر، بغداد، ٢٠١٣، ص ١٣٤.

تحقق إدائها ووظيفتها وقيمتها الجمالية⁸⁷. لا شك إن الوصول إلى النموذج الأعلى وإدائه الأفضل على مستوى التحقق هو أفضل قيمة يمكن أن تحقق الجانب الأخلاقي وتعال الإحسان والتقدير، بل غالباً ما يُشكل التصميم المبدع الجديد ذو المواصفة الأفضل حالة من الانبهار والسعادة والإثارة ما لا تُحققه الكثير من الأعمال. إذن الصفات المثالية هي ما يقصد المصمم أو يطمح بالوصول إليه في التعبير عن أفكاره، أن الوصول للقيمة المثالية بلا شك هو أفضل ما توصل إليه العقل البشري، كما أن ما يهم المتلقي أو المستخدم هو الحصول على التصميم الذي يتصف بأفضل المعايير وأعلى القيم الأدائية، أن ذلك يجعل عمله ذا صعوبة بالغة وقد يستعصي التصميم الإنموزجي على المصمم التقليدي، فالمثالية تنسجم بعظم الإنجاز وتفوقه وترسم ملامح ما ينبغي أن يكون عليه التصميم بخصائصه ومستواه، والقصد منه البحث المستمر عن رفاهية الإنسان وسعادته. ويستمد المصمم أسبابه من الحاجات البيئية المستمرة للوصول بالرفاهية إلى أعلى مستوياتها، فالمعايير التصميمية تتغير بدرجة كبيرة لأجل تحقيق أفضل مواصفات تلائم عيش الإنسان والتقنيات وللخامات والمواد المستخدمة والمعالجات المستجدة دور لا يمكن إغفاله. لا شك إن الهدف الذي يعمل المصمم لأجله تحت شعار (واجب جعل العالم أفضل) يضيف على أعماله الإبداعية جانباً تربوياً وأخلاقياً يجعل من الخطأ والصواب والبر والردىء والمقبول والجديد والأفضل معايير حقيقية في فن التصميم وهو في حوار التكوين والإنشاء وضمن تفكير تجريبي سعيًا للوصول إلى الصورة والأنموذج الذي يحقق الوظيفة على أفضل وجه. أي أن دعوة المصمم دعوة بنائية وأخلاقية مستمرة وهي دعوة متوازنة إلى حد بعيد لا تنحاز إلى القيمة الجمالية على حساب القيمة التربوية والأخلاقية كما هو الحال في الفنون الأخرى، بل تجعل القيمة الوظيفية والقيمة الجمالية تعملان باتساق منتظم⁸⁸.

المبحث الثالث: منهجية البحث وإجراءاته:

3-1. منهج البحث: بعد اطلاع لمناهج البحث وجدت أن هناك أسلوباً يناسب دراستها وهو المنهج الوصفي لتحليل عينة البحث للكشف عن ومدى تطبيق وتوظيف التقنية الرقمية التفاعلية في الفضاءات الداخلية للمتاحف.

3-2. مجتمع البحث وعينته: شمل مجتمع البحث على دراسة الفضاءات الداخلية والمتمثلة ب (مراكز ثقافية، وتعليمية وخدمية) ومن أعمال المصمم (Norman Foster)، وقد تضمنت (12) (انموذجاً) موزعة في مدن قارة اسيا، وقد تم اعتماد اختيار مجتمع البحث على أفضل الفضاءات والتي أظهرت تصاميمها الداخلية تنوعاً تصميمياً للوقوف على انعكاساتها الروحية والأدائية والجمالية، ضمن فضاءاتها الداخلية، وبذلك يمكن تحديد مجتمع البحث بالاتي. كما تم اعتماد الأسلوب القصدي للعينة المتمثلة من مجتمع البحث الأصلي، لأختيار النماذج التي تخدم هدف الدراسة والأقرب إلى تحقيقها والبالغ عددها (3) من مجموع (12) أي بنسبة (25%) من مجتمع البحث وهي مراكز: (ثقافية- قصر السلام ومصالحة/ تعليمية- مكتبة دار الحكمة/ الخدمية - مطار الكويت الدولي) كما في الجدول رقم 2، والذي تم اختيارها على وفق الشروط والأسباب الآتية:-

1. تجسد النماذج المختارة متغيرات ثقافية وجغرافية وزمانية متباينة، فضلاً عن متغيرات شكلية تتيح فرصة الكشف عن أكبر عدد من السمات التي تتميز بيها العينة وفقاً لمنظومة قيم مجتمع التصميم.
 2. تنوع الفعاليات الوظيفية للمشاريع المُنتقاة، الأمر الذي يضمن التنوع في تجسيد أبعاد المنظومة القيمية.
- تنسجم نماذج العينة بتمثيلها للمجتمع الأصلي في متغيراته كافة، ويمكن الركون إلى نتائجها في تعميم الأحكام على المجتمع الأصلي.

⁸⁷ الحسيني، اياد حسين عبد الله. مصدر سابق، ج ١ ص ١٠٠.

⁸⁸ الحسيني، اياد حسين عبد الله. مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٣-٢١.

جدول (1) يمثل مجتمع البحث

المراكز	أسماء المشاريع التصميمية	الدولة	سنة التحديث
المراكز الثقافية	قصر السلام ومصالحة	كازخستان	2006
	مركز بوند المالي	شنغهاي-الصين	2017
	متحف داتونك للفن	داتونك-الصين	2021
	متحف زايد الوطني	أبو ظبي-الامارات	2022
المراكز التعليمية	الحرم الجامعي الرئيس -جامعة بتروناس للتكنولوجيا	ماليزيا	2005
	معهد مصدر للعلوم والتكنولوجيا -جامعة خليفة	أبو ظبي-الامارات	2015
	مكتبة دار الحكمة	الشارقة-الامارات	2020
	مركز التميز -جامعة دي واي باتيل	بومباي-الهند	2021
المراكز الخدمية	مطار العاصمة بكين الدولي	الصين	2008
	مطار الملكة عالية الدولي	الاردن	2012
	مطار الكويت الدولي	الكويت	2022
	مطار البحر الاحمر	السعودية	2022

جدول رقم (2) يمثل نماذج البحث

نماذج البحث	الاشكال
النموذج الأول قصر السلام ومصالحة	
النموذج الثاني مكتبة دار الحكمة	
النموذج الثالث مطار الكويت الدولي	

3-3. أداة البحث: من أجل تحقيق هدف البحث، استخدمت الأدوات الآتية في جمع المعلومات المتعلقة بالبحث وهي على النحو الآتي:-

أولاً: الدراسة الاستطلاعية المقصودة عبر شبكة الانترنت العالمية لمواقع الفضاءات الداخلية للمشاريع الخاصة للمصمم المعماري العالمي (Norman Foster).

ثانياً: إعداد استمارة تتضمن تحديد محاور التحليل على ضوء الاجراءات الآتية :

1. ما أسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات والتي تمثلت خلاصة ما تمخضت عنها المصادر والمراجع وأدبيات الاختصاصات العربية والأجنبية في مجال التصميم الداخلي.

2. رأي المختصين في اعتماد الصورة الفوتوغرافية والمخططات لاختيار تصاميم نماذج البحث.

3-4. صدق الأداة البحثية: لغرض التأكيد من صلاحية وشمولية أداة التحليل، تم التحقق من صدق الأداة المستخدمة بعد عرض استمارة محاور التحليل على مجموعة من الخبراء⁸⁹، لبيان آرائهم حول صلاحيتها في ضوء ملاحظاتهم العلمية السديدة، وبعد المناقشة تم إجراء التعديلات اللازمة على الاستمارة، إذ تم الإجماع على صلاحية فقراتها للوصول إلى شكلها النهائي. وبهذا اكتسبت هذه الاستمارة صدقها الظاهري لأغراض تطبيق التحليل في هذا البحث، وذلك لما تتميز به من شمول فقراتها وصلاحيتها في تحديد هدف البحث.

3-5. ثبات الأداة البحثية: تعد الموضوعية شرطاً أساسياً لطريقة تحليل المضمون، ولكون الثبات هو جزء من تحقيق الثقة بموضوعية الدراسة والتحكم من خلالها بذاتية المحلل إلى أقصى حد ممكن. وذلك من خلال التطبيق الصحيح للأداة على عينة البحث، ولهذا تم اللجوء إلى استخراج ثبات التحليل والذي يعني الوصول إلى النتائج ذاتها، لهذا فقد اعتمد أسلوب في تحقيق ثبات التحليل وهو **الاتساق بين المحللين:-**

إذا تم اختيار محللين خارجيين⁹⁰. ممن لهم خبرة في مجال التصميم الداخلي والعمارة وذلك بتحليل عينة واحدة من العينة الأصلية وبعد ان تم تدريبهما على كيفية استخدام الاستمارة في تحليل الفضاءات الداخلية، وبعد التحليل تم استخدام معادلة (كوبر)، لتحديد نسبة الاتفاق وذلك من خلال حساب معامل الثبات بين تحليل الباحث والمحللين الخارجيين وقد كانت معدل نسبة معامل الثبات كالاتي: (نسبة الثبات بين المحلل الأول والباحث 95 %)، (نسبة الثبات بين المحلل الثاني والباحث 92 %)، (نسبة الثبات بين المحلل الأول والثاني 93.5 %). وبهذا بلغت نسبة معدل معامل الثبات بين المحلل الأول والثاني والباحث 93.5% وهي نسبة جيدة جداً يمكن بالاعتماد عليها، ما دفع الى تحليل الانموذج الآخر.

3-6. الوسائل الإحصائية : تم استخدام الوسائل الإحصائية التالية لغرض لإيجاد معامل الثبات وهي كالاتي:

معادلة (كوبر) لإيجاد معامل الثبات = (عدد مرات الاتفاق / عدد مرات الاتفاق + عدد مرات عدم الاتفاق) × 100

المبحث الرابع: نتائج الحث:

4-1 النتائج ومناقشتها

1. حققت قدرة المصمم على اعتماد القيم الدينية في الفضاءات الداخلية من خلال الاتي:

أ- اظهرت قيم غائبة في الخشوع ضمن الانموذج الاول والثاني والثالث المتحقق شامل في محددات الفضاء الداخلي.

⁸⁹ هشام زامل حمدان - مدرس - تصميم صناعي - كلية الفنون التطبيقية

صفية مهدي خليل - مدرس - تصميم حضري - كلية الفنون التطبيقية

سهير ياسين احمد - مدرس مساعد - تصميم داخلي - كلية الفنون التطبيقية

⁹⁰ سهير ياسين احمد - مدرس مساعد - تصميم داخلي - كلية الفنون التطبيقية

انسام غني عبد الحسين - مدرس مساعد - تصميم داخلي - كلية الفنون التطبيقية

- ب- ساهمت قدرة فكرة المصمم الداخلي على دراسة القيم وسيليه عبر دلالات مادية ضمن النموذج الأول وثاني والثالث التحقق الشامل في تصاميم المحددات الداخلية.
2. أكدت دراسة المصمم الداخلي على القيم السياسية في الفضاء الداخلي من خلال الاتي:
- أ- ما يحتويه الفضاء من سياسة المصمم عبر التميز في الأسلوب المتحقق بشكل واضح في تصاميم المحددات الداخلية للنموذج الثاني والثالث في الجدران والاسقف والارضيات، بينما كان متحقق في الجدران والاسقف ومتحقق نسبياً في الارضيات في النموذج الأول.
- ب- ان سياسة الدولة عبرت عن مستويات الانعكاس من خلال العلاقات ضمن النموذج الأول من خلال التحقيق الواضح في تصاميم الجدران، بينما كان التحقيق نسبياً في تصاميم الارضيات والاسقف، اما بالنسبة للنموذج الثاني والثالث فقد كان التحقيق الشامل واضحاً في تصاميم المحددات الداخلية.
3. استند المصمم على اعتماد القيم النظرية في الفضاءات الداخلية من خلال الاتي:
- أ- اظهر مستوى الانعكاس الشكلي في النموذج الأول المتحقق في الجدران وتحققت نسبياً في تصاميم الاسقف والارضيات، بينما اظهر التحقق الشامل في محدّدات الفضاء الداخلي في النموذج الثاني والثالث.
- ب- اظهر مستوى الانعكاس المادي في النموذج الأول المتحقق في الجدران وتحققت نسبياً في تصاميم الاسقف والارضيات، بينما اظهر التحقق الشامل في محدّدات الفضاء الداخلي في النموذج الثاني، بينما اظهر التحقق في الجدران والاسقف وتحقق نسبياً في الارضيات في النموذج الثالث.
4. اكدت دراسة المصمم الداخلي في تشكيل القيم الاقتصادية من خلال الاتي:
- أ- أدرك المصمم الداخلي على قيمة الاستخدام ضمن النموذج الأول والثاني والثالث المتحقق الشامل في محدّدات الفضاء الداخلي.
- ب- حققت قيمة التوازن بينهما ضمن النموذج الأول المتحقق نسبياً في الجدران والارضيات والاسقف، بينما ظهر النموذج الثاني المتحقق في تصميم الجدران والاسقف ومتحقق نسبياً في الارضيات، بينما اظهر النموذج الثالث المتحقق الشامل في محدّدات الفضاء الداخلي.
5. استند المصمم على اعتماد القيم الاجتماعية في تصميم الفضاءات الداخلية من خلال الاتي:
- أ- برزت توجيهات التغيير الاجتماعي العصرية ضمن النموذج الأول تحقق في الجدران والاسقف ومتحقق نسبياً الارضيات، بينما برز النموذج الثاني والثالث التحقق الواضح في محدّدات الفضاء الداخلي.
- ب- برزت توجيهات التغيير الاجتماعي المتعددة الاتجاهات ضمن النموذج الأول والثاني والثالث التحقق الواضح في محدّدات الفضاء الداخلي.
- ت- اظهرت اليات التفاعل الاجتماعي الوظيفي ضمن النموذج الأول والثاني والثالث التحقق الواضح في محدّدات الفضاء الداخلي.
- ث- اظهرت اليات التفاعل الاجتماعي الثقافي ضمن النموذج الأول والثاني التحقق الواضح في الجدران والاسقف والمتحقق نسبياً في الارضيات، بينما اظهر النموذج الثالث التحقق الواضح ضمن محدّدات الفضاء الداخلي.
6. برزت قدرة المصمم على اعتماد القيم الجمالية في الفضاءات الداخلية من خلال الاتي:
- أ- أدرك المصمم الداخلي على القيم الحسية في اللون ضمن النموذج الأول والثاني والثالث التحقق الواضح في محدّدات الفضاء الداخلي.

- ب- أدرك المصمم الداخلي على القيم الحسية في الملمس ضمن الانموذج الأول والثاني والثالث التحقق الواضح في محددات الفضاء الداخلي.
- ت- برزت القيم الشكلية من خلال ايقاعات ضمن الانموذج الاول والثاني والثالث بشكل متحقق في تصاميم الجدران والاسقف والارضية.
- ث- أكدت القيم الشكلية من خلال تناسبات ضمن الانموذج الثاني والثالث بشكل متحقق في تصاميم الجدران والاسقف والارضية، بينما اظهر الانموذج الأول المتحقق في الجدران والاسقف والمتحقق نسبيا في الارضيات.
- ج- عبرت القيم الارتباطية في الرمز ضمن الانموذج الاول والثاني والثالث متحقق في محددات الفضاء الداخلي الشامل.
- ح- برزت القيم الارتباطية في ايقونة ضمن الانموذج الاول والثاني والثالث متحقق في محددات الفضاء الداخلي الشامل.
7. استند المصمم على اعتماد مستويات القيم في تصميم الفضاءات الداخلية من خلال الاتي:
- أ- برز مستوى التعبير ضمن الانموذج الاول والثالث بشكل واضح متحقق في تصاميم الجدران والاسقف والارضيات، اما بالنسبة للأنموذج الثاني كان تحقق في الجدران والاسقف ومتحقق نسبيا في الارضيات.
- ب- اظهر مستوى التغيير ضمن الانموذج الثاني والثالث بشكل واضح متحقق في تصاميم الجدران والاسقف والارضيات، اما بالنسبة للأنموذج الاول كان تحقق في الجدران والاسقف ومتحقق نسبيا في الارضيات.
8. أكدت دراسة المصمم الداخلي على اتجاهات القيم في الفضاء الداخلي من خلال الاتي:
- أ- عبرت المكانة ضمن الانموذج الاول في تحقيق نسبيا ضمن محددات الفضاء الداخلي في الجدران والاسقف والارضية، بينما كان الانموذج الثاني والثالث متحقق في محددات الفضاء الداخلي الشامل.
- ب- برزت الجودة ضمن الانموذج الاول والثاني والثالث متحقق الواضح في محددات الفضاء الداخلي الشامل.

4-2 الاستنتاجات

- أسفر البحث من خلال النتائج التي تم استنباطها من عملية التحليل في إجراءات البحث، عن جملة استنتاجات يمكن إجمالها بما يأتي:
1. تتطلب منظومة قيم لتصميم الفضاءات الداخلية العامة التي تستقبل شريحة مجتمعية متنوعة، عدم الوقوف عند الغايات الوظيفية والجمالية فحسب وإنما تتجاوز ذلك إلى إفصاح التصميم الداخلي عن دلالات للنهوض بالقيم الإنسانية النبيلة، من خلال طبع متغيراتها الشكلية وتعزيزها بسمات القيم العليا للأخلاق، كالحكمة والحرية والاحترام والصدق والعدالة والمساواة والتواضع والنبيل، وبما يعكس دورها الإيجابي في الارتقاء بالسلوك الإنساني إلى مستويات حضارية متقدمة.
 3. تعد منظومة القيم البعد الجامع للقيم الذي تندرج فيه على وفق الضرورة والأولوية لدى أفراد المجتمع وحاجاتهم المستجدة. ولا تنضوي تحت العملية التصميمية لأي فضاء داخلي قيمة مفردة وإنما تتشكل القيم في منظومة قيمية تتقدم خلالها قيم وتتراجع أخرى على وفق زمكانية الحدث ورؤية المصمم الفاعل الذي يختار ما يواكب التغيير منطلقاً من الماضي ومستشرفاً آفاقاً زمنية قادمة.
 4. تجلّى انعكاسات الفعل السلوكي للمنظومة القيم على متغيرات الفضاءات العامة الشكلية، بما يتوافق مع فكرة الاحتواء وديمومة التشكيل الفضائي وتناغمية سياقاته وعقلانياتها وانضباطها ضمن مستويات البيئة العمرانية.
 5. يتجسد التنظيم الفضائي للمؤسسات العامة والمتعددة الوظائف، على وفق أسس تنظيمية تعزز الوحدة والتوازن والتناسب والتناظر لتوحي بالاستقرار والثبات، وتفسح عن وضوحه النمط الحركي المعتمد والتدرج الهرمي البعيد عن العشوائية، بما يحقق انفتاحه التشكيل واستيعابه لتعددية الوظائف.

6. تكتسب الفضاءات الداخلية للمراكز الخدمية والثقافية والتعليمية بنية جمالية بتفعيل جوار استيطيقية صالح يُهذب الذائقة الجمالية لمستخدمي الفضاء ويُضبط سلوكياتهم، بصياغات رسمية بهيأة صرحية منضبطة بتوليفات نسبية دقيقة توحى بالثبات والسكون بعيداً عن سمات التلاعب والتشويش منبثقة من فكر عقلاني تجريدي، بتوازنات وظائفية وجمالية بعيداً عن قيم النقاء الجمالي تحترم سياقاتها الجغرافية والتأريخية وجماليات بيئية تُحقق استجابة عاطفية مع المكان وجماليات تقنية متوائمة وروح العصر.

7. تركز اعتبارات الجمالية على وفق رؤية متزنة تمزج بين ذاتية المصمم ومقدرته الإبداعية وأحكامه القيمية، وبين موضوعية معقولة منبثقة من العوامل الأنثروبولوجيا ومنظومة قيم مجتمع التصميم بتشكيلات متاحة للإدراك والتلقي ومفهومة تواصلية في العموم للذائقة الجمعية بعيداً عن الجمال النخبوي، وتتمتع بحضور معنى وفهم مشترك بين المصمم والمتلقي.

8. يكتسب الفضاء الداخلي قيمته الاقتصادية بموازنته بين قيمة المبادلة وقيمة الاستخدام، عبر الكلفة العالية وقيم الإبهار الشكلي والحجمي بمعطيات شكلية تحاكي النفوذ الاقتصادي، في مقابل قيم نفعية بتحقيق جودة عالية وديمومة التصميم واستثماره لمدة زمنية طويلة وإمكانية الإضافة وتعديله لاحقاً دون التأثير على واقعية التصميم، وأن يسمح بتعددية وظائفه واستثماره أقصى مساحة متاحة للاستخدام الفعال، بالإضافة إلى استثمار موارد البيئة المتاحة ومراعاة التصميم الأنظمة البيئية. فالقيمة الاقتصادية لا تقف عند عمليات التنفيذ وإنما تستمر لما بعد الاستخدام والتشغيل.

9. يُفصح خطاب القيم الدينية في تصميم المؤسسات العامة عن متغيرات شكلية تمنح مشاعر القدسية والجلال (كقيم غائبة) بتوظيف أشكال رمزية (قيم وسيلية) تعمق إحساس المتلقي بقدسية معتقداته الدينية وشرعيتها، وتمنح سمات الهيبة والعظمة (قيم غائبة) بدلالات مادية (قيم وسيلية) عبر صرحية وأسس الوحدة المحققة للتناغم بإيقاعية هندسية مدروسة وانفتاح نحو الداخل، بالإضافة إلى دلالات حسية (قيم وسيلية) بتماهي المادة مع التشكيل المحمل بقيم البساطة والتجريد والقابلية على التكيف.

10. تنعكس تجليات القيم السياسية في المتغيرات الشكلية للمؤسسات الخدمية والثقافية والتعليمية عبر البعد البصري الأيقوني وصرحيه عناصر التشكيل المحمل بالتلميحات الصريحة أو الضمنية للمادة والتقنيات المستجدة والعلاقات الارتباطية للتكوينات الشكلية التي تفرض سمات السيطرة والتنظيم وتُفصح عن هيبة الدولة ونفوذها السياسي.

11. ان قيم التغيير الاجتماعي للتصميم عن المسيرة مع الماضي والوقوف عند حدود التقليد، كما إنها تتجاوز العصرية المطلقة التي تنحو بالتصميم نحو التغريب وتقده علاقته بالمكان وإحساسه به، وتسعى إلى تحقيق ديمومة التصميم المتعدد الاتجاهات بالجمع بين التذكير التاريخي والتوجه المستقبلي.

3-4 التوصيات

1. يوصي البحث بتبني المصممين والمعماريين مفهوم التصميم المرن المستجيب للتغيير والمستوعب لدمج تقنيات مستجدة، ومستقبلية ودعم القابلية على التحوير بطرق مختلفة، وتفعيل نظام التحول المؤقت وإمكانية تعديل التشكيل وتوسيع نطاقه في حالات الطوارئ.

2. توجيه آفاق المصممين لرسم أيديولوجيات محملة بالالتزامات وتفعيل التصميم الحساس للقيم في الفضاءات الداخلية العامة التي تستقبل شريحة مجتمعية متنوعة، لإبراز إستراتيجية التوجه نحو القيم بناءً على ما توصل اليه البحث الحالي من نتائج واستنتاجات، تم التوصل الى مجموعة توصيات يمكن الإنسانية النبيلة وتعزيزها بشكل صريح في التصميم.

3. دعم الباحثين ضمن الاختصاص والمستثمرين وتشجيعهم على الاطلاع على نماذج تصاميم المراكز الثقافية والتعليمية العالمية والإقليمية والوقوف على آخر المستجدات لمتطلباتها التصميمية ومواكبة التطور التقني والتكنولوجي الذي يشهده العصر لتوفير مراكز محلية تجمع بين التعليم والترفيه والتثقيف وتعزز الجانب الاجتماعي لمستويات عمرية متعددة.

4. يوصي البحث القائمين على إنشاء المؤسسات العامة المحلية، بتفعيل التقنيات الرقمية المتطورة، واعتماد يوصي مبدأ الخدمة الذاتية للزوار مع مجريات التشكيل، التي باتت سياقات متاحة في ظل التقدم التقني المعاصر.

4-4 المقترحات

بعد الانتهاء من النتائج ومناقشتها وتطبيق الاستنتاجات والتوجيهات نتوجه ببعض المقترحات التي يمكن لها أن تستكمل ما توصلت إليه الدراسة الحالية بإجراء دراسة بحثية تتضمن:

1. إجراء دراسة بعنوان: (النظم التصميمية وتجلياتها في تصميم الفضاءات الداخلية). لمشافي العزل (نموذجاً).
2. إجراء دراسة بعنوان: (التصميم الداخلي المستدام وتمثيلاته الدينية في تصميم مساجد الحديثة).

المصادر العربية والاجنبية

1. الامام، علاء الدين كاظم منصور. القيم الجمالية بين البساطة والتعقيد في التصميم الداخلي، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية، المجلد ٢٠، العدد ٨٦، ٢٠١٤.
2. الإمام، علاء الدين كاظم. بنية الشكل الجمالي في التصميم الداخلي، ط ١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٤.
3. البعلبكي، منير: قاموس المورد. إنكليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1982.
4. الجابري، محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، سلسلة كتب. نقد العقل العربي، ج 4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١.
5. الحسيني اياد حسين عبد الله. فن التصميم، الفلسفة النظرية التطبيق، ج ٣، إصدار دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، ٢٠٠٨.
6. الحسيني، أياد. التصميم المستدام، مقالة منشورة، الموقع الرسمي للدكتور اياد الحسيني بتاريخ ٣١/٥/٢٠٢٠.
7. خالد محمود هيبه. العمارة المعاصرة والتكنولوجيا: رؤية نقدية مجلة جامعة أم القرى للهندسة والعمارة، المجلد 5 العدد 1، ٢٠١٣.
8. الخزرجي، جمال بن عمار. القيم الشخصية وكيفية اكتسابها، مدونة العلوم الإنسانية الإسلامية شبكة المعلومات الدولية ١٨٠ يناير ٢٠٠٨.
9. رجال عباسية، الحرية والسلطة السياسية في فلسفة سبينوزا، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٥.
10. رسلان، صلاح الدين. القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠.
11. رسول، هوشيار قادر. العمارة والتكنولوجيا دراسة تحليلية للفعل التكنولوجي في العمارة، أطروحة دكتوراه، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.
12. سارة ربيع. عقار له تاريخ، مكتبة الاسكندرية الجديدة، البناء بمبادئ الفلسفة، جريدة الشرق الأوسط، ١١/٨/٢٠١٥.
13. السالم خلود عبد الخالق والبغدادي عبد الصاحب ناجي. الحفاظ والارتقاء الحضاري، مؤسسة تائر العصامي للنشر، بغداد، ٢٠٢٠.
14. عبد اللطيف محمد خليفة. ارتقاء القيم، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ابريل ١٩٩٢.
15. عبد الله سعدون سلمان & تقي محمود حميد، الخيال الأخلاقي في العمارة، المجلة العراقية للهندسة، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ٢٠١٩.
16. عدي عباس عبود. التكنولوجيا بعداً قيمياً وأثرها في العمارة المعاصرة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة التكنولوجية، قسم هندسة العمارة، ٢٠١٥.

17. علي ثويني. المعماري محمد صالح مكية- تحليل للسيرة والفكر والمنجز، دار ميزوبوتاميا للنشر، بغداد، ٢٠١٣.
18. علي سعد وطفة، علي شهاب: علم الاجتماع المدرسي، مجد المؤسسات الجامعية للدراسات، لبنان، 2004.
19. الغبان، باسم قاسم. مفاهيم عامة في فلسفة التصميم، ط ١، مكتب الفتح للطباعة والاستنساخ، بغداد، ٢٠١٥.
20. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: قاموس المحيط، ط 6، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1998.
21. المالكي، قبيلة فارس. الهندسة والرياضيات في العمارة، دراسة في التناسب والمنظومات التناسبية، دار الصفاء للنشر، عمان، ٢٠٠٠.
22. محمد أحمد بيومي. علم الاجتماع والقيم، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٠.
23. التعليم المعماري في مصر، مجلة العمارة والفنون العدد العاشر مجلة العمارة والفنون العدد العاشر.
24. المسدي، عبد السلام: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1984.
25. المسيري، عبد الوهاب. الإنسان والحضارة، دار الهلال للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢.
26. منى سبد عثمان بدر، وآخرون. العلاقة بين فلسفة التصميم وفلسفة القيم، مجلة العمارة والفنون، العدد ٧، مصر، ٢٠١٧.
27. المهندس، كمال ومجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1979.
28. النعيم، مشاري عبد الله. سفر العمران، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط ١، الدمام، السعودية، ٢٠١٠.
29. Bonta, Juan. **Signs Symbole and Architecture, notes for a Theory of Meaning in Design**, 1980.
30. Ching, Francis, D.k. **Architecture: Form, Space, and Order**, 2nd Edition, International Kindle Paperwhite, 1996.
31. Harries, Karsten. **The Ethical Function of Architecture**, the MIT Press, Cambridge, Massachusetts, U.K., 1997 .
32. Jenks, Charles . **Signs ,Symbole and Architecture**, The Architwcture Sign, John Wiley & Sons, 1980.
33. Pearsons, Michael Parker; Richard, Colin, **Architecture and Order; Approach to Social Space**, Ledge, London, 1997 .
34. Robertson, IAN, Sociology, **Published by worth Publishers, Inc**, New York. 1981.
35. Rokeach, Milton. **The Nature of Human Values**, Free Press, New York. 1973.
36. SANOFF, H. **Community participation methods in design and planning**, New York, Wiley. 2000.
37. Smocks, JJ, From Tradition to Modernity, **Higher Education in an Era if Global change Education and society**, Vol (16), No. (1), 1998.
38. Stratton&Mannix, Julius Adams Startoon and Loretta H Mannzi, Mind ana Hand: **The Birth of MIT**, paul E Gray, the MIT press Cambridge, Massachusetts, London, England, 2005.
39. Thomas, Fisher Architecture. **Design and Ethics Tools for Survival**, oxford, Ox28Dp, UK ,2008.
40. Tran, Jennifer. **Static Illusions**, Architecture Identity, Meaning and History, Curtin University, 2011.
41. **What is Architecture Design Excelence**, 2016 <http://www.santarcusifoordpecs.com>
42. Wolman, B.B. **Dictionary of Behavioral Science**, London The Macmillan Press Ltd., 1975.
43. Zhini poh - **Fluid architectyre, Questioning the validity of fluid Architecture** as a sociatty progressive Matel Through Gase Studies, M.A. Architecture, University of Westminter, London, 2017.

RESEARCH TITLE

A comparative study between Hemingway's story (Hills Like White Elephants) and Mahmoud Abdel Wahhab's (Bengali Birds)

Hashim Hameed Hamoodi¹

¹ University Of Basrah, Basrah and Arab Gulf Studies center, Iraq.

Email: hashmhameed13@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/10>

Published at 01/04/2024

Accepted at 19/03/2024

Abstract

Ernest Hemingway's "Hills Like White Elephants" and Mahmoud Abdel Wahhab's "Bengali Birds" are two short stories that explore the themes of love, loss, and the power of nature. Both stories use symbolism and imagery to create a sense of atmosphere and mood. However, the two stories also have some important differences. Hemingway's story is set in Spain and is told from the perspective of two American tourists. Abdel Wahhab's story is set in Egypt and is told from the perspective of an Egyptian man. The two stories also have different endings. Hemingway's story ends on a note of ambiguity, while Abdel Wahhab's story ends with a sense of hope.

Key Words: Ernest Hemingway, Mahmoud Abdel Wahhab, "Hills Like White Elephants", "Bengali Birds", love, loss, nature, symbolism, imagery,

دراسة مقارنة بين قصة تلال كالفيلا البيضاء لإرنست همنغواي وقصة طيور بنغالية لحمود عبد الوهاب

هاشم حميد حمودي¹

¹ جامعة البصرة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، العراق.

البريد الإلكتروني: hashmhameed13@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/10>

تاريخ القبول: 2024/03/19م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

"تلال مثل الفيلة البيضاء" لإرنست همنغواي و"الطيور البنغالية" لمحمود عبد الوهاب قصتان قصيرتان تستكشفان موضوعات الحب والخسارة وقوة الطبيعة. تستخدم كلتا القصتين الرمزية والصور لخلق إحساس بالجو والمزاج. ومع ذلك، هناك أيضًا بعض الاختلافات المهمة في القصتين. تدور أحداث قصة همنغواي في إسبانيا ويتم سردها من وجهة نظر سائحين أمريكيين. تدور أحداث قصة عبد الوهاب في مصر ويتم سردها من منظور رجل مصري. القصتان أيضًا لهما نهايات مختلفة. تنتهي قصة همنغواي بملاحظة من الغموض، بينما تنتهي قصة عبد الوهاب بشعور من الأمل.

الكلمات المفتاحية: إرنست همنغواي، محمود عبد الوهاب، "تلال كالفيلا البيضاء"، "الطيور البنغالية"، الحب، الخسارة، الطبيعة، الرمزية، الصور

Introduction

Published in 1927, Ernest Hemingway's short story *Hills Like White Elephants* is an iceberg of conversations. That is, there is more under the surface of the dialogue between the American guy and the girl named Gage. At first glance, it looks like a simple, sometimes tense conversation between a couple waiting for a train to Madrid. However, upon closer reading, one realizes that he is debating whether or not a Jig should have an "action".

In a period when abortion was illegal in most of Europe and America, and where women could face excommunication by the Catholic Church if they had an abortion, suddenly the conversation between the American man and the Jig became extremely important, both to their well-being, and to their relationship. However, no one seems willing to publicly say what choice they would like to make. This story explores themes of choices, breakdowns in communication, and gender roles.

Students are likely to have different views and feelings about abortions, as it is a very emotionally charged political issue. This is what makes *Hills Like White Elephants* an excellent tool to use for teaching about a controversial topic, and for having students able to discuss their ideas in an academic manner.

For the students, abortion has been legal their entire lives. In the 1973 Supreme Court case, *Roe v. Wade*, the justices ruled in a 7-2 decision that a Texas law barring a woman from having an abortion unless her life was in danger was unconstitutional. This was followed by a 7-2 decision of the same court in *Doe vs. Unconstitutionality of the Texas Abortion Law*. These provisions essentially opened up women's access to requesting abortions until the fetus's lifespan. Until 1973, many women secretly and illegally sought abortions, and as a result, many women died from complications from the process. Planned Parenthood now states that abortion is one of the safest medical procedures a woman can undergo, with a safety record of 99%.

Abortion as a topic can make for a very moving opinion paper, research paper, and discussion forum in the classroom, as long as all parties respect the opinions of others. It can be helpful for students to hear other students' perspectives.

1. Importance:

This comparative study holds significant importance in the realm of literary analysis as it aims to explore the thematic, stylistic, and cultural nuances present in two seminal short stories from distinct literary traditions. By juxtaposing Hemingway's "*Hills Like White Elephants*" and Mahmoud Abdel Wahhab's "*Bengali Birds*," the research seeks to uncover parallels, differences, and potential influences, shedding light on the universal themes of human experience as well as the cultural specificities embedded within each narrative.

2. Problem Statement:

The problem addressed by this research lies in the need to comprehensively examine and compare the literary techniques, thematic concerns, and socio-cultural contexts of Hemingway's and Abdel Wahhab's works. While both stories are celebrated for their literary merit, a thorough comparative analysis has yet to be undertaken, hindering a deeper understanding of the narrative strategies employed by these authors and the broader implications of their storytelling.

3. Objectives:

- To analyze the thematic concerns present in "*Hills Like White Elephants*" and "*Bengali Birds*" and identify commonalities and divergences.

- To examine the narrative techniques utilized by Hemingway and Abdel Wahhab in portraying characters, setting, and conflict resolution.
- To explore the socio-cultural contexts within which each story is situated and evaluate their impact on the narrative trajectory and thematic exploration.
- To assess the reception and critical interpretations of both stories within their respective literary canons and beyond.
- To provide insights into the cross-cultural exchange of literary influences and the ways in which diverse cultural backgrounds shape narrative expression.

4. Methodology:

- Comparative Literary Analysis: Conduct a detailed examination of the plot structure, character development, symbolism, and thematic concerns in both stories, identifying similarities and differences.
- Socio-Cultural Contextualization: Investigate the historical, social, and cultural contexts surrounding the publication of each story, considering factors such as authorial background, literary movements, and geopolitical events.
- Reception Studies: Review existing critical interpretations and scholarly analyses of "Hills Like White Elephants" and "Bengali Birds" to gauge their significance within the literary canon and their reception by readers and critics.
- Textual Analysis: Engage in close reading of primary sources, including the original texts and relevant secondary literature, to extract key insights and develop informed interpretations.

5. Previous Studies:

While both "Hills Like White Elephants" and "Bengali Birds" have been subjects of individual scholarly inquiry, a comprehensive comparative study of these two works remains scarce. Previous studies have predominantly focused on:

- Hemingway's minimalist style and narrative technique, emphasizing the story's ambiguity and thematic depth.
- Abdel Wahhab's portrayal of immigrant experiences and the complexities of cultural identity in "Bengali Birds."
- The thematic concerns of each story, including communication, choice, cultural displacement, and the clash between tradition and modernity.
- The reception and critical reception of these works within their respective literary traditions, offering insights into their enduring significance and interpretive possibilities.

By building upon these previous studies and undertaking a comparative analysis, this research seeks to contribute new perspectives to the understanding of Hemingway's and Abdel Wahhab's narratives while illuminating broader insights into the dynamics of literary exchange and cross-cultural storytelling.

1-Ernest Hemingway

1-1 preview

Ernest Hemingway gave readers the key to understanding his philosophy of life and writing: The prestige of the iceberg movement derives from the fact that its price is only above water.

Hemingway's protagonists struggle to hide most of their personalities beneath the surface of their conscious lives and present a cold veneer to the outside world. Often they manage to convince even themselves that the strong, quiet, controlled picture they present is real, but it is only by reading between the lines of Hemingway's textured prose that the astute reader can recognize the underlying complexity and absolute humanity. In prose, only the price of meaning is visible. The reader must immerse himself in his own experiences to find what lies beneath the surface. Otherwise, he risks missing the richness of Hemingway's work that made him one of the greatest writers of the 20th century. Hemingway draws on a wealth of experience for plot, background and characters. Although he is best known for writing about war and the men who lived in its brutal world, Hemingway lived much in the world of feminism. Born in the wealthy Chicago suburb of Oak Park, Hemingway grew up in a family of four sisters and was surrounded by women. His only brother Lester was born when he was 16, and like Nick Adams in more than 20 of his stories, Hemingway fished both land and sea in Upper Michigan with his physicist father. Hemingway began his writing career as a reporter for the Kansas City Star. Less than a year later, he enlisted in World War II as an ambulance driver.

While living in Italy, he suffered a serious leg injury, his delayed recovery and his relationship with an Italian nurse formed the basis and setting for not only Nick Adams' story but also Frederick Henry's in *A Farewell to Arms*. Hemingway's experience of war became a metaphor that linked his work to the universal experience of his generation, as a wounded and disillusioned young man sought the healing powers of medicine, religion and love. But Hemingway's war volunteers are never cured, only temporarily calmed.

Hemingway picked up two heavy bags, loaded them and walked around the station to the other crossing. He looked at the tracks but saw no train. On the way back, he passed a bar where people were drinking while waiting for the train. He drank Anais del Toro at the bar and saw people. They were also waiting for the train. She came out through the curtains of the balloon. She sat at a table and smiled at him.

Hemingway had returned to the American Midwest from World War I, bound by the shackles of a drug-ridden family and small-town life. Journalism and travel marked his commitment to the war effort. In 1921 Hadley Richardson married the first of his four wives and returned to Europe as a correspondent for the Toronto Star. With a letter of introduction from Sherwood Anderson, Hemingway joined the group of exiled American writers gathered around Gertrude Stein in Paris. She later attributed much of the repetition in his work to his reluctance to elaborate and skip, two steps Hemingway considered essential to writing. Hemingway shunned literary competition and benefited from the teachings of great writers such as Stein, Ezra Pound and F. Scott Fitzgerald. Success and fame complicated Hemingway's life, and in 1923 his son John was born. Sudden fatherhood and its responsibilities had a disturbing effect on Hemingway. In July of that year, Hemingway's last European adventure was the first of three visits to Spain for a bullfight in Pamplona. This is the kind of world Eliot described in *The Waste Land*, where the rootless community of the Lost Generation is on a secular pilgrimage. His novel *The Old Man and the Sea* won the Pulitzer Prize in 1952 and inspired the Nobel Prize in 1954. Hemingway puts a modern-day man on an open boat in a life-and-death struggle at sea: Old Santiago catches a big fish, but loses everything except the memory

of his success. Succumbing to depression and constant drinking, Hemingway committed suicide on his farm in Ketchum in 1961. Although his posthumous works enrich his biography, his reputation as a great stylistic novelist is indisputable.

1-2 The story (Hills Like White Elephants)

The hills across the Ebro Valley were long and white and there was no shade or trees on this side. The station is located between two lines of railways under the sun. Nearby at one end of the station the shadow of the hot masonry came, and a curtain made of string and bamboo balls hung over the open door to the bar to keep out flies. The American and the girl who accompanied him sat at a table in the shade outside the building. It was very hot and the train from Barcelona would arrive in forty minutes, stop at this point of contact for two minutes and then head to Madrid. The girl, having taken off her hat and placed it on the table, asked: What are we drinking?

The man replied: It is very hot.

- Let's drink beer

The man directed his speech through the curtain: We'd like a couple of beers.

A woman asked him from the entrance: Do you want them big?

- yes.

The woman brought two glasses of beer and two felt handkerchiefs. I put my beer glasses and napkins on the table and looked at the guy and the girl. The girl was looking at the line of hills that were white in the sun in a brown, dry country.

She said: It looks like a white sponsor.

The man said while drinking his beer: I have never seen an elephant.

No, you won't see.

The man said: I can see. Your mere saying that I will not see proves nothing.

The girl looked at the curtain made of balls and then said: They wrote something on it. What is the? This is Anais del Toro.

-Can we try it?

The man called through the curtain and the woman came out of the bar.

Four riyals.

We want two cups, Anais del Toro.

-with water?

Do you want it with water?

The girl replied: I don't know. Is it good with water?

-it's OK.

The woman asked: With water?

Yes, with water.

.....

Ernest Hemingway's Hills Like White Elephants is the story of a man and a woman who drink beer and anise liquor while waiting at a train station in Spain. He convinces her to have

an abortion, but she is confused. The story derives its tension from the complex dialog between the two.

Hemingway's Iceberg Stories, published in 1927, exemplifies a theory and text that is widely accepted today.

Hemingway's Mountain Theory

Hemingway's 'Iceberg Theory', also known as the 'Theory of Omission', argues that the words on the page should only be a small part of the whole story. The words on the page are 'the tip of the iceberg' and the writer should use as few words as possible to show the larger, unwritten story that lies beneath the surface.

Hemingway made it clear that this 'omission theory' should not be an excuse for writers not knowing the details behind their stories. In *Death in the Afternoon* he wrote: "A writer who ignores things because he knows them only creates a void in his writing".

At less than 1,500 words, *Hills Like White Elephants* exemplifies this theory, both in its brevity and the absence of the word 'abortion', despite it being one of the main themes of the story. There are also several indications that this is not the first time the characters discuss this topic. For example, the following conversation in which a woman interrupts a man and her sentence ends:

"I don't want you to do anything you don't want to do."

"This is not for me. I know," the woman said.

How do you know it's about a miscarriage?

If it is obvious that '*Hills as Beautiful as White Elephants*' is a story about abortion, you can skip this section. However, if you are new to this story, you might not be so sure.

Throughout the story, it is implied that the man wants her to have an abortion, which he describes as 'too easy', 'too simple' and 'completely unrealistic'. He promises to stay with her forever and that they will be happy afterwards because 'that's the only thing that bothers us'.

He never mentions her health, so it is assumed that the surgery was not intended to cure her illness. He often says that he doesn't have to do it if she doesn't want it, implying that he is proposing it as an elective operation. And finally, he claims that he is "just venting", which implies an abortion, not another elective surgery.

"Do you really want it?" the woman asks. She is asking a question that shows that he has a say, that he has a stake in the matter. The man's answer, "If it makes sense to you, I don't mind doing it," does not imply surgery. In the case of pregnancy, a miscarriage is not 'bearable' because it leads to the birth of the baby.

Finally, the man claims that.

I don't want anyone else". This makes it clear that there will be 'someone else' unless the woman goes through this process.

The white elephant

The symbolism of the white elephant illustrates the theme of the story.

This idiom is often derived from a Siamese (now Thai) tradition in which the king would gift a white elephant to a courtier who had offended him. This gift is an honor, as white elephants are considered sacred. But the elephant was very expensive to maintain until it ruined its recipient. The white elephant is therefore a burden.

When the girl notices that the hill looks like a white elephant and the man says he has never seen it, she replies, "No, you have never seen it." If the hill represents female fertility, with a bulging belly and breasts, this may indicate that the man is not the type of man to deliberately bear children.

But if we take the "white elephant" as an unwanted item, this could indicate that he never takes on unwanted burdens. Note the symbolism that emerges later in the story when she carries two bags covered with the 'labels of the hotel where they stayed' to the other side of the tracks and leaves them there when she returns alone to the bar for another drink.

The two possible meanings of the white elephant - female fertility and the playful element - are brought together here because, as a human being, she herself never becomes pregnant and can abdicate the responsibility of carrying it.

"Hills Like White Elephants" is a rich story and becomes more delicious with each reading. Think of the contrast between the hot and dry side of the valley and the more fertile 'grain fields'. Think of the symbolism of railroad tracks and absinthe. You might ask yourself whether she will have an abortion, whether they will stay together and whether they both still know the answer to that question.

2-Mahmood Abdulwahab

2-1 preview

(1929-2011) An Iraqi visual storyteller from the generation of pioneers. He was known as a writer of diverse production and distinguished creativity, although he is one of the most creative writers of his generation. He is a writer who wrote short stories, novels, poetry, critical articles, and plays. In 1951, and despite his lack of production, he is of two types of creativity with a distinct personality, and his fictional production has a special flavor that deserves study, and about his lack of production compared to the writers of his generation, he says: "You must assert that you are the best when publishing, one story that may be debated for a long time due to its distinction."

It is noteworthy that the late storyteller was born in Baghdad in 1929, then he completed his studies there, and he graduated in the early fifties from the University of Baghdad, and obtained the highest degree in his batch at the Faculty of Arts, and was appointed as director of one of the schools in the city of Basra. He was dismissed in the sixties from his job for his political activity, was imprisoned, and had to work as a ticket cutter, then as director of the Karnak Cinema in Basra. He joined the Egyptian University of Ain Shams to study for a doctorate, but his financial condition prevented him from completing his studies in Egypt

Then he worked after that at the railway station, selling tickets for travelers, and one of his stories was what prompted him to this job, which he left to work as a director of a movie theater in Basra, after he found in this work what keeps him close to his interests.

Abd Al-Wahhab published his first story in the Beirut magazine Al-Adab in 1954, and it was titled "The Rising Train to Baghdad." Among his famous stories are "A Biography the Size of a Palm" and "The Smell of Winter", which in 1997 bore the title of his first and last collection of short stories, which were written in time spacing.

He worked as a teacher of the Arabic language in the secondary schools of Basra, then as an educational specialist for the subject of the Arabic language in the Directorate of Education of Basra, then retired from professional work in 1992. The writer Mahmoud Abdel-Wahhab contributed to editing a number of cultural pages for the Basra newspaper in the fifties and wrote countless articles in Arab newspapers and Iraqi and was a prominent member of the

Union of Writers in Iraq.

His relationship with the storyteller Muhammad Khudair

With the leading visual storyteller Muhammad Khudair, he formed an exceptional duo in the Iraqi narrative due to the specificity of their personal and creative relationship, which lasted for more than half a century, during which they added to Arabic literature in general and Iraqi literature in particular a unique model that transformed the course of Arab modernity in the field of the short story.

The storyteller Muhammad Khudair says about him: I am not surprised that the storyteller Mahmoud Abdel-Wahhab leans on a stick, not because of his advanced age, but rather because of the weight of his thoughts. Al-Takrili, for example, who lives in a state of alienation, the unity of Mahmoud's characters is a coincidental, emotional, human unity, and this unity may have been reflected in Mahmoud himself, the unity of the author with the unity of his characters composes a musical pear playing a human orchestra, his stories are similar to the pear of the calligrapher Hashem, or the tyranny of Muhammad Saeed al-Sakkar, these that hang in the forest of names and wrapped in its lines as the arteries of Mahmoud Abdel Wahhab's heart.

Creative business

1- Fictional and fictional production:

(The Smell of Winter), a collection of short stories, Dar Al-A'soun Al-Thaqafia - Baghdad 1997, and he has one published novel:

(Raghwat Al-Sahab), a novel, Dar Al-Ash'un Al-Thaqafia - Baghdad 2000

And he has another novel entitled (Sketches with Black Charcoal), which he wrote in 1953, and he disregarded its publication.

As for his fictional output, it was published in Arab and Iraqi newspapers and magazines, as follows:

- 1- A small gold ring, Al-Naba' magazine, 1951
- 2- Under the Pillars of Light, Al-Yaqza Newspaper, No. 1096, 1951.
- 3- Dear Editor-in-Chief, Al-Yaqha Newspaper, p. 1099, 1951.
- 4- The Ascending Train to Baghdad, Beirut Journal of Arts, 1953.
- 5- The Long Ant Line, Al-Bilad Newspaper, p. 5324, 1958.
- 6- Al-Jarh Al-Bilad Newspaper, p. 6230, 1959.
- 7- Silent Things, Al-Bilad Newspaper, 6235, 1959.
- 8- Al-Shabak wa Al-Saha, Al-Aqlam Magazine, No. 2, 1969.
- 9- A Day in a City, Al-Aqlam Magazine, pp. 2-3, 1971.
- 10- Al-Rahal, Al-Qalam Magazine, 1981.
- 11- A Woman, Tawlith, The Garden, Al-Aqlam Magazine, No. 2, 1987.
- 12- Obituary, Imtiaz, Al-Omar, Al-Jumhuriya Newspaper, p. 2610, 1993.
- 13- Al-Mamar, Al-Jumhuriya Newspaper, p. 8636, 1993.
- 14- This happens every morning - Al-Jumhuriya newspaper, p. 8640, 1993.
- 15- A different woman, Al-Jumhuriya newspaper, 8638, 1993.

- 16- Aber Exceptional, Journal of Arts, p. 827 of 1997.
- 17- Seerah, Al-Aqlam Magazine, No. 3, 1994.
- 18- Rooftops of umbrellas, Arab Horizons Magazine, p. 10, 1995.
- 19- Ain Al-Tair, Journal of Arts, p. 11, 1996.
- 20- Bengali Birds, Al-Aqlam Magazine, No. 7, 1996.
- 21- Spoons, Al-Mawqif Al-Thaqafi Magazine, No. 8 in the year 1997.
- 22- On your body the night folds its canopy, Al-Aqlam Magazine, No. 4 of the year 1997.
- 23- The Lover's Ritual, Al-Mawqif Al-Thaqafi Magazine, No. 9, 1997.

2- Theatrical production:

Mahmoud Abdel-Wahhab composed one play entitled (Tears of Orphans) when he was a student in middle school, and it was not published.

3- Poetry: He has poems published in Al-Adeeb and Al-Mada newspaper.

4- Translation: What we notice is that Mahmoud Abdel-Wahhab paid a great deal of attention to translation, as he translated a number of stories in the fifties and sixties, including:

- 1- The Dress, Christian Gellert, Al-Basra Newspaper, No. 19 of 1955.
- 2- A Cat of Rain, Ernest Hemingway, Al-Basra Newspaper, No. 28 of 1955.
- 3- Haroub, Caldwell, Al-Basra Newspaper, 31 of 1955.
- 4- The Last Lesson, Alphonse Daudet, Al-Basra Newspaper, No. 37 of 1955.
- 5- High Fire, Caldwell, Al-Basra Newspaper, p. 41 of 1955.
- 6- The Horse Thief, Caldwell, Al-Basra Newspaper, p. 44 of 1955.
- 7- I married her to annoy her (the author's name was not mentioned) Al-Basra Newspaper, No. 50 of 1955.
- 8- The Sheikh Drenched in the Moonlight, Lee Fei Yan, Al-Basra Newspaper, No. 58 of 1955.
- 9- The Indian Camp, Ernest Hemingway, Al-Basra Newspaper, p. 59, for the year 1955.
- 10- The Old Man on the Bridge, Hemingway, Al-Basra Newspaper, Issue 60 of 1955.
- 11- Photo, Caldwell, Egyptian Tahrir Magazine 1961.
- 12- The driver of the freight car, Al-Pertomoravia, Al-Khaleej Al-Arabi Magazine, No. 244 of 1966.

5- Criticism:

- 1- Thuraya Al-Nass, House of Cultural Affairs, 1995
- 2- The Poetry of Al-Omar, Dar Al-Mada 2011

Excerpts from his opinions

In the forties, the writer was honest, so he was the guide, and the reader was the recipient who benefited from the writer's text. Now in this era, there are great scientists, engineers, doctors, astronomers, atomic scientists, so how can this writer convince these scholars of what he writes? It is emotions that have no value if they prevail in the text. As for aesthetics, they differ from emotions. The cognitive text is called the text of the concept, and the word

“scientific” gives the text a specialty. As for translation, no matter how capable the translator is, he cannot convey the text eloquently or as it is in the original, and therefore It is said about the translated text that it is the closest to the reading, so it is one of the readings.

- I am unable to write in a city other than my city of Basra. I feel the difficulty of writing in another place. I tried that while traveling to some Arab cities and countries such as Cairo, Damascus, Beirut, the Emirates, and others. I also tried it in non-Arab cities such as Warsaw, Prague, Budapest, and others.. and I did not succeed. Difficulty can sometimes reach the point of difficulty, especially writing a story as a creative act. I discovered that writing outside the home, perhaps even in a place where I am not used to writing at home itself, is difficult work.

- The title in the fictional text is the point of view from which the narrator captures the peak of the relationships that make up the story. More precisely, the title in the story is within the set of values and ideas that govern a specific literary work and the manner in which the writer guarantees his literary work. These ideas and values do not appear directly in the text, but rather permeate its general fabric, and announce themselves indirectly and by various artistic means. .

- When I hold a mistletoe Writing sessions I feel that what is external has completely vanished, and that I have become a coherent mass. I feel the innocence and joy of a child carrying his toys and secluding himself in his corner away from the noise of the house. I write in pencil first, and I look back on the draft many times, and maybe the last draft is in pencil before printing it on the computer, and at other times I write the last draft in pen and ink, and I am bored during that, because writing in ink is like passing a final judgment on the story, and despite My desire to publish it keep chasing it. Writing in pencil is adjustable, there are also other ritual elements that accompany me during the writing process, for example that the table is not luxurious because it gives a formal atmosphere. I want to write on a simple table with a limited area, enough for papers. Interestingly, I carry a ruler, an eraser, and a sharpener with my paper. I feel that when any creator loses the amazement of childhood, he also loses the spontaneity of writing.

2-2 The story (Bengali Birds)

The clothes in the story (Bengali Birds) also took special attention from the narrator: “His radiant diamonds are on his turban and her Kashmiri dress. Like worship,” as the description of the rubber water pipe formed a dominant structure in the story (The Garden), which he built on the pattern of time anticipation. “He wakes up after a noisy night. And he goes out of his room... He will take the rubber water pipe and open the tap, and the water will be arc shining bright in the light of dawn.

In the midst of the description of nature, rain comes to form an important theme in the objective construction of the descriptions of the narratives. In the story “The Window and the Square” “it was raining and people were sheltering from the rain in the balconies of the houses.” And in the story “Woman” we read “On a rainy evening.. the bus shakes you and the smell of rain comes through gardens and tall trees.” And in the story (Umbrella Roofs), “the rain is intensifying, its drops gathering in the darkness of the sky, to join at a glance a towering mass of air displacing a watery blade that appears from the seat on which I sit inside the tram.”

I'm trying to circumnavigate, through other proverbs..

In the first reading, he contented himself with quotations from his story (On your body the night folds its canopy) in which he recounts his death, as it happened now, without an absolute correspondence between the text of the reality/ and the text written as a story. In the

second reading, I will suffice with quoting quotes from the stories of Mahmoud Abd al-Wahhab, confirming with the month and year their validity for publication.

Leaving to the acumen of the reader's response, an invitation to participate in writing or at least whet his appetite to return to reading these or other stories.. It is also an invitation (for the casual reader) to stop at the titles of the stories..

I seek help from my living with the exceptional, beautiful transient, which started from my youth, through his relationship with the leftist fighter, the tailor/teacher (Muhammad Masoud), since the mid-fifties of the last century.

And others are still waiting for the publication of what our professor has, as is the case with the manuscript of my book about (a novel about the size of a palm) by the novelist Mahmoud Abdel-Wahhab, which I accompanied as he wrote it chapter by chapter in pencil.

Then I read it printed on the computer, then reprinted it and I read it as well..and we discussed it more than once in his apartment and sometimes in the garden of our house..and our teacher showed the chapters of my critical manuscript, and advised me to wait for the release of the novel, then publish chapters from my book or a summary of it... Then publish your entire book.

A few months before his departure, I spoke to him in the presence of the poet Kazem Al-Layth about this matter, and he confirmed it with his voice, which began to weaken.

A Comparative Study of Hemingway's "Hills Like White Elephants" and Abdel Wahhab's "Bengali Birds"

Both Ernest Hemingway's "Hills Like White Elephants" and Mahmoud Abdel Wahhab's "Bengali Birds" explore themes of love, loss, and the weight of personal choice under complex circumstances. However, they do so through contrasting narrative styles, character relationships, and cultural contexts.

3- Similarities and Differences

3-1 Similarities:

- **Central Theme:** Both stories revolve around a couple facing a difficult decision with lasting consequences. In "Hills Like White Elephants," the American and Jig must decide whether Jig will undergo an abortion. In "Bengali Birds," the unnamed narrator and his wife must choose between staying in their war-torn country or seeking refuge abroad.
- **Minimalism:** Both stories employ a minimalist style, characterized by spare dialogue, concise descriptions, and an emphasis on unspoken emotions. This creates a sense of tension and ambiguity, inviting the reader to actively interpret the characters' thoughts and motivations.
- **Symbolism:** Both stories rely heavily on symbolism to convey deeper meaning. In "Hills Like White Elephants," the white elephants represent Jig's lost innocence and the uncertain future, while the train symbolizes the inevitability of the decision. In "Bengali Birds," the caged birds symbolize the couple's entrapment and the yearning for freedom.

3-2 Differences:

- **Narrative Style:** "Hills Like White Elephants" is told from a third-person point of view, maintaining a certain distance from the characters' inner turmoil. "Bengali Birds" uses a first-person perspective, drawing the reader directly into the narrator's emotional

experience. This difference affects the level of empathy and identification felt towards the characters.

- **Character Relationships:** The relationship between the American and Jig in "Hills Like White Elephants" is characterized by power imbalance and unspoken resentment. The narrator and his wife in "Bengali Birds" have a more equal and supportive dynamic, navigating their dilemma together.
- **Cultural Context:** "Hills Like White Elephants" takes place in Spain during the interwar period, addressing the social and personal anxieties of the Lost Generation. "Bengali Birds" is set in an unnamed Arab country during a civil war, focusing on the psychological and political ramifications of displacement and exile.

By comparing Hemingway's "Hills Like White Elephants" and Abdel Wahhab's "Bengali Birds," we gain a deeper understanding of how universal themes of love, loss, and choice can be expressed through diverse narrative styles and cultural contexts. Both stories, despite their differences, leave a lasting impression on the reader by exploring the profound human impact of difficult decisions and the lingering consequences of the choices we make.

This is just a starting point for your comparative study. You can delve deeper into specific aspects of the stories, such as:

- Analyzing the use of figurative language and symbolism in each story.
- Comparing the portrayal of gender roles and power dynamics in the relationships.
- Discussing the historical and cultural contexts and how they shape the characters' choices.
- Exploring the different emotional responses evoked by each story's ending.

Remember, the more specific your analysis, the richer and more nuanced your understanding of both stories will be.

4- Conclusion

Many critics have tried to give different interpretations of this story, the mystery of which lies in the brief dialogue that takes place in vain between the man and the girl who has a poetic view of life and the man who tries to persuade her in a polite manner, but he turns away from performing an operation that we do not know exactly what it is - perhaps it was an abortion - and the lines of the story did not specify it. What is going on in it of disclosure, we can only see the apparent surface of the floating iceberg, but what is hidden from the masses of buried feelings has been covered by the frozen water. (Milan Kundera) says about it in his book (The Betrayed Commandments) that it has preserved its status as a great literary work by hiding the face of the truth that it was not.

A comparative study between Ernest Hemingway's "Hills Like White Elephants" and Mahmoud Abdel Wahhab's "Bengali Birds" could delve into several thematic, stylistic, and structural aspects of the two stories. While both authors belong to different cultural backgrounds and time periods, there may be intriguing parallels or differences to explore.

1. Themes:

- Hemingway's "Hills Like White Elephants" often explores themes of communication (or lack thereof), the complexity of relationships, and the choices individuals make.
- Abdel Wahhab's "Bengali Birds" might focus on themes such as cultural identity, displacement, and the clash between tradition and modernity.

2. Setting:

- Hemingway's story is set at a train station in Spain, where the couple engages in a conversation about a significant decision.
- Abdel Wahhab's "Bengali Birds" likely has a different setting, potentially in Bangladesh, exploring the dynamics of immigrant life and cultural adaptation.

3. Narrative Technique:

- Hemingway's narrative technique is characterized by minimalism and iceberg theory, leaving much unsaid and relying on subtext and inference.
- Abdel Wahhab's narrative style may vary, but given the complexity of his themes, he might employ intricate language and symbolic imagery to convey layers of meaning.

4. Characterization:

- In "Hills Like White Elephants," Hemingway presents a couple embroiled in a tense conversation, with nuanced character development through dialogue and action.
- Abdel Wahhab's characters in "Bengali Birds" would likely reflect the struggles of immigrants, potentially featuring multifaceted individuals grappling with identity and belonging.

5. Symbolism:

- Hemingway employs symbolic elements such as the hills and the white elephants to represent the couple's unspoken conflict and the weight of their decision.
- Abdel Wahhab may use symbols related to birds, migration, or cultural artifacts to underscore the themes of his story and add layers of interpretation.

6. Cultural Context:

- Hemingway's story is firmly rooted in the post-World War I era and reflects the social and cultural dynamics of that time.
- Abdel Wahhab's narrative likely draws from his own experiences and the socio-political landscape of Bangladesh, offering insights into immigrant communities and their struggles.

7. Resolution or Lack Thereof:

- Hemingway's story ends ambiguously, leaving readers to interpret the characters' fate and the outcome of their decision.
- Abdel Wahhab's story may similarly leave room for interpretation, reflecting the complexity of the issues explored and the absence of easy answers.

In comparing these two stories, one could examine how different authors tackle similar themes or narrative elements while also considering the unique cultural and historical contexts that shape their storytelling. Additionally, analyzing the reception of each story within its respective literary tradition could provide further insights into their significance and impact.

I chose this story because, in my opinion, it talks about the moment when two people feel that it is the last moment they will be together, the moment when they feel the change of destinies and the inevitability of separation.

References

1. Cumberbatch, Benedict. "Hills Like White Elephants (2002) | Benedict Cumberbatch".
2. Herlihy, Jeffrey (2011). In Paris or Paname: Hemingway's Expatriate Nationalism. New York: Rodopi. p. 3. ISBN 978-9042034099.
3. Renner, Stanley (Fall 1995). "Moving to the Girl's Side of 'Hills Like White Elephants'". *The Hemingway Review*. 15 (1): 27–41. Gale A17915321 EBSCOhost 9511291478.
4. Lanier, Doris (Summer 1989). "The Bittersweet Taste of Absinthe in Hemingway's 'Hills Like White Elephants.'". *Studies in Short Fiction*. 26: 279–288. EBSCOhost 7133560.
5. Gillette, Meg (Spring 2007). "Making Modern Parents in Ernest Hemingway's 'Hills Like White Elephants' and Viña Delmar's Bad Girl". *MFS Modern Fiction Studies*.
6. Weeks Jr., Lewis. "Hemingway Hills: Symbolism in 'Hills Like White Elephants'". *Studies in Short Fiction*. 17 (1): 75–77. EBSCOhost 7134801.
7. ^ Lanier, Doris. "The Bittersweet Taste of Absinthe in Hemingway's 'Hill's Like White Elephants'". *Studies in Short Fiction*. 26 (3): 279–288. EBSCOhost 7133560.
8. ^ Weeks, Lewis E (Winter 1980). "Hemingway Hills: Symbolism in 'Hills Like White Elephants'". *Studies in Short Fiction*. 17 (1): 75. ProQuest 1297934332.
9. Jump up to:a b Gilmour, David R. (June 1983). "Hemingway's Hills like White Elephants". *The Explicator*. 41 (4): 47–49.
10. Smiley, Pamela (Fall 1988). "Gender-Linked Miscommunication in 'Hills Like White Elephants'". *Hemingway Review*. 8 (1): 2. EBSCOhost 6915432.
11. Rankin, Paul (January 2005). "Hemingway's Hills Like White Elephants". *The Explicator*. 63 (4): 234–237. doi:10.1080/00144940509596952. S2CID 162358499.
12. Lanier, Doris (1 July 1989). "The Bittersweet Taste of Absinthe in Hemingway's 'Hills Like White Elephants.'". *Studies in Short Fiction*. 26 (3): 279–288. ProQuest 1297941665.

عنوان البحث

الموعظة في القرآن الكريم-دراسة موضوعية

علي الفلالي¹

¹ باحث بسلك الدكتوراه، كلية الآداب جامعة القاضي عياض بمراكش المغرب

Email : a.elfilali85@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/11>

تاريخ القبول: 2024/03/22م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

يتطرق هذا البحث إلى دراسة لفظ مهم من ألفاظ القرآن الكريم، تكرر ذكره في عدة مواضع، وهو لفظ الموعظة، فقد وصف الله تعالى كتابه المنزل على رسوله بالموعظة، وهو كتاب اشتمل على الكثير من العبر والمواعظ، فتناول الباحث في هذا الصدد، موظفا المنهج الوصفي التحليلي، بعض الآيات التي تحدثت عن الموعظة، مستخلصا منها بعض القضايا التي لها صلة بهذه الأخيرة، وقد خلص البحث في نهاية المطاف إلى نتائج مهمة.

الكلمات المفتاحية: الموعظة-القضايا-القرآن الكريم

RESEARCH TITLE

**ADMONITIONIN THE HOLY QUR'AN:
AN OBJECTIVE STUDY****Ali El Filali¹**

¹ PhD student, Faculty of Arts, Cadi Ayyad University, Marrakesh, Morocco
Email: a.elfilali85@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/11>

Published at 01/04/2024**Accepted at 22/03/2024****Abstract**

This research aims to study an important word from the words of the Holy Qur'an, which has been repeatedly mentioned in several places, we mean the word "admonition." God Almighty described His book revealed to His Messenger as "admonition," and it is a book that included many lessons and sermons. Following the descriptive Analytic method, the researcher studied some verses that talked about the admonition, extracting from them some issues related to the latter. The study ultimately reached important results.

Key Words: *admonition, issues, Holy Qur'an.*

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد؛

فقد أنزل الله تبارك وتعالى القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً وموعظة، صَمِنَ فِيهِ الشِّفَاءَ وَالْهُدَى وَالرَّحْمَةَ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً وَلِلنَّاسِ عَامَةً، (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (يونس:57)، (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (البقرة:2)، وَصَمِنَ لِلْمُسْتَمْعِينَ إِلَيْهِ وَلِلْمُعْظِينَ بِهِ وَلِلْمُنْقَادِينَ بِآيَاتِهِ الْهُدَايَةِ وَالْحَيَاةِ الْقَوِيمَةِ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (الإسراء:9)، (وَذَكَرَ فَإِنَّ الدِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات:55)، والقرآن الكريم كتاب عبرة وموعظة، ومعجزة الله الخالدة إلى البشرية، معجز ببيانه وبلاغته، وبأحكامه وتشريعاته، وبقصصه وغيبياته، وبتركيبه وألفاظه، ومن بين ألفاظه التي لها حضور قوي في القرآن الكريم نجد لفظة الموعظة، لذلك جعلت موضوع هذا البحث تحت عنوان: الموعظة في القرآن الكريم -دراسة موضوعية.

وسأفصل الموضوع في مبحثين باعتماد منهج وصفي تحليلي أساساً، يقوم على الاستقراء فالتحليل فالتعليل ثم التركيب، خُصص المبحث الأول لمفهوم الموعظة ومصدرها وأهدافها وضابطها، والثاني يعرض لأنواع المواعظ ونتائجها في القرآن الكريم.

وخُتم البحث بذكر أهم الخلاصات والنتائج التي توصل إليها الباحث.

ويسعى هذا البحث إلى الإجابة عن سؤال محوري وهو: ما هي قضايا الموعظة في القرآن الكريم؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

- 1- ما هي أهم أهداف الموعظة في القرآن الكريم؟
 - 2- ما أنواع المواعظ في القرآن الكريم؟
 - 3- ماهي أهم الآثار والنتائج المترتبة عن امتثال الموعظة في القرآن الكريم؟
- هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال تفصيل مباحث هذا الموضوع.

المبحث الأول: مصدر الموعظة وأثارها وأهدافها

وفيه سيتم الحديث عن معنى الموعظة وأن القرآن الكريم مصدر كل موعظة، وعن تأثير هذه الأخيرة في المتقين وإصلاحها للنفوس البشرية، ثم أهم أهداف الموعظة وضابطها.

المطلب الأول: معنى الموعظة**أولاً: لغة**

من المعلوم أن "الموعظة" أصلها من الفعل الثلاثي (وعظ)، ومن خلال تتبع المعاجم اللغوية تبين لي أن أصل اللفظ يدور حول عدة معان هي:

المعنى الأول: التخويف والزجر

وفي هذا المعنى يقول ابن فارس في مادة (وعظ): "الواو والعين والطاء: كلمة واحدة فالوعظ: التخويف والعهظة الاسم منه، قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرق له قلبه"⁽¹⁾.

المعنى الثاني: التذكير بالخير وما يرق له القلب

عبر عن هذا المعنى الفراهيدي قائلاً: "العهظة: الموعظة، وعظت الرجل أعظه عظة وموعظة.

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، دمشق، 1399هـ/1979م، ج6 ص126.

واتعظ: تقبل العظة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه، ومن أمثالهم المعروفة: لا تعطيني وتعطيني، أي: اتعطي أنت ودعي موعظتي⁽²⁾، وقال الأزهري: "والرجل يتعظ إذا قبل الموعظة حين يذكر الخير ونحوه، مما يرق لذلك قلبه"⁽³⁾، فجعل دلالة الموعظة بقبول ما يُذكر به، وقيل: "وعظه يعظه وعظا وعظة وموعظة: ذكره ما يُلين قلبه من الثواب والعقاب، فاتعظ"⁽⁴⁾، والعظة والموعظة: الاسم⁽⁵⁾.

المعنى الثالث: النصح والتذكير بالعواقب

قال الجوهري: "الوعظ: النصح والتذكير بالعواقب تقول: وعظته وعظا وعظة فاتعظ، أي: قبل الموعظة يقال: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره"⁽⁶⁾، "وفي الحديث: لأجعلنك عظة أي: موعظة وعبرة لغيرك، وفي التنزيل: (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ) (البقرة: 275)⁽⁷⁾، لم يَجِءَ بعلامة التأنيث، لأنه غير حقيقي، أو لأن الموعظة في معنى الوعظ حتى كأنه قال: فمن جاءه وعظ من ربه"⁽⁸⁾، وقد ذهب الزجاج إلى جواز تذكير (جاءه) في الآية السابقة، "لأن كل تأنيث ليس بحقيقي فتذكيره جائز.. والوعظ والموعظة معبران عن معنى واحد"⁽⁹⁾، ويعضد هذا المعنى قول الفراء: "إذا كان الفعل في مذهب المصدر مؤنثا مثل العاقبة، والموعظة، والعافية، فإنك إذا قدمت فعله قبله أنثته وذكرته، كما قال الله عز وجل: (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ) (البقرة: 275) بالتذكير، وقال: (قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) (يونس: 57)، بالتأنيث، وكذلك: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ) (هود: 67)، و{أخذت}، فلا تهاين من هذا تذكيرا ولا تأنيثا"⁽¹⁰⁾.

المعنى الرابع: الأمر بالطاعة والوصية

وفي هذا المعنى يذكر الفيومي في مادة (و ع ظ): "وعظه يعظه وعظا وعظة أمره بالطاعة ووصاه بها وعليه قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بَوْدَةً) (سبأ: 46)، أي: أوصيكم وأمركم، فاتعظ أي: اتنم وكف نفسه والاسم الموعظة وهو واعظ والجمع وعاظ"⁽¹¹⁾.

يستفاد من هذا البيان لأهم استعمالات المعاجم اللغوية السابقة لمادة (و ع ظ)، أنها تقدم لنا جملة المعاني التي يتمحور حولها لفظ الموعظة، تارة هي معاني إيجابية ونذكر منها-على سبيل المثال- معاني التذكير بالخير والنصح والوصية، وتارة أخرى هي معاني سلبية ونذكر منها -على سبيل المثال - معاني التخويف والزجر، كما يستفاد كذلك أن لفظ "الوعظ" يطلق على الاسم والمصدر على حد سواء، وبهذا نخلص إلى أن اللفظة تدور حول المعاني الآتية:

(2) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (د.ط.)، (د.ت)، ج2 ص228.

(3) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ج3 ص93.

(4) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: 8، 1426هـ/2005م، ص699.

(5) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: 1، 1412هـ، ص876.

(6) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: 4،

1407هـ/1987م، ج3 ص1181.

(7) وقد قرأ أبي الحسن بالناء على الأصل: {فمن جاءته موعظة}. ينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأنسلمي، تحقيق: صدقي محمد جميل،

الناشر: دار الفكر، بيروت، (د.ط.)، 1420هـ، ج2 ص708.

(8) لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: 3، 1414هـ، ج7 ص466.

(9) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عيده شليبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ج1 ص358.

(10) معاني القرآن، الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، (د.ت)، ج1 ص356.

(11) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط.)، (د.ت)، ج2 ص665.

- التخويف والزجر
- التذكير بالخير
- النصح والتذكير بالعواقب
- الأمر بالطاعة والوصية

ثانياً: اصطلاحاً

اكتفت المعاجم الاصطلاحية⁽¹²⁾ بتكرار المعاني المذكورة في المعاجم اللغوية، ولم تضيف جديداً، فقد قال أصحاب كتب الاصطلاحات في تعريف الموعظة: "هي التذكير بالخير فيما يرق له القلب"⁽¹³⁾، وقيل: "هي التذكير بالخير والنصيحة"⁽¹⁴⁾، والموعظة: "هي التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة"⁽¹⁵⁾، وهذا ذات ما ذهبت إليه كتب اللغة. وعرف آخر الموعظة في الاصطلاح الدعوي بقوله: "الترغيب بالعاقبة الحسنة والسعادة الخالدة لمن اتبع سبيل ربه، والترهيب من العاقبة السيئة الوخيمة، والشقاوة والتعاسة لمن أبى أن يتبع سبيل ربه، بشرط عرضها بأسلوب حسن جميل مقبول لا تنفر منه الطباع"⁽¹⁶⁾.

بعد عرض ما سبق من المعاني المختلفة للفظـة "الموعظة" عند اللغويين والاصطلاحيين، يمكن أن نصوغ لها تعريفاً بالقول:

هي النصح والتذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والتخويف أو بالاستمالة والترغيب أو بالتوصية.
المطلب الثاني: مصدر الموعظة وضابطها
أولاً: مصدر الموعظة

الآيات التي دلت على أن القرآن مصدر الموعظة هي:

الآية الأولى: (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (

يونس:57).

هذه الآية الكريمة ترشدنا إلى أن مصدر المواعظ هو القرآن ويمكن الاستشهاد على هذا بما أورده الزمخشري في الكشف عند تفسيره للآية، حيث قال: "قوله: (قد جاءكم موعظة)، أي: قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبية على التوحيد وهو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم"⁽¹⁷⁾، نستفيد من كلام الزمخشري أن القرآن الكريم مشتمل على المواعظ يُذكر الله بها عباده من أجل أن يتعظوا ويعتبروا، ومن معاني الموعظة في القرآن: "مواعظ القرآن"⁽¹⁸⁾.

ونفس المراد ذهب إليه الألوسي عندما قال: "أي: قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع كاشف عن أحوال الأعمال حسناتها وسيئاتها مرغوب في الأولى وراذع عن الأخرى ومبين للمعارف الحققة المزيلة لأدواء الشكوك

⁽¹²⁾ وهذه المعاجم الاصطلاحية هي: التعريفات للجرجاني، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون للأحمد نكري.

⁽¹³⁾ التعريفات، الجرجاني، ص253.

⁽¹⁴⁾ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، أحمد نكري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م، ج3ص265.

⁽¹⁵⁾ التعريفات، الجرجاني، ص236. التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م، ص319. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج3ص265.

⁽¹⁶⁾ فقه الدعوة إلى الله، عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ/1997م، ج1ص699.

⁽¹⁷⁾ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج2ص353.

ينظر: ⁽¹⁸⁾ البحر المحیط، أبو حیان الأندلسي، ج6 ص613. البحر المديد، ابن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، (د.ط)، 1419هـ، ج3ص174.

وسوء مزاج الاعتقاد وهاد إلى طريق الحق واليقين .. ورحمة للمؤمنين، حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا إلى درجات الجنان..⁽¹⁹⁾

وأضاف أن الآية "إشارة إلى أن للنفس الإنسانية مراتب كمال من تمسك بالقرآن فاز بها:

أحدها؛ تهذيب الظاهر عن فعل ما لا ينبغي وإليه الإشارة بالموعظة بناء على أن فيها الزجر عن المعاصي.

وثانيها؛ تهذيب الباطن عن العقائد الفاسدة والملكات الردية وإليه الإشارة بـ: (شفاء لما في الصدور).

وثالثها؛ تحلي النفس بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة ولا يحصل ذلك إلا بالهدى.

ورابعها؛ تجلي أنوار الرحمة الإلهية وتختص بالنفوس الكاملة المستعدة بما حصل لها من الكمال الظاهر والباطن لذلك⁽²⁰⁾.

الآية الثانية: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:125).

هذه الآية خطاب من الله لرسوله الكريم بأن يسلك في دعوته إلى الله مسلك الموعظة الحسنة، فالدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة لا تكون-كما قال الإمام الطبري- إلا: "بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله"⁽²¹⁾، ويفهم من كلام الطبري أن هذه المواعظ والعبر الجميلة ما هي إلا حجج القرآن وإرشاداته.

ويؤكد كلام الطبري ما ذهب إليه الشيخ المراغي من أن (الدعوة بالموعظة الحسنة)، أي: "بالدعاء إلى شريعته التي شرعها لخلقه بوحى الله الذي يوحى إليك، وبالعبر والمواعظ التي جعلها في كتابه حجة عليهم، وذكرهم بها في تنزيله .. وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها بأن تصفح عما نالوا به عرضك من أذى، وترفق بهم بحسن الخطاب"⁽²²⁾.

الآية الثالثة: (الرِّجَالُ قَوُومُونَ عَلَى أَلْسِنَاءٍ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَلَحْتُ فُنِيتُ خُفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) (النساء:34).

هذه الآية يمكن الاستدلال بها أيضا في أن القرآن مصدر الموعظة، بحيث جعل الله تعالى علاج نشوز المرأة في وعظها بكتابه الحكيم وإلى هذا أشار الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله: (فعظوهن)، أي: "بكتاب الله.. ذكروهن ما أوجب الله عليهن من حسن الصحبة وجميل العشرة للزوج، والاعتراف بالدرجة التي عليها"⁽²³⁾، فالوعظ بكتاب الله تلميح من القرطبي إلى ما اشتمل عليه القرآن من المواعظ.

ثانيا: ضابط الموعظة

ينبه الإمام الشنقيطي في تفسيره "أضواء البيان" إلى مسألة ذات أهمية بالغة وهي أن للموعظة ضابطا يضبطها، حيث يقول: "فإن قيل: يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي؛ كقوله هنا: (عِظْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل:90)، مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) إلى قوله: (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) ، وكقوله في سورة البقرة بعد أن ذكر أحكام الطلاق والرجعة: (ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (البقرة:232)، وقوله في الطلاق في نحو ذلك أيضا: (ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (

(19) روح المعاني، الألوسي، ج6ص131

(20) المصدر نفسه، ج6ص131.

(21) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج17ص321.

(22) تفسير المراغي، ج14ص161.

(23) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5ص171.

(الطلاق:2)، وقوله في النهي عن مثل قذف عائشة-رضي الله عنها: (عِظْكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (النور:17)، مع أن المعروف عند الناس: أن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب ونحو ذلك، لا بالأمر والنهي. **فالجواب:** أن ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيهم؛ فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله. وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه؛ فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفا وطمعا⁽²⁴⁾، ومن دلالات الوعظ في القرآن الكريم: " الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"²⁵.

المطلب الثالث: آثار الموعظة وأهدافها

أولاً: آثار الموعظة

تأثير الموعظة بالمتقين

الآيات التي دلت على أن الموعظة تؤثر في المتقين هي:

الآية الأولى: (فَجَعَلْنَاهَا نَكَلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) (البقرة:66).

الآية الثانية: (هُذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (آل عمران:138).

الآية الثالثة: (وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (المائدة:46).

الآية الرابعة: (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) (النور:34).

من خلال هذه الآيات الأربع نلاحظ أن الموعظة جاءت في جميعها مخصصة بالمتقين، يرى فخر الدين الرازي في تفسيره لقوله تعالى: (وموعظة للمتقين)، أن فيها وجهين:

أحدهما: أن من عرف الأمر الذي نزل بهم يتعظ به ويخاف إن فعل مثل فعلهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم، وإن لم ينزل عاجلاً فلا بد من أن يخاف من العقاب الآجل الذي هو أعظم وأدوم.

وأما تخصيصه للمتقين بالذكر، فلأنهم إذا اختصموا بالاتعاظ والانزجار والانتفاع بذلك صلح أن يخلصوا به، لأنه ليس بمنفعة لغيرهم.

الثاني: أن يكون معنى قوله: (وموعظة للمتقين)، أن يعظ المتقون بعضهم بعضاً، أي: جعلناها نكالا وليعظ به بعض المتقين بعضاً فتكون الموعظة مضافة إلى المتقين على معنى أنهم يتعظون بها، وهذا خاص لهم دون غير المتقين⁽²⁶⁾.

ويمكن الجمع بين الوجهين، بما أورده الشيخ أبو زهرة عند حديثه عن سبب تأثر المتقين في الآيات السابقة بالموعظة دون غيرهم، حيث قال: "وخص سبحانه وتعالى تأثير الموعظة بالمتقين، وإن كانت هي للعالمين لتفردهم بالتأثر بها، والاهتداء بهديها وهم الذين تتفعل نفوسهم للخير، لأنهم ليسوا مغرورين بعزة الشيطان، ولكن تمتلئ قلوبهم بتقوى الله تعالى، بأن يجعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية، فمن دأبهم الحذر من الشر، وإذا ذكروا ذكروا، والله هو الهادي إلى الرشاد"⁽²⁷⁾.

(24) أضواء البيان للشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.)، ج2 ص 437، 438.

²⁵ ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.)، ج1 ص 153.

(26) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج3 ص 543.

(27) زهرة التقاسير، أبو زهرة، ج1 ص 264.

ويصف لنا ابن رجب الحنبلي -رحمه الله تعالى- تأثير هذه المواعظ في قلوب المتقين، فيقول: "المواعظ سيات تضرب القلوب فتؤثر في القلوب كتأثير السياط في البدن والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثر في حال وجوده، لكن يبقى أثر التأليم بحسب قوته وضعفه فكلما قوي الضرب كانت مدة بقاء الألم أكثر"⁽²⁸⁾. وبهذا يمكن القول أن سبب تأثر المتقين بالموعظة دون غيرهم يكمن في كونهم أكثر اتعاضا بها، وكيفي أن وصفهم القرآن بهذا الوصف.

إصلاح الموعظة للأنفس

يظهر هذا الإصلاح من خلال هذه الآية الكريمة:

(آيَهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (يونس:57).

والموعظة في الآية الكريمة إشارة إلى القرآن فهو "الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضع على دائه بصدق وإيمان وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو أنزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها. فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل للدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهما في كتابه، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله"⁽²⁹⁾.

قال الطبري -رحمه الله-: "جعله الله للمؤمنين شفاء، يستشفون بمواعظه من الأدواء العارضة لصدورهم من وساوس الشيطان وخطراته، فيكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من المواعظ ببيان آياته"⁽³⁰⁾.

ويرى ابن القيم في مدارجه أن المدعوين يتفاوتون في الانتفاع بآثار الموعظة تبعاً لمتنوع مراتب النفوس، وأنواع القلوب، ومن منافذ التأثير الوعظي المهمة-عنده- السمع والبصر: "فالعظة بالمسموع الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد، والنصائح التي جاءت على لسان الرسل وما أوحى إليهم، وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد في مصالح الدين والدنيا.

والعظة بالمشهود الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر، وأحكام القدر، ومجاريه، وما يشاهده من آيات الله الدالة على صدق رسله"⁽³¹⁾.

ويلخص لنا الشيخ المراغي بأن الآية الكريمة أجملت إصلاح القرآن الكريم لأنفس البشر في أربعة أمور:

الأول: الموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب بذكر ما يرق له القلب فيبعثه على الفعل أو الترك.

الثاني: الشفاء لما في القلوب من أدواء الشرك والنفاق وسائر الأمراض التي يشعر من أحبها بضيق الصدر كالشك في الإيمان والبغي والعدوان وحب الظلم وبغض الحق والخير.

الثالث: الهدى إلى طريق الحق واليقين والبعد من الضلال في الاعتقاد والعمل.

الرابع: الرحمة للمؤمنين وهي ما تثمر لهم هداية القرآن وتفيضه على قلوبهم، ومن آثارها بذل المعروف وإغاثة الملهوف وكف الظلم ومنع التعدي والبغي"⁽³²⁾.

وبهذا نخلص إلى أن القرآن الكريم له تأثير في النفوس البشرية ويعمل على إصلاحها وتهذيبها، فهو موعظة

(28) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ج1 ص16.

(29) محاسن التأويل، القاسمي، ج6 ص498.

(30) جامع البيان، الطبري، ج1 ص67.

(31) مدارج السالكين، ابن القيم، ج1 ص443.

(32) ينظر: تفسير المراغي، ج11 ص122.

القلوب والشفاء لما في الصدور والهادي إلى طريق الحق واليقين والرحمة للمؤمنين.

ثانياً: أهداف الموعظة

ورد في القرآن الكريم ما ينص على أن للموعظة أهدافاً وغايات مرجوة، والآية التي تكشف لنا ذلك هي قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الأعراف: 164).

والآية وردت في سياق الحديث "عن مساوي اليهود منذ عهد بعيد، فقد بينت هذه الآية الكريمة: أن جماعة صالحة من أهل القرية التي كانت حاضرة البحر ومشرفة عليه، دأبوا على وعظ أهلها وتذكيرهم بوجوب تنفيذ أوامر الله والانتهاز عن محارمه، وفي جملة ذلك الصيد في يوم السبت الذي جعله الله يوم عبادة، وحرّم الاشتغال فيه بغير العبادة من صيد وسواه، كما بينت أن جماعة أخرى من أهل الصلاح رأوا أن لا فائدة من وعظ أولئك القوم المصيرين على المخالفة والعصيان فقالوا للواعظين: لماذا تشتغلون بوعظ هؤلاء المقيمين على العصيان، الذين سيهلكهم الله ويستأصلهم بذنوبهم، أو يعذبهم عذاباً شديداً دون استئصال. يريدون بمقالهم هذا أن يكف الواعظون عن وعظهم لعدم فائدته في قومهم"⁽³³⁾.

ثم يأتي جواب الوعاظ على سؤال أهل الصلاح بأن **الهدف** من وراء فعلهم هذا، أي استمرارهم في وعظ من لا فائدة مرجوة من وعظه، هو تحقيق غرضين:

أولهما: أن يقدموا معذرة إلى الله حتى لا ينسبهم إلى نوع من التفريط في النهي عن المنكر، فإن الله أخذ العهد على أهل العلم أن يعلموا الناس وأن لا يقنطوا من عدم الاستجابة السريعة إلى تعليمهم وإرشادهم.

وثانيهما: أن يستجيب الناس إلى الوعظ فكم من عاص تاب إلى الله بعد حين من وعظه⁽³⁴⁾.

وبهذا نخلص إلى أن الموعظة تهدف إلى تحقيق مقصدين أساسيين هما:

- القيام بواجب التنكير والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- ترجي استجابة الموعوظين من خلال وعظهم.

المبحث الثاني: أنواع الموعظ في القرآن الكريم ونتائجها

وسنتطرق خلاله للحديث عن بعض أنواع الموعظ المذكورة في القرآن الكريم وما يترتب من نتائج طيبة على امتثالها، ومن هذه الموعظ-على سبيل المثال لا الحصر- موعظ الأنبياء والصالحين، وموعظ الأزواج. ولنا وقفة عند نموذجين من موعظ الأنبياء والصالحين وهما؛ موعظة هود عليه السلام لقومه، وموعظة لقمان الحكيم لابنه، ثم نتبعه بنموذج آخر من الموعظ ورد ذكره في القرآن وهو موعظة الزوج لزوجته، ونختم المبحث بذكر بعض النتائج المترتبة عن امتثال الموعظ.

المطلب الأول: موعظ الأنبياء والصالحين

نستعرض في هذا المطلب نموذجين من الموعظ جرت على لسان الأنبياء والصالحين، وقد أخبر الله تعالى عنها في محكم تنزيله، الأولى هي موعظة هود عليه السلام لقومه، التي تضمنتها سورة الشعراء، والثانية هي موعظة لقمان الحكيم لابنه، وتضمنتها سورة لقمان.

⁽³³⁾ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، 1414 هـ / 1993م، ج3ص1536.

⁽³⁴⁾ ينظر: المرجع نفسه، ج3ص1536.

أولاً: موعظة هود عليه السلام لقومه

بُعِثَ نبي الله هود-عليه السلام- في قبيلة عاد وهي قبيلة عربية من إرم، كانوا يسكنون الأحقاف، وهو واد باليمن فيه منازلهم بين عمان ومهرة من أرض اليمن⁽³⁵⁾، وقد أنعم الله عليهم من ثمرات كل شيء، لكنهم كفروا بنعمة الله عليهم فعبدوا غيره، فأرسل الله - عز وجل - لهم نبيه هود يعظهم لعلمهم يرجعون.

وتجدر الإشارة إلى أن قصة نبي الله هود وقومه وردت في سور متعددة من سور القرآن الكريم، في مواضع بشكل مفصل، كما في سور: الأعراف، هود، المؤمنون، الشعراء، الأحقاف، وفي مواضع أخرى بإيجاز، كما في سور: فصلت، الذاريات، القمر، الحاقة، الفجر، وقد ذكر الله قصتهم في غير ما موضع ليعتبر ويتعظ بمصرعهم المؤمنون⁽³⁶⁾. ونحن هنا سنقتصر فقط على سورة الشعراء موضع ورود لفظة الموعظة موضوع الدراسة.

قال تعالى: (كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الَّذِي أَنْتَقُوا وَتَعْلَمُونَ أَمَدَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَكُمْ بِأَنْعَمَ وَبَيْنَ وَجَنَّتْ وَعُيُونِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الشعراء: 123-140).

إن أول ما يمكن ملاحظته في الآيات السابقة قول الله تعالى مخبرا عن نبي الله هود: (أخوهم أَخُوهُمْ)، فقد كان عليه السلام من نسبهم⁽³⁷⁾، وتلك سنة الله في أرضه يرسل إلى الأمم رسلا منها، فيكونون أعلم بأحوالهم، وأكثر شفقة بهم، فكانت دعوته لقومه دعوة الأنبياء والرسل جميعا، دعوة التوحيد ونبي الشرك، إذ دعاهم إلى الله وحده وحذرهم نعمته وعذابه، فقال لهم: (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ)، والريع: المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة، يبنون هناك بناينا محكما هائلا باهرا، ولهذا قال: (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ)، أي: معلما، (تَعْبَثُونَ)، أي: تفعلون ذلك عبثا لا للاحتياج إليه، بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، ولهذا أنكر عليهم، لأنه تضييع للزمان وإتاعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)، والمصانع: البروج المشيدة والبنيان المخلد، وقيل: بروج الحمام، وقيل: مأخذ الماء، (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)، أي: لكي تقيموا فيها أبدا، وذلك ليس بحاصل لكم بل زائل عنكم، كما زال عمن كان قبلكم، وقوله: (وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ)، أي: يصفهم بالقوة والغلظة والجبروت، (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)، أي: اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم، ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الَّذِي أَنْتَقُوا وَتَعْلَمُونَ أَمَدَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَكُمْ بِأَنْعَمَ وَبَيْنَ وَجَنَّتْ وَعُيُونِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)، أي: إن كذبتكم وخالفتم، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم⁽³⁸⁾، هذا الأسلوب الوعظي، بل زادهم نفورا وإعراضا، حيث قالوا كما أخبر القرآن: (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَعِظِينَ)، أي: لا نرعي عما نحن عليه، (إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ)، أي: ما هذا الذي جئت به من الوعظ إلا كذب الأوليين، (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ)، أي: على ما نحن عليه، (فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ)، أي: بسبب تكذيب نبيهم أهلكناهم بريح صرصر وفي ذلك عبرة وعظة لمن أراد أن يعتبر⁽³⁹⁾.

(35) ينظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ، ج3 ص2420.

(36) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8 ص384.

(37) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ج12 ص94.

(38) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، 1402هـ/1981م، ج2 ص653.

(39) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ، ج4 ص146.

ثانياً: موعظة لقمان الحكيم لابنه

ورد ذكر موعظة لقمان الحكيم لابنه في سورة لقمان، وقد لُقب بالحكيم، لأن الله سبحانه أنعم عليه بالحكمة وأعطاهها له، واتفق العلماء على أنه كان عبداً صالحاً حكيماً ولم يكن نبياً⁽⁴⁰⁾. وقد حكى القرآن من كلامه فيما وعظ به ولده وهو أحب الخلق إليه، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ - وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوُلْدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهَا فِي غَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جُهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ - عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرَأَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَأَقِصْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان: 13-19).

يعظ لقمان الحكيم في الآيات السابقة ولده بتحذيره من أكبر الكبائر وأعظم الخطايا على الإطلاق، ألا وهي الشرك بالله، فإن أجل الأخلاق وأعز الأوصاف التي يمكن أن يتصف بها الإنسان هي التوحيد، وتنزيه الله سبحانه عن كل ما لا يليق به، وإن أخس الأوصاف وأرذل الأخلاق هو الشرك بالله، والاعتقاد بالوهية أو ربوبية غيره سبحانه، وقد وصفه بأنه ظلم عظيم، لما فيه من ظلم للنفس، وتجاوز عن الحد.⁽⁴¹⁾

ولكي لا يظن أحد أن النهي عن الشرك خاص بابن لقمان وحده، تأتي الآيات معترضة كلام لقمان لابنه، في قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوُلْدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهَا فِي غَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جُهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ - عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)، حيث يوصي الله سبحانه عباده باجتناب الشرك، فلا عذر لأي مخلوق في أن يشرك بالله رب العالمين، حتى وإن كان ذلك اتباعاً من الإنسان لوالدين مشركين يلحان عليه أن يتبعهما في الدين، ويذكر الله سبحانه عباده بأن لا يدفع اجتناب الشرك الإنسان إلى عقوق والديه المشركين، وإنما يذكره بفضلها عليه، ويأمره أن يصاحبهما - رغم عصيانه لهما في الإشراف بالله - بالمعروف.⁽⁴²⁾

ثم يستأنف الحق سبحانه ما كان من موعظة لقمان لابنه، (يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)، حيث يُعلم ابنه أنه ما من شيء في السماوات ولا في الأرض ولو كان متناهياً في الصغر، حتى لا تتركه الحواس، إلا أتى به الله في علمه، وهو بذلك يسد على ابنه الطريق أن يتوهم أن الله سبحانه تخفى عليه خافية في السماوات والأرض، داعياً إياه أن يتقي الله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً في سره وعلايته.

ويتابع سبحانه في قوله: (يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرَأَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) .

وفي الآية ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: (يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ)، وصى ابنه بأعظم الطاعات وهي الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا إنما يريد به بعد أن يمثل ذلك هو في نفسه ويزجر عن المنكر.

(40) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، ج3 ص397.

(41) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، النخجواني، الناشر: دار كتابي للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1419 هـ/1999 م، ج2 ص131.

(42) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج21 ص156.

الثانية: قوله تعالى: (وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ)، يقتضي حضا على تغيير المنكر وإن نالك ضرر، فهو إشعار بأن المغير يؤذى أحيانا، وهذا القدر على جهة الندب والقوة في ذات الله، وقيل: أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها، وألا يخرج من الجزع إلى معصية الله عز وجل.

الثالثة: قوله تعالى: (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُور)، قال ابن عباس: من حقيقة الإيمان الصبر على المكروه، وقيل: إن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور، أي: مما عزمه الله وأمر به، ويحتمل أن يريد أن ذلك من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة.⁽⁴³⁾

وبعد أن أمر لقمان ابنه ووصاه بأعظم الطاعات وعزائم الأمور، يختم وصيته له بإتمام ما يحب الله ويرضى لعباده المؤمنين من الأخلاق الحميدة، والصفات المحببة حيث يقول: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)، وقوله: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)، أي: لا تمله وتعبس بوجهك الناس، تكبرا عليهم وتعاضما. (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)، أي: بطرا فخرا بالنعم معجبا بنفسك، (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)، أي: في نفسه وهيبته وتعاضمه فخور بقوله، (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)، أي: امش متواضعا مسكينا، لا مشي البطر والتكبر، ولا مشي التماوت، (وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ)، وذلك أدبا مع الناس ومع الله، (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)، أي: أفظعها وأبشعها، (لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)، فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة لما اختص بذلك الحمار، الذي قد علمت خسته وبلادته. وهذه المواعظ بلا شك، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها وكل موعظة يقتزن بها ما يدعو إلى فعلها، إن كانت أمرا، وإلى تركها إن كانت نهيا⁽⁴⁴⁾.

المطلب الثاني: مواعظ الأزواج

والآية التي تحدثنا عن مثل هذا النوع من الوعظ هي قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوُّمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قَنَاطٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) (النساء:34). يخبرنا الشيخ أبو زهرة بأن الآية تضمنت وسائل العلاج القرآنية لحالات نشوز⁽⁴⁵⁾ الزوجة، وهي من واجبات الزوج القيم بشؤونها، وهذه الوسائل تتمثل أساسا؛ في الوعظ أولا، ثم الهجر في المضاجع ثانيا، ثم الضرب ثالثا، وبيانها كما يلي:

أولا: الوعظ

والوعظ في الآية " القول الذي يؤثر في النفس ويوجهها إلى الخير .. بذكر نتائج الشر، وهو مراتب أعلاها التوبيخ، وهو أيضا مراتب. ولكل امرأة من النساء ما يليق بمثلها، فذات الإحساس الرقيق إذا كان منها ما لا يستحسنه، يقال مثلا: أفعلت هذا؛ كأنه ينكر أن يكون حدث منها، أو يقول: ما تصورت أن يكون هذا من مثلك، ثم يذكرها بشرف أسرتها، ثم يذكرها بحق الله تعالى، ثم يوبخها، ومنه اللوم، وهو في كل هذا لا يقسو ولا يعنف".

(43) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14 ص68، 69.

(44) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج1 ص648.

(45) النشوز: "خروج الزوجة عما توجبه الحياة الزوجية من طاعة الزوجة لزوجها، وقيامها على شؤون بيتها، وأصل النشوز مأخوذ من النشز بمعنى الارتفاع في وسط الأرض السهلة المنبسطة ويكون شادا فيها، فيكون نشوز المرأة ترفعا أو إعراضا عن الحياة الزوجية الطيبة وشذوذا فيها". زهرة التفسير، أبو زهرة، ج3 ص1376.

ثانياً: الهجر في المضجع

"والهجر المطلوب هو الهجر الجميل، وهو الهجر من غير جفوة. والهجر مراتب: أدناها أن يكون الهجر في موضع النوم، وهو المضجع الحقيقي، والآخر مجازي بأن يدير لها ظهره ولا ينام، فإن علا نام في منام آخر، فإن علا ترك حجرة النوم إلى حجرة أخرى من غير مجافاة ولا مخاصمة، ولكل حال نوعها من النساء ونوع من أمارات النشوز وعلاماته التي تكشف عن توقعه إن ترك حبلها على غاربها".

ثالثاً: الضرب

"وهو أقصاها، ولا يلجأ إليه إلا عند فشل الدواءين السابقين. وقد ثبت أن الضرب المباح يكون عندما تبلغ الحياة الزوجية درجة يخشى عليها من النشوز والافتراق، وقد قيده السنة بقيدتين. أحدهما: أن يكون غير مبرح، وأن يكون غير مشين بألا يضرب الوجه ... وهذا هو الضرب المباح، فهو رمز لاستحقاق الضرب، وليس بضرب⁽⁴⁶⁾. ولابن جزي كلام جميل بين فيه مراتب تأديب الزوج لزوجته- التي ذكرتها الآية - في حالة نشوزها، فذكر في مقدمة هذه المراتب: الوعظ، حيث يقول: "هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهي على مراتب: بالوعظ في النشوز الخفيف، والهجران فيما هو أشد منه، والضرب فيما هو أشد ومتى انتهت عن النشوز بوجه من التأديب: لم يتعد إلى ما بعده، والهجران هنا هو ترك مضاجعتها، وقيل: ترك الجماع إذا ضاجعها، والضرب غير مبرح⁽⁴⁷⁾. يمكن أن نستفيد مما تم عرضه في هذا المبحث أن الموعظة لها أهمية عظيمة، ولعظمها كانت السبيل القويم للأنبياء في دعوتهم، وأيضاً جعلها القرآن الكريم من وسائل العلاج الأمثل لحالات نشوز الزوجات.

المطلب الثالث: نتائج امتثال المواعظ

والآية الكريمة التي تخبرنا بنتائج امتثال ما يوعظ به هي :
(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) (النساء: 66-68).
إن امتثال الموعظة لا شك أن له آثاراً إيجابية ونتائج طيبة على المخاطبين بها في الدنيا والآخرة، قال السعدي- رحمه الله- مبينا هذه الآثار في الآية: "رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور: أحدها: الخيرية في قوله: (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ)، أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتقى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده.

الثاني: حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي يكرهها العبد، فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر، فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر.

وأيضاً فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.

الثالث: قوله: (وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا)، أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن

(46) المرجع نفسه، ج3 ص1670.

(47) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ، ج1 ص190.

النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الرابع: الهداية إلى صراط مستقيم، وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم بالحق، ومحبته وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هُدي إلى صراط مستقيم، فقد وُفّق لكل خير واندفع عنه كل شر وضير⁽⁴⁸⁾.

ويبين لنا الشيخ طنطاوي بأن الآية الكريمة "بيان للنتائج الطيبة التي تترتب على امتثالهم لأمر الله.. لو ثبت أنهم فعلوا ذلك لكان ما فعلوه خيرا لهم في دنياهم وآخرتهم، ولكن أشد تثبيتا لهم على الحق والصواب وأمنع لهم من الضلال"⁽⁴⁹⁾.

وبهذا نخلص إلى أن النتائج المترتبة عن الموعظة تتحدد في حصول الخيرية في الدنيا والآخرة، والتثبيت في الحياة الدنيا، والجزاء في العاجل والآجل، والهداية إلى الصراط المستقيم.

الخاتمة:

النتائج المتوصل إليها من دراسة الموعظة في القرآن الكريم، تتحدد في الخلاصات التالية:

- 1- على مستوى الدراسة المعجمية توصل الباحث إلى أن لفظة "الموعظة" مشتقة من الجذر (و ع ظ)، تيدل على معاني التخويف والزجر والتذكير والنصح والأمر بالطاعة والوصية.
 - 2-أوردت المعاجم الاصطلاحية للفظ "الموعظة" مجموعة من المعاني تؤول كلها إلى المعاني اللغوية.
 - 3-حضور مهم للفظ "الموعظة" في نصوص القرآن الكريم، وفي كل المجالات القرآنية؛ العقديّة والتشريعية والدعوية والأخلاقية والتربوية.
 - 4-أن القرآن مصدر كل موعظة وقد اشتمل على مجموعة من المواعظ؛ مواعظ الأنبياء والصالحين والأزواج..
 - 5- إن من أهم نتائج الموعظة: الخيرية وحصول التثبيت والثبات في الدنيا والآخرة، والجزاء في العاجل والآجل، والهداية إلى الصراط المستقيم.
 - 6-تكمّن أهداف الموعظة حسب الآية(164) من سورة الأعراف فيما يأتي :
- أولاً- الدعوة إلى الله والوعظ والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ثانياً- استجابة الناس إلى الوعظ فكم من عاص تاب إلى الله بعد حين من وعظه.
- وختاماً نسأل الله تعالى أن نكون ممن يستمع الموعظة فيتبع أحسنها، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم
- 2- أضواء البيان، الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، (د.ط)،(د.ت).
- 3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الببضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
- 4- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت،(د.ط)،1420 هـ.

(48) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص185.

(49) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ج3 ص205.

- 5- البحر المديد لابن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، (د.ط)، 1419هـ.
- 6- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الناشر: دار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: 1984 هـ، (د.ط)، (د.ت)..
- 7- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ.
- 8- التعريفات، الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ/1983م.
- 9- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419 هـ.
- 10- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1325 هـ/1946م.
- 11- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، 1414 هـ / 1993م.
- 12- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، (د.ت).
- 13- التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- 14- تهذيب اللغة، الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- 15- التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م.
- 16- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.
- 17- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ / 2000 م.
- 18- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ / 2000 م.
- 19- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، أحمد نكري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م.
- 20- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ/1964م.
- 21- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
- 22- زهرة التفاسير، أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).
- 23- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: 4، 1407هـ/1987م.

- 24- فقه الدعوة إلى الله، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ/1997م.
- 25- الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، النخجواني، الناشر: دار كتابي للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1419هـ/1999م.
- 26- القاموس الحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: 8، 1426هـ/2005م.
- 27- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (د.ط.)، (د.ت.).
- 28- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.
- 29- لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
- 30- لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: 3، 1414هـ.
- 31- لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م.
- 32- محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
- 33- مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، 1402هـ/1981م.
- 34- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتمد بالله البغدادی، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1416 هـ / 1996م.
- 35- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.).
- 36- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.).
- 37- معاني القرآن، الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، (د.ت.).
- 38- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.
- 39- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، دمشق، 1399هـ/1979م.
- 40- مفاتيح الغيب، الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ.
- 41- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: 1، 1412هـ.

RESEARCH TITLE

Political Repression and Islamist Moderation in Egypt and Morocco between 1990 and 2010**Mohamed Eid Abdalaal Hassan¹**¹ Istanbul Sabahattin Zaim University, Istanbul, Turkiye.

E-mail: m.hassan@std.izu.edu.tr

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/12>**Published at 01/04/2024****Accepted at 22/03/2024****Abstract**

This thesis provides a critical analysis of the environment that the Islamists worked in, which affected their process of moderation testing the inclusion-moderation hypothesis by selecting two case studies, Al Wasat party in Egypt and the Party of Justice and Development in Morocco. Many factors may affect the moderation process and it will be discussed. This thesis uses a wide range of primary and secondary sources, including personal interviews, media reports, documents, and expert analyses. It analyzes how the behaviors of the political regimes in both Egypt and Morocco can affect the moderation process positively/negatively, in addition, the role of the leaders of the Islamists which can play a vital role in this process, further the interaction between the internal and the external factors.

Key Words: Egypt, Morocco, Al Wasat part, the party of Justice and Development Party, moderation, and the Muslim Brotherhood

القمع السياسي والاعتدال الإسلامي في مصر والمغرب بين عامي 1990 و2010

محمد عيد عبدالعال حسن¹

¹ جامعة اسطنبول صباح الدين زعيم، اسطنبول، تركيا

البريد الإلكتروني: m.hassan@std.izu.edu.tr

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/12>

تاريخ القبول: 2024/03/22م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

تقدم هذه الأطروحة تحليلاً نقدياً للبيئة التي عمل فيها الإسلاميون، والتي أثرت على عملية اعتدالهم باختبار فرضية الشمولية-الاعتدال من خلال اختيار دراستي حالة، حزب الوسط في مصر وحزب العدالة والتنمية في المغرب. قد تؤثر عوامل كثيرة على عملية الاعتدال وسيتم مناقشتها في هذه الورقة البحثية. تستخدم هذه الأطروحة مجموعة واسعة من المصادر الأولية والثانوية، بما في ذلك المقابلات الشخصية والتقارير الإعلامية والوثائق وتحليلات الخبراء. كما تتضمن تحليلاً لكيفية اسهام سلوكيات وسياسات النظامين السياسيين الحاكمين في كل من مصر والمغرب أن تؤثر على عملية الاعتدال إيجاباً أو سلباً، بالإضافة إلى دور قيادات الإسلاميين التي يمكن أن تلعب دوراً حيوياً في هذه العملية بالإضافة للتفاعل بين العوامل الداخلية والخارجية.

الكلمات المفتاحية: مصر، المغرب، حزب الوسط، حزب العدالة والتنمية، الاعتدال، الاخوان المسلمون.

1. Introduction

The rise of Islamists in the Middle East pushed many researchers to analyze and explain their mechanisms and ways of thinking because they have a great effect on the politics in the region. It would help analyze their relations with the political regimes, the other political wings, and their relations with societies. The researchers are classifying Islamists into moderates and radicals based on beliefs and behaviors. Such classification is important because there are many Islamist groups and they differ in ideologies, and methods of change. These classifications are debatable because the measures of classification vary from one researcher to another. Researchers like John Esposito, Graham Fuller, and Charles Kurzman categorize Islamists into moderate Islamists who believe in democracy, pluralism, and human rights such as Al-Nahdah in Tunisia and AK party in Turkey, and radicals who don't, like the Taliban and Al-Qaida (Wickham, 2004:206). Many reasons can push them to be radicals, including exclusion, torture, imprisonment, and more. The inclusion-moderation hypothesis will be used to explain the moderation process. This dissertation will explore the prospect and development of Islamist moderation in a political environment characterized by political repression, under an authoritarian regime, and the lack of opportunities to participate in elections, public debates, and decision-making institutions. In Egypt, it will focus on Al-Wasat party although it became moderated the Egyptian regime refused to give it a legal license excluding it from participation in political life, While in Morocco, it will focus on the Justice and Development Party (PJD) which became moderated and has been allowed by the regime to participate in the political arena. In which conditions the first has been refused, and in which conditions the second has been accepted, will be analyzed in this research. This chapter includes the thesis subject, the purpose of the thesis, its scope and content, the research question, and the importance of the thesis.

1.1 Thesis Subject

This dissertation will explore the prospect and development of Islamist moderation in a political environment characterized by political repression, under an authoritarian regime, and the lack of opportunities to participate in elections, public debates, and decision-making institutions. Two case studies will be analyzed, Al Wasat Party in Egypt and the PJD in Morocco. I chose these two case studies because both Egypt and Morocco have conservative societies (Hancock, 2017), authoritarian regimes, and many different Islamic trends, radicals, and moderates. There are similarities between the two case studies, Al-Wasat Party and the PJD split from a mother group, Al Wasat Party split from the Muslim Brotherhood, and the PJD split from the MUR. The difference between the two cases is the participation in the political life. Al Wasat wasn't allowed from the Egyptian regime to work, but the PJD after prohibiting, the Moroccan regime gave it a license, and these two different behaviors of the regimes affected the moderation process of the two parties. I will examine both of these political parties in the period between 1990 and 2010. The research uses primary resources through interviews with leaders and members of the movements discussed in this paper and their official media. The research uses secondary resources too such as articles, TV interviews, books ...etc.

1.2 The Purpose of the Thesis

Although Al Wasat party had applied three times to have a legal license to work in politics, the Egyptian regime refused these applications and didn't give it any opportunity to work officially. The PJD was allowed by the Moroccan regime to work after years of refusing and prohibiting and the PJD later led the government. So, what are the reasons that pushed the Egyptian regime to prohibit Al Wasat party? What are the reasons that pushed the Moroccan

regime to allow the PJD to work after prohibiting it? Can the behaviors of the regime be the only factor that determines the refusal or acceptance? Or the nature of the party and its ideologies and behaviors can play a role in making the regimes accept or refuse it? This thesis analyzes the interaction between a repressive political environment and the opportunities for Islamists to participate in politics to allow them to moderate. The research has one main question, what are the interactive dynamics between Islamist participation in politics and the environment in which they work?

1.3 The Scope and Content of the Thesis

This thesis will employ the inclusion-moderation hypothesis to examine the moderation of Islamic movements in Egypt and Morocco from 1990 until 2010. It will analyze the interaction between a repressive political environment and the opportunities for Islamists to participate in politics to allow them to moderate. In addition, it analyzes the factors that potentially moderate the Islamists, especially the radicals through the inclusion process. Many Islamist groups rose in the Middle East after the end of the Ottoman Empire hoping to get back the heritage of Al-Khilafah. Other factors helped the rise of such groups as colonialism and nationalism, and Islamist groups were as a counter defending against them. Some groups used violence from an ideological prospect to build an (Islamic State) and apply Shari'a and some radical groups refused to participate in political life. Some of these groups and other groups that didn't believe in violence as a method of change, both participated in elections and political life. They believed that participating in politics can make them gain and they can change through politics. The relation between religion and politics still occupies a great space in the thoughts of Islamic groups, it is an important point to understand the way of thinking of these groups the matter that can help understanding the moderation process. There are many hypotheses dedicated to analyzing moderation, such as inclusion and exclusion.

Many factors affect that transformation, the readiness of the Islamist groups to make use of the opportunities under the authoritarian regimes and their capability to develop their ideologies and behaviors to participate in politics. The internal revisions of these Islamic movements play a great role in this moderation process to have both ideological and behavioral change. On the opposite, the behaviors of the political regimes whether they have a real intention to merge the Islamists into the political life.

The inclusion process transition may face many problems and obstacles. In a region like the Middle East, it would be clear that authoritarian regimes are obstacles in sometimes against the moderation of Islamist parties, those regimes categorize the Islamists as a threat to their thrones. So, the oppression, the imprisonment, and the prohibiting are the main tools of the regimes to force them to keep out of the political path. In Egypt, the Muslim Brotherhood was prohibited from finding a political party (Ellis, 2011). The leaders and the members of the Brotherhood were facing oppression and prisoning from the regime of Mubarak. The exclusion forced them to cooperate with the other ideological parties.

If moderate Islamist groups became more moderate, and even radical groups became moderate, would wider society accept them and accept this transition? Rachid Ghannouchi realized that society in the 1970s didn't accept the movement when it was radical, he said "Islamist militants felt a sense of alienation from wider society" (Cavatorta and Merone, 2013:865) After a long march to moderation, some political wings still accuse Ennahda as a radical group, in 2013, they accused it killing some political opposition members (Almonitor, 2013). Moderate Islamists are on the horns of a dilemma, they are being criticized by other radical groups and are not accepted by some groups of society.

The thesis is composed of four chapters, the first one is the introduction. The second will

discuss the history especially the separation of the Muslim Brotherhood, its program, its thoughts, and its moderation process with a mention of two of its leaders who affected the party. The third chapter will analyze the PJD history, the relationship between it and the regime, its thoughts, and its participation in the elections since its foundation until 2010, in addition to focusing on its moderation process with shedding light on two of its leaders. The fourth chapter will contain the findings and the conclusion of the thesis.

1.4 Research question

This study is going to answer one main question:

What are the interactive dynamics between political repression and Islamist moderation?

1.5 The Importance and Original Contribution of the Thesis Subject

The importance of this thesis comes from the case studies that will be discussed. Few scholars discussed Al Wasat Party and his experience hasn't been discussed enough from my point of view. To understand Al Wasat Party's experience, it is important to make a comparison with other experiences, so, I chose the PJD in Morocco which managed to participate in the different elections in Morocco since its foundation until now. The relationships between the two parties are opposite, while Al Wasat Party didn't have good relationships with the regime, the PJD had. In addition, it will be the first time to interview the leaders of Al-Wasat party after the military coup of 2013, the jail of the leaders of the party would change their ways of thinking and their points of view on many issues. The PJD is still in the political arena although the Islamists in other Middle East countries are facing a sharp wave of repression.

2. Literature review

2.1 Between Moderates and Radicals

There are many definitions to distinguish between moderates and radicals, moderates are those who seek gradual change by working under the legitimacy of the regime, while radicals seek to overthrow that regime. Moderates are those who accept the political tools as elections, while radicals refuse to use violence to achieve what they want. (Schwedler, 2013:5) once the authoritarian regimes block the roads against the moderates from participating in political life, they may become radicals. The moderates are being criticized for participation in political life and elections. Schwedler argues that " more extreme opposition groups challenge Islamists to prove their core commitment to a conservative religious political vision." (Schwedler, 2013:1)

2.2 Moderation, its causes, and indications

Schwedler defined moderation as " moderation entails a process of change that might be described as a movement along a continuum from radical to moderate, whereby a move away from more exclusionary practices ... equates to an increase in moderation (2013)."

Jillian Schwedler discussed the changes in the beliefs and practices of Islamists focusing on the reasons that may lead to this change. She suggests that one of the main reasons is their inclusion and participation in pluralist political processes and she discusses whether Islamists became more moderate due to that hypothesis (pp.348-349). Schwedler in other research defends inclusion against exclusion, she argues that exclusion forces political opposition groups to work underground in secret ways and manners. She argues that " one of the most important effects of political inclusion is that it creates strong incentives for various groups to cooperate, even if only at a tactical level." (Schwedler, 2013:5) Schwedler argues that three dimensions can demonstrate the effectiveness of inclusion, participation in elections, cooperating with ideological rivals, and the commitment of Islamists to inclusion signs of believing in pluralism (Schwedler, 2007:57). For elections, she argues that Islamic parties in

different Islamic countries participated in many elections and seized a great percentage of the seats, she mentioned many examples as the participation of Lebanon's Hizbullah, the Hamas victory of February 2006, the Muslim Brotherhood in Jordan, and Yemen's Islamist Islah party (2007:58). She argues that participation in elections is not a sufficient indicator of moderation and that inclusion doesn't guarantee ideological moderation. She calls for a look at the discussion that happens within the party instead of observing the public statements to judge the inclusion process (2007:58).

Ihsan Yilmaz makes a comparison between the experiment of the Islamist parties in Turkey and Egypt especially those of the Justice and Development Party in Turkey and the Al-Wasat Party in Egypt. In the case of Egypt, he is explaining the reasons that stand behind allowing some political space to Islamists. The Egyptian regime used them as a scarecrow to frighten the other political wings passing the state of emergency and seizing more control. In addition, the regime used them to justify the repressive measures by declaring the state of emergency. Also, it creates a continuous dispute between the different ideological political wings to guarantee its control and prohibit any effort to unite all the political wings against it (2009, p.100). Yilmaz discusses the relationship between the Muslim Brotherhood and the leaders of the Al-Wasat party as they come from inside the Brotherhood shedding light on the factors that lead to moderation. As an organizational factor, he argues that this generation which grew up in universities became leaders later in syndicates and members of the parliament. These experiences affected them extremely in accepting the tools of politics, especially the work with the other ideologies. He described their thoughts as "a secular-leaning and pluralist Islamic approach (2009:104). Yilmaz mentioned three arguments discussed by Wickham that may explain the moderation of the Islamists in Egypt. First, Islamists came to this point through a learning process and strategic calculations. Second, the repression that strengthened to include Islamists and Secularists forced them to work together and cooperate. Third, the institutional opportunities and incentives were created by a mix of regime accommodation and repression of the Islamists (2009:105-106). He mentioned throughout the whole article, in brief, the thoughts of the new generation of Islamists, this generation believes in the separation between politics and religion as a functional separation. They are open to others and believe in democracy, human rights, and political participation.

Carrie Rosefsky Wickham focuses on the birth of the Al-Wasat party, its thoughts, its differences with the Muslim Brotherhood, and the limits of its moderation process. Regarding the differences between Al-Wasat and the MB, she argues that while the Muslim Brotherhood believes that the Sharia is valid in all times and places, Al-Wasat defines the main and the general principles of the Sharia, it calls for more flexibility in interpretation and application. Another difference is that while the Muslim Brotherhood believes sovereignty belongs to God, Al-Wasat believes sovereignty belongs to the Ummah (nation). Thirdly, pluralism for Al-Wasat means political, cultural, social, and religious, while for the MB has a religious meaning as a creation of God (2004:209). She makes a comparison between the moderation process of the left in Europe and Latin America and that of the Al-Wasat party in Egypt. She argues that the participation of the Al-Wasat party generation in the syndicates while they were members of the MB contributed to that transformation. They were forced to deal with other ideological wings and serve all. They were traveling abroad working with others from different cultures and backgrounds, a matter that participated in the openness to others. Generally, she argues that Islamists may be forced to be moderated to seize opportunities in an authoritarian regime and to avoid more political constraints. She argues that they became moderate through political learning and strategic calculation (2004:211-213). Wickham sees Sharia as the source of legislation as a problematic issue in the thoughts of the Al-Wasat Party because from her point of view, who has the right to interpret Islamic law? She argues that the

interpretation of Al Wasat party of Sharia is problematic. Thirdly, although they became moderate, they are still avoiding using Western terminologies. This may explain the limits of moderation.

Wuthrich and Ciftci discuss intraparty dynamics such as organizational strength, social movement linkages, and ideological legacy as factors that may affect the moderation of Islamists. They argue that the behavioral and ideological change comes from two internal factors, the level of the centralization of power within the party and the nature of the institutional and ideological linkage with a social movement (2020:330). It means from their point of view that if the structure and the leadership of the party are strong, it will be moderated because the structure is centralized, and if the power of the authority within the party is not centralized, moderation will not be an easy process. They gave examples of the first case as the AK party in Turkey and the PKS in Indonesia, while they mentioned the Islah party in Yemen and Malaysia's PAS as counterexamples (2020:330-333). They see that there is an obstacle to full power centralization in Islamic parties, the social movement linkages. They claim that the parties who have linkages with social movement organizations or had been founded by such organizations are less flexible to moderation compared to the others who don't have such a relation. They make a comparison between the split of the Al-Wasat Party in Egypt and the AK Party in Turkey.

Utvik in his article *Hizb al-Wasat and the Potential for Change in Egyptian Islamism* published in 2007 focuses further on the formation of the generation that founded the Al-Wasat party. He gave importance to the environment that the leaders of the party were working in which played a great role in forming their thoughts and behaviors. He argues that the activities in the Egyptian universities in the 1970s and the 1980s participated in enriching the political capabilities and the openness to others of the leaders of this generation, in addition to their work in the different syndicates (Utvik, 2007:299). Further, through their positions in these syndicates, they had been affected by other Islamic political parties in other countries such as Turkey, Tunisia, and Algeria, (2007:301). They learned from them with their different experiences and this helped in developing their ideologies and behaviors. Many Islamic thinkers and writers affected their mentality such as Yusuf al-Qaradawi, Fahmi Huwaydi, Tariq al-Bishri, Muhammad Salim al-Awa, Muhammad al-Ghazali, and Muhammad Imara. Those thinkers were the intellectual background of the party and its cultural organization Jam'iyyat Misr Lil-Thaqafa Wal-Hiwar (2007:301-302). Founding this organization was an attempt to have any official existence after the refusal of their party license. The conflict between this generation and the old guard of the Muslim Brotherhood in many visions and opinions in addition to their total domination forced them to take another way apart from the main group (2007:300). Utvik also discussed the program of the Al-Wasat party concentrating on his thoughts about the role of women in public and political life, the role of the family in society, the principles of Sharia as the main source of legislation, and many other points.

Amr Hamzawy (2005) argues that moderate Islamists in many countries such as the Egyptian and Jordanian branches of the Muslim Brotherhood and the Moroccan Justice and Development Party became more democratic and more pragmatic. Hamzawy noticed that the USA and Europe have the willingness to engage them less ideologically. But in another place in the same article cleared that " Arab regimes have long secured the support or at least the silent approval of the United States and Europe for their repressive measures toward Islamist movements by evoking the so-called Algerian syndrome or the nightmare of anti-western fanatics coming to power through the ballot box (2005). So, the USA and Europe are satisfied with the oppression of the Islamists in the Middle East committed by the authoritarian regime.

That means the USA and Europe aren't serious about containing and empowering the moderates. They don't make a distinction between those who are moderate and those who are radicals and extremists.

Hatina concentrated on describing the differences between the thoughts of Al-Wasat and those of the Muslim Brotherhood. He argues that Al-Wasat leaders were calling for a civic state, equality between Muslims and Copts, respect for the constitution and the authority, condemning terrorism, the defense of freedom of belief and opinion, and working on building a dialogue between the state and the Islamic trend (Hatina, 2010:174). Hatina –as proof of moderation and a different thought of the Muslim Brotherhood- mentioned that Al-Wasat made a connection with the Egyptian left (Hatina, 2010:176) He argues that Al-Wasat confessed the sovereignty of the people, empowering the women to participate in both public and political life. Hatina briefly discussed the Muslim Brotherhood's campaigns against Al-Wasat party's founding, in addition to the refusal of the Egyptian government to give its leaders a legal license as a political party.

2.3 The relation between religion and politics

Wegner and Pellicer argue that al-Jama'a al-Islamiyya (The Islamic Group) -which merged with others and became the MUR in 1996 and later many leaders of it formed the PJD-transformed since the mid-1980s. The leaders condemned the violence as a means of change in politics, accepted the legitimacy of the monarchy, and exercised democracy in the internal structures. The PJD was founded in 1998 by the MUR to have a separate political branch. Although MUR founded the party, gradually the party started to create its path away from MUR. A step that aimed to separate the politics from Dawa. While PJD was interested in politics, MUR was interested in Dawa, the relationship was a partnership. (Wegner and Pellicer, 2009:160-161) there were clashes between PJD and MUR. For example, in 2002, the PJD supported the Moroccan personal status code (family laws), while MUR opposed it and opposed the abolition of polygamy and the right of women to arrange marriages without a 'marital tutor'. The protests of MUR were against the secularization of society as they thought (Wegner and Pellicer, 2009:164). Wegner and Pellicer said, "In sum, any possible effect of the PJD's moderation on democratization was canceled out by its increase in strength that was threatening the regime" (2009:169). The separation between politics and Dawah and the separation between the party and movement is a key factor of such moderation.

2.4 Between the internal and the external factors

The Moroccan Justice and Development Party (JDP) separated from Shabiba Islamiyya which opposed the monarchy and has been oppressed. As a result of oppression, it went to work underground. Spiegel argues that once the separation happened, there was a new generation who believed in politics and democracy, this generation participated in elections confessing the legitimacy of the monarchy. (2015:5-6)

Spiegel argues that there was a change in the thoughts of the leaders of JDP, their speeches changed from religion to focusing on combatting corruption, concentrating on economics, and not opposing the monarchy but working under its umbrella. (Spiegel, 2015: 4-5) He argues that the party became more moderate in its behaviors and speeches. He explains that this change was motivated by three reasons, firstly, the monarchy allowed it to participate in politics with limits and red lines. Secondly, the party controlled the other allied movements such as ("haraka") and controlled its internal organizations. Thirdly, the competition with other parties and movements such as Al Adl. (Spiegel, 2015: 2-3) According to this analysis, the moderation process succeeded due to internal and external factors.

2.5 Moderation through Exclusion

Besides inclusion, there is exclusion which means excluding Islamists from participating in political life, in addition to oppressing them by prohibiting their activities and imprisoning them. Cavatorta and Merone discussed exclusion as a tool of moderation giving the Tunisian Ennahda movement as a case study. They defined it as "However, exclusion can be also defined more broadly to include the social rejection of political projects that are perceived to be alien to mainstream society, which can reinforce and to a certain extent underpin and legitimize state's repression." (Cavatorta and Merone, 2013:859) The writers argue that Ennahda suffered from double exclusion, from the state and large sectors of society, and that pushed the movement to be more moderate. They said "it may appear that the repressive campaign and the imprisonment of the leadership pushed the party towards greater moderation. It is for instance in jail in the early 1980s that Rachid Ghannouchi produced the theoretical work that is now the pillar of the attitudes and policy positions of the party concerning public freedoms in the direction of cementing democracy as the only viable political system." (Cavatorta and Merone, 2013:868)

3. The Research Method of the Thesis

This study is going to adopt a qualitative method for the data collection. In this thesis, to find out the gap in this area in the previous literature. This data will be analyzed to fill up the gap using primary sources such as interviews with political leaders, the documents, statements, and announcements of the politicians of these groups, and the official media of these groups. The interviews are going to be with Abu Elela Mady, the founder of the Al-Wasat party he is out of jail contrary to the majority of the party leaders who are now in jail like Essam Sultan, and Atef Awwad, one of its leaders and one of the founders and the responsible of the documentation and legalization of the party due to his career as a lawyer and he is free, so, it would be easy reach both of them. The paper applies some of the concepts of the inclusion-moderation hypothesis and the factors that can affect the moderation process such as party leadership which means centralization of power or hierarchical structures can lead to moderation, interaction with different groups in a pluralist system leads to 'political learning', cross-ideological cooperation between Islamists and other groups, behavioral moderation, ideological moderation, understanding the relation between politics and religion.

4. Conclusion

This thesis explored the prospect and development of Islamist moderation in a political environment characterized by political repression, under an authoritarian regime, and the lack of opportunities to participate in elections, public debates, and decision-making institutions. The inclusion moderation hypothesis has been used to understand the experiences of the Islamists in two countries, Egypt and Morocco choosing two case studies, Al Wasat Party in Egypt and the PJD in Morocco. The behaviors of the political regimes in both countries were different and affected the moderation process. While the Egyptian regime didn't give the party an official license to work, the Moroccan one allowed the PJD to work allowing it even to form the government after winning the majority in the elections.

To examine the success of moderation, measures have been applied such as participation in elections, cooperation with others, and whether Islamists show signs of moderation as a result of their experiences of inclusion. These are behavioral changes, but also ideological changes have been applied to examine both two case studies. In addition, the thesis analyzed the factors that affect the moderation process such as the institutional opportunities and incentives, political learning, learning from other Islamists in other countries, the mentality of the leaders of the Islamists, intraparty dynamics, and the interaction between the internal and external factors.

In chapter two, Al Wasat party is analyzed exploring its history and the circumstances of its

birth and foundation. The process of moderation of the party didn't start after the foundation but before. The leaders of the party such as Aboelela Madi, Essam Sultan, Atef Awwad, and others have been members of the Muslim Brotherhood since they were students in the universities. They were active in politics in the university campus and later when they became leaders in professional syndicates and candidates in the parliament elections. Due to their openness to the other political powers during their activities in syndicates, they learned to cooperate with other political wings, and they learned from other Islamists in Turkey for example. They went into a dispute with the old guard of the Muslim Brotherhood. This dispute was due to differences in visions and thoughts, the new generation was more open to others and had the ambition to work officially not underground, in addition, there was a gap between the two generations in issues such as the participation of women in political life, the rights of the Christians, separation between politics and Dawa, and other issues. The old guard had another vision.

The new generation was forced to leave the Brotherhood forming Al Wasat Party, such a step was opposed by both the Muslim Brotherhood and the Egyptian regime which refused the license of the party three times. The refusal had many reasons, there were suspicions that it was an arm of the Brotherhood and that step was a hidden plan of the Brotherhood's agenda. A wing of the Egyptian regime was afraid of the party because this wing was marketing itself as a moderate one against the Muslim Brotherhood, so, accepting Al Wasat party could be a threat to their plans. The program of the party wasn't affected only by the thoughts of its leaders, but also by many thinkers such as Yusuf al-Qaradawi, Fahmi Huwaydi, Tariq al-Bishri, Muhammad Salim al-Awa, Muhammad al-Ghazali, and Muhammad Imara. Those thinkers were the intellectual background of the party and its cultural organization Jam'iyyat Misr Lil-Thaqafa Wal-Hiwar which was founded after the denial of the party's license. The program of the party was different from the thoughts of the Muslim Brotherhood. It gave more space to the freedoms that come before anything from their point of view. The party didn't refuse a Christian to be a candidate in the presidential elections. Relating to the role of women in political life, it didn't refuse that, it accepted its role and didn't mind being a candidate in any elections.

The party moderated itself to avoid the repression of the regime instead of radicalizing and using violence against it (2004: 213). Al Wasat Party is a good example to prove that Islamist movements and parties can moderate their ideologies under both inclusive and exclusive regimes" (Tallmeister, 2013:5).

Chapter Three analyzed the PJD and its moderation process. The leaders who founded the PJD were belonging to Islamic groups but they split from them refusing violence as a tool of political change. The Moroccan regime denied their request to establish a party, forcing them to cooperate with an existing official party. They participated in the elections of 1997 under the name of the Mouvement Populaire Démocratique Constitutionnel (MPDC) led by Abdulkarim Khatib. Since this participation, they used to participate in elections but with the new party the PJD. The elections of 2016 were the greatest won in its history by gaining 125 seats in parliament.

To understand the behaviors of the regime with the PJD, it is important to understand the vision of the regime toward the religion. The Moroccan regime sees itself as the only protector of the religion and the king as Amiru Almominin. His decisions were under the name of Allah because his descendancy came from the Prophet Mohammed. This vision helped the inclusion of the PJD in politics because the regime didn't have any critical issues with religion like other countries in the Middle East. The regime allowed the PJD to work for many reasons, Huntington sees that the economic crisis in the 1980s pushed the regimes to

contain the Islamists. Accepting the Islamists as the PJD may encourage other Islamists like Al Adl movement -which doesn't confess the legitimacy of the regime- to participate in political life. One of the most important reasons that facilitated the inclusion of the PJD was its acceptance of the legitimacy of the regime and the readiness to work under its umbrella. The party didn't only accept its legitimacy but also defended it on many occasions.

The political inclusion of the PJD led to ideological changes which affected their visions in many political cases. The party believes in Islam as it covers all the aspects of personal and public life, but that doesn't mean it is without specialization, every Islamic association should be specialized in one issue and cooperate with others in a mode of integration. As an application to this change, the party separated itself from the MUR which represented the religious and social structure of the party. The separation between politics and Dawaa affected positively both of them. The leaders of the party didn't accept the domination of the MUR leaders on the party's affairs, and that was a great factor to make the separation succeed.

The party started to use more political words. Speeches such as the identity and the dispute of civilizations decreased, while speeches on political reform, social justice, and economic improvement increased. That was a result of the separation between politics and Dawaa.

The party was involved in issues like moral and religious issues, it was concerned about the Islamic subjects which were belonging to other countries. But gradually the party became concentrated on national issues. The party believes that there must be harmony between national, Islamic, and humanitarian dimensions, but the priority must be on the patriot one. The PJD showed liberal thought when accepted in 2005 Al Mudawwana (the code regulating marriage and family life in the country) although the refusal of conservative Islamists.

Until the year of 1986, the Islamists in Morocco weren't convinced of the role of women in public affairs, but the first step to empowering her was that year by organizing the first conference and establishing the Department of Women, this step was a translation of the writings of some Islamists scholars such as Al Karadawi and Mohamed Al Ghazali. The first party organization of women was established in 2010 and it is responsible for protecting the values of the family, raising the participation of women in politics and public affairs, and other missions and aims.

To conclude, the behaviors of the political regimes toward the Islamists play a vital role in the moderation of the Islamists. The experience of the PJD succeeded because the regime had a real intention of allowing the party to work officially even with limits. While in Egypt the regime wasn't a reason for the moderation of the party. Not only the behaviors of the regime responsible for the success of moderation but also the behaviors of the Islamists themselves. The readiness of the Islamists to participate in a political environment dominated by an authoritarian regime and the lack of opportunities to participate in elections, public debates, and decision-making institutions.

5. References

1. Belaid, B. the widow of assassinated leftist politician C. B., Agence France-Presse | AFP | Jun 5, 2023, & Claire Gounon | AFP | Jun 5, 2023. (n.d.). Belaid's widow holds Ennahda "politically accountable" for the slaying. Al. <https://www.al-monitor.com/originals/2013/02/chokri-belaid-widow-ennahda-responsible-assassination.html>
2. Cavatorta, F and Merone, F. (2013). Moderation through exclusion? The journey of the Tunisian *Ennahda* from Fundamentalist to Conservative Party. *Democratization*, 20(5), 857–875. <https://doi.org/10.1080/13510347.2013.801255>
3. Ellis, J. (2011, February 15). Muslim Brotherhood will form a political party. Business Insider. <https://www.businessinsider.com/muslim-brotherhood-will-form-political-party-2011-2>
4. Hamzawy, A., & Grebowski, S. (2010). *From violence to moderation: Al-Jama'a al-Islamiya and al-Jihad*. Carnegie Endowment for International Peace.
5. Hancock, E. (2017, January 12). The 25 most conservative, intolerant, and polluted countries in the world. Business Insider. <https://www.businessinsider.com/the-most-conservative-countries-in-the-world-2017-1>
6. Hatina, M. (2005). The 'other Islam: The Egyptian Wasat Party. Critique: Critical Middle Eastern Studies, 14(2), 171–184. <https://doi.org/10.1080/10669920500135553>
7. Munteanu, A., & Seniguer, H. (2022). The Party for Justice and Development's "Specialization" in Politics: Metamorphosis and Contradictions. *Middle East Law and Governance*, 15(1), 73–99. <https://doi.org/10.1163/18763375-20221276>
8. Schwedler, J. (2011). Can Islamists become moderates? Rethinking the inclusion-moderation hypothesis. *World Politics*, 63(2), 347–376. <https://doi.org/10.1017/s0043887111000050>
9. Schwedler, J. (2007). Democratization, inclusion, and the moderation of Islamist parties. *Development*, 50(1), 56–61. <https://doi.org/10.1057/palgrave.development.1100324>
10. Schwedler, J. (2013b). Islamists in Power? Inclusion, Moderation, and the Arab Uprisings. *Middle East Development Journal*, 5(1), 1350006–1350018. <https://doi.org/10.1142/s1793812013500065>
11. Spiegel, A. (2015, August). Succeeding by surviving: Examining the durability of political Islam in ... https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/07/Morocco_Spiegel_FINALv.pdf
12. Steinmetz, J. and null, null (2021) "Politics, power, and purpose: An orientation to political science." Available at: <https://doi.org/10.58809/byfi6880>.
13. Utvik, B. O. (2005). Hizb al-Wasat and the Potential for Change in Egyptian Islamism. Critique: Critical Middle Eastern Studies, 14(3), 293–306. <https://doi.org/10.1080/10669920500280672>
14. Wegner, E., & Pellicer, M. (2009). Islamist moderation without democratization: the coming of age of the Moroccan Party of Justice and Development? *Democratization*, 16(1), 157–175. <https://doi.org/10.1080/13510340802575890>

15. Wickham, C. R. (2004). The Path to Moderation: Strategy and Learning in the Formation of Egypt's Wasat Party. *Comparative Politics*, 36(2), 205. <https://doi.org/10.2307/4150143>
16. Wuthrich, F. M., & Ciftci, S. (2020). Islamist parties, intraparty organizational dynamics, and moderation as strategic behavior. *Mediterranean Politics*, 27(3), 321–343. <https://doi.org/10.1080/13629395.2020.1790165>
17. Yilmaz, İ. (2009). Muslim Democrats in Turkey and Egypt: Participatory Politics as a Catalyst. *Insight Turkey*, 11(2), 93–112. <http://www.jstor.org/stable/26331176>
18. Laub, Z. (2019, August 15). Egypt's Muslim Brotherhood. Council on Foreign Relations. <https://www.cfr.org/backgrounder/egypts-muslim-brotherhood>
19. France. (2019, June 17). Egypt: the Muslim Brotherhood in 10 dates. France 24. <https://www.france24.com/en/20190617-egypt-muslim-brotherhood-10-dates>
20. Safi, L. M. (1995). From Reform to Revolution: A critical reading of the political discourse and actions of the Islamic Movement in Egypt. *Intellectual Discourse*, 3(1). <https://journals.iium.edu.my/intdiscourse/index.php/id/article/view/345>
21. Muslim Brotherhood. (2011, October 11). Carnegie Middle East Center. <https://carnegie-mec.org/2011/10/11/muslim-brotherhood-pub-54924>
22. Meijer, R. (2013). The Muslim Brotherhood and the Political: an exercise in ambiguity. In Oxford University Press eBooks (pp. 294–320). <https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780199327638.003.0014>
23. Brown, N. J., Hamzawy, A., & Ottaway, M. (2006). Islamist movements and the democratic process in the Arab world: exploring gray zones. A Joint Publication of the Carnegie Endowment for International Peace and the HERBERT-QUANDT-STIFTUNG, 67. https://carnegieendowment.org/files/cp_67_grayzones_final.pdf
24. El-Ghobashy, M. (2005). The metamorphosis of the Egyptian Muslim brothers. *International Journal of Middle East Studies*, 37(3), 373–395. <https://doi.org/10.1017/s0020743805052128>
25. Yokota, T. (2007b). Democratization and Islamic Politics: A study on the Wasat Party in Egypt. *イスラーム世界研究 : Kyoto Bulletin of Islamic Area Studies*, 1(2), 148–164. <https://doi.org/10.14989/70886>
26. Steuer, C. (2017). The Role of the Intellectuals and Political Process of the Wasatiyya Current in pre-2011 Egypt. *Archiv Orientalni*, 85(3), 389–407. <https://doi.org/10.47979/aror.j.85.3.389-407>
27. Alkhabbaz, F. (2009). The New program of Wasat party [Review of The New program of Wasat party]. the Islamic Political Party Platform Project.
28. Hamzawy, A. (2008). Party for Justice and Development in Morocco: Participation and Its Discontents [Review of Party for Justice and Development in Morocco: Participation and Its Discontents]. CARNEGIE ENDOWMENT for INTERNATIONAL PEACE, 93.
29. Perekli, F. (2012). The Applicability of the “Turkish Model” to Morocco: The Case of the Parti de la Justice et du Développement (PJD). *Insight Turkey*. <https://www.insightturkey.com/articles/the-applicability-of-the-turkish-model-to-morocco-the-case-of-the-parti-de-la-justice-et-du-dveloppement-pjd>

[%D9%84%D8%AA%D9%85%D9%83%D9%8A%D9%86-%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B1%D9%8A-%D8%B9%D8%B5%D8%A7%D9%85-%D8%B3%D9%84%D8%B7%D8%A7%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D9%87](#)

45. Tantawi, S. (2023, July 23). عصام سلطان.. الثائر الذي رفض مقايضة العسكر • نون بوست. نون. <https://www.noonpost.com/41012/> بوست
46. Ali, A. (2022). عصام سلطان في حوار مع عبد الرحيم علي: الإخوان يرون أنهم بديل عن الدولة، وليسوا جزءاً من النظام السياسي والدستوري. عبد الرحيم علي <https://www.abdelrehimaly.com/708>
47. Schmitter, P. C. (1993). Democracy's Third Wave - Samuel P. Huntington: The Third Wave. Democratization in the Late Twentieth Century. (Norman and London: University of Oklahoma Press, 1991. Pp. xvii, 366. \$24.95.). *The Review of Politics*, 55(2), 348–351. <https://doi.org/10.1017/s0034670500017435>
48. *Party of Ashes: an attempt to explain PJD's results in the September 8, 2021 elections – MIPA Institute.* (n.d.). <https://mipa.institute/en/8983>
49. Brichs, F. I., Etherington, J., & Martínez, L. F. (2017b). Political Islam in a time of revolt. In *Springer eBooks*. <https://doi.org/10.1007/978-3-319-52833-5>

عنوان البحث

**برنامج تدريسي قائم على المدخل التفاوضي وفاعليته في تنمية المفاهيم الفنية
ومهارات النقد الفني لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض**

د. ريمه بنت عبد الرحمن بن عبد العزيز الموسى¹

¹ وزارة التعليم - المملكة العربية السعودية

بريد إلكتروني: Reemh65@hotmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/13>

تاريخ القبول: 2024/03/22م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

هدفت الدراسة الحالية إلى تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني بمقرر التربية الفنية بمدينة الرياض، من خلال البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي، ولتحقيق أهداف الدراسة؛ تم استخدام المنهج التجريبي ذي التصميم شبه التجريبي، وصمم لذلك اختبار للمفاهيم الفنية، وآخر لمهارات النقد الفني، واثم توزيعهن على مجموعتين: تجريبية وضابطة، بواقع (23) طالبة لكل مجموعة. وبعد جمع البيانات، أجريت المعالجات الإحصائية باستخدام حزمة البرامج الإحصائية SPSS، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار المفاهيم الفنية لصالح المجموعة التجريبية القائم على المدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض. وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار مهارات النقد الفني لصالح المجموعة التجريبية القائم على المدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض.

الكلمات المفتاحية: المدخل التفاوضي - تنمية المفاهيم الفنية - ومهارات النقد الفني.

RESEARCH TITLE

A Teaching program Based on The Negotiation Approach in The Developing the Concepts of Arts and Criticism Skills of Art of Third - Intermediate Grade Students in Riyadh City

Dr. Reemah Abdul Rahman Almosa¹

¹ Ministry of Education- Saudi Arabia

Email: Reemh65@hotmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/13>

Published at 01/04/2024

Accepted at 22/03/2024

Abstract

The current study aimed to develop the concepts of Arts and Criticism skills of Art in Riyadh, through the construction of the teaching program based on the negotiating portal, In order to achieve the study objective, the researcher applied the experimental method with its quasi-experimental design and she designed the concepts of Arts test , Criticism skills of Art test and design the teaching program based on the negotiating portal, they have been applied on (46) students which represented the sample of the study. The sample is equally distributed in experimental and control group; (23) students in each group. After collecting data, a statistical process is conducted using SPSS software. The researcher concluded the following findings: There was statistically significance difference at the significance level of 0.05 between the pre and post measurement of the experimental group in the concepts of Arts test in favor of the post measurement Based on the negotiation approach in developing artistic concepts among third-grade middle school female students in Riyadh. There was statistically significance difference at the significance level of 0.05 between the pre and post measurement of the experimental group in the Criticism skills of Art test in favor of the post measurement. Based on the negotiation approach in developing artistic concepts among third-grade middle school female students in Riyadh.

Key Words: Negotiation Approach - Concepts of Arts - Criticism skills of Art.

أ. المقدمة

شهد المجال التربوي منذ أواخر القرن الماضي تطورات متلاحقة وتغيرات كبرى، أملت بها جملة من التحولات التربوية؛ لعل من أبرزها تزايد وتضاعف كمية المعلومات والمعارف بصورة يصعب متابعتها؛ مما يحتك على القائمين بالعملية التربوية والتعليمية إعادة النظر في أسس اختيار وبناء المناهج، واستراتيجيات تدريسها، وتأثرت مناهج التربية الفنية بهذه التطورات، وشمل هذا التأثير جميع مكوناتها، من أهداف ومحتوى، وأنشطة تعليمية، وطرق تدريس، وأساليب تقويم، ولم تقف بعيدة عن حركة التقدم العلمي، وما نتج عنه من مشكلات وقضايا؛ وإنما واكبت هذا التقدم.

وتحتل مناهج ومقررات التربية الفنية في المملكة العربية السعودية مكانة بارزة من بين المناهج والمقررات الدراسية في التعليم العام بجميع مراحله؛ وذلك وفق ما أوصت به سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية في المادة الثامن والخمسين، حيث جاء فيها: "غرس حب العمل في نفوس الطالبات، والإشادة به في سائر صوره، والحض على إتقانه والإبداع فيه، والتأكيد على مدى أثره في بناء كيان الأمة".

ويعد مقرر التربية الفنية أحد المقررات التي تدرسها الطالبات بمختلف مراحلهن الدراسية؛ لما لها من أهمية في تحقيق تكامل بناء شخصية الطالب بناء متكاملًا فهي وسيلة حيوية للارتقاء بالجانب النفسي، لمساعدتها على إعادة وتنظيم الاتزان والاستقرار النفسي، من خلال ممارسة الفن وإشباع الحاجات النفسية وتحقيق الذات، وكذلك تعد أداة للتعبير من خلال الإنتاج الفني، ووسيلة لتعويد الطالبات على التحليل وتعلم طرق الوصول لحل المشكلات وتنمية مهارات التفكير المستقل، كما أن لها علاقة وثيقة بتنمية الجانب الاجتماعي والوطني من خلال ما تقدمه من تعريف بالمنجزات الحضارية المنتشرة في مدن المملكة وأهمية المحافظة عليها والسعي إلى تطويرها، وإيضاح فائدة التربية الفنية تحقق مفهوم الحوار من خلال الاهتمام بإنتاج الحضارات المختلفة واستعراض فنونها مما يسهم إلى حد كبير في فهم ثقافة وحضارة المجتمعات المختلفة¹.

وقد أكدت مناهج التربية الفنية المطورة في وثيقة منهج التربية الفنية على "ضرورة الاهتمام بالمجال المعرفي وتعلم المفاهيم" لأنها تشكل القاعدة الأساسية للتعلم الأكثر تقدماً كتعلم المبادئ وحل المشكلات كما أن مساعدة الطالبة على تعلم المفاهيم بطريقة فعالة هي غاية أساسية من غايات التعليم المدرسي وأساس عملية التفكير، وكلما تعلمت الطالبات المفاهيم بشكل جيد أدى ذلك إلى اكسابهن اتجاهات سلوكية ذات معانٍ وقيم جديدة بحيث تشكل بداخلهن نمطا من أنماط السلوك له صفة الاستمرار، وهذا يؤكد على ضرورة استيعابهن كل ما يقدم لهن من مفاهيم ذات ارتباط وثيق بمجال التخصص مما يساعدهن على مواجهة المواقف التي تعترضهن أثناء التعامل مع المناهج ومحتوياتها.

وتعد قراءة التعبير الفني باستخدام مجازات لغوية تشير إلى حالات نفسية لها أهميتها؛ فبفضلها يتوصل المشاهد إلى تفهم الطابع الجمالي للصورة وهناك اختلافات فردية تنتمي إلى الاستجابات النقدية، كما أن النقد الفني هو مهارة مكتسبة؛ والمهارات اللغوية المكتسبة من خلال تعليم النقد الفني تسهم في توصيل المعاني المتعلقة بالفن إلى أشخاص آخرين تلقوا تعليمًا مماثلاً، والنقد اللغوي المتخصص في معظمه يشتمل على ثقافة جمالية².

ويعتبر التفاوض جزءاً من حياة الإنسان كما أنه من أقدم الممارسات ومظاهر السلوك الإنساني، سواء على المستوى

¹ وزارة التربية والتعليم، وثيقة منهج التربية الفنية في التعليم العام. الرياض: مركز التطوير التربوي - الإدارة العامة للمناهج. 1427هـ،

<https://drive.google.com/file/d/>

² جمال عطية، برنامج قائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات التعبير الشفوي لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة بالمدينة المنورة، مجلة كلية التربية بنها (مصر)، المجلد 23، العدد 91، 2012م، ص54.

الفردى أو المنظمات أو الدول³. ومن المداخل الحديثة التي يمكن بها تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني "المدخل التفاوضي الذي يقوم على أساس إيجابية الطالبة ومشاركته مجموعة من الطالبات حول وجهات نظر متعددة تتحمل رغباتهم وطموحاتهم ثم يتنافس الجميع للوصول إلى اتفاق يرضي الجميع⁴.

وقد أكدت نتائج الدراسات السابقة فاعلية استخدام المدخل التفاوضي في التدريس، وتنمية التفكير، ومنها: دراسة زهران (2013م) التي أكدت فاعلية استخدام المدخل التفاوضي في تنمية التحصيل والاتجاه نحو مادة الجغرافيا لدى طلاب الصف الأول الثانوي⁵، ودراسة مجاهد (2014م) التي أكدت على فاعلية المدخل التفاوضي في تدريس التاريخ لتنمية التفكير التأملي ومهارات الحوار وقيم التسامح لدى الطالبات المعلمات بكلية البنات⁶، كما أظهرت نتائج دراسة أحلام زحافة (2016م) فاعلية المدخل التفاوضي في تنمية مهارات الفهم الاستماعي لدى طلاب الصف الأول الإعدادي. ومما سبق تتضح أهمية التطبيقات التربوية للمدخل التفاوضي في تعليم وتعلم التربية الفنية، كما يتضح أهمية تنمية المفاهيم⁷.

ب. مشكلة البحث

أكدت نتائج الدراسات السابقة وجود ضعف لدى الطالبات في استيعاب المفاهيم الفنية، ومنها: دراسة هنادي عبد القادر (2001م)، ونانسي زين (2012م)، وسمر عبد العال (2017م) كما أظهرت نتائج دراسات أخرى ضعف أداء الطالبات في مهارة النقد الفني في التربية الفنية ومنها: دراسة غادة الدوسري (2018م)، وانتصار المقرن (2011م)، وصافية المطيري (2014م) وأوضحت هذه الدراسات أن سبب هذا الضعف هو استخدام معلمات التربية الفنية للطرائق التقليدية في تدريس التربية الفنية التي تعتمد على الإلقاء وهيمنة المعلمة والحكم المباشر على الأعمال الفنية دون المرور بمراحل النقد الفني (الوصف، التحليل، التفسير، الحكم) أيضا يقل فيها الاهتمام بالحوار والتعبير عن الرأي⁸.

ويؤكد ذلك، ما لاحظته الباحثة من خلال عملها معلمة للتربية الفنية في المرحلة المتوسطة والثانوية، ثم مشرفة ومقومة لأداء معلماتها، من ندرة في وجود أساليب مثل (محتوى أو أساليب تدريس أو أنشطة) تساعد على تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني في مناهج التربية الفنية في المملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى ما لمسته من ضعف في استخدام المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني لدى الطالبات، وخاصة في المرحلة المتوسطة، والتي تعتبر بداية مرحلة المراهقة، والتي تمثل مرحلة حرجية من حياة الطالبات، ومن أكثر التحديات التي تواجهها الفتيات في هذه الفترة، هي التواصل مع الآخرين، سواء مع الأهل والأقارب وزميلات الدراسة؛ لذا تتأكد الحاجة لوجود عمليات تستهدف تنمية المهارات لديهن من خلال المدخل التفاوضي الذي يحرر الطالبات من الأساليب التقليدية في التفكير، كما أنه جزء من

³ جمال سعد الرميضي، ومحمد مرضي الشمري، مهارات التفاوض الأمني الناجح، المجلة العربية للدراسات الأمنية، الكويت، العدد 1، المجلد 38، 2022م، ص 19.

⁴ فايزة السيد عوض، مداخل واتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية، القاهرة: دار الجزيرة للطباعة والنشر، 2009م، ص 57.

⁵ هناء حامد زهران، أثر استخدام المدخل التفاوضي في تنمية التحصيل والاتجاه نحو مادة الجغرافيا لدى طلاب الصف الأول الثانوي، دراسات تربوية واجتماعية، مصر، المجلد 19، العدد 1، 2013م.

⁶ فايزة أحمد، مجاهد، برنامج مقترح قائم على استخدام المدخل التفاوضي في تدريس التاريخ لتنمية التفكير التأملي ومهارات الحوار وقيم التسامح لدى الطالبات المعلمات بكلية البنات، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد، 2014م، ص 47.

⁷ أحلام فتحي زحافة، فاعلية برنامج قائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات الفهم الاستماعي لدى تلاميذ الصف الأول الإعدادي، مجلة الدراسة العلمي في التربية - مصر، العدد 17، 2016م.

⁸ صافية بنت عبيد المطيري، مدى تطبيق معلمات التربية الفنية لمبادئ النقد الفني التعليمي بالمرحلة المتوسطة في مدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، 2014م.

وانتصار حمد المقرن، أثر برنامج تعليمي قائم على النقد الفني في تنمية التفكير الناقد في التربية الفنية والتعبير الكتابي والاتجاهات نحو التربية الفنية لدى طالبات الصف الثالث متوسط بالمملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2011م.

عملية التفاعل الطبيعي في أي جماعة وبالتالي يجعل التعلم أكثر فاعلية، كما أنه يسهم في إنتاج وتوليد الأفكار الجديدة التي تبحث عنها الطالبة دائماً؛ مما يزيد حب الاستطلاع المعرفي لديها.

ولتأكيد ما سبق؛ أجرت الباحثة دراسة استطلاعية على عينة مكونة من (12) طالبة من مدارس مدينة الرياض هدفها الكشف عن مستواهن في المفاهيم الفنية وممارستهن لمهارات النقد الفني عن طريق المقابلة وقد أظهرت نتيجة الدراسة أن 92% منهن لديهن تدني في استخدام المفاهيم الفنية وقصور شديد في تطبيق مهارات النقد الفني.

ويتضح مما سبق أن الأساليب المتبعة في تدريس المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني تقتصر إلى التنوع في الاستراتيجيات والطرق، وتسير بصورة تقليدية، مما دفع إلى المناداة والتوصيات باستخدام المداخل الحديثة في تدريس التربية الفنية ومهاراتها، والتي تقوم على التفاعل بين الطالبة والمعلمة، وبين الطالبات مع بعضهن البعض.

وبناء على ذلك؛ فإن مشكلة الدراسة تتحدد في وجود ضعف لدى طالبات الصف الثالث المتوسط في المعرفة بمفاهيم التربية الفنية وتطبيق مهارات النقد الفني؛ لذا تتأكد الحاجة إلى بناء برنامج تدريسي قائم على المدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض.

ج. أسئلة البحث

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن السؤالين التاليين:

1. ما فاعلية البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض؟
2. ما فاعلية البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات النقد الفني لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض؟

د. أهداف البحث

تهدف الدراسة إلى تحقيق الهدفين التاليين:

1. التعرف على فاعلية البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض.
2. التعرف على فاعلية البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات النقد الفني لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض.

هـ. الدراسات السابقة

اطلعت الباحثة على عدد من الدراسات السابقة وصنفتها إلى:

أولاً: دراسات تناولت المدخل التفاوضي:

أجرت فتحية لافي (2017) دراسة هدفت إلى التحقق من برنامج مقترح قائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات البحث التاريخي لدى عينة من الطلاب المعلمين شعبة التاريخ، واعتمدت الدراسة على المنهج التجريبي التصميم شبه التجريبي ذي المجموعة الواحدة، وبلغت عينة الدراسة، وخلصت الدراسة إلى أن البرنامج ذو فعالية كبيرة في تنمية مهارات البحث التاريخي لدى الطلاب المعلمين شعبة التاريخ⁹.

أجرت دعاء درويش (2018) دراسة هدفت إلى معرفة فاعلية استخدام المدخل التفاوضي في تنمية مهارات المدافعة البيئية والذكاء الأخلاقي لدى الطالبة المعلمة شعبة التعليم الأساسي (دراسات اجتماعية)، واعتمدت الدراسة على المنهج

⁹ فتحية علي لافي، برنامج مقترح قائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات البحث التاريخي لدى الطلاب المعلمين شعبة التاريخ، مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية، العدد 96، 2017م.

التجريبي التصميم شبه التجريبي، وبلغت عينة الدراسة (50) طالبة وبينت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية ودرجات طالبات المجموعة الضابطة في كل من اختبار مهارات المدافعة البيئية، ومقياس الذكاء الأخلاقي لصالح طالبات المجموعة التجريبية¹⁰.

تتفق جميع الدراسات في المحور الأول على أهمية المدخل التفاوضي وفاعليته في تنمية المتغيرات التابعة، كما أوصت جميع الدراسات في هذا المحور بضرورة استخدام المدخل التفاوضي. وتميزت الدراسة الحالية عن جميع دراسات هذا المحور في المتغيرات التابعة، حيث يهدف البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي إلى تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني، وبعد الاطلاع على ما سبق من دراسات، فإن البحث الحالي سيستفيد منها في بناء البرنامج التدريسي، واختيار المنهج المناسب، وتطبيقات إجراءاته.

ثانياً: دراسات تناولت المفاهيم الفنية:

أجرت مرفت أحمد (2015م) دراسة هدفت إلى بناء برنامج مقترح في الرسم الفني قائم على التعلم البنائي لتنمية المفاهيم والمهارات الفنية اللازمة لرسم الأثاث الخشبي لخريجي المدرسة الثانوية الصناعية تخصص نجارة الأثاث، واعتمدت الدراسة على المنهج التجريبي، وبلغت عينة الدراسة (26) طالبا من مدرسة الصناعات الزخرفية مقسمة بالتساوي إلى مجموعتين تجريبية وضابطة، وكانت نتيجة الدراسة فاعلية البرنامج المقترح في الرسم الفني القائم على التعلم البنائي¹¹.

وقد أجرى العمرو (2016م) دراسة هدفت إلى إعداد وحدة إلكترونية قائمة على التعليم الذاتي في مقرر: الرسم والإخراج الفني لتنمية مفاهيم أسس التصميم الفني لدى طلاب قسم الحاسب الآلي في كلية التربية، وتحديد فاعلية الوحدة الإلكترونية في تحصيل مفاهيم أسس التصميم الفني وتنمية مهارات الإنتاج الفني لدى طلاب قسم الحاسب الآلي بكلية التربية بجامعة حائل، واعتمدت الدراسة على المنهج التجريبي، وبلغت عينة الدراسة (120) طالبا مقسمة بالتساوي إلى مجموعتين تجريبية وضابطة، وكانت نتيجة الدراسة وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين (التجريبية والضابطة) في تحصيل مفاهيم أسس التصميم الفني، وفروق دالة إحصائية في تنمية مهارات التصميم والإنتاج الفني، وذلك لصالح طلاب المجموعة التجريبية، كما أن حجم التأثير كبير¹².

كما أجرت سمر عبد العال (2017) دراسة هدفت إلى التعرف على فعالية استخدام استراتيجية شكل البيت الدائري في تنمية مفاهيم التربية الفنية والتصور البصري لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، واتبعت المنهج شبه التجريبي، وبلغت عينة الدراسة (60 تلميذا) من تلاميذ الصف الثاني اعدادي بمدينة المنصورة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أداء تلميذات مجموعتي الدراسة في التطبيق البعدي لصالح المجموعة التجريبية حيث تفوقت تلميذات المجموعة التجريبية بدرجة كبيرة على تلميذات المجموعة الضابطة في اكتسابهن المفاهيم الفنية¹³.

تميزت الدراسة الحالية بسعيها لبناء برنامج تدريسي قائم على المدخل التفاوضي لتنمية المفاهيم الفنية، إضافة على

¹⁰ دعاء محمد محمود درويش، فاعلية استخدام المدخل التفاوضي في تنمية مهارات المدافعة البيئية والذكاء الأخلاقي، مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية، العدد 104، 2018م.

¹¹ مرفت صالح محمد أحمد، فاعلية برنامج مقترح في الرسم الفني قائم على التعلم البنائي لتنمية المفاهيم والمهارات الفنية لطلاب المدرسة الثانوية الصناعية. مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 164، 2015م.

¹² عبد العزيز بن رشيد العمرو، فاعلية وحدة تعليمية إلكترونية قائمة على التعلم الذاتي في تنمية مفاهيم ومهارات التصميم والإنتاج الفني لدى طلاب كلية التربية بجامعة حائل، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة القصيم، المجلد 9، العدد 2، 2016م.

¹³ سمر السيد عبد العال، فعالية استخدام استراتيجية شكل البيت الدائري في تنمية مفاهيم التربية الفنية والتصور البصري لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراه، كلية التربية النوعية، قسم العلوم التربوية، جامعة المنصورة، والنفسية، 2017م.

وجود متغير تابع آخر هو مهارات النقد الفني، حيث لم تتناولها جميع الدراسات في هذا المحور، بالرغم من أهميتها للطلّابات في الحوار الفني وتنمية ثقة الطالبات بأنفسهن مع استخدام المصطلحات الفنية الصحيحة عند الفهم العميق للمفهوم. ومن خلال الاطلاع على الدراسات السابقة، فإنه سيستفاد منها في الوصول إلى الأبحاث والمراجع ذات العلاقة وفي إعداد اختبار المفاهيم الفنية.

ثالثاً: دراسات تناولت مهارات النقد الفني:

أجرى الزهراني (2016م) دراسة هدفت إلى التعرف على أثر تطبيقات الويب (2.0) في تنمية مهارات النقد والتذوق الفني لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمنطقة الباحة، وكذلك التعرف على شكل البيئة التفاعلية اللازمة لتطبيقات الويب (2.0) لتنمية تلك المهارات، ثم التعرف على أثر هذه التطبيقات في تنمية تلك المهارات، واعتمدت الدراسة على المنهج التجريبي، وبلغت عينة الدراسة (40) طالباً مقسمة بالتساوي إلى مجموعتين تجريبية وضابطة، وقد استخدم في الدراسة أداة الاستبانة والاختبار وكانت نتيجة الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب لصالح تطبيقات الويب (2.0) في تنمية مهارات النقد والتذوق الفني لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمنطقة الباحة¹⁴.
وقد أجرت غادة الدوسري (2018م) دراسة هدفت إلى التحقق من حقيقة تفعيل النقد الفني في المدارس المتوسطة، بالإضافة إلى قياس معلومات معلمي الفن حول معنى النقد الفني وأساليبه وأهميته للطلاب، واعتمدت الدراسة على المنهج التجريبي، وبلغت عينة الدراسة (228) معلماً مقسمة بالتساوي إلى مجموعتين تجريبية وضابطة، وكانت نتيجة الدراسة ضعف تفعيل النقد الفني وتدني مستوى المعلمين في فهم أساليب وأهمية النقد الفني للطلاب¹⁵.
وتتفرد هذه الدراسة على حد علم الباحثة في كونها تستخدم المدخل التفاوضي في مقرر التربية الفنية وتقيس فاعليته في تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني.

و. الإطار النظري

المبحث الأول: المدخل التفاوضي

أولاً: تعريف المدخل التفاوضي

التفاوض مصدر للفعل تفاوض يقال تفاوض مفاوضة وتفاوضاً ووزن تفاوض هو تفاعل حيث تدل هذه الصيغة على المشاركة، وتفاوض الشريكان في المال اشتراكاً فيه أجمع، وهي شركة المفاوضة، وفأوضه في الأمر أي جاره، وتفاوض القوم في الأمر أي فأوض بعضهم بعضاً¹⁶.

وإذا كان التفاوض بمعناه اللغوي يعني تبادل الرأي حول موضوع ما بهدف الوصول إلى تسوية واتفاق فيه؛ فإن المدخل التفاوضي بمعناه الاصطلاحي لا يخرج عن هذا المعنى فهناك تعريفات كثيرة ومتعددة وبالرغم من أنها تختلف في صياغتها وتراكيبها اللغوية إلا أنها تتفق حول مضمون ومعنى واحد وذلك يتضح من خلال التعريفات التالية:
يعرف اللقاني والجمل المدخل التفاوضي بأنه "اتفاق بين الطالبة والمعلم أو بين الشخص وجهة ما تشرف على تعلمه، وقد يكون هذا الاتفاق شفويًا أو مكتوبًا، وتحدد فيه الأهداف ومسؤولية كل طرف من الأطراف، ويكون هذا الاتفاق بين المعلم وكل تلميذ أو بينه وبين مجموعة من التلاميذ"¹⁷.

¹⁴ خالد جمعان الزهراني، أثر تطبيقات الويب 2.0 في تنمية مهارات النقد والتذوق الفني لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمنطقة الباحة. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، غزة، فلسطين، المجلد 1، العدد 1، 2017م.

¹⁵ غادة عبد الرحمن الدوسري، مدى تفعيل معلومات التربية الفنية النقد الفني في المرحلة المتوسطة بمدينة الرياض، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2018م.

¹⁶ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 2019م، ص 244.

¹⁷ أحمد اللقاني، وعلى الجمل، معجم المصطلحات التربوية في المناهج وطرق التدريس، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 2013م، ص 209.

ويعرفه إدريس بأنه "عملية اجتماعية ونفسية ومنطقية تعتمد على التفاعل والتأثير النفسي والإقناع من خلال الحوار وتبادل وجهات النظر الهادفة بين طرفين أو أكثر لديهما تباين في الآراء والأهداف التي يسعى كل منهما لتحقيقها، وذلك بغرض التوصل إلى حل مرضي لجميع الأطراف"¹⁸. ويعرفها وول الكسندر بأنها "تفاعلات بين المعلمين والطلّابات المصممة لتغيير أو تعديل بعض جوانب التعليم، الانتقالية، نظم إدارية أو اجتماعية"، مما سبق نلاحظ اتفاق التعريفات على أن المدخل التفاوضي:

1. عملية لتبادل الآراء ووجهات النظر والتقريب بينها والاتفاق عليها.
 2. يتصل بالعملية التعليمية.
 3. يجعل الطالبة محوراً للعملية التعليمية.
 4. يكون بعد دراسة وبحث ومناقشة وجدل فيما بين الطالّابات وبينهم وبين المعلم.
- ومن ذلك يمكن تعريف المدخل التفاوضي بأنه "مجموعة من المبادئ والأسس التي تؤكد على التفاعل والاتصال المتبادل بين الطالّابات وبعضهن البعض وفيما بينهن وبين معلمتهن لتبادل الآراء ووجهات النظر والتقريب بينها والاتفاق عليها حول موضوع الدراسة وما يرتبط من مهام تعليمية وخطوات تنفيذها بما يضمن مرور الطالّابات بخبرات تعليمية مختلفة"¹⁹.

ثانياً: الأساس الفلسفي للمدخل التفاوضي

يستند المدخل التفاوضي إلى النظرية البنائية؛ فالطالب من وجهة نظر البنائية يكون نشطاً في بناء أنماط التفكير لمعرفة نتيجة تفاعل قدراته الفطرية مع الخبرة، ولا تبنى معرفته الجديدة من خلال أنشطته الذاتية التي يكون عن طريقها معان خاصة في عقله فقط بل مناقشة هذه المعاني ومحاورتها ومفاوضتها مع الآخرين من خلال ما يسمى التفاوض (التفاعل) الاجتماعي مما يؤدي إلى نموه وتعديل في أبنيته المعرفية²⁰.

ثالثاً: أهمية استخدام المدخل التفاوضي في التدريس

تتمثل أهمية هذا المدخل في النقاط الآتية:

1. يساعد على تكوين علاقات إيجابية أكثر بين الطالّابات، وإدراك أكثر للتأييد الأكاديمي من الأقران، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى زيادة تقدير الذات الأكاديمي.
2. يجعل التعلم أكثر فاعلية، كما يسهم في إنتاج وتوليد أفكار جديدة مما يزيد حب الاستطلاع المعرفي لدى الطالّابات²¹.
3. يوفر للمتعلمين فرص الاستمتاع بالخبرة التعليمية والثقة بالنفس، كما يشجع الطالّابات على الابتكار والإبداع والتفكير كما يجعلهم يكتسبون المعارف في ضوء حاجاتهم وميولهم، ويكتسبون مهارات التفاوض وما يصاحبها من مهارات اجتماعية تعد من أهم المهارات الحيوية²².

¹⁸ ثابت عبد الرحمن إدريس، التفاوض إستراتيجيات وتكتيكات، ومهارات تطبيقية، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005م، ص307.

¹⁹ Wahl, Alexander, Z., & Curtner-Smith, M. D, Influence of Negotiations on Graduate Teaching Assistants' Instruction .Within University Activity Courses. Journal of Teaching in Physical Education, 37(2), 2018, PP. 164-174

²⁰ عائش محمود زيتون، النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2007م، ص41.

²¹ محمد مصطفى الديب، علم النفس الاجتماعي التربوي، القاهرة، عالم الكتب، 2003م، ص219.

²² عوض، مداخل واتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص55.

المبحث الثاني: المفاهيم الفنية

أولاً: تعريف المفاهيم الفنية

يعرف الخضير والخلف المفهوم الفني بأنه "كلمة لها دلالة وظيفية أو جمالية على مكون من مكونات العمل الفني"²³ وتعرفه سارة البسيوني بأنه "التصورات الذهنية والصور العقلية التي تطرأ على ذهن الطالبة من تحديد الخصائص والصفات المشتركة للظواهر الفنية والتي تتحدد بالمصطلح وتعريفه وفهمه مما يؤدي إلى اتساع معرفته ومكوناته وخصائصه وما ينتمي إليه ويقاس بالدرجة التي يحصل عليها الطالبة"²⁴.

ويمكن تعريف المفاهيم الفنية بأنها: "صورة عقلية مجردة لها دلالة وظيفية جمالية تتسم بمجموعة من الصفات والخصائص التي تدل على المجال الفني الذي تنتمي إليه، يتم تداولها أثناء الحديث والنقاشات في مجال التربية الفنية بحيث يمكن تمييزها عن غيرها بشكل واضح ومميز".

ثانياً: أهمية تعلم المفاهيم الفنية

يلخص برونر (Bruner) في نظريته أهمية التركيز على المفاهيم في عملية التدريس على النحو التالي كمت نقل:

1. إن استيعاب المفاهيم يجعل المادة الدراسية أكثر سهولة في الفهم والتعلم.
 2. إن تنظيم المادة الدراسية في إطار هيكلي مفهومي يساعد على استبقائها في الذاكرة، والاحتفاظ بها لفترة أطول.
 3. إن استيعاب المفاهيم يعمل على تضيق الفجوة بين التعلم السابق، والتعلم اللاحق للطالب.
 4. إن استيعاب المفاهيم أساس لزيادة فاعلية التعلم، وانتقال أثره إلى مواقف جديدة²⁵.
- وتضيف الباحثة أن أهمية تعلم المفاهيم الفنية تكمن في أنها تمثل اللبنة الأساسية التي يتكون منها محتوى المنهج وهي تشكل الهيكل المعرفي له وتساعد على اكتساب المفاهيم لدى الطالبات وتمكنهن من العديد من المهارات العقلية كالتنظيم والتمييز، كما تساعدهن على فهم واسترجاع واستخدام المعرفة.

ثالثاً: العوامل المؤثرة في تعلم المفاهيم

إن عملية تعلم المفاهيم العلمية وتنميتها لدى الطالبات يتطلب أسلوباً تدريسياً مناسباً يتضمن سلامة تعليم المفاهيم العلمية وبقائها، ويتأثر تعلم المفاهيم بمجموعة من العوامل، كما أكد كل من أسماء توفيق وأمال بدوي أن تلك العوامل هي:

1. العمر الزمني والعقلي: تختلف المفاهيم عند الأطفال من حيث المدلول والمعنى عنها عند الكبار، والاختلاف يعود إلى القدرة العقلية حيث يزيد تعقيد المفهوم، وأن أصحاب القدرة العقلية المنخفضة يتركز المفهوم عندهم عند المفاهيم المادية دون المجردة.
2. الأعضاء الحسية: إن الحواس هي البوابة الأولى للتعلم وهي التي تمر من خلالها الخبرات إلى المخ ويختلف كل من فاقد الحواس عن المتمتع بجميع الحواس في تعلم المفاهيم.
3. الثقافة والخبرات السابقة: حيث أن لها دور في استخدام المفاهيم وتكوينها فالمفاهيم التي تتكون من خلال خبرات مباشرة (خبرة محسوسة) تختلف عن الخبرات غير المباشرة (خبرة مجردة).
4. الذكاء: فالطالبة الذكية تدرك المفهوم بشكل أفضل من الطالبة الأقل ذكاء.

²³ عباس خضير، وعلي خلف، أثر تطبيق نظرية برونر في تعلم المفاهيم الفنية، مجلة جامعة بابل، المجلد 23، العدد 4، 2015م، ص23.

²⁴ ساره أحمد محمود البسيوني، فعالية استخدام بعض إستراتيجيات التعلم النشط في تنمية مفاهيم التربية الفنية والتفكير الإبداعي لدى تلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية النوعية، جامعة المنصورة، 2015م، ص80.

²⁵ راتب قاسم عاشور، ومحمد فؤاد الحوامدة، أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق. ط2، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2007م، ص288.

5. البيئة: حيث تؤثر في فرص تعلم المفهوم وخبرات الطالبة.
6. المفاهيم المألوفة والمفاهيم غير المألوفة: فتعلم المفاهيم المألوفة يسهل من عملية التعلم أما المفاهيم الغير مألوفة تكون صعبه في بداية التعلم²⁶.

المبحث الثالث: مهارات النقد الفني

أولاً: تعريف مهارات النقد الفني

عرفت مهارات النقد الفني بأنها "عملية تربوية تتيح للمتعلم فرصة التعبير عن عمله أو أعمال زملائه الآخرين بأسلوب موضوعي وفق طريقة نقدية متسلسلة ومتدرجة بهدف الوصول إلى درجة متقدمة في فهم قراءة الأعمال الفنية واستنباط القيم الجمالية والفنية وإصدار الأحكام النقدية عليها"²⁷.

وتعرفها صافية المطيري بأنها: "قراءة مجملية من جميع نواحي العمل الفني، تعتمد بالأساس على عملية الوصف، والتحليل، والتفسير، ومن ثم إصدار حكم على العمل الفني، وفق مبادئ وأسس تربوية محددة وتعليمية". ويعرفه الزهراني بأنه "عملية تربوية موضوعية متسلسلة تهدف إلى المعرفة الحقيقية للأعمال الفنية وإصدار الأحكام النقدية عليها"²⁸.

ومن ذلك يمكن تعريف النقد الفني بأنه: "لنظر إلى عمل فني من صنع فنان، وتقوم الطالبة من خلال ملاحظتها بوصف عناصر العمل، وتحليل العلاقات لاستنتاج الظواهر التي تفسر هذه العلاقات باستخدام لغة فنية تشكيلية، ومن ثم إصدار حكم على العمل الفني يقوم على أسس موضوعية".

ثانياً: أهمية النقد الفني في تدريس التربية الفنية:

استعرض أبو شعالة (2020) مجموعة من النقاط التي تتحدث عن أهمية القراءة النقدية للأعمال الفنية، وتلخص الباحثة أهمها فيما يلي:

1. تذوق القيم الكامنة والظاهرة في المدركات البصرية.
2. وسيلة لاكتساب الجديد من المعلومات الجمالية بشكل مباشر أو غير مباشر.
3. طريقة لإكساب الفرد البشري معايير يبني عليها نقده الفني.
4. وسيلة لتنظيم المفاهيم والأفكار وفق منطق علمي وجمالي.
5. وسيلة لتهديب السلوك الإنساني والارتقاء به.
6. وسيلة لتنمية السلوك الجمالي القائم على المفاهيم المجردة للرموز والأشكال.
7. وسيلة لتنمية الإبداع والابتكار في الأشكال والرموز والأنساق.
8. وسيلة لإحداث المشاركة الوجدانية لنقل الخبرات الجمالية.
9. إكساب الفرد معيار للحكم والمفاضلة يمكنه من تطوير شكل الحياة التي تنعكس آثارها على المجتمع²⁹.

²⁶ آمال بدوي، وتوفيق أسماء مفاهيم الأنشطة العلمية لطفل ما قبل الروضة. القاهرة: عالم الكتب، 2009م، ص76.

²⁷ سلطان بن حمد الشاهين، برنامج تعليمي مقترح في التذوق والنقد الفني قائم على الوسائط التفاعلية المتعددة، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 2006م، ص29.

²⁸ خالد جمعان الزهراني، أثر تطبيقات الويب في تنمية مهارات النقد والتذوق الفني لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمنطقة الباحة. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، غزة، فلسطين، المجلد 1، العدد 1، 2017م، ص26.

²⁹ حسين ميلاد أبو شعالة، أهمية تدريس النقد الفني في حصص التربية الفنية للتعليم الأساسي، مجلة علوم التربية الرياضية والعلوم الأخرى، ليبيا، العدد 6، 2020م.

ثالثاً: مهمة الناقد الفني

يشير بعض الباحثين يجب على الناقد أن يكون بمثابة الجسر الذي يوصل بين الأحداث الفنية المبتكرة وبين الجمهور المستمع له؛ لكي يوضح ويفسر العمل الفني؛ حتى تكون عملية التفاعل والتذوق، وهذا من شأنه أن ينمي النقد قدرة التذوق السليم لدى الجمهور وتلخص صافية المطيري (2014م، 14) مهمة الناقد الفني في النقاط التالية:

1. وصف العمل الفني.
2. تحديد شخصية العمل الفني.
3. تقويم وتفسير العمل الفني.
4. مساعدة الجمهور على تذوق العمل الفني.
5. مساعدة الفنان نحو التطور للمستقبل.
6. فك وتوضيح الرموز في العمل الفني.
7. تحويل الرؤية التشكيلية إلى رؤية مكتوبة أو منطوقة.
8. إظهار سلبيات وإيجابيات العمل الفني.
9. الموضوعية في إصدار الأحكام على العمل الفني³⁰.

ز. منهج الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج التجريبي ذا التصميم شبه القائم على المجموعتين: التجريبية والضابطة، ذواتي الأداء القبلي والبعدي، وذلك لمعرفة أثر المتغير المستقل (البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي) على المتغيرات التابعة (المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني) بالإضافة إلى المنهج الوصفي لإعداد البرنامج وبعض أدوات الدراسة. وكانت متغيرات الدراسة كما يلي:

1. المتغير المستقل: البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي.
2. المتغير التابع (1): المفاهيم الفنية في مقرر التربية الفنية لطالبات الصف الثالث المتوسط.
3. المتغير التابع (2): مهارات النقد الفني في مقرر التربية الفنية لطالبات الصف الثالث المتوسط.
4. المتغيرات الخارجية: للتحقق من التكافؤ بين طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة، وتم ضبط القياس القبلي لاختباري المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني: وذلك بتطبيقهما قبلًا على مجموعتي الدراسة؛ بهدف التأكد من عدم وجود فروق دالة إحصائية.

وتكون مجتمع الدراسة من طالبات الصف الثالث المتوسط اللاتي يدرسن في مدارس التعليم العام الحكومية في منطقة الرياض التعليمية، وذلك في الفصل الدراسي الثاني في العام الدراسي (1439/1440هـ) وعددهن (29678) طالبة، وذلك حسب البطاقة الإحصائية الصادرة من وزارة التعليم لعام 1440هـ. وتم اختيار العينة القصدية وذلك للأسباب التالية:

1. تطبيق المدخل التفاوضي لا يناسب الأعداد الكبيرة من الطالبات في الفصل الواحد فقد بلغ عدد الطالبات في أغلب المدارس إلى 50 و60 طالبة.
2. الحاجة إلى أن تكون مساحة الفصل الدراسي مناسبة لعدد الطالبات.
3. تجنب الوقوع في عشوائية المدارس المستأجرة.
4. العمل على صدق النتائج وضبط المتغيرات الوسيطة.

وقد تم اختيار المدرسة المتوسطة (215) الحكومية وتم اختيار الفصل (3/أ) لتمثيل المجموعة التجريبية، وعدد

³⁰ المطيري، مدى تطبيق معلمات التربية الفنية لمبادئ النقد الفني التعليمي بالمرحلة المتوسطة في مدينة مكة المكرمة، مرجع سابق، ص87.

طالباته (23) طالبة والفصل (3/ ب) المجموعة الضابطة وعدد طالباته، (23) طالبة وبذلك يكون مجموع أفراد عينة الدراسة (46) طالبة، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم (1) توزيع أفراد عينة الدراسة من طالبات الصف الثالث المتوسط

المكتب	المجموعة	الفصل	عدد أفراد العينة		
			عدد الطالبات	الفاقد	العدد النهائي
شمال	التجريبية	3/ أ	23	-	23
	الضابطة	3/ ب	23	-	23
المجموع			46	-	46

ح. الإطار التحليلي ومناقشة النتائج

المبحث الأول: خطوات تنفيذ التجربة

تضمن التنفيذ الميداني للتجربة الخطوات التالية:

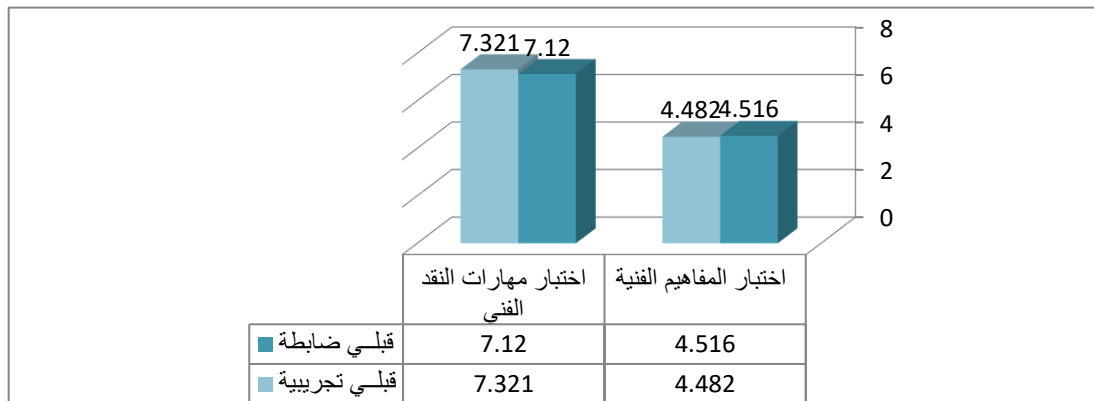
1. التطبيق القبلي لاختبار المفاهيم الفنية واختبار مهارات النقد الفني:

تم تطبيق الاختبارين قبليا على مجموعتي الدراسة: الضابطة والتجريبية، وقد بلغ عددهن (46) طالبة، بواقع (23) طالبة في كل مجموعة؛ وذلك بهدف التحقق من تكافؤ مجموعتي الدراسة في كل محور من محاور الاختبار على حدة، وفي الاختبار ككل، وذلك في يوم الاثنين الموافق 1440/5/29هـ، وبعد رصد الدرجات لكل مجموعة وفق مقياس التصحيح، تم حساب متوسط الدرجات لطالبات المجموعة التجريبية، من خلال الاستعانة بحزمة البرامج الإحصائية (spas) وتم ذلك بحساب قيمة (ت)؛ للكشف عن هذه الفروق، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (2) دلالة الفروق بين متوسطي درجات الطالبات بالمجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية

في اختبار المفاهيم الفنية واختبار مهارات النقد الفني في التطبيق القبلي

اختبار التكافؤ	المتوسط الحسابي "م"	الانحراف المعياري "ع"	عدد العينة "ن"	درجات الحرية "د.ح"	قيمة ت	مستوى الدلالة واتجاهها
اختبار المفاهيم الفنية						
قبلي ضابطة	4.516	1.222	23	44	0.633	0.380
قبلي تجريبية	4.482	1.358	23			غير دال
اختبار مهارات النقد الفني						
قبلي ضابطة	7.120	1.034	23	44	0.520	0.261
قبلي تجريبية	7.321	1.004	23			غير دال



شكل (1) دلالة الفروق بين متوسطي درجات الطالبات بالمجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية

في اختبار المفاهيم الفنية واختبار مهارات النقد الفني في التطبيق القبلي

يتضح من الجدول (2) والشكل (1) ما يلي:

1. أن قيمة "ت" تساوي (0.633) وهي قيمة غير دالة إحصائياً؛ حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق القبلي لاختبار المفاهيم الفنية (4.516)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي لاختبار المفاهيم الفنية (4.482).
3. أن قيمة "ت" تساوي (0.520) وهي قيمة غير دالة إحصائياً، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق القبلي لاختبار مهارات النقد الفني (7.120)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي لاختبار مهارات النقد الفني (7.321)، مما يشير إلى عدم وجود فروق بين المجموعتين الضابطة والتجريبية، مما يدل على تكافؤ المجموعتين.

2. توضيح موضوعات البرنامج وفقاً للمدخل التفاوضي:

بعد الانتهاء من التحقق من تكافؤ المجموعتين لكل اختبار، تم البدء بتدريس موضوعات البرنامج الذي تم إعداده في ضوء المدخل التفاوضي لطالبات المجموعة التجريبية، في الوقت نفسه لم تدرس المجموعة الضابطة البرنامج، وفضلت الباحثة أن تقوم بالتدريس للمجموعة التجريبية؛ حرصاً منها على سير تدريس البرنامج وفقاً للخطوات المحددة وفق المدخل التفاوضي ومراعاة الملحوظات التي تبدو داخل الفصل أثناء التطبيق.

وقد قامت الباحثة بعمل جلسة تمهيدية لطالبات المجموعة التجريبية؛ تم من خلالها تعريفهن بمتغيرات البحث وأهمية كل متغير منهما، كما تم توضيح المهارات التي سوف يتم تنميتها خلال فترة التطبيق، وتوضيح الخطوات التي سوف يسير عليها تدريس موضوعات البرنامج وفقها، ودورهن في كل مرحلة من هذه المراحل، وتم البدء في التدريس للمجموعة التجريبية يوم الثلاثاء الموافق 1440/5/30 هـ وانتهى التطبيق يوم الثلاثاء الموافق 1440/7/5 هـ.

3. التطبيق البعدي لاختباري المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني:

بعد الانتهاء من تطبيق البرنامج التدريسي المقترح لتنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني في مقرر التربية الفنية على طالبات المجموعة التجريبية، وتدريس المجموعة الضابطة بالطريقة المعتادة، وخلال المدة نفسها، تم تطبيق الاختبارين (اختبار المفاهيم الفنية) و(اختبار مهارات النقد الفني) على عينة الدراسة يوم الخميس الموافق 1440/7/7 هـ، وذلك بهدف التعرف على فاعلية البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية و مهارات النقد الفني، في مقرر التربية الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط.

ومن ثم قامت الباحثة بتصحيح الاختبار وفق مقياس التصحيح المعد لذلك، ورصد درجات المجموعتين؛ تمهيداً لمعالجة البيانات إحصائياً، وتحليلها، واستخلاص النتائج.

المبحث الثاني: تحليل البيانات واختبار صحة الفرضيات

لتحليل البيانات تم استخدام الأساليب الإحصائية من برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package for Social Sciences) (SPSS)، ومن أبرز تلك الأساليب:

1. معادلة هولستي Holsti لقياس ثبات بطاقة التحليل.
2. المتوسطات الحسابية، التكرارات، والنسب المئوية.
3. معاملات السهولة والصعوبة والتمييز لبنود الاختبار.
4. معامل ارتباط بيرسون (Pearson) لقياس صدق الاتساق الداخلي، وثبات الاختبار.
5. اختبار "ت" (T-test) للدلالة على الفروق بين مجموعتين مستقلتين، وذلك لحساب الفرق بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في الاختبار القبلي والبعدي.
6. قياس فاعلية البرنامج بواسطة مربع إيتا.

أولاً: تحليل بيانات السؤال الأول: ما فاعلية البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض؟

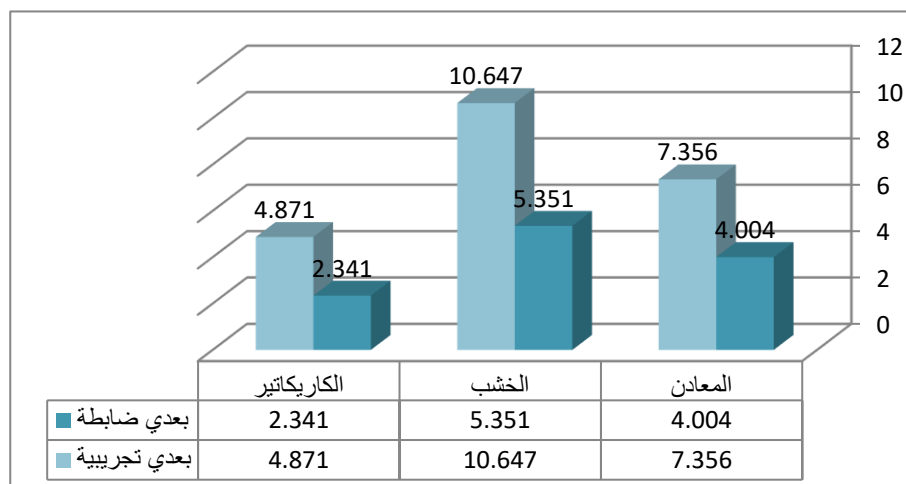
للإجابة عن هذا السؤال؛ تم اختبار صحة الفرض التالي:

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار المفاهيم الفنية. ولاختبار صحة هذا الفرض؛ تم تحديد قيمة الفروق إحصائياً باستخدام اختبار (ت)؛ لدلالة الفروق بين متوسطات الدرجات للقياس البعدي للمجموعتين: التجريبية والضابطة، في اختبار المفاهيم الفنية، وذلك للمجالات التالية: (المعادن، والخشب، وفن الكاريكاتير)، في مقرر التربية الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض، وبحساب قيمة (ت) تم التوصل إلى النتائج التالية الموضحة في الجدول (3) والشكل (2).

جدول (3) دلالة الفروق بين متوسطي درجات طالبات المجموعة الضابطة

وطالبات المجموعة التجريبية في اختبار المفاهيم الفنية البعدي

اختبار المفاهيم الفنية	المتوسط الحسابي "م"	الانحراف المعياري "ع"	عدد العينة "ن"	أفراد	درجات الحرية "د.ح"	قيمة ت	مستوى واتجاهها	الدلالة
1.المعادن								
بعدي ضابطة	4.004	1.068	23		44	5.910	0.01	لصالح التجريبية
2.الخشب								
بعدي ضابطة	5.351	1.456	23		44	7.629	0.01	لصالح التجريبية
3.الكاريكاتير								
بعدي ضابطة	2.341	0.965	23		44	2.528	0.05	لصالح التجريبية
مجموع اختبار المفاهيم الفنية ككل								
بعدي ضابطة	11.696	2.290	23		44	14.062	0.01	لصالح التجريبية



شكل (2) دلالة الفروق بين متوسطي درجات طالبات المجموعة الضابطة وطالبات المجموعة التجريبية في اختبار المفاهيم الفنية البعدي

يتضح من الجدول (3) والشكل (2) ما يلي:

1. أن قيمة (ت) تساوي (5.910) للمعادن، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 لصالح المجموعة التجريبية، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (7.356)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق البعدي (4.004).
 2. أن قيمة "ت" تساوي (7.629) للخشب، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 لصالح المجموعة التجريبية، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (10.647)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق البعدي (5.351).
 3. أن قيمة (ت) تساوي (2.528) للكاريكاتير، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 لصالح المجموعة التجريبية، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (4.871)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق البعدي (2.341).
 4. أن قيمة (ت) تساوي (14.062) لمجموع اختبار المفاهيم الفنية ككل، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 لصالح المجموعة التجريبية، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (22.874)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق البعدي (11.696).
- وهذا يعني وجود ارتفاع وتحسن في مستوى الطالبات في المفاهيم الفنية؛ نتيجة لتطبيق البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي.

وللتأكد من الأهمية التربوية للنتيجة الإحصائية، وأن هذا الفرض تعود إلى فعالية المدخل التفاوضي؛ قامت الباحثة بحساب حجم الأثر عن طريق مؤشر مربع إيتا Eta Squared ووجدت أن:

$$t = \text{قيمة (ت)} = 25.428, df = \text{درجات الحرية} = 22$$

$$n^2 = \frac{t^2}{t^2 + df} = 0.967$$

ويتحدد حجم التأثير ما إذا كان كبيراً أو متوسطاً أو صغيراً كما يلي:

0.2 = حجم تأثير صغير

0.5 = حجم تأثير متوسط

0.8 = حجم تأثير كبير

وهذا يعني أن حجم التأثير كبير.

وتؤدي هذه النتيجة إلى رفض الفرض الصفري الذي ينص على أنه: "لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار المفاهيم الفنية"، ومن ثم قبول الفرض البديل الذي يشير إلى وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار المفاهيم الفنية.

وباستخلاص الفرق بين متوسطات مجموعتي الدراسة في التطبيق البعدي لاختبار المفاهيم الفنية، واختبار الفرض الأول، تكون الباحثة قد أجابت عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة الذي نص على: "ما فاعلية البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض؟"

ثانياً: تحليل بيانات السؤال الثاني: ما فاعلية البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات النقد الفني لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض؟

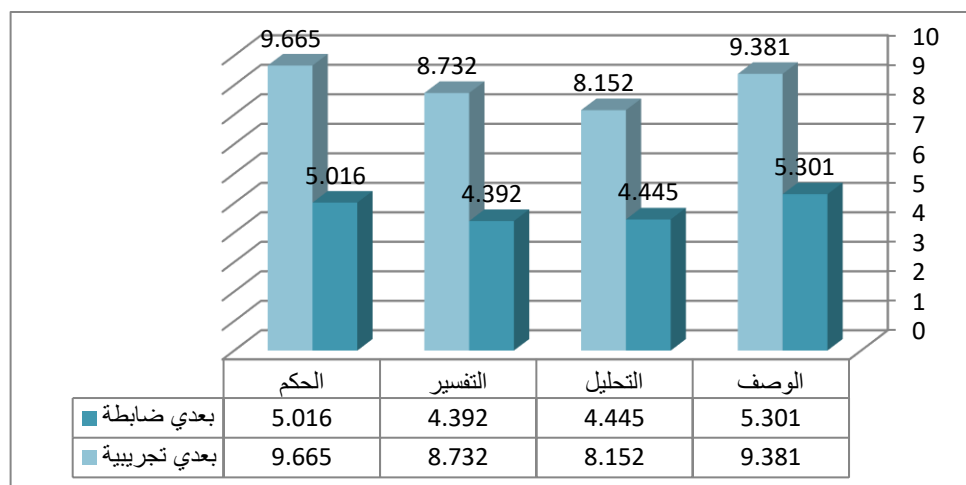
للإجابة عن هذا السؤال؛ تم اختبار صحة الفرض التالي:

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار مهارات النقد الفني. ولاختبار صحة هذا الفرض؛ تم تحديد قيمة الفروق إحصائياً باستخدام اختبار (ت)؛ لدلالة الفروق بين متوسطات الدرجات للقياس البعدي للمجموعتين: التجريبية والضابطة، في اختبار مهارات النقد الفني حسب تصنيف فيلدمان (الوصف، التحليل، التفسير، الحكم) في مقرر التربية الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض، وبحساب قيمة (ت) تم التوصل إلى النتائج التالية الموضحة في الجدول (4).

جدول (4) دلالة الفروق بين متوسطي درجات طالبات المجموعة الضابطة

وطالبات المجموعة التجريبية في اختبار مهارات النقد الفني البعدي

مهارات النقد الفني	المتوسط الحسابي "م"	الانحراف المعياري "ع"	عدد أفراد العينة "ن"	درجات الحرية "د.ح"	قيمة ت	مستوى واتجاهها	الدلالة
الوصف							
بعدي ضابطة	5.301	1.324	23	44	4.638	0.01 لصالح التجريبية	
بعدي تجريبية	9.381	2.365	23				
التحليل							
بعدي ضابطة	4.445	1.288	23	44	5.820	0.01 لصالح التجريبية	
بعدي تجريبية	8.152	1.519	23				
التفسير							
بعدي ضابطة	4.392	1.012	23	44	6.381	0.01 لصالح التجريبية	
بعدي تجريبية	8.732	2.021	23				
الحكم							
بعدي ضابطة	5.016	1.629	23	44	5.610	0.01 لصالح التجريبية	
بعدي تجريبية	9.665	2.347	23				
مجموع اختبار مهارات النقد الفني ككل							
بعدي ضابطة	19.154	2.851	23	44	17.539	0.01 لصالح التجريبية	
بعدي تجريبية	35.930	3.529	23				



شكل (3) دلالة الفروق بين متوسطي درجات طالبات المجموعة الضابطة

وطالبات المجموعة التجريبية في اختبار مهارات النقد الفني البعدي

يتضح من الجدول (4) والشكل (3) ما يلي:

1. أن قيمة (ت) تساوي (4.638) للوصف، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 لصالح المجموعة التجريبية، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (9.381)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق البعدي (5.301).
 2. أن قيمة (ت) تساوي (5.820) للتحليل، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 لصالح المجموعة التجريبية، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (8.152)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق البعدي (4.445).
 3. أن قيمة (ت) تساوي (6.381) للتفسير، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 لصالح المجموعة التجريبية، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (8.732)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق البعدي (4.392).
 4. أن قيمة (ت) تساوي (5.610) للحكم، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 لصالح المجموعة التجريبية، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (9.665)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق البعدي (5.016).
 5. أن قيمة (ت) تساوي (17.539) لمجموع اختبار مهارات النقد الفني ككل، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 لصالح المجموعة التجريبية، حيث كان متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (35.930)، بينما كان متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة في التطبيق البعدي (19.154).
- وهذا يعني وجود ارتفاع وتحسن في مستوى الطالبات في مهارات النقد الفني؛ نتيجة لتطبيق البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي. وللتأكد من الأهمية التربوية للنتيجة الإحصائية، وأن هذا الفرض تعود إلى فعالية المدخل التفاوضي؛ قامت الباحثة بحساب حجم الأثر عن طريق مؤشر مربع إيتا Eta Squared ووجدت أن:

$$n^2 = \frac{t^2}{t^2 + df} = 0.979$$

وبحساب حجم التأثير وجد إن $n^2 = 0.979$

ويتحدد حجم التأثير ما إذا كان كبيراً أو متوسطاً أو صغيراً كما يلي:

0.2 = حجم تأثير صغير

0.5 = حجم تأثير متوسط

0.8 = حجم تأثير كبير

وهذا يعني أن حجم التأثير كبير

وتؤدي هذه النتيجة إلى رفض الفرض الصفري الذي ينص على أنه: "لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار مهارات النقد الفني"، ومن ثم قبول الفرض البديل الذي يشير إلى وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار مهارات النقد الفني.

المبحث الثالث: مناقشة نتائج الدراسة وتفسيرها

هدفت الدراسة الحالية إلى تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض من خلال تصميم برنامج تدريسي قائم على المدخل التفاوضي وذلك بمقارنة أداء طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن التربية الفنية باستخدام البرنامج التدريسي، بأداء طالبات المجموعة الضابطة اللاتي درسن التربية الفنية بالطريقة المعتادة، وبعد أن تم عرض نتائج هذه المقارنات احصائياً، يمكن تفسير ومناقشة نتائج الدراسة في ضوء اختبار فروض الدراسة، كما سيتضح فيما يلي:

أظهرت نتائج التحليل الكمي المتعلقة بالفرض الأول في الجدول رقم (4)، وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار المفاهيم الفنية وذلك لصالح المجموعة التجريبية.

كما أظهرت نتائج حساب حجم الأثر (مربع إيتا) وجود أثر كبير للمتغير المستقل (البرنامج التدريسي القائم على المدخل التفاوضي) في تنمية المفاهيم الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض.

ويمكن عزو تقدم طالبات المجموعة التجريبية على طالبات المجموعة الضابطة إلى عدة أسباب، تتضح فيما يلي:

1. أن البرنامج التدريسي بني على أساس مبادئ ومنطلقات المدخل التفاوضي الذي يستند إلى النظرية البنائية حيث تؤكد الأدبيات السابقة على أن النظرية البنائية ركزت في مجال التطبيقات التدريسية على دور التفاعل الاجتماعي في عمليات التعلم، وعلى استثمار المواقف الحقيقية في التعلم، وعلى إيجاد بيئة تعلم تعتمد على الحوار والتعلم التعاوني.
2. أن المدخل التفاوضي يشجع على الحوار، وهو جزء من عملية التفاعل الطبيعي في أي جماعة وبالتالي يجعل التعلم أكثر فاعلية، كما أنه يساهم في إنتاج وتوليد الأفكار الجديدة التي تبحث عنها الطالبة دائماً؛ مما يزيد حب الاستطلاع المعرفي لديها.
3. أسهم المناخ التعليمي الممزوج بالحرية والمسؤولية من خلال المدخل التفاوضي في إثارة حماس ودافعية الطالبات في التعلم. كذلك فإن تعزيز ثقة الطالبات بأنفسهن نتيجة نجاحهن في القدرة على التفاوض، واتخاذ القرارات المناسبة إلى جانب قدرتهن في حل المشكلات التي صادفتهم أثناء التفاوض أدى إلى زيادة شعورهن بالإنجاز نتيجة ظهور عبارة التعزيز عند الوصول إلى القرار الصحيح.
4. استخدام هذا المدخل جعل كل طالبة لها دور إيجابي في عملية التعلم عن طريق المشاركة في الحوار بالرأي أو المناقشات أو عمل الأنشطة وكل هذا من شأنه أن يساعد في عملية التعلم حيث يزيد من رغبة الطالبات في معرفة المفاهيم واتقان مهارات النقد الفني.

5. إتاحة الفرصة للطلّابات القدرة على التعبير عن آرائهن ومشاركتهن في المناقشات وزيادة حماسهن نحو عملية النقد الفني وابداء التفسيرات المختلفة للأعمال الفنية واستعراض المفاهيم الفنية، والتفاعل معها من أجل الوصول إلى الفهم التام لها من خلال استخدام المدخل التفاوض.
 6. تنوع الأنشطة المتضمنة في البرنامج ساعد على حرص الطالّابات على المشاركة الإيجابية في تنفيذ الأنشطة والاندماج فيها.
 7. قدم البرنامج مجموعة من أساليب التقويم التي تساعد الطالّابة على تطبيق ما تعلمته في مواقف شبيهة بالمواقف الحقيقية مما كان له أثر كبير في تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني.
- وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج الدراسات التي عنيت باستخدام المدخل التفاوض والتي أكدت فاعلية استخدامه في تنمية المهارات المختلفة؛ والتي منها: دراسة عطية (2012م) وحرش (2013م) وإيمان إمام (2013م) ونشوة الغزاوي (2013م) وهناء زهران (2013) وفايزة مجاهد (2014م)، وسلمى والعباسي (2015)، وحبيب (2015م)، وأحلام زحافة (2016)، ودعاء درويش (2018).

ط. النتائج

توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

1. بينت الدراسة صحة الفرض الأول وهو وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار المفاهيم الفنية لصالح المجموعة التجريبية المستند على الدور الإيجابي للمدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض.
2. بينت الدراسة صحة الفرض الثاني وهو وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين: التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار مهارات النقد الفني لصالح المجموعة التجريبية المستند على الدور الإيجابي للمدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة الرياض.

ي. التوصيات

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، فإن الباحثة توصي بما يلي:

1. الاستفادة من قائمة المفاهيم التي توصلت إليها الباحثة وتضمينها في مقرر التربية الفنية للصف الثالث المتوسط.
2. الاستفادة من قائمة مهارات النقد الفني التي توصلت إليها الباحثة وتضمينها في مقرر التربية الفنية للصف الثالث المتوسط.
3. الاستفادة من البرنامج التدريسي المقدم في هذه الدراسة، والتوسع في استخدامه للمراحل المختلفة.
4. عقد دورات تدريبية للمعلمات تتمحور حول كيفية تفعيل المدخل التفاوضي.
5. تضمين برامج إعداد المعلم في كليات التربية الاستراتيجيات القائمة على المداخل الحديثة في تدريس التربية الفنية.

ك. المقترحات

في ضوء ما أسفرت عنه هذه الدراسة من نتائج، تقترح الباحثة:

1. إجراء دراسة وصفية تحليلية للتعرف على أسباب ضعف طالبات المرحلة المتوسطة في معرفة المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني.

2. إجراء دراسة للتعرف على أثر المدخل التفاوضي في تدريس التربية الفنية، في تصحيح التصورات البديلة للمفاهيم الفنية لطالبات المراحل المختلفة.
3. بناء برنامج تدريسي قائم على المدخل التفاوضي وفاعليته في تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني بمقرر التربية الفنية لمراحل دراسية أخرى.
4. إجراء دراسة تستهدف الكشف عن فاعلية برنامج تدريسي قائم على التكامل بين البنائية والمدخل التفاوضي في تنمية المفاهيم الفنية ومهارات النقد الفني لدى طالبات المرحلة الجامعية.

المراجع

- أبو شعالة، حسين ميلاد، (2020)، أهمية تدريس النقد الفني في حصص التربية الفنية للتعليم الأساسي، مجلة علوم التربية الرياضية والعلوم الأخرى، ليبيا، العدد 6.
- أحمد، مرفت صالح محمد (2015م). فاعلية برنامج مقترح في الرسم الفني قائم على التعلم البنائي لتنمية المفاهيم والمهارات الفنية لطلاب المدرسة الثانوية الصناعية. مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 164.
- إدريس، ثابت عبد الرحمن (2005). التفاوض إستراتيجيات وتكتيكات، ومهارات تطبيقية، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
- بدوي، آمال وأسماء توفيق، (2009م)، مفاهيم الأنشطة العلمية لطفل ما قبل الروضة. القاهرة: عالم الكتب.
- البيسوني، ساره أحمد محمود، (2015). فاعلية استخدام بعض إستراتيجيات التعلم النشط في تنمية مفاهيم التربية الفنية والتفكير الإبداعي لدي تلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية النوعية، جامعة المنصورة.
- حبيب، مهدي جادر، (2015م)، أثر استراتيجية التفاوض في تحصيل طلبة الصف الخامس الأدبي في مادة التاريخ الأوربي الحديث وتنمية تفكيرهم الشمولي. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 22.
- حrchش، صفوت توفيق، (2013م)، برنامج مقترح قائم على المدخل التفاوضي لتنمية مهارات الاستماع الناقد لدى طلاب الصف الرابع الابتدائي. مجلة الدراسات التربوية والإنسانية، جامعة دمنهور، العدد 4.
- حميد، سلمى، والعباسي، دريد، (2015م)، أثر المدخل التفاوضي في تحصيل طالبات الصف الأول المتوسط في مادة التاريخ. مجلة ديالي: جامعة ديالي، العراق، العدد 66.
- خضير، عباس، وخلف علي، (2015م)، أثر تطبيق نظرية برونر في تعلم المفاهيم الفنية، مجلة جامعة بابل، المجلد 23، العدد 4.
- درويش، دعاء محمد محمود، (2018)، فاعلية استخدام المدخل التفاوضي في تنمية مهارات المدافعة البيئية والذكاء الأخلاقي، مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية، العدد 104.
- الدوسري، غادة عبد الرحمن، (2018)، مدى تفعيل معلمات التربية الفنية النقد الفني في المرحلة المتوسطة بمدينة الرياض، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- الديب، محمد مصطفى، (2003)، علم النفس الاجتماعي التربوي، القاهرة، عالم الكتب.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (1999م)، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا.
- الرميضي، جمال سعد، الشمري، محمد مرضي، (2022)، مهارات التفاوض الأمني الناجح، المجلة العربية للدراسات

الأمنية، الكويت، العدد 1، المجلد 38.

- زحافة، أحلام فتحي، (2016)، فاعلية برنامج قائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات الفهم الاستماعي لدى تلاميذ الصف الأول الإعدادي. مجلة الدراسة العلمي في التربية - مصر، العدد 17.
- زهران، هناء حامد، (2013)، أثر استخدام المدخل التفاوضي في تنمية التحصيل والاتجاه نحو مادة الجغرافيا لدى طلاب الصف الأول الثانوي، دراسات تربوية واجتماعية، مصر، المجلد 19، العدد 1.
- الزهراني، خالد جمعان، (2017م)، أثر تطبيقات الويب 2.0 في تنمية مهارات النقد والتذوق الفني لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمنطقة الباحة. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، غزة، فلسطين، المجلد 1، العدد 1.
- زيتون، عائش محمود، (2007م)، النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.
- زين، نانسي حسن، (2012)، فاعلية استخدام نموذج "مارزانو" لأبعاد التعلم في تنمية مفاهيم التربية الفنية وبعض عادات العقل لدى طلاب الصف الأول الثانوي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية النوعية، جامعة المنصورة.
- الشاهين، سلطان، بن حمد، (2006م)، برنامج تعليمي مقترح في التذوق والنقد الفني قائم على الوسائط التفاعلية المتعددة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- عاشور، راتب قاسم، والحوامدة، محمد فؤاد، (2007م)، أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق. ط2، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- عبد العال، سمر السيد، (2017)، فاعلية استخدام استراتيجية شكل البيت الدائري في تنمية مفاهيم التربية الفنية والتصور البصري لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراه، كلية التربية النوعية، قسم العلوم التربوية، جامعة المنصورة، والنفسية.
- عبد الله، هنادي عبد القادر، (2001)، العلاقة بين نمو المفاهيم المعرفية والتطبيقات العملية في مجال التعبير بالألوان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- عطية، جمال، (2012م)، برنامج قائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات التعبير الشفوي لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة بالمدينة المنورة، مجلة كلية التربية بها (مصر)، المجلد 23، العدد 91.
- عطية، محسن محمد، (2002م)، نقد الفنون من الكلاسيكية إلى عصر ما بعد الحداثة. الاسكندرية، منشأة المعارف.
- العمرو، عبد العزيز بن رشيد، (2016م)، فاعلية وحدة تعليمية إلكترونية قائمة على التعلم الذاتي في تنمية مفاهيم ومهارات التصميم والإنتاج الفني لدى طلاب كلية التربية بجامعة حائل، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة القصيم، المجلد 9، العدد 2.
- عوض، فايزة السيد، (2009م)، مداخل واتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية. القاهرة: دار الجزيرة للطباعة والنشر.
- الغزاوي، نشوة محمد، (2013م)، استخدام المدخل التفاوضي في تدريس التاريخ لتنمية بعض مهارات التفكير المنطقي والميل إلى المادة لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية (مصر) العدد 48.
- لافي، فتحية علي، (2017)، برنامج مقترح قائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات البحث التاريخي لدى الطلاب المعلمين شعبة التاريخ، مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية، العدد 96.
- اللقاني، أحمد، والجمال، علي، (2013م)، معجم المصطلحات التربوية في المناهج وطرق التدريس، ط3، عالم الكتب، القاهرة.
- مجاهد، فايزة أحمد، (2014م). برنامج مقترح قائم على استخدام المدخل التفاوضي في تدريس التاريخ لتنمية التفكير

التألمي ومهارات الحوار وقيم التسامح لدى الطالبات المعلمات بكلية البنات. مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد 47.

المطيري، صافية بنت عبيد، (2014م)، مدى تطبيق معلمات التربية الفنية لمبادئ النقد الفني التعليمي بالمرحلة المتوسطة في مدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى.

المقرن، انتصار حمد، (2011م)، أثر برنامج تعليمي قائم على النقد الفني في تنمية التفكير الناقد في التربية الفنية والتعبير الكتابي والاتجاهات نحو التربية الفنية لدى طالبات الصف الثالث متوسط بالمملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

وزارة التربية والتعليم، (1427هـ)، وثيقة منهج التربية الفنية في التعليم العام. الرياض: مركز التطوير التربوي - الإدارة العامة للمناهج. <https://drive.google.com/file/d/>

Wahl, Alexander, Z., & Curtner-Smith, M. D. (2018). Influence of Negotiations on Graduate Teaching Assistants' Instruction Within University Activity Courses. *Journal of Teaching in Physical Education*, 37(2), 164-174.

القرآن والنفس الإنسانية

د. سلافة عبدالنور سليمان عبدالنور¹

¹ جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان.

بريد الكتروني: sulafasuluman12307@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/14>

تاريخ القبول: 2024/03/22م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

هدف هذا البحث إلى استجلاء مفهوم النفس في القرآن الكريم، وأثر القرآن الكريم على النفس الإنسانية، والمفهوم الاصطلاحي للنفس في القرآن وعند العلماء المعاصرين، وفلسفة الإسلام والمفسرين. تناول البحث الشخصية الإنسانية من خلال وصفها في القرآن الكريم، وما يميزها عن غيرها من المخلوقات، مراحل تكوين الإنسان كيف خلق مادة وروح، فبعد ان مرّ التراب بعدة مراحل من التكوين، من تراب إلى طين إلى حما مسنون، إلى صلصال كالفخار؛ نفخ الله فيه روحه فخلق آدم عليه السلام، وجاء منى الروح منه تعالى باستعداد الإنسان لمعالي الأمور فكانت مركز الشخصية الإسلامية التوحيد والإيمان بالرسول والملائكة واليوم الآخر والقدر.

استخدم البحث الأسلوب الوصفي والأسلوب السردى والأسلوب التاريخي، وقد توصل البحث الى عدة نتائج أهمها أن القرآن الكريم قد نجح في علاج نواحي الضعف في شخصيات المسلمين، وفي غرس الخصال الحميدة في نفوسهم مما ساعد على تكوين شخصياتهم تكويناً متزاناً متكاملًا، وكان له أكبر الأثر في إحداث تغييرات بالغة الأهمية في جميع نواحي الحياة في المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية، وفي المجتمع الإسلامي في العالم بأسره مستعيناً بعدة أساليب.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، النفس الإنسانية.

RESEARCH TITLE

THE QUR'AN AND THE HUMAN SOUL

SULAFAB ABDELNOUR SULIMAN ABDELNOUR¹

¹ University of the Holy Qur'an and Islamic Sciences, Sudan.

Email: sulafasuluman12307@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/14>

Published at 01/04/2024

Accepted at 22/03/2024

Abstract

The aim of this research is to understand the notion of the psyche in the Holy Quran, the effect of the Quran on the psyche and the terminological notion of psyche in the Quran and in the opinions of the contemporary scholars, Islamic philosophers and interpreters. It dealt with the human character through describing it in the Holy Quran, what distinguishes it from other creatures and the stages of creating humans from a spirit and a matter. After the dust went through different stages of creation, from dust to mud to altered black mud, then to clay like pottery, God breathed the soul into him and Adam was created. This gave Man the opportunity to get ready for serving high purposes, so the center of the Islamic personality was monotheism and belief in messengers, angels, the judgement day and fate.

The research used the descriptive, narrative and historical techniques, and it reached many conclusions, the most important of which are that the Holy Quran was successful in treating the weak parts of Muslims' personalities and instilling the good traits in their characters. This, with the application of different methods, helped construct their characters in a balanced and complete way, and it had the greatest effects in making extremely important changes at all life's angles in the Arabian society in the Arab Peninsula and in the whole Islamic community in the whole world.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق النفس وسواها، والهمها فجورها وتقواها، والصلاة والسلام على رسول الله عليه وسلم ومن ولاه وبعد: إن القرآن الكريم كتاب دين وهداية، أنزله الله سبحانه وتعالى على النبي صلوات الله عليه وسلامه للناس كافة، يخاطب فيه عقل الإنسان ووجدانه، ويعلمه عقيدة التوحيد، ويذكره بالعبادات، ويهديه إلى مافيه خيره وصلاحه في حياته الفردية والاجتماعية.

قال تعالى: (يَأْيُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (1) إن البحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه مجال واسع، لأنه يحتوي على أشمل وأكمل، وأوسع الخطاب، فقد جاء رسالة من الله تعالى إلى العالمين كافة في كل زمان ومكان، وقد أشاد القرآن الكريم بفضل العلم، وكرم العلماء، ورفع من شأنهم، ووضع العلم في مرتبة عالية كمرتبة الإيمان:

قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (2) حث القرآن الكريم على التأمل في النفس، وفي عجائب خلقها ودقة تكوينها، وبذلك دفع القرآن الناس إلى دراسة النفس ومعرفة أسرارها.

قال تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (3) وفي هذا المعنى جاء في الأثر (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وأيضاً (اعرفكم بنفسه أعرّفكم بربه) (4)

وكان أثر القرآن على النفس الإنسانية ان تكونت الشخصية الإسلامية تكويناً متزناً متكاملًا حينما أمرها القرآن بالموازنة بين متطلبات البدن ومطلبات الروح.

قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (5)

وحث التربية الإسلامية على الصبر، فتحمل الإنسان مشاق الحياة بنفس راضية، وغمر الإنسان شعور بالأمن والطمأنينة، حينما واطب على ذكر الله، وتخلص من القلق الناشيء عن الشعور بالذنب بمداومته على الاستغفار والتوبة. وكثيراً من الأساليب الفعالة التي أستخدمها القرآن الكريم في تعديل السلوك الإنساني، ونجح القرآن في غرس الخصال الحميدة في النفوس مما ساعد على تكوين شخصيات سوية ومنتزعة، وإلى أن تقوم الساعة يظل القرآن الكريم معجزة متجددة تفيء بكل ما يحتاجه الإنسان في كل زمان ومكان.

وإني لأحمد الله سبحانه وتعالى أن مكنتني من إعداد هذه الورقة البحثية وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في عرض مفاهيم النفس الإنسانية وكيف كان أثر القرآن الكريم عليها.

د/ سلافة عبدالنور سليمان

1 - سورة يونس ، الآية 57

2 - سورة المجادلة ، الآية 11

3 - سورة الذاريات ، الآيات 20- 21

4 - معارج القدس في مدارج معرفة النفس، الإمام أبو حامد الغزالي، ط2- بيروت - دار الآفاق الجديدة 1975م.

5 - سورة القصص ، الآية : 77

القرآن والنفس الإنسانية

تمهيد:

إن النفس من المفاهيم القرآنية التي لفتت أنظار وانتباه العلماء والباحثين نحوها، ولكن كلمة النفس لم تأخذ حظها من وجهة نظرية بل إن مفهوم النفس اختلط مع مفهوم الروح واستعملت إحداها مكان الأخرى وصار هذا المفهوم شائعا كقاعدة لمن لم يدرك مفهومها بالضبط وعلى هذا فإن مفهوم النفس في القرآن يكتسب أهمية بالغة من الوظيفة التي يؤديها في القرآن والمقصد الذي يرمي إليه. فكان موضوع النفس ومفهومها من الموضوعات التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات العربية والغربية، بعد لم شتاته وضبط كل خصوصياته.

الدلالة المعجمية لمفهوم النفس:

وردت لفظة النفس في القرآن الكريم بكل مشتقاتها وبصيغ مختلفة وبمعاني متعددة، فهي تدل على الإنسان ككائن حي وتدل على جوهر القرآن الكريم اعتنى بها عناية خاصة.

معنى النفس في اللغة:

قال ابن فارس: (النفس) النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من الريح وغيرها، وإليه ترجع فروعه من التنفس خروج النسيم من الجوف ونفس الله كربه وذلك أن في خروج النسيم روحا وراحة⁽⁶⁾ والنفس: تعني الروح ويقال إن فلاناً حدث نفسه أو خرجت نفسه أي مات، ويقال جاء هو بنفسه أو نفسه وجمعها نفوس وأنفس، ويقال فلان أصابته نفس أو عين، وفلان ذو نفس: أي جلد وخلق، وفلان يؤامر نفسه أي له رأيان ولا يعلم على أيهما يثبت ويستقر كما تعني نفسي قصدي ومرادي عند قول في نفسي أنا أفعل كذا وكذا⁽⁷⁾ وذكر ابن منظور أن النفس هي الروح، واعتبر أن بينهما فرقاً، ومن معانيها ما دل على جملة الشيء وحقيقته أي أنها تدل على الإنسان كله بجانبه المادي والمعنوي، ويذكر كذلك ابن منظور أن لفظ النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته، تقول قتل فلان نفسه وأهلك نفسه⁽⁸⁾

- والنفس بمعنى حقيقة الشيء وجملة ويقال قتل فلان نفسه أي ذاته وجملة⁽⁹⁾

- النفس الحسد والعين ويقال أصابته نفس أي عين، والنفس بمعنى الدم، لأن النفس تخرج بخروجه⁽¹⁰⁾

- النفس ما يكون به التمييز والعرب قد جعلت النفس التي يكون بها التمييز نفسين، وذلك أن النفس قد تأمره بالشيء وتنهى عنه، وذلك عن الإقدام على أمر مكروه فجعلوا التي تأمره نفساً وجعلوا التي تنهاه كأنها نفس أخرى⁽¹¹⁾

- وجمع النفس أنفوس ونفوس أما النفس: فهو خروج الهواء ودخوله من الأنف والفم وجمعه أنفاس وهو كالغذاء للنفس لأن بانقطاعه بطلانها⁽¹²⁾

وقد قدم صاحب تاج العروس، الزبيدي، قدم تفصيلاً لتعريف النفس والروح ويحمل في معجمه دلالات النفس بقوله: وقد يحصل من كلام رحمة الله عليه خمسة عشر معنى للنفس وهي: الروح، الدم، الجسد، العين، العند، الحقيقة، الشيء، القدر

⁶ - معجم مقاييس في اللغة - ابن فارس أبو يحيى - تح: شهاب الدين أبو عمرو - ط: 51 - ج: 55 - ص: 369

⁷ - قاموس مجمع اللغة العربية - القاهرة م: 1932 - تح: التراث العربي دار الإسلام 2014 م

⁸ - لسان العرب - ابن منظور - مادة النفس - ج: 52 - ص: 233

⁹ - كتاب العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي - ج: 7 - ص: 97

¹⁰ - بصائر ذوي التمييز - الفيروز أبادي - ج: 5 - ص: 47_97

¹¹ - لسان العرب - ص: 283

¹² - مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني - ص: 557

، الدبغة ، العظمة، العزة، الأنفة، الغيب، والإرادة، والعقوبة،⁽¹³⁾ والنفس جميعه روحه وجسده، يقول تعالى: "أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله" (14)
(وإنما اتسع في النفس وعبر بها الحجة لغلبة أوصاف الجسد على الروح حتى صار يسمى نفساً وطراً عليه هذا الاسم بسبب الجسد) (15)

الدلالة الاصطلاحية للنفس في القرآن الكريم

النفس عند العلماء المعاصرين:

النفس هي همزة وصل بين الروح والجسد. إنها حركة المادة ودونها لا حياة في هذه المادة، ولا نقصد هنا بكلمة (لا حياة) الموت التام بل نقصد فقط نقص الفعالية الهادفة والموجهة إذ من دون النفس يبقى الجسد حياً ولكن حياته غير منظمة يختل معها عمله السلوكي والحركي والعقلي أي يصبح مضطرباً نفسياً. (16)
النفس: هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلها وتبادلها التأثير المستمر مكونين معاً وحدة متميزة تطلق عليها لفظ (الشخصية) تميز الفرد عن غيره وتؤدي به توافقه الخاص بحياته. (17)
النفس عند فلاسفة الإسلام:

عرّف فلاسفة الإسلام النفس بأنها الكمال الأول لجسم ألي ذي حياة بالقوة. وهو قول أبو نصر الفارابي عن ارسطو في تعريفه للنفس بأنها كمال البدن المركب من عناصر طبيعية، وقد حاول الفارابي التوفيق بين تعريف كل من افلاطون وارسطو للنفس، فهو يقول كأفلاطون أن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق لا تفنى بفناء البدن، وإن المعرفة الحقة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوي، وفسر الفارابي حدوث النفس بأنها تفيض من العقل الفعال وهو الملك الذي يشرف على حركة فلك القمر وهو الذي يطلق عليه (واهب الصور). (18)
وقد عني الفيلسوف ابن سينا عناية بالغة بمسألة النفس وعالجها كالطبيب والفيلسوف، ففرق بين ثلاثة أنواع من النفوس وهي:

النفس النباتية، والنفس الحيوانية، والنفس الإنسانية، وقد برهن على وجود النفس وأنها مستقلة عن البدن ليست بعوض للجسم توجد بوجوده وتنفى بفناؤه، واستدل على ذلك بعدة براهين أشهرها البرهان الطبيعي، وبرهان الإدراك والوجدان، وحدة النفس، وبرهان الاستمرار، والنفس الإنسانية أو العاقلة هي التي عنده جوهر الإنسان. (19)
يبدو أن ابن سينا يميل أيضاً إلى الجمع بين آراء كل من أفلاطون وارسطو في طبيعة النفس فهو يرى كأفلاطون أن النفس جوهر مستقل ومخالف للبدن ويرى ارسطو أنها كمال له، ولكن ابن سينا يقول بأنها جوهر روحي تفيض من العالم العلوي على قالب البدن فتحويه وتكسبه المعارف والعلوم. (20)
ويقول ابن رشد عن النفس بأنها وإن كانت صورة للبدن فإنها جوهر روحي قائم بذاته لا ينقسم بانقسام الجسم، وهي لا

13 - تاج العروس - الزبيدي محمد مرتضى - مادة النفس - بيروت - لبنان - منشورات دار مكتبة الحياة ط:4 - ص 262_260

14 - سورة الزمر - الآية 56

15 - المصدر السابق - الزبيدي - ص 262_260

16 - خواطر الإنسان بين مناظري علم النفس والقرآن - وليد عبد الله زريق - ص 19

17 - أصول علم النفس الحديث - فرج عبد القادر طه - ص 12_13

18 - أصول علم النفس الحديث - قاسم محمود - في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط:2 - سنة 1954 - ص 70_74

19 - في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام - مرجع سابق - ص 75_94

20 - أصول علم النفس الحديث - دكتور حامد إبراهيم - نظرية النفس بين ارسطو وابن سينا - مجلة دمشق - المجلد 2_1 - سنة 2003

تفيض من العقل الفعال أو واهب الصور كما قالها قبله الفارابي وابن سينا، وذلك لأن الله وحده هو الذي يخلق جميع الكائنات روحية أو مادية خلقاً مباشراً أي دون حاجة إلى عقول تتوسط بينه وبين مخلوقاته. (21)

مفهوم النفس عند المفسرين:

وردت كلمة النفس عند الزجاج: "أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها فالميتة المتوفاة وفاة الموت هي التي قد فارقتها النفس التي يكون منها الحياة والحركة والنفس التي يتميز بها والتي تتوفى في النوم نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس فهذا الفرق بين توفي نفس النائم في النوم ونفس الحي" (22)

وقال الزمخشري: "قل يتوفى النفس يستوفيه ويقضيها وهي النفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى النفس التي لم تمت في منامها وهي نفس التمييز، قالوا: فالتى تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زالت معها النفس والنائم يتنفس" (23)

وردت كلمة النفس عند القاسمي: "الله يتوفى الأنفس حين موتها أي مفارقتها بإبطال تصرفها فيها بالكلية، والتي تمت في منامها أي: يتوفى التي لم تمت موتها منامها بإبطال تصرف الحواس الظاهرة فيمسك التي قضت عليها أي فلا يردها إلى بدنها إلى يوم القيامة ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى أي: وهو نوم آخر أو موت إن في ذلك. أي: فيما ذكر من التوحي على الوجهين، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أي: في كيفية تعلقها بالأبدان، توفيتها عنها" (24)

الشخصية الإنسانية:

تكوين الإنسان:

لقد أخبرنا القرآن الكريم كيف خلف الله تعالى الإنسان من مادة وروح، فبعد أن مرّ التراب بعدة مراحل من التكوين: من تراب إلى طين إلى حمأ مسنون إلى صلصال كالفخار، نفخ الله فيه من روحه فخلق آدم عليه السلام (25)

(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خُلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ) (*) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سُجَّدِينَ (26)

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خُلِقُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) (*) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سُجَّدِينَ (27)

وجاءت كلمة "الروح" في القرآن بعدة معانٍ، وإن معنى الروح الذي ورد في الآيات التي تشير إلى خلق آدم هو "روح منه تعالى يكون فيه استعداد الإنسان لمعالي الصفات وموالاته الحق" (28)

وهو عنصر علوي يتضمن استعداد الإنسان لتحقيق معالي الأمور وأقدس الصفات، فهو الذي يؤهله للارتقاء فوق مستوى الحيوان ويقدر له أهدافه وغاياته العليا في الحياة، ويرسم له خطوط منهاجه ويضيف إلى بشريته النزوع إلى مصدر القيم والمعارف التي تجعل له حقيقة الإنسان" (29)

21 - في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ، قاسم محمود، ص: 150-151

22 - معاني القرآن وأعرابه - الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، ج: 4، عبد الجليل عبده الشلبي، علم الكتب، ط: 1، بيروت 1988، ص: 356

23 - عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - الزمخشري أبو القاسم بن عمرو بن أحمد الكشاف، ج: 4، دار الكتاب العربي، ط: 3، بيروت 1407هـ، ص: 131

24 - محاسن التأويل - القاسمي محمد جمال الدين بن محمد بن السعيد بن قاسم الحلاق، محمد باسل، عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: 1، ج: 8، بيروت: 1918، ص: 291

25 - القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، ص 193

26 - سورة ص، الآيات 71-72

27 - سورة الحجر، الآيات 28-29

28 - فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، البهي الخولي، القاهرة، مكتبة وهبه 1974م، ص 22

29 - المرجع السابق، ص 32-33

وبهذا النوع من التكوين يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات، فهو يشارك الحيوان في معظم الخصائص الجسمية وما يتطلبه حفظ الذات والبقاء من دوافع وانفعالات وقدرة على الإدراك والتعلم، ولكنه يتميز عن الحيوان بخصائص روحية التي تجعله ينزع إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وعبادته، والتشوق إلى الفضائل والمثل العليا التي ترتفع به إلى مستويات عالية من الكمال الإنساني، ولهذا كان الإنسان أهلاً لخلافة الله في الأرض، فما يميز الإنسان عن الحيوان هو أن قيمة الروح من الله سبحانه وتعالى التي خصته بالاستعداد لمعرفة الله والايان به وعبادته وتحصيل العلوم وتسخيرها في عمارة الأرض، والتمسك بالقيم والمثل العليا في سلوكه الفردي والاجتماعي ولا توجد الروح والمادة في الإنسان منفصلتين أو مستقلتين أحدهما عن الأخرى، وإنما هما ممتزجتان معاً في وحدة متكاملة متناسقة وتتكون من هذا المزيج المتناسق ذات الإنسان وشخصيته، ونحن لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً دقيقاً إلا بالنظر إلى هذا الكيان بأكمله، المكون من امتزاج المادة والروح. (30)

"الشخصية مجموعة من الصفات التي تميز الشخص عن غيره" (31) والشخصية السوية في الإسلام هي التي توازن بين البدن والروح، وتتشبع فيها حاجات كل من البدن والروح. ويشير القرآن الكريم إلى ضرورة تحقيق التوازن في الشخصية كما في قوله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (32)

"ولا تنس نصيبك من الدنيا" ليس النصيب من الدنيا جمعها ولا منعها إنما النصيب منها ما تكون فيه فائدة بحيث لا يعقب ندماً، ولا يوجب في الآخرة عقوبةً، ويقال النصيب من الدنيا ما يعمل على طاعته بالنفس، وعلى معرفته بالقلب، وعلى ذكره باللسان، وعلى مشاهدته بالسر.

"وأحسن كما أحسن الله إليك" إنما يكون منه حسنه لو آمن بالله لأن الكافر لا حسنة له والآية تدل على أن الله على الكافر نعمًا دنيوية، والإحسان الذي أمر به انفاق النعمة في وجوه الطاعة والخدمة، ومقابلته بالشكر لا بالكفران. وقال الإحسان رؤية الفضل دون توهم الاستحقاق (33)

"وفي هذا يتمثل اعتدال النهج الإلهي القويم: المنهج الذي يعلق قلب صاحب المال بالآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً، كي لا يتزهّد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها" (34) ويشير القرآن أيضاً إلى الصراع النفسي بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان في وصفه تعالى لانفصاض بعض المسلمين من حول النبي صلى الله عليه وسلم حينما سمعوا بأبناء وصول قافلة محملة بالموثونة إلى المدينة.

"وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازيين" (35) "ولعل مشيئة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت أيضاً أن يكون أسلوب الإنسان في حل هذا الصراع هو الاختبار الحقيقي والاساسي الذي وضعه الله تعالى للإنسان في هذه الحياة. فمن استطاع أن يوفق بين الجانبين المادي والروحي في شخصيته، وأن يحقق بينهما أكبر قدر مستطاع من التناسق والتوازن، فقد نجح في الاختبار واستحق أن يثاب على ذلك بالسعادة في الدنيا وفي الآخرة، وأما من انساق وراء شهواته البدنية، وأغفل المطالب الروحية فقد فشل في هذا الاختبار واستحق أن يجازى على ذلك بالشقاء في الدنيا والآخرة" (36)

30 - القرآن وعلم النفس، دكتور محمد عثمان بناتي، ص 195

31 - الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، د. نزار العاني، ط1، 1418 هـ، 1998م، دار الفرقان - عمان، ص: 37

32 - سورة القصص، الآية: 77

33 - الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، دار الشروق، ط4، 1998م، 520-521

34 - في ظلال القرآن، دكتور سيد قطب، 374/6

35 - سورة الجمعة، الآية 11

36 - القرآن وعلم النفس، 196

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (37)

ولقد شاءت رحمة الله تعالى وحكمته أن يمد الإنسان بجميع الإمكانيات اللازمة لحل هذا الصراع واجتياز هذا الاختبار الصعب بأن وهبه العقل ليميز به بين الخير والشر وبين الحق والباطل. كما أمده سبحانه بحرية الإرادة والاختيار ليستطيع أن يبت في هذا الصراع، وأن يختار الطريق الذي يريده لحل هذا الصراع. وإن حرية إرادة الإنسان وحرية في اختيار الطريق الذي يحل به هذا الصراع إنما يمثلان مسؤوليته وحسابه (38)

مركز الشخصية الإسلامية:

فكرة التوحيد هي مركز الشخصية الإسلامية والتي يبنى عليها الإيمان بالرسول وبالملائكة واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وكل هذا يكون نواة الشخصية الإسلامية، وهو ما نسميه (الإيمان الصادق) فتوحيد المعبود يوحد مصدر التلقي ومصدر التوجيه، فتكون المعضلة تضافر ملكات النفس، وتكون ثمرة ذلك بالنمو الإيجابي المطرد مع سلام داخلي وتصالح بين مكونات النفس، بل وتصالح بين مكونات النفس ومكونات الكون التي تتجه جميعها في نفس الاتجاه، وهنا يحدث التناسق النفسي الداخلي، والتناسق النفسي الكلي، وعلى العكس فإن اتخاذ آلهة مختلفة يشثت قوى النفس ويهدد استقرارها ويعوق نموها الصحيح (39)

قال تعالى (يُصْحَبِي اللَّيْلُ عِزِّي أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ) (40)

(يُصْحَبِي اللَّيْلُ عِزِّي) يعني: يا ساكنيه، (أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ) يعني: الأصنام "خير" أعظم في صفة المدح (أَمْ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ) الذي يقهر كل شيء. (41) وجاء ذلك المعنى في قوله تعالى (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (42)

"ونفس وما سواها" يعني: ونفس والذي سوى خلقها، ويقال ونفس وما خلقها، "فألهمها فجورها وتقواها" يعني ألهمها الطاعة والمعصية، ويقال: عرفها وبين لها ما توتي وما تذر، ثم قال عز وجل "قد أفلح من زكاها" يعني: أصلحها الله وكرمها وهذا جواب القسم "لقد أفلح"، ولكن اللام حذف لتقلها ثم قال "وقد خاب من دساها" يعني خسر من أغفلها وأغواها وخذلها وأهملها.

وقيل معناها: قد أفلح من زكى نفسه، أي أنماها وأعلاها بالطاعة والبر والصدقة وقد خاب من دساها يعني: نقصها وأخفاها بترك عمل البر وبركوب عمل المعاصي. (43)

أنواع النفس في القرآن الكريم:

إن في طبيعة تكوين الإنسان استعداداً لفعل كل من الخير والشر، استعداداً لإتباع أهوائه وشهواته البدنية، والاستغراق في الاستمتاع بملاذاته الحسية ورغباته الدنيوية أو استعداداً للتسامي إلى افق الفضيلة والتقوى والمثل الإنسانية العليا، والعمل الصالح، وما يحققه ذلك من سكينة نفسية وسعادة روحية. وإن الاختبار الحقيقي للإنسان في هذه الحياة هو ما تتجه إليه إرادته وما يقع عليه اختياره. (44)

37 - سورة الملك، الآية: 2

38 - المصدر السابق، ص 197

39 - البناء النفسي للشخصية الإسلامية في القرآن الكريم، دكتور إسماعيل رديف يوسف والدكتور عثمان فوزي علي، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، ط1

2020م، ص 82

40 - سورة يوسف، الآية 39

41 - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، 489هـ، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم

الدار الشامية، دمشق ط1 1415هـ، 547/1

42 - سورة الشمس، الآية 7، 8، 9، 10

43 - تفسير السمرقندي - بحر العلوم أبو الليث السمرقندي: 585/3

44 - القرآن وعلم النفس، دكتور محمد عثمان نجاتي، ص 198

وقد ذكر القرآن الكريم أن النفس ثلاثة أنواع (النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة) وعرفها الجرجاني في تعريفاته بقوله: (45) أن النفس الأمارة: هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمّر بالملذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية فهي مأوى الشرور.

النفس اللوامة: هي التي تتوره بنور القلب قدر ما تنبتهت عن سنة الغفلة كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها.

النفس المطمئنة: هي التي تضيء بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة.

النفس اللوامة: وبتفاق المفسرين النفس اللوامة المراد بها النفس الضائعة بالتقصير التي تلوم ذاتها، فهي النفس التي إن فعلت خيراً تلوم ذاتها على أنها لم تكثر منه، وإن فعلت شراً أو فارقت تلوم ذاتها. (46)

(وهي التي تتقدم على ما فات وتلوم عليها فهي عن طريق اللوم ومحاسبة النفس تنيب إلى الله سبحانه وتعالى وترجع إليه كلما اقترفت ذنباً مخالفاً لأمره سبحانه، وتبرز في هذا النفس قوة الضمير، فيحاسب الإنسان نفسه على أي سوء أو تقصير، فهذه النفس تسير وفق الطريق الذي بينه الله سبحانه وتعالى لها في هذه الدنيا) (47)

النفس اللوامة:

(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) (48)

فالإنسان الذي يكون في مرتبة أعلى من الكمال الإنساني بحيث يكون ضميره مستيقظاً، فيستكر ضعف ارادته وانقياده لأهوائه وشهواته وملذات الحياة الدنيوية مما يوقعه في الخطيئة والمعصية، فيشعر بالذنب ويلوم نفسه على ما فرط فيها، ويتجه إلى الله مستغفراً تائباً، فإنه يكون في هذه الحالة تحت تأثير "النفس اللوامة" (49)

النفس الأمارة بالسوء:

وحينما يختار الإنسان الملذات الدنيوية وينساق وراء أهوائه وشهواته، وينسى ربه واليوم الآخر، إنما يصبح في معيشته أشبه بالحيوان بل أضل لأنه لم يستخدم عقله الذي ميزه الله تعالى به على الحيوان فيكون شخصاً غير ناضج وأشبه بالطفل الذي لا يهيم إلا إشباع حاجاته ورغباته، ولم تقو إرادته بعد، ولم يتعلم بعد كيف يتحكم في أهوائه وشهواته، فينساق وراء إشباعها، ويصبح خاضعاً لتوجيه "نفسه الأمارة بالسوء" (50)

قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ۚ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (51)

النفس المطمئنة:

إذا أخلص الإنسان في تقربه لله تعالى بالعبادات والإعمال الصالحة والابتعاد عن كل ما يغضب الله، وتحكمه تحكماً كاملاً في أهوائه وشهواته، وقام بتوجيهها إلى الإشباع بالطريقة التي حددها الشرع فقط، وحقق التوازن التام بين مطالبه البدنية، ومطالبه الروحية، فإنه يكون في أعلى مرتبة من الكمال الإنساني، وهي المرتبة التي تكون فيها نفس الإنسان في حالة

45 - التعريفات، الجرجاني علي بن محمد بن علي، إبراهيم الأنباري، مصر، مطبعة الريان للتراث 1938م، 212

46 - تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط2، 1978م دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج8، ص 200

47 - تريبنا الروحية، سعيد حوى، دار الكتب العربية، بيروت، ط 1، 1979م، ص 42/41

48 - سورة القيامة، الآية 1، 2

49 - القرآن وعلم النفس، ص 199

50 - المصدر السابق 198

51 - سورة الفرقان، الآية 44، 43

اطمئنان وسكينة، وينطبق عليه وصف النفس المطمئنة التي ذكرها سبحانه وتعالى في قوله "يا أيها النفس المطمئنة* ارجعي إلى ربك راضية مرضية* فادخلي في عبادي* وادخلي جنتي" (52)

النفس المتزنة في القرآن:

يقوم الإنسان بإشباع حاجاته البدنية في الحدود التي أباحها الشرع، ويقوم في الوقت نفسه بإشباع حاجاته الروحية، ويصبح هذا التوفيق بين حاجات البدن وحاجات الروح يصبح أمراً ممكناً إذا ما التزم الإنسان في حياته التوسط والاعتدال، وتجنب الإسراف والتطرف سواء في إشباع دوافعه البدنية أو الروحية، فليس في الإسلام رهبانية تقاوم إشباع الدوافع البدنية وتعمل على كبتها، كما ليس في الإسلام إباحية مطلقة تعمل على الإشباع التام للدوافع البدنية، وإنما يناهز الإسلام بالتوفيق بين دوافع كل من البدن والروح، واتباع طريق وسط يحقق التوازن بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان (53)

ويشير القرآن الكريم إلى ضرورة تحقيق هذا التوازن في الشخصية بقوله تعالى: (وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (54)

وفي هذا المعنى قال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: "ليس خيركم من عمل لدنياه دون آخرته، ولا من عمل لآخرته وترك دنياه، وإنما خيركم من عمل لهذه وهذه" (55)

وحيثما يتحقق هذا التوازن بين البدن والروح تتحقق ذاتية الإنسان في صورتها الحقيقية الكاملة والتي تمثلت في شخصية النبي صلوات الله عليه وسلامه الذي توازنت فيه القوة الروحية الشفافة والحيوية الجسدية الفياضة، فكان يعبد ربه حق عبادته في صفاء وخشوع كاملين، كما كان يعيش حياته البشرية كغيره من الشر يشبع حاجاته البدنية في الحدود التي رسمها الشرع، لذلك فهو يمثل الإنسان الكامل، والشخصية الإنسانية النموذجية الكاملة التي توازنت فيها جميع القوى الإنسانية البدنية منها والروحية (56)

إن الشخصية السوية في الإسلام هي الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح وتشبع فيها حاجات كل من البدن والروح، فالشخص الذي ينساق وراء أهوائه وشهواته غير سوي، وكذلك فإن الشخص الذي يكبت حاجاته البدنية ويقهر جسمه ويضعفه بالرهبانية المفرطة والتقشف الشديد وينزع إلى إشباع حاجاته الروحية فقط، هو شخص أيضاً غير سوي، وذلك لأن كلا من هذين الاتجاهين المتطرفين يخالف الطبيعة الإنسانية ويعارض فطرتها، ولذلك فلا يمكن أن يؤدي بها إلى بلوغ كمالها الحقيقي (57)

ويتضح موقف الإسلام من ضرورة التوازن بين مطالب البدن ومطالب الروح من إنكار النبي صلى الله عليه وسلم لعمل ثلاثة من الصحابة كان أحدهم يصلي الليل كله ولا ينام، وكان الثاني يصوم الدهر كله ولا يفطر وكان الثالث يعتزل النساء ولا يتزوج، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما أنا والله أخشاكم لله وأتقاكم، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" (58)

52 - سورة الفجر، الآية 27-30

53 - القرآن وعلم النفس، ص 202

54 - سورة القصص، الآية: 77

55 - تخريج الحديث

56 - في النفس والمجتمع، محمد قطب، ط2، القاهرة مكتبة وهبه، 1962م، ص 63، 62

57 - القرآن والنفس، ص 203، 204

58 - رواه الشيخان عن أنس (فتح الباري بشرح البخاري للعسقلاني) ج 19 الحديث رقم 5199، مختصر صحيح مسلم للمنذري، الحديث رقم 628

أسباب تأثير القرآن الكريم في النفس البشرية:

تكمّن وراء تأثير القرآن الكريم في النفس البشرية أسباب كثيرة، يمكن إجمال أبرزها في المطالب الآتية: (59)

المطلب الأول: قدسية ألفاظ القرآن

"إن في هذا القرآن شيء ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هنالك عنصراً ينسكب في النفس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه على كل حال موجود هذا العنصر الذي ينسكب في النفس، يصعب تحديد مصدره، أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التي ترسمها؟ أهو الإيقاع القرآني المتميز عن إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهو هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم أنها تشمل ما تقدم وشيئاً آخر وراءها غير محدد، ذلك سر مودع في كل نص قرآني يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداءً ثم تأتي وراءه الاسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله" (60)

فالقرآن له سلطان الجلال والمهابة يستولي على قلوب المخاطبين استيلاءً "كالقهر وما هو بالقهر، له فعل في القلوب كالسحر وما هو بالسحر، لا يختص ذلك بالأنصار دون الخصوم ولا بمخالفه دون مخالفه بل يغزو القلب من حيث لا يمكن لصاحبه رد، ويؤثر فيه من حيث لا يمكن دفع أثره في الأعداء كما أثر في الأتباع" (61)

وقال الإمام محمد سعيد رمضان البوطي حين تحدث عن مظهر جلال الربوبية:

"ومما لا ريب فيه أن أكثر الناس الذين يقرؤون كتاب الله تعالى قد قرأ في أنفسهم أن هذا الكلام لا يمكن أن ينطق به بشر من الناس دون أن يعلموا البرهان الواضح على يقينهم هذا، أنما يستشعرون في الحقيقة هذا النوع مظهر جلال الربوبية في القرآن، وإذا رأيت من إذا تلا القرآن تأثر به فاعلم أنه متفاعل مع هذا الوجه" (62)

هذا التأثير والمهابة وذلك السلطان الذي تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، قال الله عز وجل: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا مِثْلَ نَثَرٍ تَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (63)

حين نتأمل خطاب القرآن نجد ملكاً، له الملك كله، وله الحمد كله، أزمنة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، ومردّها إليه، مستويّاً على سرير ملكه لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس عبده، مطلعاً على أسرارهم وعلائيتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، فتأمل كيف نجده يثني على نفسه، ويمجد نفسه، ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغبهم فيه، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويستجيب إليهم بنعمه وآلائه، فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً، هذا شأنه فكيف لا تحبه وتأنس في القرب منه؟ وتتفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه؟! وكيف لا تلهج بذكره، ويصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها؟! بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلك ولم تنتفع بحياتها" (64)

وقال الإمام الغزالي ذاكراً من أعمال الباطن في التلاوة: "التعظيم للمتكلم: مشيراً إلى أن القارئ يجب أن يستحضر عظمة المتكلم، ويعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فإنه عز وجل قال: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (65)

59 - التعبير القرآني والدلالة النفسية، الدكتور عبد الله محمد الجبوسي، دار الفوثناني للدراسات القرآنية، ط: 2 1435 هـ - 2014 م، ص 128

60 - في ظلال القرآن، الدكتور سيد قطب، ج: 65، ص 3399

61 - خصائص القرآن الكريم، الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، المديرية العامة للطبوعات، الرياض، ط: 5، 1410 هـ، ص: 101

62 - من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان، دمشق، مكتبة الفارابي، ط 1968م، ص 156-160

63 - سورة الزمر، الآية 23

64 - الفوائد، ابن القيم، ص 29

65 - سورة الواقعة، الآية 79

ولا يتأتى ذلك إلا بالتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله" (66)

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (67)

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمُوتُ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (68)

(وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) (69)

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (70)

تناغم ألفاظ القرآن وجرسه الموسيقي:

تعد هذه الخاصية من أكثر الخصائص وأقوى الأسباب في التأثير، ذلك أنه يستطيع إدراكها أكثر الناس بغض النظر عن لسانهم ولغتهم فهذه الخاصية شيء فوق معانيه، إذ من طبيعة الإنسان طربه للنغم وتأثره بالكلام الموزون، بل ربما يوحى إليه النغم والإيقاع بما لا يستطيع القول أن يفسره أو يشرحه، يشترك في هذا التوازن كل حرف من كتاب الله، بل كل حكم من أحكام التجويد، حتى رسم الكلمة يوحى بظلال على هذا الاتزان والانسجام، والفواصل أبرز هذه الجوانب (71)

شاع استخدام مصطلح الموسيقى عند الأدباء والشعراء، ويعنون به لغة العواطف والوجدان (72)، إذ هي تؤثر في العواطف لما في نفحاتها وإيقاعها من جمال، وما ينشأ عنها من أثر في النفوس، ويرجع استخدام الأدباء لهذه اللفظة لما بين الأدب والموسيقى من قدر مشترك، فالموسيقى "تستعمل أصواتًا لا معنى لها كمادة أولية، والأدب يستعمل أصواتًا مليئة بالمعاني هي الألفاظ" (73)

وهكذا نلاحظ أن هذه الموسيقى تتماشى جنبًا إلى جنب مع الجوانب النفسية "قمادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وهذا الانفعال بطبيعته هو السبب في تنوع الصوت بما يخرج فيه، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها وما تحدثه العبارة من جرس في الاستماع لم يلبث أن يتعمق بالوجدان ويمتزج بالمشاعر والأحاسيس، فيستجيب العقل والوجدان لداعيتها، ثم لم يلبث أن تصحبها مواقف متأثرة بها منفصلة لها، والقرآن يخاطب البشرية، ولكي يصل إلى هذه النفوس المختلفة في ميولها وامزجتها فقد اعتمد على عنصر الصوت، الذي هو يظهر الانفعال النفسي" (74)

ألفاظ القرآن الكريم بترابطها وتناغمها وانسجامها كفيلة بأن تنقل القارئ إلى الجو النفسي الذي قيلت فيه تلك الألفاظ على الرغم من تباعد الزمان واختلاف الظروف والأحوال، ولا يشعر القارئ بفجوة نفسية بل أنه يشعر بأنه يعيش تلك الأجواء بالعواطف والانفعالات التي عاشتها، هذا إلى جانب الانسجام الصوتي الذي ينبعث من الألفاظ وأثره النفسي فعليًا حيث نجده يبعث السرور والارتياح والاعجاب تارة، ونجده يثير أحيانًا أخرى أنغامًا مختلفة، فالقرآن نسمعه متلوا ونشعر أنه وحدة موسيقية متوازنة تطرب لها الأذان وترتاح لها النفوس والذي سمع القرآن "إنما سمع مقطعًا من الموسيقى اللغوية في انسجامه وإطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعًا مقطعًا ونبرة نبرة"

66 - سورة الجاثية، الآية 2

67 - سورة الواقعة، الآية 79

68 - سورة الإسراء، الآية 44

69 - سورة الشعراء، الآية 196

70 - سورة ق، الآية 16

71 - التعبير القرآني والدلالة النفسية، مصدر سابق، ص 131، 132

72 - الأصول الفنية للشعر الجاهلي - دكتور. سعد إسماعيل شلبي - مكتبة غريب، ط 1982، ص 23

73 - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبدالفتاح (عمان: دار الفرقان، ط 1، 1403 هـ 1983 م).....

74 - تاريخ آداب العرب، الراعي، 222/2

إن القرآن جعل من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية، وادار المعاني على سنن ووجوه تجعل الألفاظ كأنها مذهب هذه المعاني في النفس" (75)

"إن للقرآن فوق البلاغة والعذوبة والحكمة والبيان روحانية يدركها من له حظ في فهم الكلام وتقدير الحكمة وإدراك البلاغة، الا ترى إلى الطفل والعامي كيف يعتريهما تهيب عند تلاوته بصوت حسن ، حتى أنهما ليكادان يفرقان بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن، فيما لو أراد التالي أن يخشعهما، روحانية تظهر للعارف باللغة وللجاهل بها" (76)

"ويمكن أن يقال إن في القرآن طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان، فهو يهز وجدانه، ويرهق احساسه ومشاعره، ويصقل روحه ويوقظ إدراكه وتفكيره، وهذه الخاصية هي التي جعلت العرب يخشون سماعه لضعفهم وقوته" (77)

إن هذا القرآن له سلطات على الفطرة الإنسانية وسره الخاص في التأثير فيها بمجرد تلاوته أو حتى بمجرد سماعه، ما من تال للقرآن إلا وهو يشعر أن شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، فهو "سر مودع في كل نص قرآني يشعر به من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداءً، ثم تأتي وراء الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله" (78)

المطلب الثالث: مساقرة القرآن للنفس البشرية:

(الرَّ كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (79)

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (80)

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) (81)

"هذا المزج بين كلام رب العالمين وكلام العباد يبقي الإنسان موصولاً مشدوداً إليه يشعره بأنه خطاب له بعينه، لا حديثاً لا قدام له، بل هو المعنى بألفاظه، وكيف لا يتأثر المرء وهو يسمع قوله عز وجل يستثير فيه عاطفة إيمانه، ويقف على حقيقته، فهي صفة غالبية على آيات القرآن تلمس الوجدان ولعل ما يزيد المرء من الاقبال على كلام رب العالمين، تلك النزعة الإنسانية التي يلمسها القارئ في آياته حيث لا يشعر القارئ لكتاب الله أو المستمع لآياته أنه بعيد عنه" (82)

"فالذي يقرأ القرآن يلحظ تدرج القرآن وانسجامة مع فطرة الإنسان ، يلمس مساقرة القرآن لشؤون النفس الإنسانية، ويدرك أنه يتغلغل في شعابها وجوانبها مما لم يعتد إليه العلم إلا حديثاً، فتجد أن ما يقدمه القرآن من حلول لمشاكل النفس الإنسانية، تتجاوب إليه النفوس، وتستريح له الأفئدة، وتطمئن له القلوب، إن من أسرار القرآن الكريم أن يمسك بأحوال النفس الإنسانية كلها، ويجيء إليها بما يناسب كل حال منها في مواجهة للأحداث وفي تصوره لها وإحساسه بها" (83)

"والقرآن في كل ما يصدر فيه من أوامر وتواه وعقيدة وأخلاق وتشريع وعظات إنما يقدم من ذلك كله ثوباً قد فصل على قدر الحقيقة الإنسانية كلها أينما وجدت ، وكيفما تنوعت" (84)

75 - إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، مؤسسة هنداوي ، ط1 2022 ص 262

76 - المصدر السابق ، ص 262

77 - دائرة معارف القرن العشرين ، 679 / 72

78 - ظلال القرآن ، سيد قطب، 3399/6

79 - سورة إبراهيم ، الآية : 1

80 - سورة الفاتحة ، الآية : 5

81 - سورة الحديد ، الآية : 16

82 - المصدر السابق ، ص 132

83 - إعجاز القرآن ، عبدالكريم الخطيب، بيروت : دار الفكر العربي، ط1، 1964م ، 294/2

84 - من روائع القرآن، البوطي، ص 216

وهو في خطابه وتشريعاته يراعي ميول النفس الإنسانية ، ويساير طبيعتها، ويتدرج في علاجها، وهذه سمة غالبية في التشريعات التي تم التدرج فيها، كتحريم الخمر في جانب النواهي، أو تشريع الجهاد في جانب الأوامر، ولعل المثال يفي بالمقال في هذا المقام:

إننا لو تأملنا الآيات الأمره بالقتال سوف نلمس تلك المسيرة القرآنية لطبيعة النفس الإنسانية بشكل واضح جداً، فإله - عز وجل - يقول في محكم تنزيله: (85)

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (86)

فقد أحتاجت الطبيعة الإنسانية في هذا المقام إلى عدة أمور:

بيان أن القتال فريضة مكتوبة

بيان أن القتال أمر تكرهه النفس البشرية، وهذا الاعتراف فيه فائدة تمهيدية للنفس من هذه الكراهية، فالنفس تانس بالحديث الذي فيه اعتراف بالحقيقة بأن القتال كان شاقاً على النفس، وبهذا تكون طريقة تربوية قائمة على الصراحة وعدم الهروب من مواجهة الواقع. (87)

بيان أنه ليس كل ما تكرهه النفس شراً دائماً، ولا ما تحبه النفس خيراً دائماً، وهذه حقيقة تلمسها النفس بالتجربة، وهذا يشير إلى أن الآيات تتدرج مع النفس الإنسانية واقفة على حقائقها ولا يخفى أن القرآن بعد هذا لا ينسى في تسريعاته للجهاد بيان ما تميل إليه النفس وتحبه وهو: النصر والفوز على الأعداء، ويكون فيها شفاء للخليل. (88)

(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) (89)

يذكر هنا أن ميادين علم النفس تشير إلى وجود علاقة بين الشعور بالانتصار والسلوك الشخصي لدى الأفراد (كالغبطة والفرح والسرور) وهذا يطلق عليه (شفاء النفوس) والنفس بطبيعتها ميالة إلى الحصول على منافع مادية ملموسة، ولهذا الآيات تساير النفس الإنسانية في هذا الجانب، وتشعر لها بالأخذ من الغنائم، وتبيح لهم التصرف فيه.

(وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)

(وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) (90)

(فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (91)

هذا كله يجعل نفس القارئ تطمئن إلى دقة قائله، وتستجيب لأوامره وتتأثر به، وتدرك أن هذا كلام رب العالمين، وبهذا ندرك أن هذا الجانب هو أحد مظاهر التأثير بالقرآن الكريم، ويمكننا أن نردد مع القائلين بأنه " ما من امرئ سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم يزعم بعدها أنه لم يتأثر به، أما سر ذلك فهو كامن في أنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض له القرآن بالهداية وسداد التوجيه" (92)

85 - التعبير القرآني.... ص 133

86 - سورة البقرة ، الآية 216

87 - مسامرة القرآن للطبيعة الإنسانية ، عبد الكريم الخطيب ، القاهرة ، مجلة الأزهر ، ص 1338هـ - 1958م ص 599

88 - التعبير القرآني ، ص 134

89 - سورة التوبة ، الآية 14

90 - العدة النفسية والمادية في شعر الحروب الجاهلية (دار المعارف: القاهرة، ط2 ، 1989م ، ص 111

91 - الأنفال : الآية 41 ، الأنفال ، الآية 69

92 - نظرات في القرآن ، الغزالي ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ط15

المطلب الرابع : مخاطبة العقل وأمتاع العاطفة والوجدان:

القرآن يخاطب العقل بمنطق قوي وحجة ظاهرة ودليل قاطع، وتراه في الوقت نفسه يخاطب الشعور والوجدان خطابياً يستدر به العطف ويوقظ الإحساس، فلا تجده يغذي جانباً ويمهمل جانباً.

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (93)

نجد أن القرآن الكريم خاطب القوتين معاً، إذ في النفس البشرية قوتان كما هو معروف - قوة تفكير وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها، ومع ذلك نجد أن القرآن يجمع بين هاتين القوتين " كما يحمل الغصن الواحد من الشجرة أوراق وأزهاراً وأثماراً معاً وكما يسري الروح في الجسد، والماء في العود الأخضر...." (94)

والحقيقة هذه لا ينقصها دليل أو برهان فالقارئ لكتاب الله يلمسها في أسلوب القرآن، إذ هي سمة بارزة فيه، تارة تخاطب العقل وتسوق له الأدلة والبراهيم، وتارة تلهب المشاعر وتخاطب الوجدان فيشعر المرء بأنه أمام كلام يصل إلى شفاف قلبه ويلامس حاجته، فيترك ذلك فيه أثراً لا يفارقه مادام يتلو آيات الله "

ولعل هذا التوازن بين تقوية القوتين سابقتي الذكر هو السبب في ذلك الأثر الذي يحدثه في نفس القارئ" (95)

ولا يغيب عن الذهن أن القرآن لا يتجه إلى إثارة العواطف والمشاعر لذات الإثارة، بل لما وراءها من يقظة وإنباه ونظر في جوانب النفس الإنسانية، يستتبع ذلك صحوة العقل الخامد الكسول، فتلهب شرارة الفكر، وترقد جذوة الحماس العقلي، ويجد الإنسان نفسه في تيه من القلق والشك يملك عليه ولا يلبث أن يزداد هذا الشعور بالضيق حينما يجد أن هذا الإحساس قد أطبق أنفاس الجماعة من حوله، وسد عليهم كل طريق وبدأ بعضهم يراود داخله، ويستغري في تفكيره حتى يهتدي إلى الله.

فالقرآن يثير عواطف البشر، ويوقظ عقولهم في وقت واحد، وبعد الاقتناع يطمئن العقل ويهدأ الإحساس، ويشعر الإنسان بنشوة الفرح والإرتياح. (96)

وبهذا يمكننا أن ندرك أن القرآن له تأثيره في نفوس مستمعيه يستولي في ذلك مؤمنهم وكافرهم، ومعاندهم، لكن مصدر التأثير هذا يختلف فيما بينهم.

فعلى حين نجد تأثيره في المؤمنين تأثير بروعة بلاغته، ودهشة نظمه وأسلوبه، وفي الكفار والمشركين يملك منهم الأفتدة، ويستولى على القلوب، وفي المعاندين المستكبرين من الحق دهشتهم وحيرتهم حتى يصفوه بالسحر المبين، فهو مؤثر فيهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون. (97)

المطلب الخامس: محاربته الملل وخروجه من إلف النفس:

حين تقبل على كتاب الله، وتتلو بعضاً من آياته، نجد أن شيئاً ما يجذبنا إليه، على الرغم من أننا قد نقرأ الآيات نفسها مرات ومرات، إلا أننا نجد جديداً في كل مرة نقرأها، فعلى الرغم من أن طبيعة النفس الإنسانية إذا ألفت الشيء خفي عليها أسرارها، وصرفها هذا الإلف عن التفكير فيه ثم اكتشاف مافيه، إذ النفس مجبولة على هذا، إلا أن شأن النفس مع القرآن غير هذا، فهي إن اقبلت عليه تلاوة أو إنصاتاً نجد أن شيئاً ما يجذبها إلى سماعه، فالطبيعة القرآنية لا تلبث أن تقهر برودة الإلف، وطول المعرفة، فإذا هو كتاب تتعري أمامه النفوس وتتسلخ من تكلفها وتصنعها، ونجد القرآن كما قهر

93 - سورة يونس ، الآيتان (31-32)

94 - النبا العظيم ، محمد عبدالله ، تح : الدخايني، ص 145

95 - من بلاغة القرآن، بدوي أحمد محمد، الفجالة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ت: 1978م ، ص 42

96 - من بلاغة القرآن، أحمد بدوي ، ص 42

97 - التعبير القرآني ، ص 136

نوازع الجدل في الإنسان وسكن حاجته فقد تقلب على مشاعر الملل فيه، وأمدته بنشاط لا ينفذ والقرآن في حديثه للنفس الإنسانية حارب هذا الملل (الركود العاطفي) فأسلوب القرآن أن يجعل القارئ في يقظه كاملة، وهذا الأمر بلاشك يمكن وراءه أحد أسرار تأثيره في نفوس الناس، إذ ليس لتالي القرآن بعده إلا التسليم بأنه تنزيل من حكيم حميد، ولعل في إشارة القرآن المتكرر إلى مسألة التصديق ما يفيد هذه الفائدة⁽⁹⁸⁾

قال تعالى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)⁽⁹⁹⁾
وقال تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)⁽¹⁰⁰⁾
القرآن لم يفرط في شيء :

(الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)⁽¹⁰¹⁾

نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتضمن بصفة عامة التوحيد وهو جوهر العقيدة حيث لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والعنصر الثاني التشريعات التي تتضمن أوامر الله للإنسان وفيها الحلال والحرام ودستور ينظم سلوكيات البشر وتعاملهم مع بعضهم البعض وأداء العبادات المفروضة، أما العنصر الثالث فهو القصص والأمثلة التي يقوم من خلالها القرآن الكريم العظة والعبرة والهداية من خلال سرد القصص القرآني، وهذا الكتاب بما يتضمنه من عناصر لم يفرط في شيء بل قدم دستوراً واضحاً للمسلم وهداية له في تنظيم شؤونه في الدنيا والآخرة.⁽¹⁰²⁾

وقد تضمنت آيات القرآن الكريم دعوة إلى العلاقات الإنسانية السرية والأخلاق الفاضلة:

- الأُخْلَاصُ : (لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)⁽¹⁰³⁾
- التسامح والعفو : (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُنْقِبِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)⁽¹⁰⁴⁾
- الإحسان : (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)⁽¹⁰⁵⁾
- الأمانة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)⁽¹⁰⁶⁾
- الصدق: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)⁽¹⁰⁷⁾
- الصبر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁽¹⁰⁸⁾
- التواضع : (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)⁽¹⁰⁹⁾

98 - التعبير القرآني ، ص 137

99 - سورة الإسراء ، الآية 89

100 - سورة الكهف ، الآية 54

101 - سورة الرعد - آية 28

102 - الإشارات النفسية في القرآن الكريم، دكتور لطفي الشربيني، دار النهضة العربية (بيروت - لبنان) ص : 36

103 - سورة يونس - آية 26

104 - سورة آل عمران - الآيات 133-136

105 - سورة القصص - آية 77

106 - سورة النساء - آية 58

107 - سورة الزمر - آية 33

108 - سورة آل عمران - آية 200

109 - سورة لقمان - آية 18

- العفة : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (110)
- اليسر : (وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (111)
- الاعتدال : (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (112)
- العدل : (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (113)
- التعاون على البر والتقوى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (114)
- الوفاء بالعهد : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (115)
- البر بذوي القربى والمساكين : (وَأَتَى آلَآلَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ) (116)
- الإخاء : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (117)
- الإنصاف : (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) (118)
- الذوق والسلوك المهدب : (وَإِذَا حُيِّنْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) (119)

ومن التوجيهات القرآنية ما ورد في صفات عباد الرحمن :

((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76)). (120)

كما جاء القرآن بتعليمات واضحة فيها تحريم قاطع للسلوكيات السلبية :

((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (*) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكِيلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (*) (121)

- 110 - سورة النور - آية 30
- 111 - سورة المؤمنون - آية 62
- 112 - سورة البقرة - آية 286
- 113 - سورة الأنعام - آية 152
- 114 - سورة المائدة - آية 2
- 115 - سورة الإسراء - آية 34
- 116 - سورة البقرة - آية 177
- 117 - سورة الحجرات - آية 10
- 118 - سورة الأعراف - آية 185
- 119 - سورة النساء - آية 86
- 120 - سورة الفرقان - آية 63-76
- 121 - سورة الأنعام - آية 151-152

مميزات تربية الإسلامية للضمائر الأخلاقية:

ذكر دكتور عبدالرحمن العيسوي في كتابه ⁽¹²²⁾ الإعجاز التربوي والنفسي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ذكر أن تربية الإسلام الحنيف لأبنائه تميزت بعدة مزايا مقارنة بسائر أنماط التربية الحديثة:

- 1- أنها تربية شمولية تكاملية تعنى بجسم الإنسان وعقله ونفسه ووجدانه وضميره وروحه، ويشمل ذلك تربيته على حب العمل والإنتاج والبذل والعطاء، والتمتع بالحياة الروحية الإيمانية.
- 2- أنها تربية مستمرة ومتواصلة تواكب الفرد من المهد إلى اللحد.
- 3- أنها تربية، وإن كانت شمولية، إلا أنها تركز جل اهتمامها على الجانب الروحي والإيماني والعقائدي، والأخلاقي، بحيث تسمو بالإنسان المسلم فوق غرائزه وشهوته ودوافعه، وتبعد صاحبها عن النزعات المادية البغيضة والدوافع الشهوانية والعذوانية.
- 4- أنها تربية واقعية تراعي ظروف العصر ومتغيراته وإمكاناته، وتأخذ بالأسباب وتستفيد من حضارة العصر ومكتشفاته في العلم والطب، ما لم يتعارض ذلك مع أصول العقيدة الإسلامية ومبادئها الراسخة.
- 5- أنها تربي الفرد على حسن الجوار، والأخذ والعطاء وقبول الآخر والتعايش السلمي معه بل والتعاون مع أصحاب الحضارات الأخرى والتفاعل والتلاقح معها، وليس الصدام معها.

وتاريخ الإسلام حافل بالشواهد على حسن معاملة المسلمين لغيرهم سواء أكانوا من الرهبان أو اليهود أو النصارى. والإسلام حقيقة، عقيدة وسلوكاً، بكل ما فيه إنما يسهم في خير الإنسان وسعادته وتكيفه، وفي صقل شخصيته، وتكوينها على الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، بحيث تكون شخصيته متكاملة ناضجة فاعلة متعاونة حريضة على حفظ كلمة الله، وعلى أن تكون هي الكلمة العليا تحت كل الظروف فالإسلام كله خير محض، وكل شعيرة فيه صغيرة أم كبيرة إنما تسهم في بناء شخصيته المسلم بما في ذلك ضميره الحي.

ومن تلك العبادات والتكاليف والمعاملات التي تنمي ضمير الإنسان ما يلي: ⁽¹²³⁾

- (1) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.
- (2) الممارسات العملية للصوم والصلاة والزكاة والحج.
- (3) تلاوة القرآن الكريم، وتدبر معانيه السامية.
- (4) قراءة السنة المحمدية المطهرة والعمل بهديها الرشيد.
- (5) غرس المبادئ الإنسانية النبيلة في حس المسلم ووجدانه ومن ذلك قيم:

- الحق .
- العدل .
- المساواة .
- تكافؤ الفرص .
- الشورى .
- حسن الجوار .
- البر والإحسان .

¹²² - الإعجاز التربوي والنفسي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، دكتور عبدالرحمن العيسوي، استاذ علم النفس - جامعة الإسكندرية ، ط:1 ، 1428-2007م ، دار النهضة العربية (بيروت- لبنان).

¹²³ - تلخيص : الإعجاز التربوي والنفسي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، مصدر سابق، ص (17-18-19)

- الأمانة والصدق.
 - العفة والشرف.
 - الرحمة والشفقة.
 - إغاثة الملهوف وإجارة المستجير.
 - التكافل والتضامن والتساند.
 - الإخاء والأخوة في الإسلام.
 - احترام الكبير وعطف الكبير على الصغير.
 - الجهاد في سبيل الله والوطن والأرض والعرض.
 - العمل والكفاح والنضال وطلب الرزق الحلال والأكل من كد اليد.
 - الأكل من الطيبات من الرزق ونبذ الرجس والخبث.
 - المحافظة على البيئة وسلامتها من التلوث والتدمير.
 - القوة، فالمؤمن القوي خير وأجب إلى الله من المؤمن الضعيف.
 - الطاعة والإلتزام واحترام الشرع والقانون وولي الأمر إن كان عادلاً.
- وفي نفس الوقت يحرص الإسلام على حماية أبنائه من العادات والسمات السلبية أو السمات الذميمة ومن ذلك : (124)

- (1) الكذب.
- (2) السرقة.
- (3) القتل وسفك الدماء.
- (4) الزنا والفاحشة.
- (5) قول الزور.
- (6) الرياء والنفاق.
- (7) العنف.
- (8) الكبر والتعالي.
- (9) أكل الحرام.
- (10) أكل مال اليتيم.
- (11) السلبية واللامبالاة.
- (12) الكسل والخمول والتراخي والإهمال.
- (13) التواكل على الغير.
- (14) الطمع والجشع.
- (15) الحسد والغيرة والحق.
- (16) الغيبة والنميمة.
- (17) السب والقذف والإهانة والتشهير.
- (18) العدوان.
- (19) الخشونة.

¹²⁴ - تلخيص : الإعجاز التربوي والنفسى ، مصدر سابق ص (19-20-21)

(20) الإيذاء .

يمكن النظر لمناهج الإسلام أو أساليبه في بناء شخصية أبنائه ولاسيما ضمائرهم على أنها تشمل التكامل بين النظر والتطبيق.

فالجوانب النظرية تتمثل في الإرشاد والوعظ والدعوة والتوعية بالإسلام وقيمه.

والواقعية تتمثل في الممارسات العلمية الفعلية كالصلاة والصوم والزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً وكفالة اليتامى والعجزة والشيوخ والمرضى وما إلى ذلك.

أسلوب الإسلام في التنشئة الاجتماعية: (125)

وفقاً لنظرية التعلم الاجتماعي ، حيث يقلد الطفل ما يراه من نماذج سلوكية جيدة يقتدي بها سواء من الآباء والامهات أو الكبار عامة، ومن رجال الدعوة والإرشاد ومن اعلام الفكر الإسلامي، حيث يميل الطفل ميلاً طبيعياً إلى تقليد ما يلاحظه أو ما يشاهده من سلوك، وهنا تكمن أهمية توفر القدوة الإسلامية الصالحة.

ويعتمد الإسلام في تربية ضمائر أبنائه على المنهج الفردي والجماعي أيضاً:

(1) الفردي يتمثل في جهود الفرد الذاتية في التعلم والاكتساب والفهم والقراءة والإطلاع والبحث والتنقيب في طيات

الفكر الإسلامي وفي توجيه بعض الدعاة لأفراد بذاتهم يعانون من مشكلات فكرية.

(2) تربية جماعية تتولى جماعات من الشباب المسلم كدروس المساجد أو المؤسسات الدينية والخيرية وبرامج

الإذاعة والتلفاز التي توجه إلى جماعات من المسلمين دفعة واحدة وحتى لغير المسلمين.

لقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تعرضت لطبيعة تكوين الإنسان ووصفت أحوال النفس المختلفة، وبينت

أسباب انحرافها ومرضها، وطرق تقويمها وتربيتها وعلاجها، وذلك أمر طبيعي في كتاب أنزله الله تعالى لهداية

الإنسان وتوجيهه وتربيته وتعليمه، وكانت هذه الآيات الواردة في القرآن الكريم عن النفس بمثابة المعالم التي يسترشد

بها الإنسان في فهم نفسه وخصالها المختلفة، وفي توجيهه إلى الطريق السليم في تهذيبها وتربيتها. (126)

نتائج الورقة البحثية :

نجح القرآن الكريم في علاج نواحي الضعف في شخصيات المسلمين، وفي غرس الخصال الحميدة في نفوسهم مما ساعد

على تكوين شخصياتهم تكويناً متزناً متكاملًا، وكان له أكبر الأثر في إحداث تغييرات بالغة الأهمية في جميع نواحي

الحياة في المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية، وفي المجتمع الإسلامي في العالم بأسره مستعيناً بعدة أساليب. (127)

أولاً: بث الإيمان بعقيدة التوحيد في نفوسهم، وغرس بذور التقوى في قلوبهم، بكل ما يؤدي إليه ذلك من نتائج بالغة

الأهمية في تقويم شخصياتهم وسلوكهم.

ثانياً: فرض العبادات المختلفة التي ساعدت على تخليهم عن كثير من عاداتهم السيئة السابقة، وتحليهم بكثير من العادات

والخصال الحميدة التي ساعدت على تكوين شخصياتهم تكويناً سويًا متزناً متكاملًا.

ثالثاً: حثهم على تعلم الصبر، وهي خصلة تساعد على تحمل مشاق الحياة بنفس راضية وتقلل من احتمالات التوتر

والضيق والشعور بالهم والقلق.

رابعاً: حثهم على المواظبة على ذكر الله مما يشعر الإنسان بأنه قريب من الله تعالى، وفي حمايته ورعايته، فيغمره

الشعور بالأمن والطمأنينة.

125 - تلخيص : الإعجاز التربوي والنفس في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، مصادر سابق ص (22-23)

126 - القرآن وعلم النفس، دكتور محمد عثمان بخاتي ، دار الشروق، مدينة نصر - القاهرة - مصر ، ط1 1982م ، ص : 22

127 - نقل بتصرف ، القرآن وعلم النفس، دكتور محمد عثمان بناتي ، ص (264) ، (265).

خامساً: حثهم على الاستغفار والتوبة مما يساعد على التخلص من القلق الناشيء عن الشعور بالذنب.

سادساً: استخدام مجموعة من الأساليب الفعالة في تعديل السلوك مثل أسلوب التدرج الذي استخدماه القرآن في علاج تعاطي الخمر والربا، وأسلوب إثارة الواقع بالترغيب والترهيب، وبالقصص، وبالاستعانة بالأحداث الجارية وأسلوب المشاركة الفعالة، وأسلوب توزيع التعلم بكل هذه الأساليب القرآن الكريم أن يعالج نفوس العرب وأن يحدث أثراً كبيراً في المجتمع الإسلامي وفي العالم قاطبة.

المصادر والمراجع

- (1) القرآن الكريم.
- (2) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، ج:4 تح : عبدالجليل عبده الشلبي، علم الكتب، ط1، بيروت 1966م.
- (3) عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل1، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الكشاف ج: 4 دار الكتاب العربي، ط: 3، بيروت 1407هـ.
- (4) محاسن التأويل ، القاسمي محمد جمال الدين بن محمد السعيد بن قاسم الحلاق، تح : محمد باسل، (عيون السود- دار الكتب العلمية) ط: 1، ج: 8، بيروت 1918م.
- (5) في ظلال القرآن، دكتور سيد قطب، ج7
- (6) الوجيز في تفسير الكتاب الفريد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري تح: صفوان عدنان- دار القلم، الدار الشامية- دمشق.
- (7) تفسير السمرقندي ، بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، ج3
- (8) تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ط2 1408هـ - 1978م ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج: 8
- (9) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن محمد العسقلاني الشافعي، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ، 1978م.
- (10) معارج القدس في مدراج معرف النفس، الإمام أبي حامد الغزالي ، ط2، بيروت : دار الآفاق الجديدة 1975.
- (11) معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن ابن فارس بن زكريا، تح : شهاب الدين أبوعمر ط1، ج:5
- (12) لسان العرب، ابن منظور، مادة النفس، ج2، ط1، بيروت : دار الصادر .
- (13) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج7
- (14) البصائر دون تحيز، الفيروز الآبادي، ج5
- (15) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ط1
- (16) تاج العروس، الزبيدي محمد مرتضى، مادة النفس، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، ط: 2
- (17) خواطر الإنسان بين مناظري علم النفس والقرآن، وليد عبدالله زريق - الناشر دار الكتاب العربي.
- (18) أصول علم الحديث، د. فرج عبدالقادر طه.
- (19) في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، قاسم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط: 2، سنة : 1954م.
- (20) نظرية النفس بين أرسطو وابن سينا، دكتور حامد إبراهيم، مجلة دمشق ، المجلد : 2، سنة 2003م.

- (21) القرآن وعلم النفس، دكتور محمد عثمان نجاتي، دار الشروق ، ط11، 2011م .
 - (22) فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ط3، القاهرة : مكتبة وهبة 1974م.
 - (23) الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، د. نزار العاتي، ط1 (1418هـ - 1998م) دار الفرقان - عمان.
 - (24) الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت ، دار الشروق، ط4- 1998م.
 - (25) البناء النفسي للشخصية الإسلامية في القرآن الكريم، دكتور إسماعيل رديف يوسف، ودكتور عثمان فوزي علي، دار أمجد للنشر والتوزيع- عمان، ط1، 2020م.
 - (26) التعريفات، الجرجاني علي بن محمد بن علي، تح : إبراهيم الأنصاري، مصر، مطبعة الريان للتراث 1938م
- ج1
- (27) قاموس مجمع اللغة العربية، القاهرة 1932م ، تج: تراث العربي، دار الإسلام 2014 جمال الدين بن مكرم.
 - (28) تربيتنا الروحية، سعيد حوي، ط2، مكتبة وهبة، 1979م.
 - (29) في النفس والمجتمع، محمد قطب، ط2، القاهرة، مكتبة وهبة 1962م.
 - (30) التعبير القرآني والدلالة النفسية، دكتور عبدالله محمد الجبوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط2، 1435- 2014م.
 - (31) خصائص القرآن الكريم، الرومي فهد بن عبدالرحمن بن سليمان ، (المديرية العامة للمطبوعات - الرياض، ط5- 1410هـ.
 - (32) من روائع القرآن، البوطي محمد سعيد رمضان، دمشق - مكتبة الفارابي ط 1968م.
 - (33) الفوائد ، ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2 1393هـ - 1973م.
 - (34) أحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي، ج1
 - (35) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبدالفتاح - عمان: دار الفرقان، ط1 1403هـ - 1983م)
 - (36) الصورة الأدبية في القرآن الكريم - دكتور صلاح الدين عبدالنواب (القاهرة : دار نوبار للطباعة، ط1، 1995م).
 - (37) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي، ج2، مكتبة الإيمان 1997م - ط1
 - (38) إعجاز القرآن ، مصطفى صادق الرافعي، مؤسسة هنداي ، ط 2022.
 - (39) إعجاز القرآن، عبدالكريم الخطيب، بيروت: دار الفكر العربي، ط1، 1964م.
 - (40) مسامرة القرآن للطبيعة الإنسانية، عبدالكريم ، القاهرة - مجلة الازهر 1338هـ - 1958م.
 - (41) العدة النفسية والمادية في شعر الحروب الجاهلية - عبدالرحيم محمود متولي - دار المعارف- القاهرة، ط2، 1989م.
 - (42) نظرات في القرآن، الإمام الغزالي (القاهرة: دار الكتب الحديثة ط5
 - (43) النبأ العظيم، محمد عبدالله، تح : الدخانيني.
 - (44) من بلاغة القرآن، بدوي أحمد محمد (الفجالة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر 1978م).
 - (45) الإشارات النفسية في القرآن الكريم، دكتور لطفي الشربيني، دار النهضة (بيروت- لبنان).
 - (46) الإعجاز التربوي والنفسي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، دار النهضة العربية (بيروت- لبنان) دكتور/ عبدالرحمن العيسوي ط1، 1428هـ - 2007م.

عنوان البحث

شعرية الغلو في الخطاب الشعري الأندلسي
(لسان الدين ابن الخطيب أنموذجاً)

د. يوسف الرايس¹

¹ الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين جهة طنجة-تطوان-الحسيمة، المملكة المغربية.

البريد الإلكتروني: raissyoussef2017@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/15>

تاريخ القبول: 2024/03/22م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

يدور مدار هذه الدراسة النقدية التحليلية التطبيقية حول شعرية الغلو في الخطاب الشعري الأندلسي، بكونها انزياحاً عن المؤلف، وتكسيرا لأفق توقع المتلقي وانتظاره. وكانت المدائح السلطانية عند لسان الدين ابن الخطيب البؤرة المركزية والقيمة الرئيسة للمدونة الشعرية التي انتقيناها أنموذجاً للدراسة والتحليل في هذه الدراسة. فقد استهلها الباحث بمهاد نظري تناول فيه دراسة إشكالية المفهوم والمصطلح، حيث حاول، في إلماعة، الوقوف على الجانب اللغوي والإشكال الاصطلاحي للغلو. ثم مقارنة العتبة العنوانية للدراسة؛ وتحديدًا، مفهوم (شعرية الغلو). قبل أن يتطرق في ختام هذا المهاد إلى بواعث الغلو عند شاعرنا الأندلسي، الذي عاش في عين العاصفة، مما أثر، بشكل أو بآخر، على إنتاجه الأدبي، سواء الشعري، وهو مناط هذا البحث ومادته، أو النثري كرسائله السلطانية... وهذه البواعث تتوزع بين بواعث ذاتية نفسية، وأخرى موضوعية راجعة إلى البيئة الحضارية والاجتماعية والثقافية. وبعد هذا المهاد النظري، عرج الباحث في الجانب التطبيقي من هذه الدراسة النقدية، على مقارنة تحليلية لشذرات من تمثلات الغلو في المدونة الشعرية الخطيبية التي انتقاها أنموذجاً للدراسة والتحليل لضوابط منهجية موضوعية، وهي المديح السلطانية، والكشف عن أسرارها الشعرية وآثاره الجمالية التي تثير، لدى المتلقي، الانفعال المطلوب والانبهار المرغوب. في الأخير، أنهى الباحث دراسته المتواضعة هذه بخاتمة عرض فيها أهم النتائج والخلاصات المتوصل إليها. ثم دليها بقائمة للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الغلو - المدائح - السلطانية - ابن الخطيب - الأندلس.

RESEARCH TITLE

The Poetics of Exaggeration in Andalusian Poetic Discourse (Lisan al-Din Ibn al-Khatib as an example)

Dr. Youssef Raiss¹

¹ Regional Academy of Education and Training, Tangier-Tetouan-Hoceima Region, Kingdom of Morocco.

Email: raissyoussef2017@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/15>

Published at 01/04/2024

Accepted at 22/03/2024

Abstract

This critical, analytical and applied study revolves around the poetics of exaggeration in Andalusian poetic discourse, as a departure from the familiar and a breakdown of the horizon of the recipient's expectation and anticipation. The Sultaniya praises of San al-Din Ibn al-Khatib were the central focus and the main theme of the poetic blog that we have chosen as a model for study and analysis in this study.

The researcher began the study with a theoretical approach to the issue of concept and terminology, in which he tried to identify the linguistic aspect and the terminological issue of Ghulu. Then, the researcher approached the threshold of the study's title, specifically the concept of the "Poetics of Ghulu". In the end, he addresses the motives of the Andalusian poet, who lived in the eye of the storm, which influenced, in one way or another, his literary production, whether poetry, which is the focus of this research, or prose, such as his Sultaniya letters... These motives are distributed between subjective psychological motives and objective ones due to the civilised, social and cultural environment.

After this theoretical prelude, the researcher tackled an analytical approach to fragments of representations of hyperbole in the Khatibi poetic code, which he selected as a model for study and analysis according to objective methodological controls, namely the sultanic praise, to reveal its poetic secrets and aesthetic effects that evoke the desired emotion and fascination in the recipient.

Finally, the researcher ended his modest study with a conclusion in which he presented the most important findings and conclusions. It is followed by a list of sources and references.

Key Words: Al-Ghulu, Al-Madhahiya, Al-Sultaniya, Ibn Al-Khatib, Al-Andalus.

*مقدمة:

وكان الشعر الأندلسي ولا يزال من بين أروع ما أنتجته المخيلة الإبداعية العربية، فتسوّع عبّقه الفوّاح، وأريجُه العطرُ في رياض الإبداع العربيّ المتقلب أطواره صعوداً وهبوطاً، ومداً وجزراً، وتوهّجاً وخُفوتاً. وحارت في تقييمه الموضوعي والفنيّ الذائقة الأدبية والمدونة النقدية والبلاغية.

ويبقى من بين أبرز ملامح الحضارة الأندلسية اللامعة، وتجليّاتها الساطعة التي أنارت دروب الإنسانية، وأثّرت الحضارة العربية الإسلامية فكراً وعلماً وإبداعاً.

كان الشعر الأندلسي ولا يزال -علاوة على قيمته الفنية والجمالية- وثيقة تاريخية مهمة تؤرّخ لمجد إسلامي غابر، تكالبت عليه لعنة الجغرافيا ومكر التاريخ، فعصّه الدهر بنابه، ولَبّ ظهر المِجنّ له، فتساقط كأوراق الخريف.

وكان لسان الدين ابن الخطيب أحد أعمدة الفكر والأدب الأندلسيين، وخاتمة عقد العبقرية الأندلسية، وعصارة نبوغها، وزبدة القرن الثامن الهجري ونخبته، فكان نموذجاً فريداً، قلماً يوجد بمثله زمان. وهذا ما حفّز الباحث أكثر في الغوص عن مكوناته الشعرية، والتتقيب عن درره ولآله الإبداعية.

وجاءت شعرية الغلو في المدائح السلطانية عند لسان الدين ابن الخطيب البؤرة المركزية والقيمة الرئيسة للمدونة الشعرية التي انتقاها الباحث أنموذجاً للدراسة والتحليل في هذه الدراسة النقدية التحليلية التطبيقية. لأنّ الغلو، في عمومهِ، انزياح عن المؤلف، وتكسير لأفق توقّع المتلقّي وانتظاره. وهو يعدّ إشكالية فلسفية ونقدية بلاغية قديمة/جديدة في الشعر العربي؛ فهي قديمة قدم الشعر، وجديدة باقية ببقائه، ترتبط بالفنّ الإنساني والإبداع الشعري أيما ارتباط حيثما وأينما وجدا. تمتد جذور الغلو في التراث الأدبي العربي إلى الشعر الجاهلي، إذ جاء بصورة محتشمة عند بعض الشعراء، ولم يتحوّل إلى ظاهرة طاغية إلا في العصر العباسي مع شعر المحدثين لدواعٍ ذاتية وموضوعية شتى؛ حضارية وثقافية ونفسية. وأثار كثيراً من الجدل والسجال بين النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ودار حوله صراعٌ نقديّ كبير بين مؤيدٍ ومعارضٍ ومتحفّظٍ متذبذب، ولكلّ منهم منظوره الخاص، وحججه وأدلّته التي استند إليها في موقفه نابعة من رؤيته النقدية ومرجعياته الثقافية. وهذه الإشكالية تحيلنا بشكل أو بآخر إلى إشكالية نقدية أخلاقية أخرى لا تقلّ، عنها، أهميّةً وشأناً، انبثقت عنها وانصهرت معها في آصرة جدلية لا تنفصم، وهي إشكالية: (الشعر بين القيمة الفنية الجمالية والقيمة الدينية الأخلاقية)، أو إشكالية: (الشعر بين الصدق الفني والصدق الواقعي).

كما يعدّ الغلو ظاهرةً فنيةً وأسلوبيةً، ترتبط في النقد العربي القديم بمنظومة من المصطلحات المتقاربة مفاهيمها كالمبالغة والإغراق والإفراط والإيغال إلى حدّ الالتباس... استحسناها العديد من النقاد والأدباء، واستهجنها الآخرون.

إذاً، سيتمحور الحديث، في هذه السطور، حول دراسة تحليلية تطبيقية لشذراتٍ ونماذجٍ من تمثّلات شعرية الغلو، وبعض تجليات توظيفها، وماهية حضورها في مدائح لسان الدين ابن الخطيب السلطانية. والحديث، هنا، ليس عن مبالغات فيها فنية شعر، وتخيل، وما أكثرها في هذا الغرض من الخطاب الشعري الخطيبي، ولكنّ الحديث سينصبّ على الإفراط في المبالغة والغلو إلى درجة الإحالة.

لم يكن اختيار هذا الموضوع اعتباطياً، بل تمّ لدواعٍ موضوعية، منها أنّ أغلب الدراسات التي تناولت الغلو بكونه ظاهرة أدبية وفنية في الشعر اتّجهت إلى نصوص مشرقية عباسية لشعراء محدثين كأبي تمام والمتنبي. وقلّما يُلتفت، في مثل هذه الدراسات، نحو نصوص مغربية أندلسية، ما عدا التفاتاتٍ قليلة متناثرة هنا وهناك، احتلت مدائح ابن هانئ الأندلسي (متنبي الغرب) لمعرّ الدين الفاطمي القدح المَعلى منها. فلهذا ارتأى الباحث أن يُيمّم وجهته شطر الغرب الإسلامي، ويصوّب بوصلة دراسته هذه نحو نصّ شعري أندلسي من نصوص القرن الثامن الهجري، لشخصية موسوعية أثارت كثيراً من الجدل النقدي والسجال التاريخي قديماً وحديثاً، وطبّق صيتها الآفاق، وذاع صداها حتّى ناطح غنان السماء، وقد

وصف شيخ المستعربين الإسبان (إميليو غارثيا غوميث) صاحبها بالكاتب المكثّر، والأديب البليغ، والمؤرخ، والشاعر الذي قُدِّرَ له أن يختم حوليات الأندلس المجيدة أقوى ختام وأعظمه في النفس وقعا. وفضلا عن ذلك، فإنّ لسان الدين ابن الخطيب -المحتفى به في هذه الدراسة- كان من أكبر ضحايا المكائد السياسيّة والتطرّف الفكريّ والغلوّ الدينيّ في عصره، فقد اتّهم في أواخر حياته بالزندقة والإلحاد في عقيدته، فأحرقت مصنّعاته، وضاعت، بذلك، مجموعة من نفائسه الفكرية، وكما أصدر في حقّه حكم الإعدام، فسجن بفاس وقتل غيلة، وأخرجت جثته من القبر بعد دفنها وأحرقت بالنار، ثم أعيدت إلى حفرتها، وكان ذلك انتهاءً محنته، وذلك في عام 776هـ. ومن هذه البؤرة جاء اختيار الباحث للموضوع، وجعله يتساءل:

- ما مفهوم الغلو؟ وماذا يقصد ب(شعرية الغلو)؟

- ماهي أسبابه عند لسان الدين ابن الخطيب؟

- وفيما تمثّلت شعرية الغلو في الخطاب الشعريّ عند لسان الدين ابن الخطيب، أو ماهي تمثّلات الغلو في المدونة الشعرية الخطيبية؟

أمّا المنهج المتّبع في هذه الدراسة، فإنّ الباحث تبنّى مقاربة منهجية تكاملية توشّجية تنكّى على آليات الوصف، والاستقراء، والتحليل، وتمزج، في توليفة نسقيّة وظيفيّة متناغمة، بين المنهج التاريخي، خاصّة في الشقّ النظريّ من الدراسة، والمنهج الوصفيّ التحليليّ في الشقّ التطبيقيّ الإجرائيّ منها. ووفقاً لمقتضيات الموضوع وطبيعته، فقد ارتأى الباحث أن يستند، في دراسته هذه، على خطة عمل انتظمت في مقدّمة، ومهاد نظريّ، وقسم تطبيقيّ إجرائيّ، وخاتمة.

فقبل اللوج إلى متن الموضوع، لا بدّ من فرش نظريّ وإطار مفاهيميّ يتناول الجوانب المحيطة والحافظة بالموضوع الأساس، لأنّ قراءة النصوص الشعرية، لا سيّما التراثية منها، وفق رؤية سياقية (سياق تاريخي)، خطوة تنظيميّة منهجية مهمّة في تحليلها ومقاربة إشكالاتها، وفكّ شفراتها النصيّة، والبوح ببواطنها وخباياها. فالنصّ، حسب (لوي ألّوسير)، الذي لا يلتفت إلى سياقه، يشجّ رأسه من دون أن يدري... وفي هذا الصدد، فقد تناول الباحث، هنا، أولاً: -دراسة إشكالية المفهوم والمصطلح، وحاول الباحث، في الإماعة، الوقوف على الجانب اللغويّ والإشكال الاصطلاحيّ للغلو. ثمّ مقارنة العتبة العنوانية للدراسة؛ وتحديدًا، مفهوم (شعرية الغلو).

ثانياً: - بواعث الغلو عند لسان الدين ابن الخطيب، وهي تتوزّع بين بواعث ذاتيّة نفسيّة، وأخرى موضوعيّة راجعة إلى البيئة الحضارية والاجتماعيّة والثقافيّة.

وبعد هذا المهاد النظريّ، عرّج الباحث في الجانب التطبيقيّ من هذه الدراسة النقديّة على مقاربة تحليليّة لشذرات من تمثّلات الغلو في المدونة الشعرية الخطيبية التي انتقاهها أنموذجاً للدراسة والتحليل لضوابط منهجية موضوعيّة، وهي المديح السلطانيّ. والكشف عن أسرار الشعرية وآثاره الجماليّة التي تثير، لدى المتلقّي، الانفعال المطلوب والانبهار المرغوب. في الختام، خلصت الدراسة إلى عرض أهمّ النتائج والخلاصات المتوصّلة إليها.

*مهاد نظريّ:

1- إشكالية المفهوم والمصطلح:

أجمع اللغويّون على أنّ الغلو هو: التجاوز عن الحدّ والخروج عن القصد، أو «ارتفاع الشئ ومجاوزه الحدّ فيه»¹، كما ورد في (جمهرة اللغة). وفي (لسان العرب): «ويقال: غاليتُ صدّاق المرأة أي أغليته، ومنه قول عمر (رضي الله عنه): لا

¹ - ابن دُرَيْد، أبو بكر، (1987)، *جمهرة اللغة*، (ط.1)، ج. 2، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، مادة: غ ل و، ص:

تُغَالُوا صُدُقَاتِ النِّسَاء...وفي رواية: في صُدُقَاتِهِنَّ، أي لا تبالغوا في كثرة الصداق، وأصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء...وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً: جاوز حدّه، وفي التنزيل: لا تَغْلُوا في دينكم...وقال بعضهم: غلوتُ في الأمر غلواً وغلانِيَّةً وغلانِيًّا إذا جاوزتُ فيه الحدَّ وأفرطت فيه...وغلا السهمُ: ارتفع في ذهابه وجاوز المدى...². وجاء في (محيط المحيط): «والغلو في الأصل مجاوزة الحدِّ وباقي المعاني متقرعة منه».³

إذاً، فالمعنى اللغوي لا يخرج عن الزيادة والارتفاع ومجاوزة القدر الطبيعي أو الحدِّ المعتاد. أمّا اصطلاحاً، فإنّه في عمومته لا يخرج عن هذا المعنى اللغوي المحدّد سلفاً، وهذا ما يتفق مع تعريف أبي هلال العسكري (ت. 395هـ): «الغلو تجاوز حدِّ المعنى إلى غاية لا يكاد يبلغها، كقول الله تعالى: "وبلغت القلوب الحناجر"...»⁴. وقد اجتهد علماء النقد والبلاغة في وضع تعريف جامع مانع له إلاّ أنّهم لم يفلحوا، نظراً لاختلافهم في تحديد المعيار أو (حدِّ المعنى) الذي لا يتجاوز في الغلو، فتباينت التعاريف، وتداخلت المفاهيم والتبست إلى درجة الاضطراب والتشويش. وسنستعرض في هذا المقام شذرات منها؛ فابن المعتز (ت. 296هـ) مثلاً، لم يُعط تعريفاً محدداً للظاهرة، وإنّما اكتفى بعرض جملة من النماذج الشعرية، خاصة في الهجاء الساخر لما سمّاه (الإفراط في الصفة)، وعدّها من محاسن الكلام والشعر⁵. كقول أحدهم في كُنْثَرٍ وكان قصيراً⁶:

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته يعصُّ القراذُ بإسته وهو قائمٌ

وهذه الصورة لا تكاد تقع، بل هي مستحيلة الحدوث، فالإفراط في الصفة عند ابن المعتز درجات؛ فمنه ممكن الحدوث لكنّه نادر نوعاً ما، ومنه ما لا يكون ممكناً عادةً ولا عقلاً.

أمّا قدامة بن جعفر (ت. 337هـ)، فيبدو تعريفه مفصّلاً وواضحاً أكثر، وإن كان قد أضاف مصطلحاتٍ أخرى متقاربة زادت الأمر تعقيداً وضبابيةً من مبالغة، واستحالة، وتناقض، وامتناع، وحاول وضع فروق بينها، فالغلو، عنده، هو: «تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجاً عن طباعه إلى ما يجوز أن يقع له»⁷. وكما بيّن الغاية المرجوة منه في قوله: «وكُلّ فريق إذا أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدم فإنّما يريد به المثلّ وبلوغ النهاية في النعت»⁸. إذاً، فغاية الغلو، عند قدامة، الوصول إلى أبعد نقطة ممكنة في الوصف ومنتهاه، لأنّ أحسن الشعر أكذبهُ كما يقول.

والمفهوم نفسه بلفظه، نجده عند أبي عليّ الحاتمي (ت. 388هـ) في قوله: «إذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدم فإنّما يريد به المثلّ وبلوغ الغاية في النعت»⁹. حيث يعدّ أنّ الزيادة والتجاوز المعقول والغلو في الشعر يكون بغرض الوصف، وقد احتجّ بقول النابغة الذبياني: «وقد سئل من أشعر الناس، فقال: من استجيد كذبهُ وأضحك رديئه»¹⁰.

² - ابن منظور، محمّد بن مكرم، (2011)، لسان العرب، (ط.7)، ج. 11، طبعة جديدة ومحقّقة، بيروت، لبنان، دار صادر، مادة: غلا، ص: 78-80.

³ - المعلم، بطرس البستاني، (1977)، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، مادة: غ ل و، ص: 665.

⁴ - العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (1952)، الصناعتين، (ط.1)، تحقيق: علي محمّد الجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. ص: 357.

⁵ - ابن المعتز، عبد الله، (1979)، كتاب البديع، (ط.2)، تحقيق: إغناطيوس كراتشوفسكي، بغداد، العراق، مكتبة المثنى. ص: 65.

⁶ - نفسه، ص: 66.

⁷ - ابن جعفر، قدامة، (1978)، نقد الشعر، (ط.3)، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي. ص: 214.

⁸ - نفسه، ص: 62.

⁹ - ابن رشيق القيرواني، أبو عليّ الحسن، (2006)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، (ط.1)، ج. 2، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مصر، دار الطلائع. ص: 53.

¹⁰ - ابن رشيق، (2006)، ج. 2، ص: 53.

وعندما يتناول القاضي الجرجاني (ت. 239هـ) ظاهرة الغلو في كتابه (الوساطة)، فإنه لا يذكر المصطلح بلفظه وإنما يستخدم باقي المصطلحات: «فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين، وموجود كثير في الأوائل، والناس فيه مختلفون، فمستحسن قابل، ومستقبح راد، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها، ولم يتجاوز الوصف حدّها جمع بين القصد والاستيفاء، وسلم من النقص والاعتداء، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية، وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبة من الإغراق، والباب واحد، ولكن له درج ومراتب»¹¹. فالجرجاني، هنا، لم يقدم تعريفا محددا للغلو، إذ لم يفرق بينه وبين الإغراق، وإنما يتحدث عنه بكونه ظاهرة فنية عامة لا تحتاج إلى تحديد، شائعة بين المحدثين، وموجودة عند القدماء، والناس حيالها منشطر بين مستحسن ومستقبح.

وهذا الخلط بين المفاهيم، نجده عند أكثر من ناقد وبلاغي، حتى كاد أن يكون ظاهرة في التراث الأدبي العربي، فابن رشيقي القيرواني (ت. 456هـ)، مثلاً، ثلّفه في (عمدته) يُقرّد باباً خاصاً بالغلو، إلا أنه لم يفرق بينه وبين الإفراط والإغراق، بل جعلها مترادفات، وعدّه محالاً لمخالفته الحقيقة، وخروجه عن الواجب والمتعارف¹².

والأمر نفسه، ثلّفه يتكرّر عند حازم القرطاجني (ت. 684هـ)، فالغلو والإفراط، عنده، مترادفان، وقد عرّف الإفراط بقوله: «هو أن يغلو في الصفة فيخرج بها عن حدّ الإمكان إلى الامتناع والاستحالة»¹³. وفرّق بين الممتنع والمستحيل، محدداً ماهية الأول منهما بقوله: «هو ما لا يقع في الوجود وإن كان متصوراً في ذهن، كتركيب يد أسد على رجل مثلاً»¹⁴، أما المستحيل في نظره فهو: «ما لا يصح وقوعه في وجود، ولا تصوّره في ذهن ككون الإنسان قائماً قاعداً في حال واحدة»¹⁵. والخطيب القزويني (ت. 739هـ) في (إيضاحه) لم يكن يدعاً عن سابقه، فهو جعل المبالغة هي الأصل وتتفرّع منها باقي المفاهيم الأخرى، وهي التبليغ والإغراق والغلو، وجعل الغلو المستوى الأخير الذي يمكن أن تصل إليه المبالغة، أي الحدّ المستحيل أو المستبعد¹⁶.

وهكذا، وقع اضطراب وتداخل والتباس في تحديد دقيق لماهية الغلو، ممّا أدى إلى بروز إشكالية المصطلح والمفهوم. ويعزى هذا التكوّن المصطلحي إلى تقارب في المفاهيم التي أطلقت على الظاهرة وتداولت بشكل يصعب معه الفصل الدقيق فيما بينها، كالمبالغة، والإفراط، والتبليغ، والإغراق، والإحالة... ممّا أدى في الكثير من الأحيان إلى خلط أو تداخل في الأحكام النقدية. فهو، إذًا، ليس مفهوماً دقيقاً محدداً، بل مفهوماً هلامياً مانعاً يخضع لعدّة عوامل لتحديده، منها مرجعية البلاغي الثقافية، ورؤيته النقدية والفكرية وبيئته الاجتماعية، علماً أنّ هذه المفاهيم تترادف لغوياً.

(2)- مفهوم شعرية الغلو:

ونقصد، بهذا المفهوم التركيبي، ذلك السيماء الجمالي، الذي يتركه الشاعر المبدع في روع المتلقّي، والملحّ الانفعاقي الذي يهزّ كيانه ويرجّ كوامنه، حينما يجنح بإبداعه الشعري عن حدود الممكن، ويحلّق به في عوالم الخيال المجنّح، وسُدُم

¹¹ - الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز، (2006)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، (ط. 1)، تحقيق وشرح: د. محمد إبراهيم أبو الفضل، وعلي محمد البجاوي، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية. ص: 348.

¹² - ابن رشيقي، (2006)، ج. 2، ص: 52.

¹³ - القرطاجني، حازم، (2007)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (ط. 4)، تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي. ص: 76.

¹⁴ - نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁵ - نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁶ - الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمان، (د.ت)، الإيضاح في علوم البلاغة، (ط. 3)، ج. 6، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، لبنان، دار الجيل. ص: 60-64.

المستحيل. والمفارقة الغربية أن هذا الغلو والجنوح عن المعتاد يزيد النص الشعري رونقا وبهاءً، ويضفي عليه نضارة وماءً، لأنه أقرب إلى إشباع التخيل الشعري من الصدق التعبيري. فهو يشكل عند المتلقي عنصر مفاجأة وتشويق يكسر أفق انتظاره بالإتيان بالمغاير اللامتوقع، الذي يستبد بمخيلته، ويثير فيها الانفعال المطلوب، والاندهار المرغوب. فالشاعر المبدع الأصيل هو الذي يملك أقصى مستويات الحساسية الجمالية، ويمنح الأشياء خصوصية غير مألوفة في شكلها الحسي الواقعي، ليضفي على نصوصه الإبداعية فريدة مبتكرة في طرائق تشكيلها وصورها الشعرية. مما يخلق في مشاعر متلقيها ودواخله متعة فنية ولذة جمالية. ولولا هذا الغلو المثير لكثير من الجدل لفقد الشعر روحه وجوهره، وتميزه الفني وتفرده الإبداعي، إن لم نقل هويته الأجناسية الشعرية. وسقط في الاجترار الممجوج، والتقريرية المستهجنة. ولولاه لما عرف الناس حكم الشعراء، وشاعر الحكماء، رب القصائد في بني حمدان، كما سمّاه ابن الخطيب في إحدى فخرياته الذاتية، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس؛ المتنبي. ولما خلد التاريخ الأدبي العربي على صفحاته الطوال اسم (ابن هاني الأندلسي)؛ متنبي الغرب، صاحب البيت الذائع الصيت، الذي أثار كثيرا من الجدل واللغط بين الدرس الفقهي والنقد الأدبي؛ وهو¹⁷:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار *** فاحكم فأنت الواحد القهار.

(3)-بواعث الغلو عند لسان الدين ابن الخطيب:

وهذه البواعث تنوزع بين بواعث ذاتية نفسية، وأخرى موضوعية راجعة إلى البيئة الحضارية والاجتماعية والثقافية.

-بواعث ذاتية نفسية: وليس بخاف أن الفن عامة، ومنه الشعر، ليس إلا استجابة - في مجمله - لدوافع خارجية وداخلية تقتضيها البيئة التي يعيش فيها صاحب هذا الشعر، وهكذا، وبما أن الأديب أو الشاعر إنسان؛ و(الإنسان ابن بيئته) فإنه يتأثر بما يتأثر به الإنسان عموما من عوامل بيئته، وظروف زمنه، وبل يتأثر بصورة أعمق، وحساسية أقوى، بحكم رهافة أحاسيسه ورقة مشاعره، فيأتي إبداعه الفني أو الشعري، بشكل أو بآخر، انعكاساً لما يراه ويعايشه في تلك البيئة، أو تعبيراً بما يجيش في نفسه تجاهها، وما يعتل في فكره، مؤثراً فيها ومتأثراً بها. وفي ضوء هذا، نستطيع القول، بأن هناك أصراً علاقةً جدليةً أنطولوجيةً بين الشعر والفن عموما وبين سياقه وواقعه الذي أنتجه، علاقةً تأثير وتأثر، وصلة أخذ وعطاء.

وابن الخطيب لم ينج من هذا القانون الحتمي، فهو لم يكن نسيج وحده، بل كان نسيج تلك الحركة الثقافية والفكرية الناضجة في عصره، فتأثر بها وأثر فيها؛ من حيث تكوينه النفسي والثقافي الذي استمدّه من معطيات عصره، وتفاعله مع أحداثه السياسية والاقتصادية، والعلمية والأدبية، فقد كان وزيرا وسفيرا، كما كان فيلسوفا ومؤرخا، وشاعرا وكاتباً، وطبيباً ومتصوفاً، وسياسياً محنكا...

وهو أشهر من نار على علم، وقد تناولته كثير من الأعلام، قديما وحديثا، شرقا وغربا، دراسة وتمحيصا ونقدا.

نشأ داخل أسرة علمية أرسنقراطية بغرناطة، التي كانت يومها أعظم مركز علمي في الغرب الإسلامي، ومجمع جمهرة من جهاذة العلماء والأدباء، فتتلمذ على أيدي كثير منهم. وترعرع داخل القصور، فحبر السياسة وخبائرها، وتلقى الآداب السلطانية منذ نعومة أظفاره، إذ وقر له منصب والده عبد الله فرصة الاطلاع على خبايا القصور ودهاليزها، وإدارة الشؤون، وتدبير الأمور. فسطع نجمه مبكرا ولم تعد فضاءات غرناطة الفيحاء تستوعبه. فعاش حياةً مخمليةً في صفاء ودعة، وتقلب في أطوار النعيم والخضوة كما شاء، إلا أن دوام الحال من المحال، إذ سرعان ما قلب له الدهر ظهر المجن، وتكالبت عليه المحن والمآسي، مما أثر على نفسيته، وانعكس على شعره في أواخر حياته، وطبعه بنغمة رثائية، وجعله ينزع منزعا صوفيا يفيض حزنا وأسى، وقد وصل به الأمر إلى حد رثاء نفسه، مما يذكرنا بمرثية من عيون الشعر العربي؛ إنها مرثية (مالك بن الرئب التميمي) (ت. 60 هـ)، والتي أنشدها يرثي بها نفسه قبيل وفاته، وهي قصيدة تجسد تجربة إنسانية فريدة، تتوس بين محاولة البقاء ومنازلة الفناء.

¹⁷ - زاهد، علي، (1352هـ-1932م)، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي، (د. ط)، القاهرة، مصر، مطبعة المعارف. ص: 365.

ومن الطبيعي جداً، أن تنعكس هذه التقلبات التي مرّ بها ابن الخطيب في أطوار حياته، والمفارقاة الحياتية التي طحنت رحاها دواخله، والصراعات النفسية التي اكتوى بشواظها على شعره. وتضميدا لآلام نفسه المكرومة، وإرضاءً للأنما المتضخمة المتعالية وشخصيته النرجسية المتقلبة، ومواكبةً لبعض مظاهر الغلو الفكري والتطرف الديني والسياسي السائدة في عصره، تُلفيه يحنج في بنائه الشعري إلى أسلوب الغلو، بكونه تجاوزاً أسمى لمستويات التعبير، ويتخذهُ متنفساً نفسياً وفنياً، ومعادلاً موضوعياً لمعاناته النفسية التي تمرّق نياط فؤاده.

فضلاً عن ذلك، كان ابن الخطيب بفضل مكانته الاجتماعية الوجيّة ووظيفته السياسيّة المرموقة في الدولة مداحاً وممدوحاً؛ أي يمدح ويُمدح، فهذا نراه يزواج كثيراً بين المدح السلطاني والفخر الذاتي، ويحب أن يبالغ ويغلو بكل درجات الغلو في مدح الممدوح، والذي، في الأغلب، يكون سلطانه وولي نعمته، مُضغياً عليه جملةً من الصفات والصور المثالية، محاولاً ربطها بشخصه النرجسيّة، وجعل كلّ منهما رمزاً للبطولة والوفاء والكرم، فبقدر ما يكون فخر الشاعر متميّزاً بذاته ولذاته، من حيث هو ضرب من التعالي، يأتي الغلو الذي يعمد إليه الشاعر أساساً في هذا البناء. وإنّ شعرية الفخر تعتمد في الغالب على اللعب الشعري بصيغ المبالغة ودرجاتها المتنوّعة¹⁸.

إضافةً إلى هذا وذاك، كان نظم الشعر عند ابن الخطيب، في أحايين كثيرة، استجابةً لدوافع خارجية وليست وجدانيةً ذاتيةً، فيُنشده تحت وطأة الواجب السياسي، والالتزام بالخدمة السلطانية، وبذلك يصير الشعرُ شعرَ خدمة أو مهنةً شريفة تحكّمه بروتوكولات المراسيم السلطانية، وآداب التعليمات المولوية السامية (أمرني، كلفني، اقترح علي...) وهذا ما يمكن أن نسمّيه بـ(أدب المراسيم) أو (أدب مراكب الأُمراء)¹⁹، فكان لزاماً أن يلجأ الشاعر إلى الغلو للوصول بالمعنى الشعري إلى أقصى مستوياته إرضاءً لسلطانه الممدوح، وتملقاً له، وإبرازاً لكفاءته النظامية وقدرته الإبداعية المتعددة وإمكاناته التعبيرية المتجددة.

ـ **بواعث اجتماعية وثقافية:** انمازت البيئة الأندلسية بروعة بيئتها الطبيعية، وفخامة طبيعتها الصناعية. وكان للتفاعل الإيجابي للشاعر الأندلسي مع هذه المناظر الطبيعية والتجليات الحضارية أثرٌ واضح في تطوّر سيرورة الشعر الأندلسي وتميّزه، بحيث وجد في تلك الأماكن جمالاً وروعة سببت لبه، وألفةً وأنسا ملكت كيانه، فتعانق معها وأفرغ فيها مشاعر الحب وألهمته شعرٌ تغني يفيض عذوبة وسحراً، حتّى غدا المنظر الطبيعي «كالقاعدة أو (العامل الكيميائي المساعد) في القصيدة الأندلسية، فهو فاتحة القصيدة أو أساس بنوا عليه موضوع الخمر أو موضوع الحب»²⁰، أو غيره من المواضيع الفنية الأخرى.

فضلاً عن ذلك، كان لانصهار المجتمع الأندلسي بمختلف أطيافه الاثنية والثقافية وتفاعله في بوتقة حضارية واحدة، تتقاسم هموماً مشتركة بيّث الجبال الشوامخ وطولها، والتلاقح الحضاري والانفتاح الثقافي مع غيرهم من الأمم والأجناس الأخرى نصيبٌ أوفر في تغيير العقلية العربية وتحضرها، وفي ازدهار الفكري والأدبي بالأندلس، فتبلورت أساليب جديدة في التعبير والإبداع مواكبة لهذه التغيرات. وكان الغلو أحد أساليب التجديد هذه التي جنح إليها الشعراء رغبةً منهم في الوصول بالمعنى إلى أعلى غاية، وأقصى درجة لإظهار الفاعلية المعنوية والنفسية في تفاعلهم مع بيئتهم الحضارية المترفة، والتعبير عن تجاربهم الشعريّة والشعورية بعد أن طغى التكرار والاجترار في المعنى والصياغة. فعلم الشاعر كلّ ما في وسعه من أجل إرضاء ممدوحه السلطاني، والتملق له، أو إبراز الأنا النرجسية، خاصة أن كثيراً من الشعراء كانوا

¹⁸ - يوسف كريم، واقدة، (2016)، الغلو في رسائل لسان الدين ابن الخطيب، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد السادس. ص: 155.

¹⁹ - انظر: زغل، محمد فاتح، (2006)، سلطة المثقف بين الاقتراب والاعتراق: قراءة في سيرة لسان ابن الخطيب وتجربته السياسية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب. ص: 70.

²⁰ - عباس، إحسان، (1997)، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، (ط. 1)، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع. ص: 162.

يتبوؤون مناصب قيادية في الدولة النصرانية، فمنهم السلاطين، كمحمد الثاني الملقب بالفقيه، وأبي عبد الله محمد الثالث، والملك يوسف الثالث، الذي له ديوان شعر احتوى على معظم أغراض الشعر العربي من مديح وفخر وغير ذلك من الأغراض الأخرى، ومنهم الوزراء كما هو الشأن مع ابن الخطيب، وتلميذه ابن زمرك من بعده وغيرهم.

* شذرات من تمثلات شعرية الغلو في الخطاب الشعري عند لسان الدين ابن الخطيب:

لقد استطاع لسان الدين ابن الخطيب بعبقريته الفكرية والثقافية وموهبته الأدبية أن يمتلك ناصية اللغة؛ شعرا ونثرا، واستطاع أن يطوعها كيفما شاء، وأن يحوز مفاتيح الشعر السحرية حتى وصفه (أنخل جنثال بالنيثا) بأنه «أكبر شعراء العصر الغرناطي، وأعظم شعرائه»²¹ الذي استطاع أن يختم حوليات الأندلس المجيدة أقوى ختام. طرق في ديوانه كل أبواب الشعر الكلاسيكية النمطية المعروفة، وفنونه المعهودة، غير أنها تتفاوت فيه من حيث الكم ونسبة التواتر، وطول النفس الشعري، وهذا شيء طبعي، وأمر بدهي، ولعل أهم غرض يقابلنا في ديوانه المديح، الذي نال الحظ الأوفر فيه، إذ إن ثلثي الديوان، تقريبا، كان عبارة عن مدائح أنشدها ابن الخطيب على فترات مختلفة ولشخصيات عدة، وفي مستويات شتى؛ الدينية والعلمية والسياسية، ولعل أبرزها شخصية السلطان (أبي الحجاج يوسف الأول النصراني) (733هـ-755هـ) الذي «ملأ الدنيا بمدائح، وانتشرت في الآفاق»²² بإحدى وخمسين مدحة. واتسم هذا الغرض بسمات واضحة الاختلاف عن غيره من سائر الأغراض الأخرى في ديوانه، إذ نلاحظ ظاهرة الاستطراد والغلو في التعبير عن المعاني المدحبة والمناقب التي خص بها ممدوحيه، ولاسيما السلاطين النصرانيين، كما طغت سمة الغلو على صوره الشعرية وأثرت فيه بشكل كبير، فشاغرنا أدرك أهميتها في فنون القول، فراح ينسج صورا مغرقة في الغلو والتخييل، هي أقرب إلى المستحيل، لكنها تميزت بالجمال الفني وجودة الصنعة الشعرية.

يقول لسان الدين ابن الخطيب مادحا السلطان²³:

وَأُنْشَأَتْ فِي أُفُقِ الْعَلَا، سُحُبُ النَّدَى وَسَقَيْتَ رَوْضَ الْمَجْدِ، فَهُوَ مُقَوِّفٌ
وَجَمَعْتَ أَسْبَاطَ الْمَكَارِمِ، وَالْعَلَى وَنَادَيْتَ لَا تَتَرَيَّبْ، إِذْ أَنْتَ (يُوسُفُ)

لقد رسم الشاعر صورة شعرية بديعة لممدوحه، حيث جمع فيه كل أسباط المكارم والرفعة والسماحة. مشبها إياه بنبي الله (يوسف)، عليه السلام، ليزيد من قيمة مكارم خلقه، وشرف سؤده، وذروة سخائه. وهي صورة مثالية للسمو والرفعة، ترتقي بأصحابها إلى درجة باسقة في الشيم والمكارم، عز وجودها في الواقع كما هي، هنا، في القصيدة، بل يستحيل لأن الشاعر قد تجاوز، في مدحه، مستويات الممكن العقدي حتى وصل به إلى درجة التشبيه بالأنبياء الأخيار والمرسلين الأبرار. وفي عجز البيت الثاني تضمين جزئي من الآية الكريمة: «لَا تَتَرَيَّبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»²⁴. ونلاحظ، أن الشاعر، في أحايين كثيرة، يشبه ممدوحيه السلاطين بأولي العزم من الرسل؛ كنبى الله (نوح)، و(موسى)،

²¹ - بالنيثا، أنخل جنثال، (2008)، تاريخ الفكر الأندلسي، (ط. 2)، ترجمة: د. حسين مؤنس، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية. ص: 168.

²² - المقرئ التلمساني، أحمد بن محمد، (1986)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، (د.ط)، ج. 5، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار صادر. ص: 98. وانظر: -ابن خلدون، عبد الرحمن، (2000)، تاريخ ابن خلدون، المسمى: (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم)، (د.ط)، ج. 7، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، ومراجعة: د. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ص: 440.

²³ - ابن الخطيب، لسان الدين، (2007)، الديوان، (ط. 2)، ج. 2، صنعه وحققه وقدم له: د. محمد مفتاح، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة. ص: 669.

²⁴ - سورة يوسف، الآية: 92.

و(عيسى) سلام الله عليهم جميعا. كما هو الشأن هنا، إذ يقول مادحا السلطان (أبا حمّو)²⁵:

هيهات لا تُغني لعلّ، ولا عسى
في مثلها، إلا لآية (عيسى)
(...) وإذا طغى (فرعون)، فأنا الذي
من ضره وأذاه، عذت (بموسى)

وفي سبيل إضفاء هالة من التعظيم على مدح السلطان، والتمجيد لدولته، فقد توسّل الشاعر، في هذا النص، بشخصيات دينية استثنائية تمثّل الطابو المقدّس والمثال الخارق في ذهن المتلقّي، حتّى يتخذ الخطاب الشعري سمته التواصلية-الإفهامية، وغايته التعبيرية-الجمالية القصوى. فتلّفه، أولاً، قد استحضر شخصية نبي الله وكلمته (عيسى بن مريم) عليه السلام، واستلهم من قصّته معجزاته التي أحرست الألسن، وأبهرت الأنام، وكانت نمطا خاصا من المعجزات، إذ كان عليه السلام يخلق من الطين تمثالا كهينة الطير، فينفخ فيه فيصير طائرا بإذنه تعالى، ويحيي الموتى...²⁶ وكما نلاحظ، هنا، أنّه قد بالغ وغلا في مدحه للسلطان (أبي حمّو) حتّى زعم بأنّه لديه معجزات كالتي عند النبي (عيسى) عليه السلام. وهذا أمر فيه تطرّف وغلو؛ لأنّ هذه المعجزات الربّانية قد خصّ الله تعالى بها نبيّه (عيسى) وحده فحسب. ثمّ نراه، مرّة أخرى، يشبّه ممدوحه بنبي الله وكليمه (موسى)، عليه السلام، في القوة النفسية والبدنية وعزّة النفس؛ فإذا كان عدو الشاعر فرعون بجبروته وسطوته، فإنّ الممدوح، هذا، هو (موسى) النبي عليه السلام الذي يعوذ به المرء من الجور والطغيان. وفي تشبيهه القادة بأنبياء الله الأبرار والمرسلين المعصومين الأطهار غلو لا يستقيم عادة وعرفا. لأنّ الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق الإنساني، ونماذج الكمال البشري خلقا وخلقا.

يقول ابن الخطيب مادحا السلطان النصري (أبا الحجاج) بأسلوب صوفي²⁷:

هَبَّ	النَّسِيمُ	مُعْطَرٌ	الأراج	فَشَقَى	لَوَاعِجَ	قَلْبِي	المُهْتَاجِ
وَافَى	يُحَدِّثُ	عَنْ	أَحَبِّي	أَصْبَحْتُ	أَكْنِي	عَنْهُمْ،	وَأَحَاجِي
فَأَشْرَبَ	عَلَى	ذِكْرِ	الْحَبِيبِ	وَسَقَنِي	صُهْبَاءَ	تُشْرِقُ	فِي الظَّلَامِ الدَّاجِي
مَنْ	خَمْرَةٍ	السِّرِّ	الْمُقَدَّسَةِ	الَّتِي	كَلَفْتُ	بِطَاسَتِهَا	يَدُ (الْحَلَّاجِ)
وَأَرْتُ	لَهُ	الْأَشْيَاءَ	شَيْئًا	وَاحِدًا	فَعْدًا	يُخَاطَبُ	نَفْسُهُ وَيُنَاجِي
وَرَأَى	(ابن أدهم)	لمحةً	من	نورها	تَلْتَأُحُ	بين	مخارم، وفجاج
فَعْدًا،	ومن	صوف	الصفاء	شعاره	وَاعْتَاضَهُ	من	لَيْسَةِ الديباج
(...)	وَجَلَا	عَلَيَّ	الرَّاحِ	فِي	أَكْوَاسِهَا	فَشَرِبْتُهَا	بِغَيْرِ مَرَجِ
فَتَرَى	رُجَاجَتَهَا	بِغَيْرِ	مُدَامَةٍ	وَتَرَى	مُدَامَتَهَا	بِغَيْرِ	رُجَاجِ

تنصّ العتبة النصّية/الديباجية؛ عتبة الاستهلال الداخلي -حسب (جيرار جنيت) (G.Genette)- للنص الشعري، الذي بين أيدينا، على أنّ السلطان النصري (أبا الحجاج) قد تشبّع للصوفيّة والفقراء وأحضرهم مجالسه، وأظهر الميل إليهم، وأمر الشاعر (ابن الخطيب) بالنظم في طريقهم. فالنصّ، إذاً، لم يكن نابعا عن فكر أصيل، أو تجربة وجدانية ذاتية طربها الشاعر أو كابدها، وإنّما كان استجابة لدوافع خارجية، إذ أنشده تحت وطأة الواجب السلطاني، والالتزام بخدمة الأعتاب

²⁵ - ابن الخطيب، (2007)، ج.2، ص: 723-724.

²⁶ - يقول الله تعالى: «أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ. إِنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِ اللَّهِ. وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّرُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ» سورة آل عمران، من الآية: 48.

²⁷ - ابن الخطيب، (2007)، ج.1، ص: 199-202.

المولوية، وهذا ما يمكن أن نسميه بـ (أدب المريا) أو (أدب مرايا الأمراء). وهكذا، يجد المتلقي نفسه، في هذا النص، أمام لحظة صوفية لغوية فحسب؛ حيث تكلف السلطان الزهد والتصوف، وجاراه في تكلفه، هذا، الشاعر، إذ نلغ فيه يتصنع التصوف الفلسفي، وما يتضمنه من مقولات صوفية وفلسفية، وشطحات فكرية ورمزية.

فابن الخطيب، هنا، يجسد الصورة الشعرية بكل حمولاتها الدلالية والنفسية، ويمتاز لغة نصه من المعجم الصوفي الغارق في الرمزية التجريدية والإيهام، فهو يعبر عن مدحه لممدوحه السلطاني بتعبيرات غزلية حسية، استعارها من الغزل وتباريحه، والخمر ومجالسه... إلّا أنّ الحبيب، هنا، ليس امرأة فاتنة، ولا المدامة خمرًا معتقًا، ولا السكر سكر الخمرة، وإنما هي كلمات ورموز خرجت عن دلالاتها الحسية إلى دلالات رمزية مبهمة. كأننا أمام معشوق من نوع خاص؛ معشوق إلهي، ولسنا أمام كائن آدمي، ومخلوق إنسي أصاب شغاف قلب الشاعر صباية وغراما، فهو يشبه لوعة قلبه وهيامه في حبه المطلق اللامحدود لممدوحه السلطاني بالخمرة والسكر الطافح، بل حبه زاد عن خمرة السر النورانية المقدسة التي كانت عند (الحلاج) (ت. 309هـ) رائد التصوف الفلسفي في الإسلام، ومن أصحاب فلسفة وحدة الوجود والحلول والاتحاد، وهو القائل: "أنا الحق"، الذي رأى الأشياء بشيء واحد فأصبح يخاطب نفسه... وتجاوز حب العارف، الزاهد، الإمام (ابن أدهم) (ت. 162هـ)، الذي أثر الآخرة على الملوك، بل ابن أدهم نفسه قد استقى من هذا المعين النوراني الكبير، وهذا الحب أصبح شعاره المكاشفة والصفاء، ورداؤه الصوف؛ فالحب السلطاني (أبو الحجاج النصري) تقمص شخصية الصوفي الزاهد، الذي طلق الحياة الدنيا طلاقا ثلاثا، فترك الملمات والمغريات (متاع الغرور)، وارتدى بدل الديباج الملوكي المذهب الصوف الخشن؟؟ وهذه الدلالات تجعل حب المادح لممدوحه السلطاني فوق حب المتصوفة لله تعالى، وهم الذين وصلوا بحبهم المطلق لله سبحانه درجة الاتحاد بذاته؛ اتحاد اللاهوت بالناسوت، ودرجة الفناء والحلول في ذاته. وهذه الصورة الشعرية الخطيبية فيها غلو وزيادة عن حدود المعقول والمنقول، وتجاوز لكل الطابوهات الدينية.

يقول ابن الخطيب في إحدى مدائحه للسلطان (أبي الحجاج النصري)²⁸:

سُعُودُكَ لَا مَا تَدْعِيهِ الْكَوَكِبُ وَجُودُكَ فِينَا لَا السَّحَابُ السَّوَكَبُ
يَغْصُ الْغَمَامُ الْجَوُّ يَوْمَ انْسَكَابِهِ إِذَا صَدَرْتَ، عَنْ رَاحَتِكَ الْمَوَاهِبُ

إنّ أبا الحجاج أجود من الغيث المنهمر عطاءً وسخاءً، حتّى إنّ الدّيم السّواكب إذا شاهدت العطايا السلطانية الفيضة والهبّات الملكية السيالة تتوقّف عن السكوب والهطول خجلاً وغيرةً. ونرى أنّ هذه المبالغة وصلت درجة الغلو، فمهما كان من كرم الممدوح فلا يمكن أن يجاري السحب الهواطل أو يفوقها جوداً وكرماً. وهذا المعنى يتكرّر أكثر من مرّة في المدائح الخطيبية. كقوله في مدحة²⁹:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الدَّهْرَ خَيْرَ جَزَائِهِ وَإِنْ سَبَقَتْ مِنْهُ خُطُوبُ كَوَارِثُ
غَنِينَا فَلَمْ نَحْتَجْ إِلَى الْبَدْرِ وَالْحَيَا إِذْ صَنَّ غَيْثٌ أَوْ إِذَا جَنَّ حَابِثُ
لَنْ غَرَّ بَدْرُ الْأُفُقِ فَضْلُ انْفِرَادِهِ قَبِينَ الْقُصُورِ الْبَيْضِ ثَانٍ وَثَالِثُ
وَإِنْ خَلَفَ الْغَيْثُ السُّكُوبُ بِأَنَّهُ أَعْمُ نَدَى مِنْ يُوسُفَ فَهُوَ حَانِثُ
سَجَايَاهُ تَرَوِي مِنْ حَدِيثِ كَمَالِهِ صَحَائِفَ فِيهَا لِلْعَلَاءِ مَبَاحِثُ

فهذه الصور الشعرية ليست بجديدة في الشعر العربي، بل هي مستمدة من الموروث الشعري العربي، فإذا تمّ النظر لهذه الأوصاف، من زاوية العقل، لكانت غلو وإفراطاً مستحيل الوقوع، لكن إذا تمّ النظر إليها بوصفها صوراً شعرية تقبلتها ذائقة المتلقي الأدبية واستحسنتها، وزادت الخطاب الشعري إغراءً وماءً، ورونقاً وبهاءً، وحصل المطلوب منه، وإلا سقط في

²⁸ - ابن الخطيب، (2007)، ج. 1، ص: 120-121.

²⁹ - نفسه، ج. 1، ص: 190.

التقريرية المستهجنة، والنثرية الممجوجة، وفقد روحه الإبداعية، وأسراره السحرية الإيحائية. وكلما جنحت الصورة الشعرية نحو الغرابة والغلو زادت من إثارة دهشة المتلقي وإغوائه، وكسرت أفق توقّعه.

يقول ابن الخطيب مادحا (أبا الحجاج)، ومهنّا له ببعض الأعياد³⁰:

يا نَيْرًا لَوْ لَا تَوَقَّدَ نُورُهُ هَفَّتِ الْخُلُومُ وَفَالَتِ الْأَرَاءُ

الممدوح، هنا، بالنسبة للشاعر نور مشعّ يفيض على من حوله فطنةً ونجابةً، وحلمًا وأناةً. فمن تمام من الله سبحانه على خلقه أنّه أنعم عليهم بوجود الممدوح بين ظهرائهم، وما تحلّى به من واسع حلمه وتوهّج ذهنه وسداد رأيه، ولولاه لطاشت الألباب، ووهنت الأراء وحارت في متاهات الجهل والطيش. ولما وجد لبيب نبيةً يدبّ على أديم هذه البسيطة. وفي هذه المبالغة غلو كبير، لأنّ الشاعر ألبس ممدوحه عباءة الكمال البشري، وأضفى عليه صورة النموذج الخارق المثالي.

وفي مثل هذا، نجده يقول مهنّا ممدوحه السلطان النصري على فتح (معقل بني بشير)³¹:

السَّعْدُ جُنْدُكَ وَالْقَضَاءُ دَلِيلُ وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَفِيلُ
إِذَا هَمَمْتَ بَلَّغْتَ كُلَّ مُمْنَعٍ وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّأْيَ لَيْسَ يَفِيلُ

ويقول في قصيدة مادحة أخرى³²:

ورأيي يمدّ الشمسَ نورا ومشهدا ملائكةُ السَّبْعِ الطَّباقِ شهوذة

لقد نوع الشاعر في تصوير حلم الممدوح من خلال ظاهرة التجسيد، فشبهه بالنور المطلق الذي يُضفي على الشمس بهاءً، بل رأيه يمدّ الشمسَ نورا وضياءً، وتشهد له ملائكةُ السماوات السبع بذلك. ويقصد ابن الخطيب، هنا، أنّ آراء الممدوح وتوجيهاته النيرة وإرشاداته القيّمة نورٌ مطلق يرشد التائهين، ويوجّه الحائرّين. والنور له دلالة رمزية في الموروث الشعري العربي؛ فهو يوحي إلى معاني الحياة، بينما يُستوحى من الظلام كلّ دلالات العدم والتلاشي.

من جانب العقل والمنطق، في الصورة غلو وإفراطٌ مستحيلٌ الوقوع، وتجاوزٌ لحدود الممكن والمعقول. وهنا، تكمن المفاجأة والجدة، فلو استخدم أوصافا عادية لجاءت صورته الشعرية غثّة مبتذلة، ولما كان لها، في نفس المتلقي، وقعٌ محمودٌ، أو انفعالٌ منشودٌ. فالارتباط غير المتوقع «لا يمكن انتقاده في الشعر، بل ربّما كان هو المطلوب المحبوب، على الرغم من أنّ الحقيقة الواقعة لا تقبله، ذلك أنّ هذا الارتباط يكون دائما شيئا جديدا يحمل الإثارة... على أنّ هذه العلاقات الجديدة التي تُكتشف دائما لا يتوصّل إليها الشاعر أو الفنّان بطريقة منطقية مستأنية يقبلها العقل ويرتاح لها من حيث هي نسقٌ من النظام الطبيعي، بل تحصل هذه العلاقات في النفس دفعة واحدة»³³.

وفي هذا الصدد نفسه، يقول ابن الخطيب مادحا³⁴:

الشمسُ أنتَ إذا انفردت، وهل يُرى بينَ السُورِ في مطلعِ شمسانٍ؟!

خاطب لسانُ الدين السلطانَ وغالى في مكانته، بحيث جعل نوره المطلق يطغى على الكون، فتتزاح الشمسُ الأفلةُ أمامه خجلاً، فأبى نور هذا الذي يشعّ من جلاله السلطان؟! إن لم نقل هو، إذاً، بؤرة الضوء ومركز الإشعاع الذي يهب العالمَ النورَ ويصنعُ الإبصار؟!!

والشمس في الميثولوجيا العربية ترمز إلى النور المطلق والعطاء المطلق، فقد عدّها الإنسان العربي نموذجاً يهتدى به في

³⁰ - ابن الخطيب، (2007)، ج. 1، ص: 93.

³¹ - نفسه، ج. 2، ص: 486.

³² - ابن الخطيب، (2007)، ج. 1، ص: 269.

³³ - إسماعيل، عز الدين، (د. ت)، التفسير النفسي للأدب، (د. ط)، بيروت، لبنان، دار العودة، ودار الثقافة. ص: 70.

³⁴ - ابن الخطيب، (2007)، ج. 2، ص: 607.

الخير والنوال، ومثالا يحتذى به في كرمها الأزلي الذي تفيض به على الإنسان وغيره كل يوم نورا وضياءً بلا كلل ولا ملل، وحرارةً ودفنا بلا انقطاع ولا انكسار، الذين لولاهما ما استقامت لأدمي أو مخلوق حياةً على هذه البسيطة. وهذه الصورة الشعرية ليست بجديدة، بل هي مألوفة في الموروث النقدي العربي، وكان الممدوحون، كثيرا، ما يطربون عند سماع مثل هذه النعوت المغالية. وهذا ما يفسر كثرة ورودها في الخطاب الشعري للسان الدين ابن الخطيب. وفيها دلالتان؛ الأولى، الشموخ والسناء الموصول غير المفصول، والأخيرة، رمز البذل والعطاء المستمر غير المنصرم.

ومن المبالغة التي وصلت إلى حد المغالاة كذلك وصفه لرجاحة عقل الممدوح (أبي الحجاج)، وسداد رأيه، بأن الريح العاصفة الهوجاء لو اتسمت ببعض وقارها لسكنت حركتها الرعناء، وما تركتها شاردة في هبوبها البلهاء. يقول³⁵:

ورجاجة، لو كان بعض وقارها بالريح كانت لا تحير حراكا

وأنشد مادحا السلطان المريني (أبا عنان)³⁶:

خليفة الله ساعد القدر	علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته	ما ليس يستطيع دفعه البشر
ليس لنا ملجأ تؤمله	سواك أنت التمال والوزر
وجهك في النايبات بذر دجى	لنا وفي المخل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس	لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الأمر أنه وطن	في غير عليك ما له وطن
ومن به مذ وصلت حبلهم	ما جحدوا نعمة ولا كفروا

تعكس هذه الأبيات أهمية الممدوح المحورية، ومركزية كينونته الوجودية في هذه الحياة الدنيا، فلولا دعمه الحربي والمادي لأهل الأندلس لمقاومة أطماع ملك قشتالة، ما استطاع الناس، هناك، عمارتها ولا توطيئها، وما كان لهم، هناك، وجود أصلا. فهو إكسير الحياة بطلته وغيابه، يعني الفناء والعدم، إنها صورة مغالاة وإفراط وتجاوز لكل حدود الممكن والمعقول، والمفارقة الغريبة أن هذه الغرابة زادت الصورة الشعرية ألقا وطرافة، وهذا هو سر الإبداع الشعري. وقال ابن الخطيب ناظما حسبما اقترحه عليه سلطانه³⁷:

أبشر فقد نلت ما ترجو على عجل	ويسر الله ما تبغيه من أمل
وساعدتك الدنيا فيما تؤمله	فاهنأ سعد على الأيام متصل
واحكم على الدهر وأفعل ما تشاء به	قالدهر طوعك والأيام كالحول

أتى الشاعر في البيت الأخير بغلو غير معقول، وتطرف غير مقبول، إذ وصل بممدوحه درجة التأليه، لأنه نسب صفات الخالق للمخلوق، وهذا ما لا يصح لا عقلا ولا عادة، ولا عرفا ولا شرعا، لأنه تعالى منزّه عن التشبيه والمماثلة. والشاعر، هنا، ليُشعر ممدوحه السلطاني بمدى سطوته وطول يده جعل سلطته المطلقة تمتد لتتصرف في سنن الكون وتصارييف الوجود؛ فتأمر الدهر، وتطوعه وفق إرادتها كيفما تشاء، وهو ما لا يمكن لمخلوق فعله، لأنه يتعدى قدراته النسبية المحصورة، وطاقاته المحدودة المقصورة، إلا إذا صار إلهاً!!! وفي هذا تعدٍ بين لكل الطابوهات الدينية، والحدود العقلية المنطقية. وهو ما يذكرنا ببيت شهير لـ (ابن هاني الأندلسي)؛ متنبّي الغرب، الذي أثار كثيرا من الجدل الفقهي الأصولي

³⁵ - ابن الخطيب، (2007)، ج.2، ص: 469.

³⁶ - نفسه، ج.1، ص: 403.

³⁷ - نفسه، ج.2، ص: 491.

والسجال النقدي الأدبي عبر العصور؛ وهو³⁸:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار *** فاحكم فأنت الواحد القهار.

وكان، في أحيان كثيرة، على الشعراء المتملقين، الواقفين على عتبات القصور بذلة وتوسل، المتهافتين على فتات موائد السلطان أن يسلكوا هذا المسلك المتطرف في مدائحهم السلطانية رغبا ورهبا، عسى أن يفوزوا بحدبه المولوي، وينجوا من بطشه السلطوي. ووجد هؤلاء الحكام؛ خلفاء الله في أرضه في شعر الشعراء متنفسا لأهوائهم، وتحقيقا لمطامعهم ونزواتهم. وبهذا الصدد، يقول في مدحة أخرى، وهي أطول قصيدة في الديوان، إذ يبلغ عدد أبياتها مائتي بيت، ومن بين أجمل ما نظم ابن الخطيب وجادت به قريحته الإبداعية، فهي من صيَب شعره وليست من جهامه، ومن ماضي قوله وليست من كهامه، كما تنص على ذلك ديباجتها الاستهلالية وعتبتها النصية، وسماها (المنح الغريب في الفتح القريب)³⁹:⁴⁰

وَلَكِ الْجَبِينُ الطَّلُقُ، وَالْخُلُقُ الَّذِي لَخِظُ الْكَمَالِ بِلَخِظِهِنَّ مُوَكَّلُ
النُّورِ أَنْتَ، وَكُلُّ نُورٍ دُجِيَّةٌ وَالْبَحْرُ أَنْتَ، وَكُلُّ بَحْرٍ جَدُولُ

وهذه الصورة الشعرية الخطيبية فيها غلو وزيادة عن حدود المعقول والمنقول، وتجاوز لكل الطابوهات الدينية. لأن الممدوح، بحسب الشاعر، نور مطلق، وعطاء مطلق، والكمال من صفات الخالق سبحانه، المنزه عن كل عيب ونقص، والمتصف بكل صفات الجلال والكمال.

كما يقول في افتتاحية مدحة أخرى⁴¹:

يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ يَا مَنْ لَهُ الْفَضْلُ فِي الْمَاضِي وَفِي الْآتِي
يَا مُسْنِدَ السَّعْدِ وَالنَّصْرِ الْعَزِيزِ إِلَى سَعْدٍ لِنَصْرِ إِلَى خَيْرِ الْبَرِيَّاتِ

نلاحظ، من خلال هذين النموذجين الأخيرين، غلوًا تخطى أقصى مستويات الاستحالة، ووصل إلى حدود التأليه لممدوحه موظفا، بكثافة، لألفاظ الذات الإلهية، وصفاته السرمدية. وإن توظيف الشاعر في شعره لألفاظ الكمال، وصفات الجلال هذه هي «إحدى الآليات الرئيسة المؤدية إلى الغلو مما يجعل القارئ منبها أمام هذا التعظيم الذي يضيفه الأديب على ممدوحه، بأن يرسم الممدوح في صورة متفردة متعالية على البشر ويرتفع به إلى مستوى الإله، وينسب إليه القوة الخارقة الخارجة على طاقات البشر، فالشاعر لسان الدين ابن الخطيب يستمد من صورة الخالق مقومات مدائحه لينتهي إلى صورة خارجة من اجتماع الاثنين (الممدوح والإله)⁴². ولكن أن يصل الشاعر إلى درجة أن يقسم بوجود ممدوحه ويعز مملكه، بل يرى أن هذا القسم هو أسمى قسم، فهذا إفراط وغلو، وتجاوز لكل الخطوط الحمر؛ العقلية والنقلية يصل بصاحبه إلى الكفر البواح.

³⁸ - زاهد، علي، (1352هـ-1932م)، ص: 365.

³⁹ - ومطلعها: الْحَقُّ يَغْلُو وَالْأَبَاطِيلُ تَسْفُلُ والله عن أحكامه لا يُسأل

انظر: -ابن الخطيب، (2007)، ج.2، ص: 495-505. وجاء في عتبتها الديباجية: «نظمها للسلطان (يقصد الغني بالله) - أسعده الله تعالى - وأنا بمدينة (سلا) لما انفصل طالبا حقه (بالأندلس)، كان صنع الله براعة استهلالها، ووجهت بها إليه إلى (زُئدة)، قبل الفتح، وفاءً بندري، وسميتها: (المنح الغريب في الفتح القريب). ولقد علق المقرئ على هذه القصيدة بقوله: «إن السلطان أمر بكتب هذه القصيدة على قصوره بالحرء إجاباً بها، وإنها إلى الآن لم تزل مكتوبة بتلك القصور التي استولى عليها العدو الكافر، أعادها الله للإسلام». انظر: -المقرئ، (1986)، ج.6، ص: 478.

⁴⁰ - ابن الخطيب، (2007)، ج.2، ص: 496.

⁴¹ - نفسه، ج.1، ص: 175.

⁴² - يوسف كريم، واقدة، (2016)، ص: 150.

يقول ابن الخطيب⁴³:

قَسَمًا بجودك وهو أي أليّة وبعزّ ملكك وهو أسمى مُقسَم

ونكتفي، في هذه الدراسة النقدية المتواضعة، بهذه الشذرات التطبيقية والشواهد الأنموذجية من مدائح لسان الدين ابن الخطيب السلطانية، وإلا فإنّ النماذج كثيرة لا يسعها هذا المقام.

*خاتمة:

- حاول هذا البحث المتواضع أن يقدم دراسة تطبيقية تحليلية لشذرات ونماذج من تمثّلات شعرية الغلو، وبعض تجليات توظيفها، وماهية حضورها في مدائح لسان الدين ابن الخطيب السلطانية، وقد تمخّض عن نتائج وخلاصات بارزة، منها:
- وقوع اضطراب وتداخل والتباس في تحديد دقيق لماهية الغلو، ممّا أدّى إلى بروز إشكالية المصطلح والمفهوم. ويعزى هذا التكوّن المصطلحي إلى تقارب في المفاهيم التي أطلقت على الظاهرة وتداولت بشكل يصعب معه الفصل الدقيق فيما بينها، كالمبالغة، والإفراط، والتبليغ، والإغراق، والإحالة...
 - إنّ الغلو ليس مفهوما دقيقا محددا، بل هو مفهوم هلاميّ مائع يخضع لعدّة عوامل لتحديد، منها مرجعية البلاغي الثقافية، ورؤيته النقدية والفكرية وبيئته الاجتماعية.
 - يعدّ الغلو ظاهرة فنية وأسلوبية، أثارت كثيراً من الجدل والسجال بين النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ودار حولها صراع نقديّ كبير بين مؤيد مستحسن ومعارض مستهجن ومتحفّظ متذبذب، ولكلّ منهم منظوره الخاص، وحججه وأدلته التي استند إليها في موقفه نابعة من رؤيته النقدية ومرجعياته الثقافية.
 - إنّ لظاهرة الغلو أثراً بارزاً في النقد العربي، ترتبط، بشكل أو بآخر، بإشكالات وقضايا نقدية وأخلاقية أخرى لا تقلّ، عنها، أهميةً وشأناً، انبثقت عنها وانصهرت معها في آصرة جدلية لا تنقطع، وهي إشكالية: (الشعر بين القيمة الفنية الجمالية والقيمة الدينية الأخلاقية)، أو إشكالية: (الشعر بين الصدق الفني والصدق الواقعي).
 - إنّ الغلو كان أحد أساليب التجديد التي جنح إليها الشعراء، ولا سيّما الأندلسيون، رغبةً منهم في الوصول بالمعنى إلى أعلى غاية، وأقصى درجة لإظهار الفاعلية المعنوية والنفسية في تفاعلهم مع بيئتهم الحضارية المترفة، والتعبير عن تجاربهم الشعرية والشعورية بعد طغيان التكرار والاجترار في المعنى والصياغة.
 - إنّ كثرة استعمال لسان الدين ابن الخطيب للغلو في صيغه التعبيرية وصوره الشعرية لا تنفصم كثيراً عن بيئته الاجتماعية والثقافية والإيديولوجية، واغترابه النفسي، وشخصيته المزاجية المتقلّبة، لهذا يتوسّل إليه للتعبير عن هذه التوليفة النسقية المركّبة، وإثارته المستفزة للذائقة الأدبية والشعرية بتجاوزه، في أحيان كثيرة، للطابوهات الدينية.
 - جنوح لسان الدين ابن الخطيب في بنائه الشعريّ إلى أسلوب الغلو، بكونه تجاوزاً أسمى لمستويات التعبير، واتّخاذه متنفساً نفسياً وفنياً، ومعادلاً موضوعياً لمعاناته النفسية، فجاء تضميداً لآلام نفسه المكرومة، وإرضاءً لممدوحه السلطاني، والتملّق له، وإبرازاً للأنا المتضخّمة المتعالية وشخصيته النرجسية المتقلّبة، وتعبيراً عن كفاءته النظامية وقدراته الإبداعية المتعدّدة وإمكاناته التعبيرية المتجدّدة.
 - ارتباط الغلو عند ابن الخطيب بأغراض شعرية محدّدة، ولاسيّما المدح والفخر. وكان المديح السلطاني، وما مازجه، أحياناً، من فخر ذاتي التيمة الرئيسة والبؤرة المركزية للمدونة الشعرية التي انتقيناها أنموذجاً للدراسة والتحليل في هذه الدراسة النقدية التطبيقية.
 - إنّ الغلو في الصورة الشعرية الخطيبية، أحياناً، يتخطّى أقصى مستويات الاستحالة، ويصل إلى حدود التأليه لممدوحه

⁴³ - ابن الخطيب، (2007)، ج.2، ص: 540.

السلطاني موظفاً، بكثافة، لألفاظ الذات الإلهية، وصفاته السرمديّة.

- إن في تشبيه ابن الخطيب للسلطين والقادة بأنبياء الله الأبرار والمرسلين الأطهار غلو لا يستقيم عادةً وعرفاً، وتجاوزاً، في مدحه، لمستويات الممكن العقدي، لأنّ الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق الإنساني، ونماذج الكمال البشري خلقاً وخلُقاً .
- إنّ الشاعر، تارة، يلبس ممدوحه السلطاني عباءة الكمال البشري، ويضفي عليه صورة النموذج الخارق المثالي، وفي هذه المبالغة غلو كبير، وزيادة عن حدود المعقول والمنقول.

*وبناءً على ما تقدّم، فإنّ مثل هذا الجُموح في الخيال والتصوير هو ما جعل الموقف البلاغي والنقدي في التراث العربي من ظاهرة الغلو يتسم بالتنشيط والانشطار بين الاستحسان تارة، والاستهجان تارة أخرى، وبين هذين الموقفين النقيضين هناك موقف ثالث وسط اتّصف بالاعتدال والتذبذب بينهما، فنجد أصحاب هذا الموقف؛ كابن طباطبّا، وابن رشيق القيرواني...، أحياناً، يمدحون الغلو ويُجيزون، وأحياناً أخرى يذمّون ويعارضون، ومنهج هؤلاء "أحسن الشعر أقصده"، لأنّ للمبالغة، عندهم، حدوداً، فهي مقبولة في حدود الشعر ليزيد جودة وبراعة، ورونقا وماءً لكن دون الوصول إلى درجة الغلو والتطرّف والإحالة.

وفي الختام، نرجو من العليّ القدير، أن نكون قد أجدنا المحرّ، وطبقنا المفصل، وأصبنا مقاتل الكلام، كما يقول صاحب العمدة. أو على الأقلّ حاولنا الاقتراب من إصابته، فإن كان لنا ذلك فمن منّه وفضله تعالى، وإن جائبنا الصواب فحسبنا أنّنا اجتهدنا.

*قائمة المصادر والمراجع:⁴⁴

- * القرآن الكريم، برواية ورش.
- ابن جعفر، قدامة، (1978)، نقد الشعر، (ط.3)، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- ابن الخطيب، لسان الدين، (2007)، الديوان، (ط.2)، صنعه وحقّقه وقدم له: د. محمد مفتاح، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، (2000)، تاريخ ابن خلدون، المسمّى: (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم)، (د.ط)، ج.7، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، ومراجعة: د. سهيل زكار، بيروت، لبنان، دار الفكر.
- ابن دُرَيْد، أبو بكر، (1987)، جمهرة اللغة، (ط.1)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.
- ابن المعتز، عبد الله، (1979)، كتاب البديع، (ط.2)، تحقيق: إغناطيوس كراتشكوفسكي، بغداد، العراق، مكتبة المثنى.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (2011)، لسان العرب، (ط.7)، طبعة جديدة ومحقّقة، بيروت، لبنان، دار صادر.
- إسماعيل، عزّ الدين، (د.ت)، التفسير النفسي للأدب، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار العودة، ودار الثقافة.
- بالنشأ، أنخل جنثالث، (2008)، تاريخ الفكر الأندلسي، (ط.2)، ترجمة: د. حسين مؤنس، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية.
- الجرجاني، القاضي عليّ بن عبد العزيز، (2006)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، (ط.1)، تحقيق وشرح: د. محمد إبراهيم أبو الفضل، وعليّ محمد البجاوي، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية .
- الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمان، (د.ت)، الإيضاح في علوم البلاغة، (ط.3)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم

⁴⁴ - تمّ ترتيب المصادر والمراجع في هذه الفهرسة حسب الترتيب الهجائي الألفبائي لأسماء المؤلفين.

خفاجي، بيروت، لبنان، دار الجيل.

- زاهد، علي، (1352هـ-1932م)، *تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي*، (د. ط)، القاهرة، مصر، مطبعة المعارف.

- زغل، محمد فاتح، (2006)، *سلطة المثقف بين الاقتراب والاعتزاب: قراءة في سيرة لسان ابن الخطيب وتجربته السياسية*، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب.

- عباس، إحسان، (1997)، *تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين*، (ط. 1)، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (1952)، *الصناعتين*، (ط. 1)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

- القرطاجني، حازم، (2007)، *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، (ط. 4)، تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، (2006)، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، (ط. 1)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مصر، دار الطلائع.

- المعلم، بطرس البستاني، (1977)، *محيط المحيط*، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.

- المقرئ التلمساني، أحمد بن محمد، (1986)، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب*، (د. ط)، ج. 5، و6، و7، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار صادر.

*الدوريات والمقالات:

- يوسف كريم، واقدة، (2016)، *الغلو في رسائل لسان الدين ابن الخطيب*، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، العدد السادس، ص: 143-160.

عنوان البحث

**الممارسات غير الأخلاقية للتسويق وأثرها على سلوك مواطني العملاء
(دراسة حالة: منتجات الألبان)**

د. مني عبد الرحمن حسن عبد الرحمن¹

¹ عضو هيئة تدريس، الكلية الجامعية بترية، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية.

بريد الكتروني: ghalib.5544@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/16>

تاريخ القبول: 2024/03/22م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى بيان مستوى أدراك العملاء للممارسات غير الأخلاقية في التسويق بعناصر (المنتج - السعر - التوزيع - الترويج) واثراً على سلوك مواطني العملاء لشركات منتجات الألبان في السودان. وتكمن مشكلة الدراسة حول إدراك العملاء لهذه الممارسات التسويقية ومدى أثره في سلوك مواطني العميل نحو الشركة المعنية، وقد قامت الدراسة بتصميم استبانة لقياس متغيرات الدراسة التي تم توزيعها على مجتمع الدراسة الذي تكون من عملاء مستخدمي منتجات الألبان ، وتألقت العينة من 30 استبانة ، واستخدم الدارس الأساليب الإحصائية المناسبة لتحليل البيانات كالوسط الحسابي . توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج هي : يؤثر ادراك العملاء للممارسات اللاأخلاقية في المنتج على سلوك مواطني العميل نحو شركات منتجات الألبان، وتوجد علاقة عكسية بين إدراك العميل للممارسات غير الأخلاقية للتوزيع وسلوك مواطني العميل ، توجد علاقة عكسية بين إدراك الممارسات غير الأخلاقية للترويج وسلوك مواطني العميل . قدمت الدراسة مجموعة من التوصيات كانت أهمها بذل المزيد من الجهود للحد من الممارسات اللاأخلاقية في التسويق لما لها من ضرر على العملاء، كذلك ضرورة تفعيل الدور الرقابي على جميع المستويات الرسمية والعمل على زيادة توعية الناس للممارسات اللاأخلاقية التي تقوم بها الشركات في الوقت الحاضر .

RESEARCH TITLE

**UNETHICAL MARKETING PRACTICES AND THEIR IMPACT
ON CUSTOMER CITIZENSHIP BEHAVIOR
(CASE STUDY: DAIRY PRODUCTS)****Dr. Mona Abdel Rahman Hassan Abdel Rahman¹**

¹ Faculty member, Tarbah University College, Taif University, Kingdom of Saudi Arabia. Email: ghalib.5544@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/16>

Published at 01/04/2024**Accepted at 22/03/2024****Abstract**

The objective of this study was to demonstrate the level of customer awareness of immoral practices in marketing with elements (product - price - distribution - promotion) and impact on customer behavior of dairy companies in Sudan. The problem of the study was about the customers' awareness of these marketing practices and their impact on the behavior of the client towards the particular company. The study designed a questionnaire to measure the study variables that were distributed to the study community, which are customers of dairy users. The sample consisted of 30 questionnaires, The appropriate statistics for data analysis, such as arithmetic mean. The study found a number of outcomes: Customer perceptions of ethical practices in the product affect the customer's behavior toward dairy companies, and there is an inverse relationship between customer perception of the ethical practices of distribution and customer citizenship behavior. The study presented a number of recommendations, the most important of which was the exertion of more efforts to reduce the immoral practices in marketing because of their harm to customers, the need to activate the supervisory role at all official levels and to increase public awareness of the immoral practices currently practiced by companies.

المقدمة :

يعد سلوك مواطني العميل من الموضوعات الحيوية التي نالت الاهتمام الكبير من قبل الباحثين التسويقيين لما له من دور مهم في فاعلية عمل المنظمة وفي تحسين مستوى الخدمات التي تقدمها. واشتق مفهوم مواطني العميل من مفهوم سلوك مواطني التنظيمية الذي يعني ذلك السلوك التطوع الاختياري الذي يمارسه العامل والذي لا يندرج تحت نظام الحوافز الرسمي في المنظمة والهادف إلي تعزيز أداء المنظمة وزيادة فاعليتها وكفاءتها ، أما سلوك مواطني العميل فهو ذلك السلوك الاختياري والتطوعي الذي يمارسه العميل والذي لا يندرج تحت قائمة السلوك المطلوب لتسليم الخدمة بشكل ناجح بل هو سلوك يصب في خدمة المنظمة وتحسين مستوى جودة الخدمات التي تقدمه ويتجه نحو تقديم المقترحات البناءة ومساعدة العملاء الآخرين والتعامل بلطف وإحساس مع مقدمي الخدمة ،ويطبق هذا المفهوم علي المنظمات الخدمية ،لان هناك اختلاف أساسيا ما بين المنظمات الخدمية والمنظمات الصناعية يتمثل بان العملاء غالبا ما يكونون موجودين فعليا عند تقدم الخدمة، وعلي النقيض تماما من المنظمات الصناعية إذا العملاء نادرا ما يكونون نموذجين خلال عملية الإنتاج، لذلك يمكن القول بان كل من العملاء والعاملين يمكن أن يشكوا الموارد البشري للمنظمات الخدمية .

العميل : العميل هو الشخص الذي يتيح للمؤسسة الفرصة كي تخدمه بشكل جيد ،هو الشخص الأكثر أهمية في كل وقت وكل مكان ، هو الذي تعتمد عليه المؤسسة في التخطيط لحاضرها ومستقبلها ،هو الذي يعبر عن رغباته ومتطلباته وتصبح مهمة المؤسسة أن تلبي له هذه الرغبات وتفي بهذه المطالب ،انه هو الذي يمنح المؤسسة القدرة علي الاستمرار وتحقيق النجاح.

مشكلة البحث :

علي الرغم من أهمية سلوك مواطني العميل وضرورة تطبيق الممارسات الأخلاقية إلا انه لم يحظى هذا الموضوع بالاهتمام في الوطن العربي . وحتى علي الصعيد الأكاديمي هنالك عدد قليل من الدراسات التي تناولته ككل بالرغم من الاهتمام الكبير الذي حظي به من قبل الدارسين والباحثين من الدول الغربية . ويمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال التالي :

هل إدراك العميل للممارسات غير الأخلاقية تؤثر في سلوك مواطني العميل نحو الماركة المعينة ؟
كما تهدف هذه الدراسة للإجابة علي الأسئلة التالية:

1. هل الإدراك للممارسات غير الأخلاقية للمنتج يؤثر علي سلوك مواطني العميل ؟
2. هل الإدراك للممارسات غير أخلاقية للسعر يؤثر علي سلوك مواطني العميل ؟
3. هل الإدراك للممارسات غير أخلاقية للترويج يؤثر علي سلوك مواطني العميل ؟
4. هل الإدراك للممارسات غير الأخلاقية للتوزيع يؤثر علي سلوك مواطني العميل؟

أهداف البحث:

1. دراسة العلاقة بين الإدراك للممارسات غير الأخلاقية للمنتج وسلوك مواطني العميل.
2. دراسة العلاقة بين الإدراك للممارسات غير الأخلاقية للسعر وسلوك مواطني العميل.
3. دراسة العلاقة بين الإدراك للممارسات غير الأخلاقية للترويج وسلوك مواطني العميل.
4. دراسة العلاقة بين الإدراك للممارسات غير الأخلاقية للتوزيع وسلوك مواطني العميل.

فرضيات البحث:

- الفرضية الأولى:** توجد علاقة عكسية بين الإدراك للممارسات غير الأخلاقية للمنتج وسلوك مواطني العميل .
- الفرضية الثانية:** توجد علاقة عكسية بين الإدراك للممارسات غير الأخلاقية للسعر وسلوك مواطني العميل.
- الفرضية الثالثة :** توجد علاقة عكسية بين الإدراك للممارسات غير الأخلاقية للترويج وسلوك مواطني العميل
- الفرضية الرابعة :** توجد علاقة عكسية بين الإدراك للممارسات غير أخلاقية للتوزيع وسلوك مواطني العميل.

متغيرات البحث:

تنقسم متغيرات البحث إلى متغيرين:

متغير مستقل:

إدراك العميل للممارسات غير أخلاقية في : المنتج، السعر ، الترويج ، التوزيع

متغير تابع : سلوك مواطني العملاء

تعريف متغيرات البحث :

السعر:

هو القيمة التي يدفعه العميل مقابل الاستفادة من المزايا الفوائد وهي تشملها السلعة أو الخدمة⁽¹⁾ .

التوزيع:

يعني مجموعة الإجراءات المتردفة التي تشترك في جعل المنتج أو الخدمة متوفرة الشركة أو المستهلك من قبل

العميل.

الترويج:

هو عملية اتصال مباشر أو غير مباشر بالمستهلك النهائي أو الصناعي لتعريفه بمنتج الشركة ومحاولة إقناعه فانه يحقق حاجاته ورغباته وحمايته من الإستغلال .

أهمية البحث:

هنالك أهمية نظرية وأخرى عملية لهذه الدراسة

الأهمية النظرية :

يهتم هذا البحث بتوضيح أهمية التسويق الأخلاقي وتطبيقه في الشركات والمؤسسات لذا فانه يهتم بالجانب العلمي كثيراً في معرفة مدخل تطبيقي لهذا التسويق في العصر الحالي وتدريبه في الجامعات والمعاهد يهيئ الدارسين لفهمه واستيعابه بطريقة تؤدي إلي حسن أدائهم مستقبلاً. كما يسمح هذا البحث بسد الفجوات في مثل هذا النوع من الدراسات التي لم يتم التطرق إليها مسبقاً في البيئة السودانية وإثارة الاهتمام بموضوع الخداع التسويقي نظراً لشح الأبحاث عنه في الوطن العربي. إثارة جمعيات حماية المستهلك .والمساهمة في زيادة الوعي عند المسوقين والعمل علي تنبيههم بحضوره هذا الموضوع .

الأهمية العملية:

تكمن في تقديم معلومات مهمة لمتخذي القرارات التسويقية والمدراء فيما يتعلق بضرورة الاهتمام بالتسويق الأخلاقي والتوجه التسويقي من اجل الحصول علي مواطني العملاء في المنتجات والخدمات في السودان وبالتالي رضا العملاء و ولائهم والاحتفاظ بالزبائن.

ومن ناحية أخرى تساهم الدراسة الحالية في زيادة قدرة المستهلك علي اكتشاف الممارسات الأخلاقية في مختلف صور التسويق لمنتجات الألبان وتجنب الوقوع فيها، الأمر الذي يساعد في تحسين قدرته علي صنع القرارات الشرائية السليمة. ومن الناحية الأكاديمية، تساهم الدراسات الحالية في ثراء المعرفة في مجال الممارسات غير أخلاقية في البيئة العربية علي وجه الخصوص . لذا ستساعد هذه الدراسة في صياغة إطار علمي وعملي قد يساعد المشروع السوداني في صياغة الأحكام والتشريعات التي يمكن أن تضبط الأداء التسويقي بشكل عام.

مجال الدراسة: على العملاء**مصادر جمع البيانات :**

المصادر الأولية :الاستبانة

المصادر الثانوية: يكون ذلك بالرجوع للكتب والمراجع والمواقع الالكترونية والأوراق العلمية المنشورة .

حدود البحث :**الحدود الزمانية :2019-2022م****الحدود المكانية: عملاء منتجات الألبان****المحور الأول: الممارسات الأخلاقية**

يقصد بالممارسات غير الأخلاقية : أي ممارسة تسويقية يترتب عليها تكوين انطباع أو اعتقاد أو تقدير أو حكم شخصي خاطئ لدى المستهلك (العميل) فيما يتعلق بالشيء موضع التسويق (المنتج) ، أو مايرتبط به من العناصر الأخرى للمزيج التسويقي من تسعير وترويج وتوزيع . وبالطبع فقد ينتج عن ذلك اتخاذ المستهلك لقرار غير سليم يترتب عليه إلحاق ضرر بشكل أو بآخر به ،ويدل الخداع التسويقي علي عدم التزام القائمين بالتسويق بأخلاقياته ،والتي تسبب أضرار جسيمة لهم بما في ذلك تعرضهم للمساءلة القانونية¹.

الإدراك: عملية تفسير خصائص المثيرات وإعطائها المعاني المناسبة بها في ضوء خبرات الفرد السابقة ويقصد بها إجرائيا كيفية استقبال المعلومات وتنظيمها وتكوين مفاهيم ذات قيمه.

السعر: هو ألقية التي يدفعها العميل مقابل الاستفادة من المزايا الفوائد وهي تشملها السلعة أو الخدمة **التوزيع:** يعني مجموعة الإجراءات المترادفة التي تشترك في جعل المنتج أو الخدمة متوفرة الاستخدام أو الاستهلاك من قبل العميل²

الترويج: هو عملية اتصال مباشر أو غير مباشر بالمستهلك النهائي أو الصناعي لتعريفه بمنتج الشركة ومحالة إقناعه فانه يحقق حاجاته وحمايته من الاستغلال.

مفهوم التسويق³:

يعد التسويق صلة الوصل بين أولئك الذين يصنعون (ينتجون) السلع والخدمات وأولئك الذين يشترونها ويستخدمونها، وبمعني آخر يؤمن التسويق سد الفجوة بين الإنتاج والاستهلاك فهناك الكثير من السلع والخدمات يحتاج إليها الناس الذين لهم حاجات ورغبات متنوعة ويستخدمون أساليب كثيرة لتلبية هذه الحاجات والحصول علي هذه السلع والخدمات في أسواق كثيرة. إن تحديد نوعية السلع والخدمات المطلوبة من المستهلكين وإيجادها عن طريق إنتاجها لمن يرغب بها منهم وتحديد متى وكيف وأين تقدم لهم بالسعر القادرين علي دفعه والراغبين به هي من المهام والأنشطة التي يشملها مفهوم التسويق. ويمكن تعريف التسويق علي انه يتضمن أداء جميع الفعاليات أو الوظائف والأنشطة اللازمة من اجل انسياب السلع والخدمات من المنتجين إلى الزبائن سواء كان هؤلاء مستهلكين نهائيين أو مشترين لها من اجل عمليات إضافية قبل وصولها نهائيا إلى المستهلكين . ويركز هذا التعريف علي المفهوم الوظيفي الذي يعد مهما لدراسة التسويق والنظر إليه كعملية من الضروري أداؤها بفعالية لتحقيق النتائج والأهداف المرجوة منها. والوظيفة التسويقية هي نشاط أساسي أو عمل جوهري يحدث حين أداء التسويق من قبل المتسوقين إذ يؤدي بعضهم عادة عددا منها كما قد تؤدي

1 مصطفى محمود ابوبكر، إدارة التسويق في المنشآت المعاصرة، الدار الجامعية ،ص2003،223م.

2 المرجع السابق،ص205.

3. الطائي، حميد وآخرون الأسس العلمية للتسويق الحديث- مدخل شامل، دار اليازوري، عمان- الأردن، ص2006،312..

الوظيفة نفسها من قبل أكثر من واحد حين تقدم السلعة أو الخدمة إلى الزبون. عرفه مارتن بل: هو العمل الإداري الخاص بالتخطيط الإستراتيجي لجهود المشروع وتوجيهها والرقابة علي استخدامها في برامج تستهدف تحقق الربح للمنشأة والإشباع لحاجات المستهلكين ذلك العمل الذي يتضمن توحيد كل أنشطة المشروع بما فيها الإنتاج والتمويل والبيع في نظام عمل موحد. كما قامت الجمعية الأمريكية للتسويق بتعريفه عام 1985 التسويق عملية تشمل علي التخطيط والتنفيذ للمنتج والتسعير والتوزيع والخدمات والأفكار لتحقيق عملية التبادل لمقابلة أهداف الأفراد والمنظمات⁴. وانطلاقاً مما سبق فإنه يمكن وضع تعريف للتسويق يركز علي الجوانب المختلفة التي أوضحتها التعاريف السابقة وبما يتفق مع المفهوم الحديث:

التسويق نشاط إنساني تبادل يتعلق بتخطيط وتنفيذ مجموعة من الأنشطة أو الوظائف المتكاملة التي تساهم في تدقيق السلع أو الخدمات من المنتج إلى المستهلك النهائي أو المشتري الصناعي وبما يحقق إشباع احتياجات كافة الأطراف المتصلة بالنشاط من أطار محددات بيئية داخل المجتمع⁵.

المحور الثاني: المفهوم الأخلاقي للتسويق:

يعد المفهوم الأخلاقي للتسويق امتداداً لأجتماعي للتسويق لكنه أحداث وأشمل منه حيث يركز علي مسائل عديدة تتمثل في:

المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية والاعتبارية للتسويق، سلوك ألقائمين علي التسويق أخلاقياته، المسائلة أي المحاسبة لأصحاب المصلحة في منظمات الأعمال الإنتاجية والخدمية علي حد سواء .

إن أهمية الأخلاقيات في منظمات الأعمال الخدمية بشكل خاص تكمن في الآتي:

1. زيادة ثقافة الجمهور في النشاط التسويقي لمنظمات الأعمال وتسهيل نظام التبادل السوقي
 2. خلق منافسة صحية تجعل من عملية التبادل بين طرفي السوق المتمثلة بين البائعين "العرض" و"المشتري" الطلب ومن شرط المنافسة النزاهة والاستقامة.
 3. بروز الكفاية الاقتصادية التي تساهم في تحقيق نتائج اقتصادية واجتماعية طيبة علي مستوى المجتمع وبالتالي تفعيل المسؤولية الاجتماعية كما تعد الأخلاقيات مؤثر سئ للتسويق يتوجب علي منظمات الأعمال الانتباه إليه عند صياغة الإستراتيجيات التسويقية وبشكل خاص إستراتيجية التسعير والترويج.
- وتلعب أخلاقيات التسويق دوراً واضحاً في المزيج التسويقي الخدمي والعلاقات التبادلية بين منظمات الأعمال الخدمية وزبائنها والتوجه نحو معرفة وتشخيص ورغبات وحاجات الزبائن لطرح خدمات تتلاءم مع هذه الرغبات والحاجات للوصول إلى تفعيل مفهوم الخدمة المفضلة علي مقياس الزبون أو ما تسمى بالزبونية⁶.

تعريف الأخلاق في التسويق:

عرفت الأخلاق بشكل عام من قبل عدة علماء فعرّفها روبرتس بأنها المعايير أو المبادئ في السلوك الإنساني والتي تستخدم للحكم أو السيطرة علي سلوك الأفراد أو المجاميع البشرية⁷. وعرف ديب الأخلاقي علي أنها المفاهيم الخلقية

4 الطائي، حميد وآخرون الأسس العلمية للتسويق الحديث/ مرجع سابق، ص316.

5 Diana Mutti, Natalia Yakovleva, Diego Vasquez–Brust, Martin H.Di Marco, «Corporat Social responsibility in the mining industry: Perspectives from stake holder groups in argentina », Resources policy, 2010, p 2.

6 المرجع السابق، ص208.

7 فؤاد محمد حسين الحمدي، «الأبعاد التسويقية للمسؤولية الاجتماعية للمنظمات وانعكاساتها على رضا المستهلك» رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإدارة والإقتصاد، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2006.

التي تجدد السلوك وفيما إذا كان صحيحاً أو غير صحيح⁸.

كما عرفها شاربلين أنها التصرف وبشكل منضبط مع ما هو جيد وما هو سيء أو ما هو صحيح وما هو غير صحيح وعلي وفق الالتزامات والواجبات المحددة مسبقاً.

أما أخلاقيات التسويق فعرفها ديب علي أنها المعايير التي تحكم تصرفات المسوقين وعلي ضوء ما يحملونه من القيم الأدبية التي تحدد أو تعرف الشيء الصحيح عن الخطأ في السلوك التسويقي.

وعرفها برايدوفيريل علي أنها المبادئ المعايير التي يجب إتباعها في عملية التسويق من أجل يكون الأداء مقبولاً من الجماعة المحيطة بالمنظمة⁹. وعلي ضوء هذه التعاريف يمكن النظر إلى أخلاقيات التسويق علي أنها مجموعة المعايير التي تحكم سلوك وتصرفات المسوقين وبما يحملونه من قيم ومعتقدات أخلاقية باتجاه أن يكون سلوكهم التسويقي صحيح أو غير صحيح ويكون المجتمع بالتالي هو الحكم في ذلك علي سلامة تلك الأنشطة التسويقية المؤداة من قبل المنظمة. وعليه يكون من الواضح بأن معظم المفاهيم الأخلاقية التسويقية قد صيغت من خلال القوانين والأنظمة والأعراف الحكومية والتي تتطابق مع معايير المجتمع، وبالتالي أصبح من السهل القول بأن أخلاقيات التسويق تسير جنباً إلى جنب مع المفاهيم القانونية.

الأخلاقية واتخاذ القرار التسويقي:

لتوضيح أهمية الأخلاق في عملية اتخاذ القرار التسويقي فلا بد من توضيح العوامل المؤثرة في هذه العملية ولطالما كانت الأخلاق تمثل موضوع سلوكي فانه يمكن أن يتقبل عرض وجهات نظر متعددة وقد تكون في بعض الأحيان متباينة. ويوضح الشكل الآتي تلك العوامل الثلاثة الرئيسية المؤثرة في اتخاذ القرارات الأخلاقية التسويقية.

المحور الثالث: الممارسات للأخلاقية وعلاقتها بعناصر المزيج التسويقي :

1- الممارسات للأخلاقية في مجال التسعير:

ويتمثل بالسعر غير العادل حيث بيع المنتجات من نفس الصنف للزبائن بأسعار مبالغ بها توهي بجوده عالية للمنتج والواقع خلاف ذلك ،أو زيادة الأسعار إلى مستوي غير معقول ثم تقديم خصومات للوصول إلى السعر العادي للخدمة ، وفي بعض الأحيان تقدم خصومات وهمية وغير حقيقية كما إن الشركات لا تعلن عن حقيقة الضرائب المفروضة علي المنتج أو قد تكون مكتوبة بخط صغير غير مقروء بسهولة .

2- الممارسات للأخلاقية في مجال الترويج :

يعد الترويج من أهم عناصر المزيج التسويقي الفكرة للزبون حول المنتج أو الخدمات المقدمة وبناء صورة ذهنية معينه حول المنتجات المقدمة ، وتكون الممارسات غير أخلاقية في الترويج من خلال الإعلانات الكاذبة إذا تنتج صورة ذهنية مخالفه للحقيقة ما يلحق الضرر بالزبائن للمعلومات المشوهة . كما توجد بعض الإعلانات المستخدمة من قبل بعض الشركات التي لا تعطي معلومات صحيحة عن الخدمة أو يكون بها تناقض لإثارة مشاعر الزبائن .

أما بالنسبة للبيع الشخصي يقوم المسوق بإخفاء بعض المعلومات التي تتعلق بالمنتج عن الزبون كذلك المدح للمنتج دون بيان عيوبها مع المبالغة في وصفها ، كذلك يقوم البائع بتقديم معلومات حول مسابقات وجوائز يحصل عليه الزبون عند شراء المنتج وفي النهاية تكون عبارة عن مسابقات وهمية وغير حقيقية¹⁰ .

8 المرجع السابق.

9 فؤاد محمد حسين الحمدي، «الأبعاد التسويقية للمسؤولية الاجتماعية للمنظمات وانعكاساتها على رضا المستهلك، المرجع السابق

10 فيليب كوتلر، جاري أرمسترونج، أساسيات التسويق، دار المريخ للنشر، الرياض، ط11، 2007.

الممارسات الا أخلاقية في مجال المنتج:

- هناك العديد من أساليب الخداع التسويقي التي تستخدمها بعض الأعمال والمشاريع في التسويق لمنتجاتها ومنها _:
1. تقليد العلامة التجارية: وهو أسلوب يقوم علي تقليد المنتجات التي تحمل علامة تجاريه مشهورة ومعروفه؛ ويكون ذلك من خلال تقليد الاسم والشعار والشكل والحجم والألوان ولكن باستخدام مواد أو مكونات لا تراعي معايير الجودة والسلامة .
 2. تضخيم حجم العبوة :وهذا الأسلوب يتم من خلال تضخيم حجم العبوة ،حيث يظن المستهلك انه حصله علي منتج بحجم كبير أو كميته كبيره ولكن هذا الكبر ما هو إلا تضخيم لحجم العبوة وليس للمنتج نفسه.
 3. تغيير شكل المنتج أو عبوته أو غلافه :تمارس الكثير من الأعمال والمشاريع هذا الأسلوب وهو إقناع المستهلك بان المنتج تم تطويره وزيادة فعاليته ، ويكون ذلك من خلال تغيير شكله أو شكل عبوته وغلافه ولكن دون أي تغيير يذكر علي مكوناته أو أجزائه.
 4. استخدام عبوات غير ملائمة : تستخدم بعض الأعمال والمشاريع عبوات لا تتناسب مع طبيعة المنتج ،بحيث تكون تلك العبوات مصنوعة من مواد تتفاعل مع مكونات المنتج مما يجعل هذا التفاعل خطرا علي صحة وسلامة المستهلك ، كتعبئة مواد غذائية في عبوات صنعت لتعبئة مواد كيميائية ، وكذلك عدم مراعاة عناصر الجودة والسلامة من خلال عدم مراعاة أن تكون العبوات ذات سماكات أو مقاسات مناسبة أو أن تكون مطلية بمادة تمنع التفاعل أو الصدأ وكذلك عدم طلاء أماكن اللحام لمنعها من الصدأ ومن ثم الانفجار¹¹.
 5. تقليل المادة الفاعلة : ويستخدم هذا الأسلوب من المنتجات التي تتكون من مادتين أحدهما فعاله وهي ذات التكلفة العالية وأخرى مساعده وهي ذات التكلفة الأقل ويكون حجم العبوة معروف لدى المستهلكين، فيكون التلاعب من خلال تقليل كمية المادة الفاعلة وزيادة كمية المادة المساعدة وبهذا يكون حجم المادتين معا هو نفس حجم العبوة المعروفة لدى المستهلك، وهناك أيضا من يقومون بخلط المادة الفاعلة بماده آخري زهيدة الثمن وبهذا تقل المادة الفاعلة غالية الثمن مع الإبقاء علي نفس حجم العبوة.

3-الممارسات اللاأخلاقية في مجال التوزيع:

- هنالك بعض من الممارسات غير اللاأخلاقية في مجال الترويج تتمثل في :
- 1- قيام بعض متاجر التجزئة ببيع العينات المجانية التي من المفترض أن يتم استخدامها في تنشيط المبيعات والتي يتم الحصول عليها من المنتجين أو من تجار الجملة .
 - 2- استخدام بعض متاجر السوبر ماركت التي تعرض الخضار والفاكهة للإضاءة لتأثير علي ألوان والأصناف المختلفة منها، حيث يتم استخدام لون معين في الإضاءة يتناسب مع اللون الذي يجب أن يتوافر في الصنف .
 - 3- وضع بعض متاجر السوبر ماركت للسعر علي السلعة دون بيان الوحدة هل هي للكيلو جرام أو للدسته... الخ .
 - 4- نقص المعلومات فيما يتعلق بمصدر الفاكهة والخضروات التي تعرضها بعض متاجر السوبر ماركت .
 - 5- عرض منتجات مقلدة تحمل العلامات الأصلية المشهورة، وعادة ما يستخدم هذا النوع من الخداع بواسطة متاجر التجزئة التي تتعامل في الأجهزة الالكترونية فيتم عرض منتجات تحمل علامات مثل ناشيونال، بانا سونيك ،وتوشيبا ومثلا بينما هي ليست كذلك هذا وان كانت الأسعار التي تباع بها هذه المنتجات عادة ما تكون اقل بدرجة ملموسة من أسعار مثيلاتها غير المقلدة أو الأصلية.

11 نجم عبود نجم، أخلاقيات الإدارة ومسؤولية الأعمال في شركات الأعمال، مؤسسة وارق للنشر والتوزيع، الأردن، سنة 2006.

الدراسة الميدانية

المقدمة :

يحتوي هذا الفصل على تحليل البيانات المتعلقة بمعدل الاستبانة والبيانات الشخصية للأفراد الذين أجرى عليهم البحث والتحليل العاملي لمتغيرات الدراسة وبالإضافة إلى درجة اعتمادية متغيرات الدراسة وتعديل فرضيات الدراسة ونموذج الدراسة وبجانب الإحصاء الوصفي ، والمتوسطات ، والانحراف المعياري لمتغيرات ثم تحليل الفرضيات .

معدل استجابة المبحوثين حجم العينة = (135)

البيانات	العدد	النسبة %
الاستبانات الموزعة	135	100%
الاستبانات المستردة	120	88.9%
الاستبانات التي لم ترد	15	11.1%
الاستبانات الغير صالحة للتحليل	2	1.5%
الاستبانات الصالحة للتحليل	118	87.4%

المصدر :إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2018

تم توزيع عدد (135) استبيان على العينة المبحوثة بمساعدة مقدرة ومشكورة من بعض أفراد العينة تمكنت الدارسة من استلام ردود المبحوثين في فترة معقولة. الجدول التالي يوضح معدل الاستجابة للمبحوثين. يلاحظ من الجدول أن عدد الاستبانات المستردة يساوي (120) استبيان بنسبة (88.9%) من إجمالي الاستبانات الموزعة، الاستبانات التي لم ترد (15) استبيان بنسبة (11.1%). بينما يبلغ عدد الاستبانات الغير صالحة للتحليل (2) استبيان بنسبة (1.5%). أما عدد الاستبانات الصالحة للتحليل فيساوي (118) استبيان بنسبة (87.4%) من إجمالي الاستبانات الموزعة وهي نسبة تعتبر كبيرة في البحوث إلي تعتمد علي قوائم الأسئلة أو الاستبانات وتعكس مدى استجابة المبحوثين ومدى وضوح عبارات الاستبيان المستخدمة في جمع بيانات الدراسة الميدانية.

الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة:

* الجدول يوضح توزيع مفردات العينة حسب النوع حيث كان العدد الكلي () بلغت نسبة الذكور (48.3%) من العينة. بينما تشكل الإناث نسبة (51.7%) .

* كما وضح الجدول توزيع مفردات العينة العمر. يلاحظ من الجدول أن الفئة اقل من 25 سنة شكلت نسبة (16.9%)، بينما شكلت من 25 - 35 سنة بلغت نسبة بلغت (60.2%) ، اما من 36 - 45 سنة بلغت نسبة (22%)، أما من 46 - 60 سنة بلغت نسبة (8.8%)، أما من 61 سنة فما فوق بلغت نسبة (-) .

* أما الحالة الاجتماعية: الجدول يوضح توزيع مفردات العينة أعزب يشكلون نسبة بلغت (27.1%) ، والتي تليها متزوج بنسبة (62.7%) ، والتي تليها أخرى بنسبة (10.2%) .

* أما المؤهل العلمي يوضح الجدول أن دون الجامعي يشكلون نسبة (29.7%) من العينة، تليها نسبة جامعي بنسبة (50%) ، تليها نسبة فوق الجامعي بنسبة (15.3%) ، أما أخرى بلغت نسبة (5.1%) .

* أما الوظيفة : الجدول يوضح توزيع مفردات العينة أن موظف قطاع حكومي يشكلون نسبة بلغت (24.6%) ، والتي تليها موظف قطاع خاص بنسبة (14.4%)، ثم رجل أعمال بنسبة (13.6%) ، أخرى بنسبة (47.5%) .

* أما الدخل : الجدول يوضح توزيع مفردات العينة أن اقل من 3000 يشكلون نسبة بلغت (39%) ، والتي تليها من 3000 - 5000 بنسبة (25.4%)، ثم من 5000 - 10000 بنسبة (12.7%) ، أكثر من 10000 بنسبة (.) .

البيانات الشخصية :

النوع	العدد	النسبة
النوع	ذكر	48.3
	أنثى	51.7
المجموع	118	%100
العمر	اقل من 25 سنة	16.9
	25-35	60.2
	36-45	22
	46-60	.8
المجموع	118	%100
الحالة الاجتماعية	32	27.1
	74	62.7
	12	10.2
المجموع	118	%100
المؤهل العلمي	دون الجامعي	29.7
	جامعي	50
	فوق الجامعي	15.3
	أخرى	5.1
المجموع	118	%100
الوظيفة	موظف قطاع حكومي	24.6
	موظف قطاع خاص	14.4
	رجل أعمال	13.6
	أخرى	47.5
المجموع	118	%100
الدخل	اقل من 3000	22.8
	3000-5000	39
	5500-10000	25.4
	أكثر من 10000	12.7
المجموع	118	%100

التحليل العاملي:

أخضعت بيانات الاستبيان للتحليل العاملي بغرض فهم الاختلافات بين مجموعة كبيرة من متغيرات الاستجابة. حيث أن التحليل العاملي يستعمل متغيرات معيارية لتوزع عليها بنود المتغيرات بحسب انحرافاتها عن الوسط الحسابي وتكون العلاقات بين المتغيرات داخل العامل الواحد أقوى من العلاقة مع المتغيرات في العوامل الأخرى (زغلول، 2003).

تستند متغيرات هذه الدراسة بواسطة التحليل العاملي على الافتراضات التي تقدمت دراسة (Hair et al 2010)

كشروط لقبول نتائجها وهي :

1 - وجود عدد كافي من الارتباطات ذات دلالة إحصائية في المصفوفة

2 - ألا تقل قيمة (KMO) عن (0.6)

- 3 - ألا يقل اختبار (Bartlett's) عن (0,05)
- 4 - أن تكون قيم الاشتراكيات الأولية (Cummunalities) للبنود أكثر من (0,50)
- 5 - ألا يقل تشبع (Loading) العامل عن (0,50). مع مراعاة عدم وجود قيم متقاطعة تزيد عن (0,50) في العوامل الأخرى.

6 - ألا تقل قيم الجذور الكامنة (Eigen values) عن الواحد.

* التحليل العاملي للمستقل الممارسات غير الأخلاقية للتسويق :

اجري التحليل العاملي لعدد (18) عبارة تستخدم لقياس الممارسات غير الأخلاقية للتسويق . الجدول يعرض ملخص نتائج التحليل العاملي الذي اجري على المتغير المستقل (الممارسات غير الأخلاقية للتسويق) . في الاختبار الأول من التحليل العاملي وجدت عبارات لها قيم الاشتراكيات الأولية (Communalities) أقل من (0,50) تم استبعادها . جاءت المصفوفة في (4) أعمدة، اشتمل النموذج الأول علي (7) عبارات شكلت التوزيع ، اشتمل النموذج الثاني علي (4) عبارات شكلت الترويج ، اشتمل النموذج الثالث علي (3) عبارات شكلت المنتج ، اشتمل النموذج الرابع علي (2) عبارات شكلت السعر .

التحليل العاملي للمتغير المستقل (الممارسات غير الأخلاقية للتسويق)

التوزيع	1	2	3	4
تغري المستهلكين بتعدد أنواع منتجاتها	.819	.073	.335	-.098
توفر منافذ بيع تجذب العملاء	.805	-.097	.259	-.221
تستخدم مندوبين ذو كفاءة عالية	.794	-.065	-.085	-.133
تضع أسعار مختلفة لمختلف المشتري لنفس المنتج	.749	.083	-.051	.208
تخضع المستهلكين حول توفير المنتج من اجل بيع الماركات الأقل توزيعا	.745	.249	.062	-.038
تبيع المنتج بسعر عالي جدا مقارنة بتكلفة الإنتاج	.650	.321	.243	.330
تتفق فيما بينها ببيع منتجاتها لمستهلكين بسعر أعلى	.616	.239	.127	.409
الترويج				
تبالغ في وصف منافع وخصائص منتجاتها	.041	.880	.296	.041
تقدم وعود غير حقيقية عن المنتج	.089	.833	.236	.151
تحاول إقناع المستهلكين إن يشتروا منتجات لا يحتاجونها	.160	.829	.241	-.022
تقدم معلومات مضللة عن المنتج	.055	.676	.070	.475
المنتج				
تقوم بتقليل حجم المنتج	.239	.189	.834	.206
تبيع منتج اقل جودة لتجنب الزيادة في الأسعار	.047	.337	.829	.228
تخفي معلومات عن المكونات , بلد المنشأ , تاريخ الصلاحية	.120	.265	.820	.254
السعر				
تبيع منتجات منتهية الصلاحية	-.004	.117	.251	.851
تبيع منتجات معيبة	-.087	.104	.346	.768
Cumulative %	73.505			
Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy.	.728			
Bartlett's Test of	1516.680			

المصدر :إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية 2018

التحليل العاملي للتابع سلوك مواطني العملاء :

اجري التحليل العاملي لعدد (12) عبارة تستخدم لقياس سلوك مواطني العملاء . الجدول يعرض ملخص نتائج التحليل العاملي الذي اجري على المتغير التابع (سلوك مواطني العملاء) .
في الاختبار الأول من التحليل العاملي وجدت عبارات لها قيم الاشتراكات الأولية (Cummunalities) أقل من (0,50) تم استبعادها .

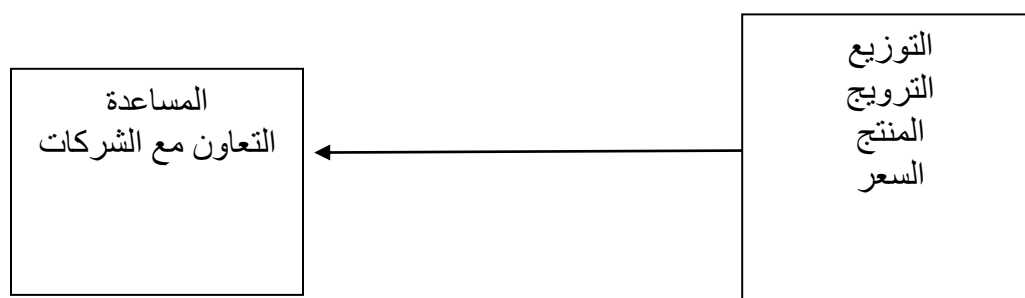
المتغيرات	عدد العبارات	Cronbach's alpha
التوزيع	7	0.88
الترويج	4	0.88
المنتج	3	0.91
السعر	2	0.83
المساعدة	5	0.91
التعاون مع الشركات	4	0.76

جاءت المصفوفة في (2) أعمدة، اشتمل النموذج الأول على (6) عبارات شكلت المساعدة ، اشتمل النموذج الثاني على (4) عبارات شكلت التعاون مع الشركة .
الاعتمادية:

للتأكد من درجة الاعتمادية تم اختبار أسئلة الاستبانة بالاعتماد على مقياس الاعتمادية حيث يوضح الجدول أعلاه إن معامل الاعتمادية (كرونباخ ألفا) كان بدرجة عالية من الاعتمادية حيث بلغ معامل الاعتمادية بالنسبة للعبارات المكونة لمتغيرات المستقل التوزيع (0.88) ، الترويج (0.88) ، المنتج (0.91) ، السعر (0.83) أما متغيرات التابع هي المساعدة (0.91) ، التعاون مع الشركات (0.74) كما موضح في الجدول أدناه .
نموذج الدراسة المعدل :

سلوك مواطني العملاء

الممارسات غير الأخلاقية للتسويق



الفرضية الرئيسية :

هنالك علاقة ايجابية بين الممارسات غير الأخلاقية للتسويق و سلوك مواطني العملاء

الفرضيات الفرعية :

التوزيع يؤثر على المساعدة

الترويج يؤثر على المساعدة

المنتج يؤثر على المساعدة

السعر يؤثر على المساعدة
التوزيع يؤثر على التعاون مع الشركات
الترويج يؤثر على التعاون مع الشركات
المنتج يؤثر على التعاون مع الشركات
السعر يؤثر على التعاون مع الشركات
المتوسطات والانحرافات المعيارية :

الجدول أدناه يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري لأبعاد المتغير المستقل (التوزيع ، الترويج ، المنتج ، السعر) . يلاحظ من الجدول أن الوسط الحسابي للتوزيع (وسط حسابي = 2.43 ، انحراف معياري = 0.97) ، يليه الوسط الحسابي للترويج (وسط حسابي = 3.26 ، انحراف معياري = 1) ، يليه الوسط الحسابي المنتج (وسط حسابي = 3.18 ، انحراف معياري = 1) ، يليه الوسط الحسابي السعر (وسط حسابي = 4.05 ، انحراف معياري = 0.98). ويلاحظ أن جميع هذه الأوساط الحسابية تقل عن الوسط الفرضي المستخدم في برنامج التحليل الإحصائي. أما المتغير التابع سلوك مواطني العملاء كانت كالاتي المساعدة (الوسط الحسابي = 2.93 ، الانحراف المعياري = 0.93) ، يليه الوسط الحسابي التعاون مع الشركات (وسط حسابي = 2.80 ، انحراف معياري = 1) كما موضح في الجدول أدناه .

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتغيرات الدراسة :-

اسم المتغير	نوع المتغير	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التوزيع	مستقل	2.43	0.97
الترويج	مستقل	3.26	1
المنتج	مستقل	3.18	1
السعر	مستقل	4.05	0.98
المساعدة	تابع	2.93	0.93
التعاون مع الشركات	تابع	2.80	1

المصدر إعداد الباحثة من بيانات الدراسة الميدانية (2022)

الارتباطات بين متغيرات الدراسة :

اجري تحليل الارتباطات على بيانات الدراسة الميدانية للوقوف على الصورة المبدئية للارتباطات البينية بين متغيرات الدراسة. فكلما كانت درجة الارتباط قريبة من الواحد الصحيح فان ذلك يعنى أن الارتباط قويا بين المتغيرين وكلما قلت درجة الارتباط عن الواحد الصحيح ضعفت العلاقة بين المتغيرين وقد تكون العلاقة طردية أو عكسية، وبشكل عام تعتبر العلاقة ضعيفة إذا كانت قيمة معامل الارتباط أقل من (0.30) ويمكن اعتبارها متوسطة إذا تراوحت قيمة معامل الارتباط بين (0.30) إلى (0.70) و تعتبر العلاقة قوية إذا كان معامل الارتباط أكثر من (0.70) والجدول أدناه يوضح الارتباطات بين متغيرات الدراسة.

من ذات الجدول نجد أن بعد التوزيع يرتبط ارتباط ايجابي معنوي مع الترويج حيث كانت قيمة (الارتباط = 0.308 .) نجد أن التوزيع يرتبط ارتباط ضعيف مع المنتج حيث كانت قيمة (الارتباط = 0.349). نجد أن التوزيع يرتبط ارتباط ايجابي معنوي مع السعر حيث كانت قيمة (الارتباط = 0.119) ، ونجد إن التوزيع يرتبط ارتباط ضعيف مع المساعدة حيث كانت قيمة (الارتباط = 0.353) ، ونجد إن التوزيع يرتبط ارتباط ضعيف مع التعاون مع الشركات

كانت قيمة (الارتباط = 0.235)، ونجد إن الترويج يرتبط ارتباطاً إيجابياً معوني مع المنتج حيث كانت قيمة (الارتباط = 0.478)، ونجد إن الترويج يرتبط ارتباطاً إيجابياً معوني مع السعر كانت قيمة (الارتباط = 0.365)، ونجد إن الترويج يرتبط ارتباطاً ضعيفاً مع المساعدة كانت قيمة (الارتباط = 0.094)، ونجد إن الترويج يرتبط ارتباطاً ضعيفاً مع التعاون مع الشركات كانت قيمة (الارتباط = 0.241)، ونجد إن المنتج يرتبط ارتباطاً إيجابياً معوني مع السعر كانت قيمة (الارتباط = 0.524)، ونجد إن المنتج يرتبط ارتباطاً ضعيفاً مع المساعدة كانت قيمة (الارتباط = 0.317)، ونجد إن السعر يرتبط ارتباطاً ضعيفاً مع المساعدة كانت قيمة (الارتباط = 0.190)، ونجد إن السعر يرتبط ارتباطاً ضعيفاً مع التعاون مع الشركات كانت قيمة (الارتباط = 0.160)، ونجد إن المساعدة يرتبط ارتباطاً إيجابياً معوني مع التعاون مع الشركات كانت قيمة (الارتباط = 0.686).

الارتباطات بين متغيرات الدراسة : Person's Correlation Coefficient for All Variable

المتغيرات	التوزيع	الترويج	المنتج	السعر	المساعدة	التعاون مع الشركات
التوزيع	1					
الترويج	0.308(**)	1				
المنتج	0.349(**)	0.478(**)	1			
السعر	0.119	0.365(**)	0.524(**)	1		
المساعدة	0.353(**)	0.094	0.282	0.190	1	
التعاون مع الشركات	0.235	0.241	0.317(**)	0.160	0.686(**)	1

المصدر: إعداد الباحثة من بيانات الدراسة الميدانية (2022)

اختبار علاقة مكونات الممارسات غير الأخلاقية للتسويق على سلوك مواطنة العملاء :

الجدول التالي يوضح الانحدار لمكونات الممارسات غير الأخلاقية للتسويق على سلوك مواطنة العملاء (Beta coefficient)

لقد تم استخدام اختبار تحليل الانحدار المتعدد والذي يهدف إلى التعرف على تأثير أبعاد الممارسات غير الأخلاقية للتسويق على سلوك مواطنة العملاء. تم الاعتماد على معامل (Beta) لمعرفة التغير المتوقع في المتغير التابع بسبب التغير الحاصل في وحدة واحدة من المتغير المستقل، كما تم الاعتماد على (R^2) للتعرف على قدرة النموذج على تفسير العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع، بالإضافة إلى استخدام اختبار F للتعرف على معنوية نموذج الانحدار. وقد تم الاعتماد على مستوى الدلالة 0.05 للحكم على مدى معنوية التأثير، حيث تم مقارنة مستوى المعنوية المحتسب مع قيمة مستوى الدلالة المعتمد، وتعد التأثيرات ذات دلالة إحصائية إذا كانت قيمة مستوى الدلالة المحتسب أصغر من مستوى الدلالة المعتمدة (0.05) والعكس صحيح ومن خلال تحليل الانحدار تم التوصل على أنه توجد علاقة إيجابية بين التوزيع و المساعدة حيث بلغت بيتا (0.318) مستوى المعنوية (0.001)، بينما لا توجد علاقة بين الترويج و المساعدة حيث بلغت بيتا (0.127) مستوى المعنوية (0.208)، بينما لا توجد علاقة بين المنتج و المساعدة حيث بلغت بيتا (0.176) مستوى المعنوية (0.118)، تم التوصل على أنه لا توجد علاقة إيجابية بين السعر و المساعدة حيث بلغت بيتا (0.106) مستوى المعنوية (0.304).

العلاقة بين أبعاد الممارسات غير الأخلاقية للتسويق و سلوك مواطنة العملاء

Note: Level of significant: * $p < 0.10$, ** $p < 0.05$, *** $p < 0.001$

اختبار علاقة مكونات الممارسات غير الأخلاقية للتسويق على سلوك مواطني العملاء :

الجدول التالي يوضح الانحدار لمكونات الممارسات غير الأخلاقية للتسويق على سلوك مواطني العملاء (Beta coefficient)

المتغير المستقل	المساعدة	Sig
التوزيع	.318**	.001
الترويج	-.127	.208
المنتج	.176	.118
السعر	.106	.304
R ²	.170	
Adjusted R ²	.141**	
Δ R ²	.170	
F change	5.793	

لقد تم استخدام اختبار تحليل الانحدار المتعدد والذي يهدف إلى التعرف على تأثير أبعاد الممارسات غير الأخلاقية للتسويق على سلوك مواطني العملاء . تم الاعتماد على معامل (Beta) لمعرفة التغير المتوقع في المتغير التابع بسبب التغير الحاصل في وحدة واحدة من المتغير المستقل ، كما تم الاعتماد على (R²) للتعرف على قدرة النموذج على تفسير العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع ، بالإضافة إلى استخدام اختبار F لتعرف على معنوية نموذج الانحدار . وقد تم الاعتماد على مستوى الدلالة 0.05 للحكم على مدى معنوية التأثير، حيث تم مقارنة مستوى المعنوية المحتسب مع قيمة مستوى الدلالة المعتمد، وتعد التأثيرات ذات دلالة إحصائية إذا كانت قيمة مستوى الدلالة المحتسب أصغر من مستوى الدلالة المعتمدة (0.05) والعكس صحيح ومن خلال تحليل الانحدار تم التوصل على أنه لا توجد علاقة ايجابية بين التوزيع و التعاون مع الشركات حيث بلغت بيتا (0.125) مستوى المعنوية (0.194) ، بينما لا توجد علاقة بين الترويج و التعاون مع الشركات حيث بلغت بيتا (0.096) مستوى المعنوية (0.355) ، بينما توجد علاقة بين المنتج و التعاون مع الشركات حيث بلغت بيتا (0.234) مستوى المعنوية (0.044) ، تم التوصل على أنه لا توجد علاقة ايجابية بين السعر و التعاون مع الشركات حيث بلغت بيتا (0.013) مستوى المعنوية (0.904) كما موضح في الجدول أدناه .

العلاقة بين أبعاد الممارسات غير الأخلاقية للتسويق و سلوك مواطني العملاء

المتغير المستقل	التعاون مع الشركات	Sig
التوزيع	.125	.194
الترويج	.096	.355
المنتج	.234*	.044
السعر	-.013	.903
R ²	.125	
Adjusted R ²	.094**	
Δ R ²	.125	
F change	4.022	

Note: Level of significant: *p<0.10, **p<0.05, ***p<0

المصدر إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2018)

إختبار الفرضية:

اختبار الفرضيات	
هناك علاقة إيجابية بين الممارسات غير الأخلاقية للتسويق و سلوك مواطني العملاء	دعمت جزئيا
التوزيع يؤثر على المساعدة	دعمت
الترويج يؤثر على المساعدة	لم تدعم
المنتج يؤثر على المساعدة	لم تدعم
السعر يؤثر على المساعدة	لم تدعم
التوزيع يؤثر على التعاون مع الشركات	لم تدعم
الترويج يؤثر على التعاون مع الشركات	لم تدعم
المنتج يؤثر على التعاون مع الشركات	دعمت
السعر يؤثر على التعاون مع الشركات	لم تدعم

المصدر إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2018)

النتائج:

1. يؤثر ادراك العملاء للممارسات اللاأخلاقية في المنتج على سلوك مواطني العميل نحو شركة شركات منتجات الألبان وذلك لان العميل لديه المعرفة بخصائص المنتج ومدى ضرورة وتطابق المواصفات في الحجم أو الشكل أو المكونات.
2. لا يؤثر ادراك العميل للممارسات اللاأخلاقية في السعر على سلوك مواطني العميل نحو شركة شركات منتجات الألبان وذلك نسبة لأنه يوجد تطابق في الأسعار بين شركات شركات منتجات الألبان واختلاف الأنواع في المشروبات.
3. لا يؤثر ادراك العميل للممارسات اللاأخلاقية في التوزيع على سلوك مواطني العميل نحو شركة شركات منتجات الألبان وذلك نسبة لان المورد هو الأكثر ادراكاً للممارسات اللاأخلاقية الموجودة في التوزيع من العميل حيث إن المنتج منذ خروجه من الشركة وحتى وصوله إلى أيدي العميل تزيد تكلفة التوزيع ومن ثم سعر المنتج.
4. لا يؤثر إدراك العميل للممارسات اللاأخلاقية في الترويج على سلوك مواطني العميل نحو شركة شركات منتجات الألبان وذلك نسبة لان الإعلانات التي تقوم بها شركات منتجات الألبان مضللة للعميل ولا توجد بها مصداقية كاملة في حجم المنتج المعلن عنه أو مكوناته

التوصيات:

1. توصي الباحثة الجهات الرسمية بضرورة إجراء دورات تدريبية للقائمين على التسويق في الشركات.
2. بذل المزيد من الجهود للحد من الممارسات اللاأخلاقية في التسويق لما لها من ضرر على العملاء.
3. ضرورة تفعيل الدور الرقابي على جميع المستويات الرسمية.
4. العمل على زيادة توعية الناس للممارسات اللاأخلاقية التي تقوم بها الشركات في الوقت الحاضر.

المراجع

1. مصطفى محمود ابوبكر، إدارة التسويق في المنشآت المعاصرة، الدار الجامعية، ص2003، 223م.
2. الطائي، حميد وآخرون الأسس العلمية للتسويق الحديث- مدخل شامل، دار اليازوري، عمان- الأردن، ص312، 2006..
3. 1 Diana Mutti, Natalia Yakovleva, Diego Vasquez–Brust, Martin H.Di Marco, «Corporat Social responsibility in the mining industry: Perspectives from stake holder groups in argentina », Resources policy, 2010, p 2.
4. فؤاد محمد حسين الحمدي، «الأبعاد التسويقية للمسؤولية الاجتماعية للمنظمات وانعكاساتها على رضا المستهلك» رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإدارة والإقتصاد، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2006.
5. فيليب كوتلر، جاري أرمسترونج، أساسيات التسويق، دار المريخ للنشر، الرياض، ط11، 2007.
6. نجم عبود نجم، أخلاقيات الإدارة ومسؤولية الأعمال في شركات الأعمال، مؤسسة وارق للنشر والتوزيع، الأردن، سنة 2006.

عنوان البحث

التمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن وموافقته لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي)

محمد علي أحمد صغير الديباني¹

¹ طالب ماجستير، جامعة صباح الدين زعيم - تركيا
البريد الإلكتروني: mohed95kurt@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/17>

تاريخ القبول: 2024/03/22م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

تعد صيغة المضاربة أحد أهم أدوات التمويل الإسلامي ولها دور بارز في تمويل المشاريع بمختلف أنواعها، لذلك سعى هذا البحث إلى تقييم مدى موافقة عقد التمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي)، حيث قام الباحث باستخدام المنهج الاستقرائي والتحليلي لتحقيق أهداف البحث، ودراسة بنود عقد التمويل بالمضاربة في بنك التضامن ومقارنتها مع معايير أيوفي لتحديد درجة التوافق والاختلاف بينهما. وقد أظهرت النتائج إلى أن بنود عقد المضاربة في بنك التضامن تتوافق مع معظم معايير أيوفي الشرعية، باستثناء بند واحد يتعلق بخلط مال المضاربة بمال المضارب، وعليه فقد أوصى الباحث بنك التضامن بإعادة النظر في البند الذي خالف المعايير الشرعية لأيوفي، كما أوصى الباحث بتوحيد المرجعية الشرعية للبنوك والمؤسسات المالية اليمنية، وتقييم المؤسسات المالية والبنوك العقود وفق المرجعية الشرعية المعتمدة. وتبرز أهمية الدراسة في كونها دراسة تطبيقية لصيغة التمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن، مما يساهم في فهم التوافق بين ممارسات البنك والمعايير الشرعية، بما يحسن من أداء المصارف والبنوك الإسلامية التي تستخدم هذه الصيغة في أنشطتها التمويلية.

الكلمات المفتاحية: المضاربة، عقود، تمويل، بنك التضامن، أيوفي.

RESEARCH TITLE

Funding by Mudarabah at Al-Tadhamon Bank in Yemen and Its Compliance with the Accounting and Auditing Organization for Islamic Financial Institutions (AAOIFI)**MOHAMMED ALI AHMED SAGHEER ALDHAIBANI¹**¹ Master's student, Sabahattin Zaim University, Türkiye

Email: mohed95kurt@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/17>**Published at 01/04/2024****Accepted at 22/03/2024****Abstract**

Mudarabah financing is considered one of the most important tools in Islamic finance and plays a prominent role in financing projects of various kinds. Therefore, this research sought to assess the compliance of Mudarabah financing contracts at Al-Tadhamon Bank in Yemen with the standards of the Accounting and Auditing Organization for Islamic Financial Institutions (AAOIFI). The researcher used both the deductive and analytical methods to achieve the research objectives. The Mudarabah financing contract terms at Al-Tadhamon Bank were studied and compared with AAOIFI standards to determine the degree of conformity and divergence between them.

The results showed that the terms of the Mudarabah contract at Al-Tadhamon Bank align with most of AAOIFI standards, except for one term related to mixing the capital of the financier with that of the buyer. Therefore, the researcher recommended that Al-Tadhamon Bank reconsider the term that contradicted the AAOIFI Shariah standards. Additionally, the researcher recommended unifying the Shariah reference for Yemeni banks and financial institutions, and evaluating financial institutions and banks' contracts according to the approved Shariah reference.

The importance of studying as an applied study of the Mudarabah financing format in Al-Tadhamon Bank in Yemen is highlighted, contributing to understanding the alignment between the bank's practices and Sharia standards. This improves the performance of Islamic banks and financial institutions that use this format in their financing activities.

Key Words: Mudarabah, contracts, financing, Al-Tadhamon Bank, AAOIFI.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، أما بعد:

لم يكن ظهور البنوك الإسلامية وليد الصدفة، بل ثمرة جهد دؤوب سعى إلى إيجاد بديل راشد للنظام المصرفي التقليدي الذي يقوم على الربا المحرم، ولم تنشأ البنوك الإسلامية كمؤسسات مالية تقدم البديل للمعاملات التقليدية فقط، بل لخلق نظام مصرفي مستمد من الشريعة الإسلامية بما يحقق الغاية الأسمى وهي استخلاف الله للإنسان في الأرض، لذلك كانت إحدى منهجيات البنوك الإسلامية في نظامها المصرفي كونها صيرفة تشاركية تهدف إلى توفير السيولة النقدية للمشروعات الاستثمارية الحقيقية، مشاركة في المخاطر والربح مع أصحاب المشاريع.

عندما جاءت فكرة إنشاء البنوك الإسلامية في اليمن، كانت الغايات والحيثيات تصبو حول توفير مصرفية إسلامية بديلة للمصارف التقليدية التي تقوم على فكرة الفائدة المحرمة شرعاً؛ كي يرتفع الحرج الشرعي عن المسلمين في التعامل مع المصارف والبنوك، وبعد أن ركزت المصارف الإسلامية في بداية أعمالها التمويلية على صيغ التمويل القليلة المخاطر كالمرابحة، أخذت المصارف والبنوك الإسلامية باستكشاف وسائل تمويل أخرى متوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية تتسم بنسبة مخاطرة معقولة مثل المضاربة والمشاركة.

ومع اتجاه البنوك الإسلامية إلى استعمال صيغة التمويل بالمضاربة في معاملاتها برزت الحاجة إلى دراسة مدى موافقة إجراءات وعقود التمويل بهذه الصيغة للشريعة الإسلامية، وفي هذا الإطار يسلط هذا البحث الضوء على عقد التمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن وتقييم موافقة العقد لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي).

مشكلة البحث:

يُعدّ التمويل المصرفي الإسلامي أداة حيوية في النظام الاقتصادي، وتلعب صيغ التمويل المتوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية دوراً مركزياً في تمويل المشاريع عبر المصارف والبنوك الإسلامية، ومن بين هذه الصيغ تُعدّ صيغة المضاربة من أهمّها لقدرتها على تمويل مختلف المشاريع بأنواعها وأشكالها، ولإقبال المجتمع الإسلامي لها كصيغة إسلامية متوافقة مع مبادئ الشريعة الإسلامية، ومن هذا المنطلق أراد الباحث معرفة مدى موافقة عقد التمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي)، وتتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي الآتي:

ما هو التقييم الشرعي للتمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن في ضوء معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي)؟

ومن خلال السؤال الرئيسي السابق سيحاول الباحث الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما هي الشروط والأحكام الشرعية للمضاربة؟
2. ما هي معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي) المتعلقة بالمضاربة؟
3. ما هي الممارسات والعقود المتبعة في بنك التضامن فيما يتعلق بالتمويل بالمضاربة؟
4. ما هي أوجه التوافق والاختلاف بين عقود التمويل بالمضاربة في بنك التضامن ومعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي)؟

أهمية البحث:

1. تبرز أهمية البحث كونه يتناول أحد أهم أدوات التمويل الإسلامي، وهي التمويل بالمضاربة.

2. يظهر أهمية البحث في تسليطه الضوء على نموذج تطبيقي لصيغة المضاربة في أحد أكبر البنوك الإسلامية في اليمن.
3. تتبع أهمية البحث في كونه دراسة لنموذج معاصر تطبيقي قد يُسهم في تطوير أداء المصارف والبنوك الإسلامية التي تستعمل صيغة المضاربة في نشاطها التمويلي.
4. تُعدّ دراسة عقود التمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن وتقييم موافقتها لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي) مساهمة علمية مهمة في مجال الاقتصاد الإسلامي عموماً، والتمويل الإسلامي خصوصاً.

أهداف البحث:

1. بيان شروط وأحكام التمويل بالمضاربة، ومعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي) المتعلقة به.
2. التعرف على الممارسات والعقود المتبعة في بنك التضامن المتعلقة بالتمويل بصيغة المضاربة.
3. تقييم مدى موافقة عقد التمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي).
4. تحديد أوجه التوافق والاختلاف بين بنود عقد التمويل بالمضاربة في بنك التضامن ومعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي) فيما يتعلق بتمويل المضاربة.

منهجية البحث

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي لوضع الإطار النظري للدراسة، والذي يشمل التعريفات المتعلقة بالمضاربة والمعايير الشرعية، وشروط وأحكام وأركان المضاربة، والمعايير الشرعية لأيوبي، كما استخدم الباحث المنهج التحليلي لتقييم توافق عقد التمويل بالمضاربة في بنك التضامن مع معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي)، حيث قام الباحث بمقارنة بنود عقد التمويل بالمضاربة مع معايير أيوبي، وتحديد نقاط الاتفاق والاختلاف.

الدراسات السابقة

1. حلس، سالم عبد الله سالم، وجودة، محمد أحمد جابر، "مدى ملائمة عمليات التمويل والاستثمار في المصارف الإسلامية لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة الإسلامية: دراسة ميدانية تطبيقية على المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين"، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية، مجلد 25 العدد 2.
- تناول البحث مدى ملائمة عمليات التمويل والاستثمار في المصارف الإسلامية لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة الإسلامية، مع التركيز على صيغ التمويل المختلفة مثل المضاربة والمربحة للأمر بالشراء والإجارة والاستصناع، والمشاركة.
- استخدم البحث البيانات المالية للمصارف الإسلامية في فلسطين بالإضافة إلى استبانة أجريت على العاملين في تلك المصارف، وقد توصل الباحث إلى أن عمليات التمويل والاستثمار في المصارف الإسلامية ملائمة بدرجة كبيرة لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة الإسلامية في مختلف الصيغ المدروسة.
- يوصى الباحث بضرورة تعزيز ممارسة العمل بمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة الإسلامية في جميع الصيغ المالية، لتعزيز الثقة في النظام المالي الإسلامي وتحفيز الاستثمارات والتمويلات بشكل شامل.

2. المشاقبه، وفاء محمد سليمان، والطاهات، صقر سليمان يوسف، "مدى التزام البنوك الإسلامية الأردنية بعمليات التمويل والاستثمار وفقاً لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية"، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، المعهد العالي للدراسات الإسلامية.

تناولت الدراسة مدى ملائمة عمليات التمويل والاستثمار في البنوك الإسلامية الأردنية لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، وكان مجتمع الدراسة المستهدف هم العاملين في دائرة الأفراد والشركات الكبيرة والصغيرة والمتوسطة في البنوك الإسلامية الأردنية، وقد تم توزيع الاستبيانات على مجتمع الدراسة. توصلت الدراسة إلى وجود ملائمة بين عمليات التمويل والاستثمار بالمربحة للأمر بالشراء والمضاربة والاستصناع والإجارة في تلك البنوك مع معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية. توصي الدراسة بضرورة تعزيز العمل المصرفي الإسلامي من خلال اعتماد معايير هيئة المحاسبة والمراجعة الإسلامية بشكل شامل، سواء كانت معايير شرعية أو محاسبية أو أخلاقية، لضمان استمرارية التوافق والتماشي مع متطلبات الشريعة الإسلامية وتطلعات المستثمرين والعملاء.

3. علي، عبد الله جمال حامد، "دور المصارف الإسلامية في تمويل التجارة الخارجية في ضوء معايير هيئة المحاسبة والمراجعة" أيوفي"، مجلة المعروف الاقتصاد.

تناول البحث دور المصارف الإسلامية في تمويل التجارة الخارجية وفقاً للمعايير الشرعية، واستعرض وسائل الدفع المستخدمة في التجارة الخارجية والضوابط الشرعية لها، مع التركيز على صيغ التمويل المطبقة في مصرف واقف التشاركي ومقارنتها مع معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية "أيوفي". استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي لتحليل وصف واقع التجارة الخارجية وتمويلها من قبل المصارف الإسلامية، واستعرض الإطار النظري للبحث المفاهيم الأساسية للتجارة الخارجية والتمويل المصرفي الإسلامي. توصل البحث إلى أن غالبية بنود عقود التمويل المستخدمة في مصرف واقف التشاركي متوافقة مع معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية "أيوفي"، ولكن توجد اختلافات في بعض البنود التي ينبغي إعادة النظر فيها لضمان الامتثال للمعايير الشرعية.

ويوصي الباحث بضرورة وجود هيئة شرعية موحدة تحدد المعايير وتلتزم بها جميع المصارف الإسلامية، مما يساهم في تعزيز الثقة والشفافية في القطاع المالي الإسلامي وضمان الامتثال للضوابط الشرعية في تمويل التجارة الخارجية.

4. خميسة، أسامة، "العقود التمويلية في المصارف الإسلامية الفلسطينية دراسة فقهية تحليلية لأهمها"، رسالة ماجستير، جامعة إسطنبول صباح الدين زعيم.

تناولت الدراسة تقييم وتحليل للعقود التمويلية في المصارف الإسلامية الفلسطينية، ومقارنتها مع المعايير الشرعية الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية أيوفي، وتناولت الدراسة عقود المربحة للأمر بالشراء، وعقود الإجارة المنتهية بالتملك، وعقود الاستصناع.

استخدم الباحث عدة مناهج لدراسة الموضوع، منها المنهج الوصفي الذي وصف فيه واقع التمويل في المصارف الإسلامية الفلسطينية، والمنهج التحليلي الذي قام فيه بتحليل تلك العقود في ضوء المعايير الشرعية، بالإضافة إلى المنهج النقدي حيث قام بنقد أهم المخالفات في تلك العقود.

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، من أهمها وجود اختلاف واضح بين المصارف في تطبيقها للعقود المذكورة، مع وجود ملاحظات على عدم تفريق بعض المصارف بين هامش الجدية والعربون في عقد المربحة، وعدم بيان موقف بعض المصارف من البراءة من العيوب الظاهرة في العقود.

توصي الدراسة بضرورة مزيد من التوعية والتدريب لموظفي المصارف الإسلامية حول المعايير الشرعية، وضرورة تبني ممارسات أكثر شفافية وتمييز في تطبيق العقود التمويلية، بما يحقق المصداقية والثقة بين العملاء والمصارف.

الإضافة المتوقعة من البحث

يختلف هذا البحث عن الدراسات السابقة في عينة الدراسة "بنك التضامن"، حيث ركزت الدراسات السابقة على التمويل بالمضاربة في بنوك أخرى بينما يركز هذا البحث على التمويل بالمضاربة في بنك التضامن بشكل خاص، كما أن البحث سيتناول دراسة عقد التمويل بالمضاربة والقليل من الدراسات السابقة من قامت بدراسة العقود، وعليه يتطلع الباحث إلى أن تكون الإضافة المتوقعة من البحث الآتي:

1. تقديم نموذج تطبيقي لصيغة المضاربة في أحد أكبر البنوك الإسلامية في اليمن.
2. تطوير التمويل الإسلامي من خلال تقييم ممارسات التمويل بالمضاربة في بنك التضامن.
3. تعزيز إمكانية تطبيق المعايير الشرعية على معاملات ومنتجات البنوك الإسلامية.

المبحث الأول: الإطار النظري للدراسة

المطلب الأول: تعريف المضاربة وبيان أحكامها وشروطها

تعريف المضاربة

المضاربة عقد شركة بين طرفين، يُقدم أحدهما رأس المال (صاحب المال)، ويُقدم الآخر العمل (المضارب)، على أن يكون الربح بينهما حسب ما يتفقان عليه.¹

مشروعية المضاربة

مشروعية المضاربة ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع:

أولاً القرآن الكريم: وردت العديد من الآيات التي تدل على مشروعية التجارة والابتغاء من فضل الله، منها:

- قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].
- وقوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].
- قوله تعالى ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ الْأَرْضِ الَّذِينَ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

والمُضارب يبتغي من فضل الله بعمله وجهده، فدللت الآيات على مشروعية المضاربة².

ثانياً السنة النبوية: وردت أحاديث تدل على جواز المضاربة، منها:

- ما ورد عن النبي ﷺ في كتب السير³ أنه ضارب بمال خديجة⁴.
- ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال (كان العباس بن عبد المطلب إذا دفع مالاً مضاربة اشترط على صاحبه أن لا يسلك به بحراً، ولا ينزل به وادياً، ولا يشتري به ذات كبد رطبة، فإن فعل فهو ضامن، فرفع شرطه إلى رسول الله ﷺ فأجازه)⁵.

ثالثاً الإجماع: أجمع المسلمون على جواز المضاربة، وحكى ابن رشد الإجماع⁶، ونقله ابن قدامة عن ابن المنذر⁷.

¹ المرغيناني، علي بن أبي بكر، الهداية في شرح بداية المبتدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، 3/200.

² الزحيلي، وهبه، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، 5 / 3925.

³ المعافري، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، 1974م، 1 / 172.

⁴ الشرييني، محمد بن محمد الخطيب، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م، 2 / 341.

⁵ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، ط3 (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2003م، 6 / 184).

⁶ ابن رشد، محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة 1425هـ - 2004م، 4 / 21.

⁷ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1388هـ - 1968م، 5 / 19.

أركان المضاربة

تعد المضاربة أحد أهم العقود المالية في الشريعة الإسلامية، وبناءً على تعريف المضاربة السابق فإن المضاربة عقد بين طرفين، صاحب المال والمضارب، يضع صاحب المال رأس المال تحت تصرف المضارب، حيث يتولى المضارب استثماره لتحقيق الربح، وعليه فإن المضاربة تُبنى على خمسة أركان رئيسية⁸:

1. العاقدان:

صاحب المال: يمثل صاحب المال الطرف الأول في عقد المضاربة، وهو الذي يملك رأس المال ويقدمه للمضارب. المضارب: يمثل المضارب الطرف الثاني في عقد المضاربة، وهو الذي يتولى استثمار رأس المال والعمل على تحقيق الربح.

2. المعقود عليه (رأس المال): يُعد رأس المال عنصراً أساسياً في عقد المضاربة، وهو المبلغ الذي يقدمه صاحب المال للمضارب.

3. الصيغة (الإيجاب والقبول): هي الإيجاب الصادر من صاحب المال بعرض رأس المال للمضاربة، والقبول الصادر من المضارب بمباشرة العمل.

4. العمل: يشير ركن العمل إلى ما يبذله المضارب من جهد في استثمار رأس المال لتحقيق الربح.

5. الربح: هو الناتج عن استثمار رأس المال، ويقسم بين صاحب المال والمضارب بنسبة متفق عليها.

شروط المضاربة

تُعتبر المضاربة كنوع من العقود، خاضعة للشروط العامة المتعلقة بالعقود بشكل عام، مثل شروط أهلية الأطراف للتصرف، وشروط الإيجاب والقبول، ولعقد المضاربة شروط يختص بها، وتتعلق هذه الشروط برأس المال والعمل والربح، وتقصيها في الآتي:

الشروط المتعلقة برأس المال⁹:

1. أن يكون رأس المال نقداً: يُشترط أن يكون رأس المال نقداً وليس عروض تجارة عند الجمهور، لتجنب النزاع في مقدار رأس المال ومقدار الربح المستحق لكل طرف.

2. معلومية رأس المال لضمان وضوح نصيب صاحب رأس المال والمضارب من الربح.

3. أن يكون رأس المال عيني لا دين ليتسنى للمضارب استثماره وتحقيق الربح.

4. تسليم رأس المال إلى المضارب: إن غاية المضاربة تحقيق الربح ولا يتم ذلك إلا باستثمار المضارب رأس المال، وعليه فإن تمكين المضارب من رأس المال لتحقيق الربح شرط في المضاربة.

الشروط المتعلقة بالعمل¹⁰:

1. أن يكون الهدف من عملية المضاربة تنمية المال لتحقيق الغرض من المضاربة وهو تحقيق الربح.

2. خبرة وكفاءة المضارب في المجال الذي سوف تمارس فيه المضاربة.

3. عدم وضع قيود وشروط على المضارب في عمله بما يمنع أو يُخل بالعمل.

⁸ الشربيني، محمد أحمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 2009م، 310/2.

⁹ الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الأولى، 1328هـ، 6 / 82 - 84.

¹⁰ الشربيني، محمد أحمد الخطيب، مرجع سابق، 310/2.

الشروط المتعلقة بالربح¹¹:

1. أن يكون مقدار الربح معلوم، وذلك لأن الجهالة في الربح، قد تقضي إلى النزاع بين الطرفين.
2. أن يكون الربح نسبة معينة، وذلك لتجنب الربا المحرم الناتج عن تحديد الربح بمبلغ مقطوع.
3. أن يكون الربح جزء من الأرباح، وليس من رأس المال، وذلك لأن المضاربة تعتبر شراكة في الربح.

المطلب الثاني: التعريف بمعايير أيوفي وبيان المعيار الخاص بالمضاربة

هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي)

تعد هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي) من أبرز المنظمات الدولية غير الربحية التي تعنى بتطوير وتوحيد معايير الصناعة المالية الإسلامية، وقد تأسست الهيئة عام 1991م في البحرين، وتعمل الهيئة على إصدار المعايير المتعلقة بالمحاسبة المالية والمراجعة والضبط وكذلك المتعلقة بأخلاقيات العمل والمعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية.¹²

تقدم الهيئة أيضاً برامج تدريبية متخصصة في المالية الإسلامية، بهدف رفع قدرات الموارد البشرية العاملة في مجال المالية الإسلامية.¹³

وقد لعبت الهيئة دوراً مهماً في تطوير وتنظيم صناعة التمويل الإسلامي، ساعدت معاييرها الموحدة على تعزيز الشفافية والمساءلة، وضمنت التزام المؤسسات المالية الإسلامية بمبادئ الشريعة، كما ساهمت برامجها التدريبية في رفع قدرات الكوادر البشرية العاملة في هذه الصناعة.

معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي)

أصدرت أيوفي 98 معيار موزعة على خمسة أنواع¹⁴، وتشكل هذه الخمسة الأنواع منظومة متكاملة تُعزز الثقة في المؤسسات المالية الإسلامية وتُساهم في نمو وتطور هذا القطاع الحيوي، وتضم معايير أيوفي الأنواع الآتية:

- المعايير الأخلاقية: تُعزز القيم والأخلاقيات في تعاملات المؤسسات مع جميع الأطراف.
- المعايير الشرعية: توضح الأحكام الشرعية لضمان امتثال المنتجات والخدمات للشريعة الإسلامية.
- معايير الحوكمة: تُحدد مبادئ إدارة وتنظيم المؤسسات لتحقيق كفاءة وشفافية عالية.
- المعايير المحاسبية: تُنظم الإجراءات والأساليب لإعداد قوائم مالية دقيقة وشفافة.
- معايير المراجعة: تُحدد كيفية مراجعة البيانات المالية لضمان صحتها ودقتها.

معايير أيوفي الشرعية

المعايير الشرعية: هي (الضوابط التي تضبط العقود والأنشطة الإنسانية بموجب أحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها)¹⁵، وتُعدّ المعايير الشرعية حجر الأساس في منظومة معايير أيوفي فيما يتعلق بعمل المؤسسات المالية الإسلامية، وتهدف هذه المعايير إلى ضمان التزام المؤسسات المالية الإسلامية بأحكام الشريعة الإسلامية في جميع أنشطتها وعملاتها، وقد أصدرت هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي) 58 معياراً شرعياً¹⁶، تُغطّي مختلف جوانب العمل

¹¹ الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مرجع سابق، 6 / 85 - 86.

¹² تاريخ الدخول على الموقع 27 - 03 - 2024. <https://aaoifi.com/about-aaoifi>. الموقع الإلكتروني لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية. "عن الهيئة".

¹³ المصدر السابق.

¹⁴ المصدر السابق.

¹⁵ القره داغي، علي محيي الدين، بحوث في فقه البنوك الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى 1431هـ - 2010م، 809.

¹⁶ موقع هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية. "عن الهيئة". <https://aaoifi.com/about-aaoifi>. [2024.03.21].

المالي وتشمل مجموعة واسعة من الموضوعات، حيث تُحدد المعايير مبادئ التمويل الإسلامي، مثل مشاركة المخاطر والربح الحلال، كما تُنظم كيفية استثمار أموال العملاء في الأصول المتوافقة مع الشريعة الإسلامية. وتلعب المعايير الشرعية الصادرة عن أيوبي دوراً هاماً في توحيد الممارسات المالية الإسلامية للمؤسسات الإسلامية بما يُعزز الثقة في المؤسسات المالية الإسلامية ويُشجع على الاستثمار فيها، كما تُساعد هذه المعايير على ضمان سلامة واستقرار النظام المالي الإسلامي.

المبحث الثاني: الممارسات والعقود المتبعة في بنك التضامن فيما يتعلق بتمويل المضاربة

المطلب الأول: بنك التضامن

يُعتبر بنك التضامن أحد أبرز المؤسسات المالية في اليمن، وقد شهد مساراً حافلاً منذ تأسيسه في عام 1995م كشركة مساهمة يمنية، بدأ البنك رحلته بالتركيز على الاستثمار والتمويل، ليتحول لاحقاً إلى تقديم مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية المتوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية.

تتجسد نجاحات بنك التضامن في إجمالي أصوله البالغة حوالي 507 مليار ريال حتى عام 2022،¹⁷ كما أنه يمتلك خبرة ممتدة لأكثر من 27 عام في مجال التمويل والاستثمار والخدمات المصرفية الإسلامية، ويضم فريق البنك 700 موظف وموظفة موزعين على 36 فرعاً ومكتباً في جميع أنحاء اليمن، مع قاعدة عملاء ضخمة وعدد كبير من الصرافات الآلية في اليمن.¹⁸

تتمثل استراتيجية بنك التضامن في تعزيز دوره الرائد في الصناعة المالية الإسلامية ومساهمته في تنمية الاقتصاد اليمني، من خلال تقديم حلول مصرفية مبتكرة ومتوافقة مع الشريعة الإسلامية، وتوسيع نطاقه في الأسواق المالية الدولية. يلتزم بنك التضامن بمبادئ الشريعة الإسلامية في جميع معاملاته وأعماله، بما يضمن تقديم خدمات مصرفية إسلامية عالية الجودة تلبي احتياجات جميع فئات العملاء، ويساهم في تنمية المجتمع من خلال تمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة.

المطلب الثاني: إجراءات التمويل بالمضاربة في بنك التضامن

إجراءات التمويل بالمضاربة في بنك التضامن تشكل عملية متكاملة تتضمن عدة خطوات أساسية، تبدأ بتقديم العميل طلب التمويل إلى البنك، حيث يقوم بتحديد الغرض من التمويل وتقديم البيانات الشخصية اللازمة بالإضافة إلى تقديم معلومات عن الضمانات التي سيقدمها للبنك، يتم أيضاً إرفاق دراسة جدوى مفصلة للمشروع المقترح للتمويل. تتم دراسة طلب التمويل من قبل قسم الاستثمارات في البنك، وفي حال الموافقة يتم تحويله إلى الإدارة العليا للموافقة النهائية، بعد الموافقة يتم إبرام عقد التمويل بالمضاربة بين البنك والعميل، ويتم فتح حساب خاص لتمويل نشاط عملية المضاربة.

عند انتهاء مدة التمويل، يقوم العميل بإعداد تقرير مفصل يوضح فيه الإيرادات والمصروفات التي تم تحقيقها من المشروع الممول، بناءً على هذا التقرير يتم توزيع الأرباح وفقاً لشروط العقد المبرم بين الطرفين، وفي نهاية العملية يتم تحرير إشعار يفيد انتهاء عملية المضاربة.

المبحث الثالث: التقييم الشرعي للتمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن في ضوء معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي)

قام الباحث بدراسة بنود عقد المضاربة في بنك التضامن، ومقارنتها مع بنود المعيار الشرعي رقم (13) الصادر عن هيئة

¹⁷ بنك التضامن. التقرير السنوي للعام 2022، 8.

¹⁸ تاريخ الدخول على الموقع 17 - 03 - 2024 <https://www.tadhamonbank.com/about/1> . الموقع الإلكتروني لبنك التضامن. "عن البنك".

المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي) الخاص بالمضاربة، وتبين للباحث أن عقد المضاربة في بنك التضامن يتوافق مع المعيار في معظم بنوده، إلا أنه توجد بعض البنود التي لا تتوافق مع المعيار، وعليه سيقوم الباحث بتوزيع نتائج التقييم على النحو التالي:

أولاً: بنود عقد المضاربة في بنك التضامن التي اتفقت مع العيار الشرعي رقم 13.

1. نص العقد في التمهيد على لفظ "المضاربة" وهذا يتوافق مع البند 4/1 من المعيار 13.
 2. يثبت العقد أهلية الطرفين من خلال الإفصاح عن السجل التجاري، الذي يتطلب الأهلية كشرط أساسي للتسجيل فيه، وبالتالي يتوافق العقد مع البند 4/2 من المعيار.
 3. ينص العقد على تمويل النشاط المحدد فيه، مع وضع مجموعة من الشروط على المضارب تتوافق مع البندين 5/2 و9/2 من المعيار ولا تتعرض معهما.
 4. يحدد العقد مقدار الربح كنسبة مئوية لكل طرف، مع تحديد موعد توزيع الأرباح، بما يتوافق مع البندين 8/1 و8/3 من المعيار.
 5. يحدد العقد رأس المال الذي يسلمه البنك للمضارب بمبلغ نقدي محدد، مع ذكر طريقة التسليم وهذا يتوافق مع البند 7 من المعيار.
 6. يشترط العقد تقديم العميل ضماناً للبنك في مقابل أي تقصير أو تعدي أو مخالفة لشروط العقد، وهذا مطابق للبند 6 من المعيار.
 7. ينص العقد على أن توزيع الأرباح لا يتم إلا بعد إخراج رأس المال، بحيث يكون الربح جابراً للخسارة، وهذا متوافق مع البند 8/7 من المعيار.
 8. ورد في العقد أن الخسارة ترجع على المضارب في حالة التعدي والتقصير، أما غير ذلك فترجع الخسارة على صاحب رأس المال وهذا متوافق مع البند 8/7 من المعيار.
 9. ذكر العقد أنه لا يحق للمضارب إقراض أو هبة رأس المال أو إعطائه للغير مضاربة، وهو ما يتوافق مع البند 9/7 من المعيار.
 10. يحدد العقد مدة التعاقد، مع ذكر حق الطرف الأول في إنهاء المضاربة بسبب عدم جدوى الاستمرار في المشروع أو بمخالفة الطرف الثاني للشروط، وهذا يتوافق مع البندين 4/3 و10/1 من المعيار.
- ثانياً: بنود عقد المضاربة في بنك التضامن التي لنم تتوافق مع المعيار الشرعي رقم 13.
1. العقد يشترط على المضارب عدم خلط مال المضاربة بمال المضارب إلا بأذن، ولكن لم ينص على أنه إذا خلط شيئاً من مال المضاربة بماله، فإنه يصير شريك بماله ومضارباً بمال الآخر، بينما نص المعيار على ذلك في البند 8/9.

خاتمة البحث:

تمثلت مشكلة البحث في تقييم موافقة التمويل بالمضاربة في بنك التضامن في اليمن لمعايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوبي)، وللإجابة عن تساؤل هذا الاستشكال تبنى البحث منهجية استقرائية وتحليلية لتحقيق أهدافه، حيث تم استخدام الإطار النظري لتحديد مفاهيم المضاربة والمعايير الشرعية المتعلقة بها، بالإضافة إلى معايير أيوبي، كما استخدم البحث المنهج التحليلي لمقارنة بنود عقد التمويل بالمضاربة في البنك مع معايير أيوبي المتعلقة بأيوبي، وتحليل درجة التوافق والاختلاف بينهما، وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات كالتالي:

النتائج:

1. أظهرت الدراسة أن بنود عقد المضاربة في بنك التضامن تتوافق مع المعيار الشرعي رقم 13 الصادر عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (أيوفي) في معظم بنوده.
2. كشفت الدراسة عن وجود بند واحد من بنود العقد لا يتوافق مع المعيار الشرعي رقم 13، وهو البند الخاص بخلط مال المضاربة بمال المضارب.

التوصيات:

1. يوصي البحث بنك التضامن بتعديل بنود العقد بما يتوافق مع المعيار الشرعي رقم 13، خاصة البند الخاص بخلط مال المضاربة بمال المضارب.
2. يوصي البحث بتوحيد المرجعية الشرعية للبنوك والمؤسسات المالية في اليمن.
3. يوصي البحث البنوك والمؤسسات المالية بتقييم عقودها وفق المرجعية الشرعية المعتمدة.
4. يوصي البحث بضرورة تكثيف الدراسات والبحوث العلمية في مجال التمويل بالمضاربة، وذلك بهدف تطوير هذا المنتج المالي الإسلامي وتلبية احتياجات العملاء بشكل أفضل.

المراجع

1. ابن قدامه، عبد الله بن أحمد، المغني لابن قدامه، مكتبة القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1388هـ - 1968.
2. ابن رشد، محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة 1425هـ - 2004م.
3. بنك التضامن. التقرير السنوي للعام 2022، 8.
4. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، ط3 (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2003م.
5. الزحيلي، وهبه، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة.
6. الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 2009م.
7. الشربيني، محمد الخطيب، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م.
8. القره داغي، علي محيي الدين، بحوث في فقه البنوك الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى 1431هـ - 2010م.
9. المرغيناني، علي بن أبي بكر، الهداية في شرح بداية المبتدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.
10. المعافري، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، 1974م.
11. الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الأولى، 1328هـ.
12. تاريخ الدخول على الموقع 17 - 03 - 2024 <https://www.tadhamonbank.com/about/1> الموقع الإلكتروني لبنك التضامن. "عن البنك".
- تاريخ الدخول على الموقع 27 - 03 - 2024. <https://aaoifi.com/about-aaoifi> الموقع الإلكتروني لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية. "عن الهيئة".

عنوان البحث

تقنية السؤال في تعليم الكتابة في التعليم الابتدائي

د. خديجة اوواه¹

¹ باحثة، تزنييت، المغرب.

بريد الكتروني: Khado197979@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/18>

تاريخ القبول: 2024/03/15م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

نشير إلى أننا سنتناول موضوع بحثنا انطلاقاً من شق نظري نراجع فيه الأدبيات المتعلقة بموضوع ورقتنا .. تقنية السؤال في تدريس الكتابة في السلك الابتدائي، بناء على هذا الأمر، قرّر قرارنا على اعتماد أنشطة التفكير النقدي (تقنية السؤال نموذجاً) في تدريس مكون الكتابة، وفقاً ما هو منصوص عليه في المنهاج، وصغنا الإشكالية الآتية: كيف يمكن لتقنية السؤال أن تسهم في تحسين كتابة متعلمي التعليم الابتدائي؟، خالصين إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أهمها ترسيخ مهارات الفهم لدى التلاميذ، وهو ما سيمكننا من تحسين تعلماتهم؛ وهذه غاية أولى للبحث التدخلي. وتطوير معرفتنا بديداكتيك المقروء، ولا سيما فيما يخص المفردات، وهو ما يتيح لنا شخصياً الاستفادة من هذه التجربة وتنزيلها في قسمنا بصورة أدق وأجدى وأعمق، وهذه غاية ثانية للبحث التدخلي. بالإضافة إلى أن بناء ذات المتعلم(ة) يستلزم التوازن النفسي والاجتماعي والعاطفي والسلوكي.

الكلمات المفتاحية: تقنية السؤال، تعليم الكتابة، التعليم الإبتدائي.

RESEARCH TITLE

**QUESTIONING TECHNIQUE IN TEACHING
WRITING IN PRIMARY EDUCATION****Dr. khadija Aouah¹**

¹ Researcher, Tiznit, Morocco.
Email: Khado197979@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/18>

Published at 01/04/2024**Accepted at 15/03/2024****Abstract**

In this research we reviewed the literature related to the subject of our paper. Question technique in teaching writing in the primary schools. Based on this, we decided to adopt critical thinking activities (question technology as a model) in teaching the writing component, as stipulated in the curriculum, we formulated the following problem: How can question technology contribute to improve the writing of primary education learners? We concluded to a set of conclusions and recommendations such as: Consolidate students' comprehension skills, which will enable us to improve their learning; this is the first goal of interventional research. And developing our knowledge of readable didactics, especially in terms of vocabulary, which allows us to personally benefit from this experience and download it in our department in a more accurate, meaningful and deeper way, and this is a second goal of interventional research. As well as building the learner's self requires psychological, social, emotional and behavioral balance.

Key Words: Questioning technique, teaching writing, primary education.

مقدمة:

يقوم المنهاج الدراسي المغربي على ثلاثة مداخل أساسية هي: التربية على القيم والتربية على الاختيار والمقاربة بالكفايات. ولو تأملنا هذه المداخل لوجدناها متداخلة فيما بينها؛ فتعليم التلميذ الاختيار قائم على منظومة قيم إيجابية تُقرّها المواثيق الدولية لحقوق الإنسان والدستور المغربي والغنى الثقافي للبلاد، ولن يتأتى تعلم الاختيار إلا في إطار مقاربة تنمي كفاية الاختيار والمهارات المرتبطة بها.

وقد حثّت مستجدات المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي (2020) على كون 'التربية على القيم والاختيار واتخاذ القرار' لا ينفصلان عن بعضهما البعض في المنهاج الدراسي المغربي، باعتبارهما يستهدفان بناء الذات في كليتها وشموليتهما. فالاختيار واتخاذ القرار (...) يهتمان عدة جوانب مرتبطة بالمتعلم(ة) في علاقته بذاته وبالمحيط. وتتضح هذه الجوانب فيما يلي:

-إن بناء ذات المتعلم(ة) يستلزم التوازن النفسي والاجتماعي والعاطفي والسلوكي. كما يستوجب كل هذا، فضلا عن ذلك، التربية على الاستقلالية، والوعي بالواجبات والحقوق الفردية والجماعية والتحلي بالمبادرة وتحمل المسؤولية... ويرتبط هذا الجانب بقيم المواطنة المسؤولة والفاعلة؛

تتجلى التربية على الاختيار واتخاذ القرار في العلاقة مع الغير متمثلة في احترام الرأي المخالف والتسامح والعمل الجماعي، والانخراط في المشاريع الفردية والجماعية؛

إن التربية على الاختيار واتخاذ القرار تستهدف تكوين مواطن(ة) مسؤول متضامن مدافع عن القضايا التي تهم الجماعة كالقضايا البيئية والوطنية، مواطن متشبع بقيم الواجب والاحترام والتسامح⁽¹⁾.

ينبني الاختيار الصائب على مفهوم أساسي هو 'التفكير النقدي'؛ إذ كلما كان التلميذ قادرا على الأخذ بعين الاعتبار الاختيارات والتأمل فيها وإخضاعها لميزان العقل، كان اختياره صائبا، وكان نموذجا للمواطن الذي تسعى المنظومة التربوية إلى تكوينه.

ويرى بيتر فيكون (Peter Faicone) في هذا الصدد أن التفكير النقدي "نقطة قوة في التعليم، ودعامة مهمة للأشخاص في حياتهم"⁽²⁾. وإلى جانب هذا الأمر، يمكن للتلميذ الذي له قدرة على التفكير النقدي أن يكون أقدر على التعلم الذاتي، والتكيف مع متغيرات العالم، ومواجهة تحدياته. ولذلك قال الباحثون إن 'تدريس الفكر النقدي سيمكن التلاميذ من التكيف مع متطلبات أعمالهم المستقبلية، مهما تكن تلك المتطلبات'⁽³⁾.

في مقابل هذه الأهمية نجد أن 'الأنظمة التعليمية في الدول العربية تركز على تكرار التعاريف، وحفظ الحقائق والمفاهيم، فيما تهمل تطوير التفكير النقدي ومهارات حل المشاكل'⁽⁴⁾. وتقوم مهارات التفكير النقدي على مهارات التحليل والتقويم والتركيب في صناعة بلوم، وما على الأساتذة سوى البحث عن أنشطة تُنمّي الفكر النقدي للمتعلمين، واستعمالها في تدريس دروسهم. ويمكن لأستاذ الرياضيات استخدام مهارة حل المشاكل، ويمكن لأستاذ العربية استعمال مهارة المقارنة والتحليل، ويمكن لأستاذ الاجتماعيات توظيف مهارة التعليق على الأحداث إلى غير ذلك.

¹ - مستجدات المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي برسم السنة الدراسية 2020-2021، مديرية المناهج، يوليو 2020، ص. 22.

² - P. Facione, Peter, Critical thinking: A statement of expert consensus for purposes of educational assessment and instruction. (Millbrae, CA: The California Academic Press, 1990), p. 2.

³ - Turouskaya, F. A. & Turouskaya, I. S. (2001). Teaching critical thinking in a Foreign Language. Education et Sociétés Plurilingues, 10, pp. (51-54). P. 51.

⁴ - A. Galal, The Road not Traveled: Education Reform in the Middle East and North Africa. Washington, (DC: International Bank for Reconstruction and Development: World Bank, 2008), p. 49.

بناء على هذا الأمر، قرّر قرارنا على اعتماد أنشطة التفكير النقدي (تقنية السؤال نموذجاً) في تدريس مكون الكتابة، وفقاً ما هو منصوص عليه في المنهاج، وصغنا الإشكالية الآتية: كيف يمكن لتقنية السؤال أن تسهم في تحسين كتابة متعلمي التعليم الابتدائي؟

إضافة إلى التصريح بالإشكالية، يمكننا تجزئ التعامل معها عبر طرح الأسئلة الآتية:

ما سياق ظهور التفكير النقدي؟

كيف يمكن دمج تقنية السؤال في حصص مكون الكتابة؟

كيف يمكن لتقنية السؤال تحسين مستوى الكتابة لدى المتعلمين؟

نروم من هذا البحث تحقيق غايتين أساسيتين هما:

- تحسين مستوى الكتابة لدى المتعلمين، وهو ما سيمكننا من تحسين تعلماتهم؛ وهذه غاية أولى للبحث التدخل.
- تطوير معرفتنا بديداكتيك السؤال، ولا سيما فيما يخص تحسين مستوى التفكير والكتابة لدى المتعلمين، بما أنها اختيار جديد لمنظومتنا التربوية، وهو ما يتيح لنا الاستفادة من هذه التجربة وتنزيلها بصورة أدق وأجدي وأعمق، وهذه غاية ثانية للبحث التدخل.

ونشير إلى أننا سنتناول موضوع بحثنا انطلاقاً من شق نظري نراجع فيه الأدبيات المتعلقة بموضوع دراستنا، وشق منهجي نبرز فيه منهجية البحث، وشق تطبيقي نحلل فيه البيانات التي قمنا بجمعها ونؤهلها، خالصين إلى مجموعة من النتائج والتوصيات.

1-مراجعة الأدبيات

عرف التفكير النقدي بأنه كفاءة أساسية متوقعة من المتعلمين في عملية تعلم لغة ثانية⁽⁵⁾، ووفقاً لهذه الأبحاث، فإن تقنية السؤال اعتبرت استراتيجية أساسية لتشجيع المتعلمين على التفكير بشكل نقدي. ومن المشاكل الأساسية التي يواجهها الأساتذة في القسم أن المتعلمين يبدون سلبين في الأنشطة التفاعلية، وعندما يطرح الأستاذ سؤالاً، يرفع متعلم أو اثنين أصبعهما للإجابة. والأمر نفسه صحيح بخصوص الكتابة؛ فالمتعلمون لا يجدون ميلاً إليها ولا متعة فيها. علاوة على عدم امتلاكهم لأفكار تساعد على المشاركة في الكتابة باعتبارها مهارة إنتاجية. ومن المحتمل أن عدم مشاركة المتعلمين نتيجة لفراغ أذهانهم لا لعدم كفاءتهم اللغوية. ويسعى هذا البحث إلى دراسة أثر تقنية السؤال في تطوير مهارة الكتابة لدى متعلمي التعليم الابتدائي وبعبارة أخرى، يهدف البحث إلى استعمال تقنية السؤال في تشجيع المتعلمين على تحسين مستوى كتابتهم، ومن ثم تفكيرهم النقدي، وهو ما سيؤدي بهم إلى أن يصبحوا فاعلين في عملية إنتاج اللغة، بما في ذلك الكتابة. بما أن هناك اعتقاداً بأن الكتابة الجيدة ناتجة عن تفكير جيد.

لقد اقترحت الدراسات أن طرح الأسئلة عامل هام في عملية التدريس والتعلم⁽⁶⁾. ونتيجة لذلك، يعتمد التعلم والتفكير

⁵ - تنظر الدراسات التاليتان:

- Button, K., Johnson, M.J., & Furgerson, P. (1996). Interactive writing in a primary classroom. The Reading Teacher, 49, 446-454.
- Janes, J., & Hauer, D. (1988). Now what? Readings on surviving (and even enjoying) your first experience at college teaching. (2nd ed.) Acton, MA: Copley.

⁶ - تنظر الدراسات التاليتان:

- Gall, M. D. (1970). The use of questions in teaching. Review of Educational Research, 40, 707-720.
- Sanders, N. M. (1966). Classroom questions: What kinds? New York: Harper & Row.

والمشاركة ومستوى التفاعل على نوع صياغة الأسئلة، واستعمالهم لها في القسم⁽⁷⁾. ومع ذلك، تُوجِبُ دراسة دور الأسئلة في التفكير النقدي للمتعلمين تحديد معنى السؤال. وقد اقترح كوتون (Cotton) التعريف الشائع للسؤال قائلا إن أي سؤال هو أي جملة تتخذ شكل استفهام أو وظيفة استفهام. علاوة على ذلك، يرى أنه "في الوضعيات الصفية، تحدد أسئلة الأستاذ بوصفها تلميحات تعليمية أو تحفيزا ينقلان للمتعلمين عناصر المحتوى المراد تعلمه، وتوجيها لما يفعلونه ولكيفية فعلهم ما يفعلونه"⁽⁸⁾.

لقد أثبت الباحثون أن هناك علاقة حاسمة بين سؤال الأستاذ الصفّي ونتائج التعلم، أي إنجاز المتعلم وتذكره ومهارات تفكيره ومستوى مشاركته. كما أن بعض الدارسين يؤمنون أن التفكير توجهه الأسئلة لا الأجوبة. وقد أشار إدر وبول (Elder and Paul) إلى أن "الأسئلة تحدد المهام وتعبر عن المشاكل والقضايا. وأن الأجوبة تشير في الغالب إلى التوقف التام عن التفكير"⁽⁹⁾. من ثم، هناك تصور مفاده أن المتعلمين الذي يطرحون أسئلة في القسم يميلون في العادة إلى التعلم والتفكير بشكل جيد من أولئك الصامتين طوال الوقت في القسم. وقد أكد إدر وبول (2003) أن التساؤل الفعّال يؤدي إلى تغيير تفكير المتعلمين وأفكارهم. وشدد ستروثر (Strother) على الدور الهام للسؤال، معتبرا أن "السؤال مهم لكونه يحفز المتعلمين، ويركز انتباههم، ويخبرهم بكيفية إتيان المادة، ويعطيهم فرصة للممارسة والمراجعة"⁽¹⁰⁾. إضافة إلى ذلك، غاية أسئلة الأساتذة في القسم هي تشجيع المتعلمين على الانخراط الفعال في الحصص، وتطوير مهارات التفكير النقدي، وتحفيزهم على حصولهم على المعرفة بأنفسهم⁽¹¹⁾. وقد أضافت نسرين (Nasreen) بعض الأسباب لطرح الأسئلة: للإشارة إلى الاهتمام بما يستمع إليه المتعلمون وما يحسونه وما يفكرون فيه، وتشجيعهم على مقارنة حل المشاكل في التفكير والتعلم، وتعميق مستوى تفكيرهم⁽¹²⁾. وبما أن غالبية الأسئلة المطروحة في القسم، تكون من مستوى معرفي أدنى، فإن على الأساتذة التخطيط لطرح أسئلة من مستوى عال. ودمج أسئلة من المستوى العالي في القسم، سيُسَجِّعُ المتعلمون على تطوير مهارات تفكيرهم النقدية⁽¹³⁾.

1-1- النموذج السقراطي للسؤال

في العقدين الماضيين، بدأت معظم الدراسات حول السؤال الصفّي إثارة المنهج السقراطي في استعمال الأسئلة والأجوبة. ونموذج سقراط في طرح السؤال مقارنة بتدريس قوية من دون شك في تحدي افتراضات المتعلمين، وكشف

⁷ - تنظر دراسة وايلين (1991):

Wilens, W. W. (1991). *Questioning skills for teachers*. (3rd ed.). Washington, DC: National Education Association.

⁸ - تنظر دراسة كوتون (2001):

Cotton, K. (2001). *Classroom questioning*. North West Regional Educational Laboratory.

⁹ - تنظر دراسة إدر وبول (2006):

Elder, L. & R. Paul (2006). *Art of Socratic questioning*. Dillion Beach, CA: Foundation for Critical Thinking. P. 3.

¹⁰ - تنظر دراسة ستروثر (1989):

Strother, D. B. (1989). Developing thinking skills through questioning. *The Phi delta Kappan*, Vol. 71, No. 4, pp. 324-327. P. 324.

¹¹ - تنظر دراسة كوتون (2001):

Cotton, K. (2001). *Classroom questioning*. North West Regional Educational Laboratory.

¹² - تنظر دراسة نسرين (2003):

Nasreen, H., (2003). Helping EFL/ESL Students by Asking Quality Questions. *The Internet TESL Journal*, Vol. IX, No. 10, October 2003, <http://iteslj.org/>

¹³ - تنظر دراسة كوتون (1988):

Cotton, K. (1988). *Classroom questioning*. Retrieved June 23, 2004, from <http://www.nwrel.org/scpd/sirs/3/cu5.html>

التناقضات المؤدية إلى معرفة جديدة.

وفقا لبول والدر (2006)، يمكن للأساتذة أو المتعلمين أو أي واحد مهتم بالتفكير العميق بناء أسئلة سقراطية، وينبغي لهم فعل ذلك. وآمن سقراط أن الممارسة المنضبطة للأسئلة المدروسة تمكن المتعلمين من إنتاج أفكار منطقية. ويمكن صياغة الأسئلة السقراطية بثلاث طرائق عامة وذلك لـ:

1. استكشاف الجانب العام من المادة المدروسة: "وصف أنواع مختلفة من الحركة التكتونية على طول حدود الصفائح".
2. تشجيع الإبداع والعصف الذهني: "التفكير في الأسباب الممكنة لأصل صخرة كبيرة وجدت جاثمة على سهل شبه مستو يقع تحته نوع صخري مختلف عن الصخرة الموجودة في الأعلى".
3. تركيز الاهتمام على مشكل معين: "مقارنة الدليل المستخدم من العلماء لدعم فكرة التطور البيولوجي (أو الاحتباس الحراري المعاصر) مع الحجج المستعملة من قبل الذين يرفضون إمكانية هذا الأمر (أو الاحتباس الحراري) (14)".

بناء على النموذج السقراطي، يمكن لتقنية السؤال أن تساعد المتعلمين على التفكير بشكل نقدي بالتركيز الصريح على عملية التفكير. ووفقا لدافيس (Davis)، يمكن للسؤال المدروس جيدا في القسم أن يحقق أهداف التعلم والتعليم الآتية:

- دعم تعلم فعال ومركّز على المتعلم؛
- مساعدة المتعلمين على بناء المعرفة؛
- مساعدة المتعلمين على تطوير مهارات حل مشكل؛
- تحسين التذكر طويل الأمد للمعرفة (15).

قالت كوكس وغريفيث (Cox and Griffith) إن دمج تقنيات السؤال السقراطية في القسم أساسي لتطوير متعلمين فاعلين ومستقلين. وحددا ست أصناف للأسئلة:

1. توضيح المتعلمين لتفكيرهم: مثلا، لماذا قلت هذا؟ هل يمكنك أن تفسر ذلك أكثر؟
2. تحدي افتراضات المتعلمين: مثلا، هل دائما يكون الأمر كذلك؟ لماذا تعتقد أن هذا الافتراض يصلح هنا؟
3. اعتبار الدليل أساس الحجة: مثلا، لماذا قلت هذا؟ هل هناك سبب يدعو إلى الشك في هذا الدليل؟
4. وجهات نظر بديلة ومنظورات بديلة: ما الحجة المضادة لذلك؟ هل يمكن لأحد أن يقول هذا بطريقة أخرى؟
5. التداعيات والنتائج: مثلا، إذا وقع ذلك، ما الذي سيؤدي إليه أيضا؟ كيف يؤثر هذا في كذا...؟
6. التشكيك في السؤال: مثلا، لماذا تعتقد أنني طرحت عليك هذا السؤال؟ لماذا هذا السؤال هام؟ (16)؟

1-2-إرشادات لتوظيف تقنية السؤال

اقترح كالاهاان وكلاك وكيولوج (Callahan et al.) الإرشادات الآتية على الأساتذة لمعرفة كيفية إعداد وتطبيق تقنية السؤال في أقسامهم:

¹⁴ -تنظر دراسة إدر وبول (2006):

Elder , L. & R. Paul (2006). *Art of Socratic questioning*. Dillion Beach, CA: Foundation for Critical Thinking.

¹⁵ - تنظر دراسة دافيس (1993):

Davis , B. G. (1993). *Tools for teaching*. By Jossey-Bass Inc, Publishers, 350 Sansome Street, Sanfrancisco, California 94-104.

¹⁶ - تنظر دراسة كوكس وغريفيث (2007):

Cox, S. & A. Griffith (2007). *Outstanding teaching*.

- أسأل أسئلة مصوغة بشكل جيد قبل دعوة متعلم إلى الجواب.
- تجنب الكلام الكثير.
- اترك متسعا من الوقت للمتعلمين للتفكير بعد طرحك للسؤال.
- ساو بين الجنسين في تحديد من يجيب.
- اعط فرصة للجميع للمشاركة.
- امنح الوقت نفسه لكل المتعلمين من أجل الإجابة.
- اطلب من المتعلمين أن يرفعوا أصابعهم.
- شارك بفعالية وبقدر الإمكان المتعلمين في التبادل القائم على سؤال-جواب.
- زن ردود أفعالك لإجابات المتعلمين على أسئلتك.
- امدح المتعلمين بقوة وفي اعتدال (17).

2-المنهجية

خططنا لهذا البحث بناء على منهج تدخل في قسمنا فيه المتعلمين إلى مجموعتين: مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة. وقمنا برائز قبلي لفحص قدرة المتعلمين على التفكير النقدي. ودرسنا المجموعة التجريبية باستعمال تقنية السؤال، بينما تركنا المجموعة الضابطة من دون تغيير. وبعد إنجاز الحصص اليومية لأربعة أسابيع، أجرينا رائزا بعديا لكلا المجموعتين من أجل تقييم تقدمهم في مستوى الكتابة والتفكير النقدي بالتبع. وقد اخترنا المتعلمين الذين لديهم أداء ضعيف في مستوى الكتابة من أجل قياس أثر خطتنا التدخلية في الرفع من مستوى إنتاجاتهم الكتابية.

3-تحليل البيانات

السؤال الأساس الذي انطلقنا منه في هذا البحث هو ما إذا كان بإمكان تقنية السؤال أن تحسن مستوى الكتابة لدى المتعلمين. وقد أشارت نتائج المجموعة التجريبية التي درست الكتابة باستخدام تقنية السؤال تحسنا ملحوظا في نتائج الرائز البعدي مقارنة بالمجموعة الضابطة التي استعملت منهجا تقليديا في الكتابة. من ثم، أجابت نتائج التحليل أيضا على سؤال البحث بأن تقنية السؤال يمكن أن تستعمل لمساعدة المتعلمين على تطوير مهارات إنتاجهم الكتابي مقارنة بالمنهج العادي. ويمكن إيضاح نتائج البحث التدخل في المبيان أدناه:

المبيان (1) نتائج الرائز القبلي والرئز البعدي

الرقم	المجموعة	الرئز القبلي	الخطة التدخلية	الخطة التدخلية	الرئز البعدي	الفروقات
1	الضابطة	63%	نمط أسئلة عادية	وصف صور	63%	----
2	التجريبية	63%	دمج تقنية السؤال	وصف صور	80%	17%

انطلاقا من الخطة التدخلية، استطاع المتعلمون تطبيق التقنية المدرسة في المناقشة. واستطاع ثلاثة أرباع القسم فهم التقنية، وتقاسموا معرفته مع باقي أصدقائهم، وحاولوا إيجاد أجوبة عن الأسئلة المطروحة. ومن الملاحظ أننا وجدنا

¹⁷ - تنتظر دراسة كالاهاان وآخرين (2005):

Callahan, Clark and Kellough (2005). *Teaching in the Middle and Secondary Schools*. Prentice Hall; 8 edition.

انخراط المتعلمين وتحملهم المسؤولية في المناقشة. ومن دون تعليمات إضافية، اشتغلوا في المجموعة واختاروا قائدهم بأنفسهم، وكل فرد منهم أدى دوره في تقديم رأيهم بخصوص الأجوبة. علاوة على ذلك، يبدو أن استعمال تقنية السؤال، جعلت المتعلمين ينخرطون بفعالية في النشاط الصفّي بغض النظر عن اختلاف مستوى إتقانهم.

4-آثار الخطة التدخلية

وجد معظم المتعلمين، ولا سيما المتعثرون منهم الكتابة مهارة صعبة مقارنة بالمهارات الأخرى كالاستماع والكلام والقراءة. وبغض النظر عن مستوى المتعلمين المرحلة الابتدائية فإن الكتابة آخر مهارة يكتسبها المتعلمون. والسبب هو المشاركة الضعيفة للمتعلمين في الأنشطة التفاعلية، وعدم وجود أفكار لديهم. ولهذه الأسباب، استعملت تقنية السؤال لتحفيز المتعلمين على التفكير والمشاركة بفعالية في أنشطة الكتابة الصفية. وأدت هذه التقنية دورا هاما في التدريس ورفع مهارات التفكير النقدي لديهم.

في تطبيق تقنية السؤال في تدريس المتعلمين لمهارات الكتابة، ولا سيما في هذا البحث، تطورت مهارات التفكير لديهم في كتاباتهم. وقد برهن على ذلك تحسن ملحوظ في الرائد البعدي لدى المجموعة التجريبية، وكانت هناك زيادة من 63% إلى 80%. وهو ما يثبت ارتفاع ثقة المتعلمين في تفكيرهم النقدي عن طريق الإجابة عن الأسئلة الموجهة إليهم. وقد كان المتعلمون مسؤولين عن المشاركة في المناقشة والانخراط في لغة تواصلية فاعلة في القسم. وفي هذا البحث، سعينا إلى خلق بيئة تعلم نشيطة لتحفيز المتعلمين على المشاركة في أنشطة الأسئلة والأجوبة. وقد شاركوا بفعالية في الحصة واهتموا بالدروس خلال طرح الأسئلة عليهم.

خاتمة

صفوة القول، إن استعمال تقنية السؤال في تدريس الكتابة كان له أثر جيد في كتابة المتعلمين، كما غيّر تصوراتهم حول الكتابة من مشاركة سلبية إلى مشاركة فاعلة في حصة المناقشة القائمة على لقد أثبت الباحثون أن هناك علاقة حاسمة بين سؤال الأستاذ الصفّي ونتائج التعلم، أي إنجاز المتعلم وتذكره ومهارات تفكيره ومستوى مشاركته. كما أن بعض الدارسين يؤمنون أن التفكير توجهه الأسئلة لا الأجوبة..

لائحة المصادر والمراجع

1. مستجدات المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي برسم السنة الدراسية 2020-2021، مديرية المناهج، يوليو 2020.
2. Galal, The Road not Traveled: Education Reform in the Middle East and North Africa. Washington, (DC: International Bank for Reconstruction and Development: World Bank, 2008).
3. Button, K., Johnson, M.J., & Furgerson, P. (1996). Interactive writing in a primary classroom. *The Reading Teacher*, 49, 446-454.
4. Callahan, Clark and Kellough (2005). *Teaching in the Middle and Secondary Schools*. Prentice Hall; 8 edition.
5. Cotton, K. (1988). *Classroom questioning*. Retrieved June 23, 2004, from <http://www.nwrel.org/scpd/sirs/3/cu5.html>
6. Cotton, K. (2001). *Classroom questioning*. North West Regional Educational Laboratory.
7. Cox, S. & A. Griffith (2007). *Outstanding teaching*.
8. Davis , B. G. (1993). *Tools for teaching*. By Jossey-Bass Inc, Publishers, 350 Sansome Street, Sanfrancisco, California 94-104.
9. Elder , L. & R. Paul (2006). *Art of Socratic questioning*. Dillion Beach, CA: Foundation for Critical Thinking.
10. Elder , L. & R. Paul (2006). *Art of Socratic questioning*. Dillion Beach, CA: Foundation for Critical Thinking.
11. Gall, M. D. (1970). The use of questions in teaching. *Review of Educational Research*, 40, 707-720.
12. Janes, J., & Hauer, D. (1988). Now what? Readings on surviving (and even enjoying) your first experience at college teaching. (2nd ed.) Acton, MA: Copley.
13. Nasreen, H., (2003). Helping EFL/ESL Students by Asking Quality Questions. *The Internet TESL Journal*, Vol. IX, No. 10, October 2003, <http://iteslj.org/>
14. P. Facione, Peter, Critical thinking: A statement of expert consensus for purposes of educational assessment and instruction. (Millbrae, CA: The California Academic Press, 1990).
15. Sanders, N. M. (1966). *Classroom questions: What kinds?* New York: Harper & Row.
16. Strother, D. B. (1989). Developing thinking skills through questioning. *The Phi delta Kappan*, Vol. 71, No. 4, pp. 324-327. Cotton, K. (2001). *Classroom questioning*. North West Regional Educational Laboratory.
17. Turouskaya, F. A. & Turouskaya, I. S. (2001). Teaching critical thinking in a Foreign Language. *Education et Sociétés Plurilingues*, 10, pp. (51-54).
18. Urbanosky, J. (n.d). *Questions and the role of questioning technique in the classroom*. Retrieved June 23, 2004.

عنوان البحث

البيداغوجيا الفارقية - المفهوم والتطبيق

د. نورالدين اوواه¹، د. خديجة اوواه²

¹ باحث، طانطان، المغرب. بريد الكتروني: aouah1973@gmail.com

² باحثة، تزنيت، المغرب. بريد الكتروني: Khado197979@gmail.com

HNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/19>

تاريخ القبول: 2024/03/15م

تاريخ النشر: 2024/04/01م

المستخلص

هدف هذا البحث الى دراسة البيداغوجية الفارقية في إفهام المتعلمين للنصوص التي يقرؤونها؛ حيث لاحظنا أن بعض المتعلمين قد يقرؤون النص بشكل سليم لكنهم لا يصلون إلى فهم معناه، وهو ما يحول دون تحقق التعلم التام الذي نسعى إليه. وبطبيعة الحال، قد أظهر لنا التقويم التشخيصي بداية السنة تفاوتاً كبيراً بين المتعلمين في المعارف الأساس للغة العربية، وهو ما طرح أمامنا مشكل تحقيق الإنصاف والمساواة في التعلم. لكن تحقيق الإنصاف في كل المكونات أمر يتطلب سيورة ممتدة لا يتسع لها بحثنا التدخلي، لذلك اقتصرنا على جانب فهم المقروء باعتماد البيداغوجيا الفارقية سبيلا لتحقيق ذلك، ووسيلة لتحقيق الإنصاف في مدرستنا. واختارنا العنوان الآتي عنواناً لموضع بحثنا: "أثر البيداغوجيا الفارقية في رفع مستوى فهم النصوص بالمستويات الثلاثة الأولى بالابتدائي". وصغنا الإشكالية كالتالي: كيف يمكن للبيداغوجيا الفارقية أن تسهم في الرفع من مستوى فهم النصوص لدى متعلمينا بالمستويات الثلاثة الأولى؟ وجزأنا تعاملنا مع هذه الإشكالية بطرحنا للأسئلة التالية: ما البيداغوجيا الفارقية؟ ما علاقة البيداغوجيا الفارقية بتدريس النصوص وإفهامها؟ كيف يمكن للبيداغوجيا الفارقية أن تسهم في رفع مستوى المتعلمين بفهم النصوص؟. نهدف من خلال هذا البحث إلى الرفع من أداء المتعلمين والمتعلمات بأقسامنا، وإلى الرفع من كفاءتنا المهنية بأقسامنا. وتلك غايتان للبحث التدخلي، نرجو تحقيقها، وذلك ما سنحاوله عبر شق نظري وشق عملي، وبينهما شق منهجي.

الكلمات المفتاحية: البيداغوجية الفارقية، المتعلمون، النصوص.

RESEARCH TITLE

DIFFERENTIAL PEDAGOGY - CONCEPT AND APPLICATION**Nouredine Aouah¹, khadija Aouah²**¹ Researcher, Tan-Tan, Morocco. Email: aouah1973@gmail.com² Researcher, Tiznit, Morocco. Email: Khado197979@gmail.comHNSJ, 2024, 5(4); <https://doi.org/10.53796/hnsj54/19>**Published at 01/04/2024****Accepted at 15/03/2024****Abstract**

This research aimed to study the differential pedagogy in understanding the learners of the texts they read, as we noticed that some learners may read the text properly but do not reach an understanding of its meaning, which prevents the achievement of the full learning we seek. Of course, the diagnostic assessment at the beginning of the year showed us a great disparity among learners in basic knowledge of the Arabic language, which presented us with the problem of achieving equity and equality in learning. But achieving equity in all components requires an extended process that our interventionist research cannot accommodate, so we limited ourselves to the aspect of reading comprehension by adopting differential pedagogy as a way to achieve this, and a means to achieve equity in our school. We have chosen the following title as the title of a place that urges us: "The impact of differential pedagogy on raising the level of understanding of texts at the first three levels of primary school". We formulated the problem as follows: How can differential pedagogy contribute to raising the level of understanding of texts among our learners at the first three levels? The aim of the research is to analyze the impact of employing pedagogy in reading and reading comprehension, through the application of bilateral and group work and focus on discussions between learners, to raise their motivation and learn with the peer.

Key Words: Differential pedagogy, learners, texts.

مقدمة

اختار علماء التربية طوال التاريخ استراتيجية "عباءة واحدة تلائم الجميع" للتعليم في الأقسام، فقد درّسوا كل المتعلمين بالطريقة نفسها وفي المدة الزمنية نفسها أيضا ووفقا لورميلي (Wormeli) من غير المحتمل أن تكون هذه الاستراتيجية فعالة؛ فالأقسام المعاصرة مختلفة للغاية، وتتسم باختلافات ثقافية وعاطفية واقتصادية ومادية وثقافية. ويختلف المتعلمون في السن نفسه، في الاستعداد للتعليم، وفي الاهتمام بالتعلم وفي أسلوب التعلم وفي معرفتهم الخلفية، وفي ظروف عيشهم وتؤثر هذه الاختلافات في تعلم المتعلمين وفي الفضاء الذي يتعلمون فيه. كما أنّ كل العمليات المعرفية للمتعلمين محددة بمواقفهم الفريدة، ومن الواضح أن الأستاذة يحتاجون إلى تلبية الاحتياجات الفكرية لكل متعلم

ويعمل التعليم الذي يراعي الفروقات الفردية بين المتعلمين على تحفيز المتعلمين ويؤدي إلى زيادة التعلم ووفقا لتوملنسون وآخرون (Tomlinson et al)، يحدث التعلم بشكل جيد للغاية حينما يعدّل الأستاذ باستمرار المنهاج تبعا لاستعداد التلاميذ بشكل فردي، وتبعا لاهتمامهم ومسار تعلمهم وكما قال طوملنسون ودوبيت (Tomlinson and Doubet)

"يتطلب الاختلاف في مستويات المتعلمين من أولئك الذين يدرسونهم الوعي التام باختلافهم، وإملاك المهارات الضرورية لمعالجة تنوعهم، بما في ذلك أولئك الذين يظهرون قدرات معرفية متقدمة وأولئك الذين لديهم إمكانيات لم تظهر بعد" ولقد انتهى جورج (George) إلى أن استراتيجيات التعليم بالفارقية تعي باختلاف المتعلمين، وتوصي بتنوع تعلماتهم، وتعدّ بضمان تعلمات فعالة لكل متعلم

بناء على ما سبق نروم في هذا البحث التدخلي استثمار البيداغوجية الفارقية في إفهام المتعلمين للنصوص التي يقرؤونها؛ حيث لاحظنا أن بعض المتعلمين قد يقرؤون النص بشكل سليم لكنهم لا يصلون إلى فهم معناه، وهو ما يحول دون تحقق التعلم التام الذي نسعى إليه. وبطبيعة الحال، قد أظهر لنا التقييم التشخيصي بداية السنة تفاوتات كبيرا بين المتعلمين في المعارف الأساس للغة العربية

1-مراجعة الأدبيات

قال جيروم برونر منذ خمسين سنة مضت أنه ينبغي علينا لاحترام اختلاف المتعلمين في أقسامنا أن نهتم بالمتعلمين الذين يواجهون صعوبات في التعلم بالطريقة نفسها التي نهتم بها بالمتعلمين الموهوبين⁽¹⁾، مؤكدا أهمية الحفاظ على ثقة المتعلم في سيرورة التعلم، وداعيا المدرسين إلى إعادة النظر في ممارساتهم التدريسية لضمان شعور المتعلمين جميعا بأنهم مرحب بهم في القسم⁽²⁾.

أكد نوبل (Nobel) الوجود الدائم للاختلاف في الأقسام الدراسية، مشيرا إلى أن الحركة المدرسية الإدماجية المعاصرة التي دافعت عن دمج المتعلمين ذوي الإعاقات وذوي صعوبات التعلم في الأقسام، جعلت قبول الاختلاف وأخذة بعين الاعتبار يصبح أمرا يطرح نفسه بقوة⁽³⁾. وقد أدرك العديد من رواد التربية منافع التعليم بالبيداغوجية الفارقية، وضمنوها في خططهم الإصلاحية للمدرسة⁽⁴⁾. والإيمان أن التعليم باعتماد البيداغوجية الفارقية ليس موضوعة عابرة، جعلت

¹ - ورد هذا القول في كتاب طوملنسون وآخرين (2003):

Tomlinson, C. A., Brighton, C., Hertberg, H., Callahan, C. M., Moon, T. R., Brimijoin, K., Conover, L.A., & Reynolds, T. (2003). Differentiating instruction in response to student readiness, interest, and learning profile in academically diverse classrooms: A review of literature. Journal for the Education of the Gifted, 27(2/3), 119- 145

² - المرجع نفسه.

³ - ينظر في هذا الصدد دراسة نوبل (2004):

Noble, T. (2004). Integrating the Revised Bloom's Taxonomy with multiple intelligences: A planning tool for curriculum differentiation. Teachers College Record, 106(1), 193- 211.

⁴ - ينظر في هذا الصدد دراسة وورميلي (2007):

فانسكريفر (VanScriber) يذهب إلى القول: "ينبغي أن يكون التعليم بالفارقية أمريكيا كفتيرة التفاح أو البيسبول"⁽⁵⁾. ويقوم التعليم بالفارقية على تعديل أربعة عناصر مرتبطة بالمنهاج هي: **المحتوى** (المعرفة، والفهم والمهارات التي نريد من المتعلمين تعلمها)، **والسيرورة** (كيفية فهم المتعلمين للمحتوى)، **والمنتج** (كيفية إظهار ما عرفه المتعلمون وفهموه، وقدرتهم على فعل ما يمكن لهم فعله في مدة زمنية من التعلم)، **والأثر** (كيفية تأثير مشاعرهم وأحاسيسهم في تعلمهم)⁽⁶⁾. ويكون تعديل الممارسات التعليمية بالفارقية سهلا، حينما يعالج الأساتذة الأصناف الثلاثة لاحتياجات المتعلم⁽⁷⁾؛ أي **الاستعداد** (قرب المتعلم من المعرفة والفهم والمهارات الخاصة)، **والاهتمام** (الانتباه والفضول والمشاركة) **والملف الشخصي** للمتعلم (تفضيله لمحتوى ما واستكشافه له والتعبير عنه).

1-1- مفهوم التعليم بالفارقية

يسمح التعليم بالفارقية للمدرسين بتصميم دروس تجعل المتعلمين ينخرطون في التعلم وتلبي احتياجاتهم الفردية، وتوفر فرصا متساوية لهم للوصول إلى إمكاناتهم الكاملة. وقد قالت وزارة أونتاريو للتعليم (The Ontario Ministry of Education, 2013) إن "التعليم بالفارقية" قادر على إدراك المستويات المختلفة للمتعلمين انطلاقا من معرفتهم الخلفية، واستعدادهم للتعلم، وقدرتهم اللغوية، وأولياتهم التعليمية، واهتماماتهم، وذلك عبر الاستجابة لذلك بشكل مسؤول⁽⁸⁾. والفكرة الأساس التي قدمتها البيداغوجيا الفارقية هي استجابة المدرسين لاحتياجات المتعلمين⁽⁹⁾. ومن أهم العناصر في هذا التعليم معرفة الأساتذة لمتعلميهم قبل بدء تنزيل استراتيجيات التعليم بالفارقية.

لقد وجدت تافرولا وماري (Stravoula and Mary) أن التعليم بالفارقية يزيد من نتائج التعلم لكل المتعلمين بغض النظر عن خلفيتهم الاقتصادية والاجتماعية. وأن تطبيقه بفعالية، يقدم فرصة لكل المتعلمين لتحسين تعلماتهم وأدائهم بغض النظر عن خلفياتهم.

وقد حددت الطريقة المثلى لتنزيل للتعليم بالفارقية في ثلاثة عناصر أساسية. وقد أشرنا إليها أعلاه ب: المحتوى والسيرورة والمنتج. وأضافت وزارة التعليم لأونتاريو عنصرا رابعا هو بيئة التعلم، أي المكان الذي يجري فيه التعلم. يبدأ الأساتذة الذين يستعملون العناصر الأربعة بتقييم مستوى متعلميهم، ثم يصممون دروسهم بطريقة تلائم اهتمام كل متعلم وأسلوب تعلمه واحتياجاته. والتعليم بالفارقية هو سيرورة مرنة تبرز من التقييمات المستمرة والفعالة للمتعلم، ومن تجمعات مرنة، وأنشطة متعددة وتنظيمات للتعلم، ويتعاون المتعلمون والأساتذة في عملية التعلم⁽¹⁰⁾.

Wormeli, R. (2007). Differentiation: From planning to practice Grades 6–12. Portland, OR: Stenhouse Publishers & National Middle School Association.

⁵ - ينظر في هذا الصدد دراسة فانسكريفر (2005):

VanSciver, J. H. (2005). NCLB fitfully fits differentiated instruction. Education Digest, 70(9), 37–39. P. 2.

⁶ - تنظر دراسة طوملنسون وإيمبو (2010):

Tomlinson, C.A., Imbeau, M.B. (2010). Leading and managing a differentiated classroom. Alexandria, VA: Association for Supervision and Curriculum Development. P. 15–16.

⁷ - المرجع نفسه، ص. 17–16.

⁸ - The Ontario Ministry of Education, 2013, p. 17.

⁹ - ينظر في هذا الصدد لدراسة طوملنسون وألان (2000):

Tomlinson, C. A., & Allan, S. D. (2000). Leadership for differentiating schools & classrooms. Alexandria, VA: Association for Supervision and Curriculum Development.

¹⁰ - ينظر في هذا الصدد لدراسة طوملنسون وألان (2000):

Tomlinson, C. A., & Allan, S. D. (2000). Leadership for differentiating schools & classrooms. Alexandria, VA: Association for Supervision and Curriculum Development.

2-2-التحديات الأساس لتطبيق التعليم بالفارقية

ليس التعليم بالفارقية مهمة سهلة؛ فهو يحتاج الكثير من الوقت والجهد في تصميم الدروس وإعدادها لكل المتعلمين، وللتأكد من أنها تلئم احتياجاتهم. وهناك ورشات تطوير مهني ودروس للأساتذة لمساعدتهم على تعلم كيفية التطبيق الأمثل للتعليم بالفارقية. ووفقا لدراسة أجرتها، طوملنسون وكالاهان (Tomlinson and Callahan) بخصوص أساتذة المستوى الإعدادي، قد وجدا أن 50 في المائة منهم لا يُدرسون بالفارقية لكونهم لا يرون سببا لفعل ذلك، وأن العديد منهم يدرسون بها حينما يجدون وقتا لذلك أو حينما يحسبون أن تطبيقها سيكون سهلا عندهم⁽¹¹⁾.

قد يجعل التخطيط للتعليم بالفارقية من الأساتذة غير مرتاحين لكون الأمر يتعلق بتنويع الفرص. وقد وجدت طوملنسون وألان أن بعض الأساتذة لا يعرفون كيف يكونون عادلين بالاستجابة لاختلافات متعلميهم. ووجد البحث أن الأساتذة غير مهتمين بإعطاء بعض المتعلمين فرصا لا تعطى لغيرهم من المتعلمين. كما اقترح البحث أن هناك تحديا وقلقا من الأساتذة بخصوص التخطيط للتعليم بالفارقية، وتدبير ذلك. ويحاف العديد منهم من عدم تلقي الدعم الكافي من الإدارة⁽¹²⁾؛ فإذا لم يحس الأساتذة بدعم الإدارة ودعم زملائهم، فمن غير المحتمل أن يُدرّسوا بالفارقية. ويمكن للتعليم بالفارقية أن يزيد العديد من التحديات التي يواجهها الأساتذة كل يوم، كما أن العديد منهم عبروا عن "الفشل وعدم القدرة على تلبية احتياجات كل تلاميذهم"⁽¹³⁾.

علاوة على ذلك، عبّر العديد من المدرسين عن كون تلبية احتياجات كل متعلميهم من أكبر التحديات التي واجهوها؛ لكونهم يفتقدون إلى معرفة كيفية تكييف المنهاج، وكيفية تعديل استراتيجيات التعلم بفعالية من دون الإخلال بتعلم كل المتعلمين⁽¹⁴⁾.

2-3-الممارسات الفعالة للتعليم بالفارقية لتسريع وتيرة فهم المقروء

تناولت دراسات قليلة دور التعليم بالفارقية في تسريع وتيرة فهم المقروء؛ حيث ركزت معظم الدراسات على التحفيز والمشاركة، مقدمة استراتيجيات قليلة لفهم المقروء. وركزت هذه الاستراتيجيات على التعلم الاجتماعي في العادة. ومن الممارسات المعروفة في ذلك احتياج المتعلمين إلى الوقت للسماح بمناقشة الكتب التي يقرؤونها رفقة أقرانهم في مجموعات صغيرة وبشكل زوجي، وفي شكل حديث عن الكتب⁽¹⁵⁾.

¹¹ - تنظر دراسة طوملنسون وكالاهان (1997):

Tomlinson, C., Callahan, C., & Lelli, K. (1997). Challenging expectations: Case studies of high-potential, culturally diverse young children. *Gifted Child Quarterly*, 41(2), 5-17.

¹² - ينظر في هذا الصدد دراسة ريس وآخرين (2011):

Reis, S. M., McCoach, D. B., Little, C. A., Muller, L. M., & Kaniskan, R. B. (2011). The effects of differentiated instruction and enrichment pedagogy on reading achievement in five elementary schools. *American Educational Research Journal*, 48(2), 462-501.

¹³ - ينظر في هذا الصدد دراسة شميدت وآخرين:

Schmidt, R. J., Rozendal, M. S., & Greenman, G. G. (2002). Reading instruction in the inclusion classroom: Research-based practices. *Remedial and Special Education*, 23(3), 130-140. P. 136.

¹⁴ - تنظر دراسة توبين تيببت (2014):

Tobin, R., Tippet, C.D. (2014). Possibilities and Potential and Potential Barriers: Learning to Plan for Differentiated Instruction in Elementary Science. *Int J of Sci and Math Educ* 12, 423-443.

¹⁵ - ينظر في هذا الصدد دراسة نولز (2009):

Knowles, L. (2009). Differentiated instruction in reading: Easier than it looks!. *School Library Media Activities Monthly*, 25(5), 26-28.

لقد أكد البحث أن تشجيع المتعلمين على تحمل مسؤوليتهم في القراءة بإجراء محادثات حول الكتب يجعلهم يركزون أكثر فيما يقرؤونه ويستفيدون منه⁽¹⁶⁾. ويرى غامبريل (Gambrell) أن التفاعل الاجتماعي يشجع المتعلمين على القراءة، ويسرع فهم المقروء بثلاث طرائق: آراء القرين يمكن أن يطور فضول المتعلم، حينما يلاحظ المتعلم تقدم أقرانه يمكن أن يؤثر ذلك في ثقته وقدرته على النجاح بشكل إيجابي، وحينما يعمل المتعلمون معا يشجع بعضهم اهتمام بعض ويشاركون في التعلم⁽¹⁷⁾. وأشار غامبريل إلى إفادة العديد من الدراسات بأن التدريس بدمج التفاعل الاجتماعي في القراءة يزيد من تحفيز المتعلم وأدائه في فهم المقروء.

استعملت مناهج جمع بيانات متعددة، حيث استعملنا روائز قبلية وبعديّة لتقويم معرفة المتعلمين بالقراءة وفهم المقروء عند بداية الخطة وعند نهايتها (انظر الملحق)؛ وذلك لقياس التغيرات الحاصلة في قدرتهم على فهم النصوص التي يقرؤونها، كما اعتمدنا على الملاحظة وما سجلناه في دفتر ملاحظات الأستاذ أثناء القيام بالدروس التي وظفنا فيها البيداغوجيا الفارقية.

كان المنهج الأول لجمع البيانات في البحث عبارة عن تقويمات قبلية وبعديّة، واستعملنا فيها المقابلة مع التلاميذ وسؤالهم أسئلة مغلفة مصممة لجمع معلومات حول فهمهم لقصة قرئت بصوت مرتفع. حيث قاموا بقراءة القصة بصوت مرتفع، ثم سُئِلوا أسئلة بشكل فردي حول عناصر القصة، بالتركيز على الأحداث البدئية والشخصيات والزمان والمكان والمشكل والحل والموضوع. وسجلنا أجوبة المتعلمين في الأوراق الخاصة بذلك.

وظفنا أيضا لجمع البيانات العمل بالمجموعات والقراءة بشكل مشترك في زوجين أو في مجموعات ومناقشة النصوص المقررة في الأسابيع الأربعة التي شملها زمن البحث.

وقد لاحظنا عمل المتعلمين وسجلنا ملاحظات بخصوص عملهم ومناقشاتهم. وقد بدأت الأسابيع الأربعة بقراءة نص بصوت مرتفع، ثم تركنا الفرصة للمتعلمين لمناقشة عناصر القصة التي شرحناها لها مسبقا.

استثمرنا البيداغوجيا الفارقية في جعل المتعلمين يناقش بعضهم بعضا بخصوص النصوص في عمل قائم على التعليم بالقرين أو في المجموعات، وذلك في دمج للمعرفة القبلية للمتعلمين بالمعرفة المبنية من أجل فهم النص.

3- تحليل البيانات

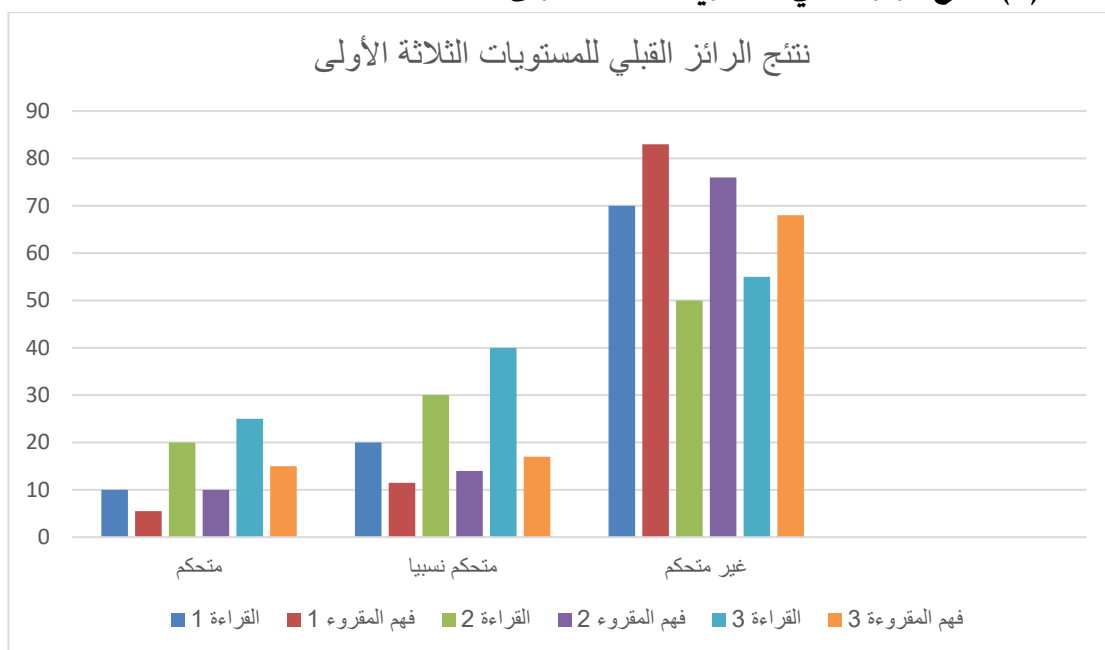
هدف البحث هو تحليل أثر توظيف البيداغوجيا في القراءة وفهم المقروء، وذلك عبر تطبيق عمل ثنائي وبالمجموعات والتركيز على المناقشات بين المتعلمين، رفعا لحافزيتهم وتعلما بالقرين. وقد أبرزت نتائج الرائز القبلي النتائج الآتية:

¹⁶ - المرجع نفسه.

¹⁷ - ينظر في هذا الصدد إلى دراسة غامبريل (2011):

Gambrell, L. B. (2011). Seven rules of engagement: What's most important to know about motivation to read. The Reading Teacher, 65(3), 172-178.

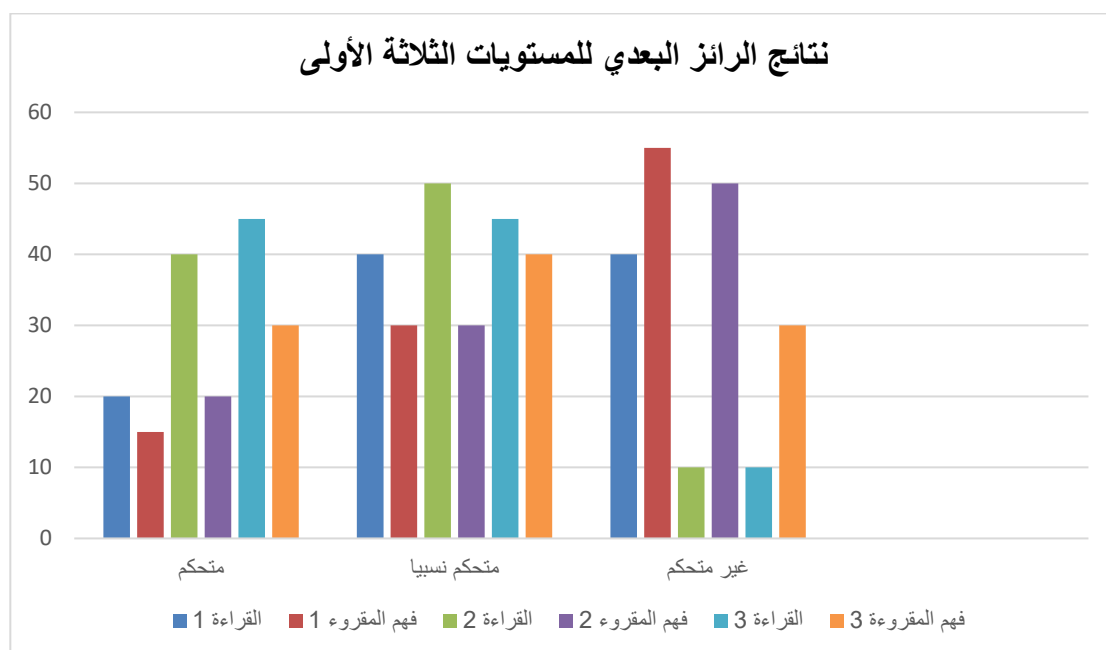
المبيان (1) نتائج الرائز القبلي للمستويات الثلاثة الأولى



برز المبيان أعلاه أن نسبة غير المتحكمين في القراءة وفهم المقروء مرتفع بالمقارنة بنسبة المتحكمين، كما أن نسبة المتحكمين نسبيا مرتفعة قليلا فقط، وهذا راجع بالضرورة إلى ما عرفته بلادنا من جائحة قللت زمن التعلّات، وخفضت مستوى الجودة. ومما يمكن الإشارة إليه هنا أيضا أن نسبة التحكم تزيد من سنة لأخرى، وهذا راجع بالأساس إلى صعوبة السنة الأولى في عملية التعلم، إذ تحتاج مجهودا كبيرا من قبل المتعلمين.

بعد أربعة أسابيع من التدريس بالفارقية في إطار العمل بالمجموعات، ومناقشات المتعلمين مع بعضهم بعضا، أفرزت نتائج الرائز البعدي ما يلي:

المبيان (2) نتائج الرائز البعدي للمستويات الثلاثة الأولى



يبرز المبيان أعلاه تحسنا ملموسا لدى عينة البحث؛ إذ لاحظنا ارتفاعا في معدل القراءة بدرجة واضحة، وفهم المقروء بدرجة أقل لدى عينة الدراسة، وربما يرجع السبب إلى اعتماد البيداغوجيا الفارقية، لكن ملاحظتنا التي دوناها في

دفتّر الملاحظات كانت تشير دوماً إلى زيادة حافزية المتعلمين أثناء العمل بالمجموعات، وأن عملية التعلم زادت بالتعلم بالقرين أكثر من التعلم بالاستماع وبالوضعيات البنائية، وهو ما أكد لنا أهمية التعلم بالقرين. تجدر الإشارة إلى أن المتعلمين أبانوا عن إدراكهم لعلميات فهم النصوص السردية، باستيعاب عناصر النص السردية وأن العمل المستمر يمكن أن يؤدي ثماره أكثر لو استمرت المدة. وهو ما قمنا به فأبان لنا عن نجاعته.

الخاتمة:

غاية هذا البحث تحديد إسهام التدريس بالبيداغوجيا الفارقية في الرفع من القراءة وفهم مقروئية المتعلمين بالمستويات الثلاثة الأولى بالسلك الابتدائي. وكان رهاننا جعل حصص القراءة المشتركة في مجموعات للنصوص سببا في تحسين فهم المتعلمين لما يقرؤونه، وقراءته بشكل سليم. وقد دربنا المتعلمين على كيفية مناقشة النصوص الحكائية، وتحديد عناصرها وإعادة سردها. وثبت لك نجاح هذه الاستراتيجية في تحسين قراءتهم وفهمهم لما يقرؤونه.

لقد ساعدتهم المناقشات على:

- تطوير مهارات القراءة السليمة للنصوص برفع الصوت حيناً واحترام علامات الترقيم حيناً آخر، بل والتعبير عن الأفعال الكلامية أيضاً من هدوء وأمر واستفهام واستغراب إلى غير ذلك؛
 - تطوير قدرات فهم النصوص الحكائية بتمكّن عناصر المختلفة، وهو ما سمح لهم بفهم الحكايات واستيعاب مضامينها والأهم من ذلك القدرة على إعادة سردها وفق العناصر البنائية لها؛
- نوصي باستعمال هذه الخطة في السنوات الأولى من القراءة كاستراتيجية يمكن استعمالها في القراءة وفهم المقروء، ونوصي باستعمالها في فهم النصوص الأخرى الحجاجية والشعرية، بل وجعل التدريس بالفارقية أمراً روتينياً في التدريس.

مصادر ومراجع الدراسة

1. Gambrell, L. B. (2011). Seven rules of engagement: What's most important to know about motivation to read. *The Reading Teacher*, 65(3), 172-178.
2. George, P. S. (2005). A rationale for differentiating instruction in the regular classroom. *Theory Into Practice*, 44(3), 185-193
3. George, P. S. (2005). A rationale for differentiating instruction in the regular classroom. *Theory Into Practice*, 44(3), 185-193
4. Knowles, L. (2009). Differentiated instruction in reading: Easier than it looks!. *School Library Media Activities Monthly*, 25(5), 26-28.
5. Noble, T. (2004). Integrating the Revised Bloom's Taxonomy with multiple intelligences: A planning tool for curriculum differentiation. *Teachers College Record*, 106(1), 193- 211.
6. Reis, S. M., Mccoach, D. B., Little, C. A., Muller, L. M., & Kaniskan, R. B. (2011). The effects of differentiated instruction and enrichment pedagogy on reading achievement in five elementary schools. *American Educational Research Journal*, 48(2), 462-501.
7. Schmidt, R. J., Rozendal, M. S., & Greenman, G. G. (2002). Reading instruction in the inclusion classroom: Research-based practices. *Remedial and Special Education*, 23(3), 130-140.
8. The Ontario Ministry of Education, 2013.
9. Tobin, R., Tippet, C.D. (2014). Possibilities and Potential and Potential Barriers: Learning to Plan for Differentiated Instruction in Elementary Science. *Int J of Sci and Math Educ* 12, 423-443.
10. Tomlinson, C. (2001). Differentiated instruction in the regular classroom: What does it mean? How does it look? *Understanding Our Gifted*, 14(1), 3-6
11. Tomlinson, C. A., & Allan, S. D. (2000). *Leadership for differentiating schools & classrooms*. Alexandria, VA: Association for Supervision and Curriculum Development.
12. Tomlinson, C. A., & Allan, S. D. (2000). *Leadership for differentiating schools & classrooms*. Alexandria, VA: Association for Supervision and Curriculum Development.
13. Tomlinson, C. A., Brighton, C., Hertberg, H., Callahan, C. M., Moon, T. R., Brimijoin, K., Conover, L.A., & Reynolds, T. (2003). Differentiating instruction in response to student readiness, interest, and learning profile in academically diverse classrooms: A review of literature. *Journal for the Education of the Gifted*, 27(2/3), 119- 145
14. Tomlinson, C., & Doubet, K. (2006). *Smart in the middle grades. Classrooms that work for bright middle schoolers*. Westerville, OH: National Middle School Association.
15. Tomlinson, C., Callahan, C., & Lelli, K. (1997). Challenging expectations: Case studies of high-potential, culturally diverse young children. *Gifted Child Quarterly*, 41(2), 5-17.
16. Tomlinson, C.A., Brimijoin, K., & Narvaez, L. (2008). *The differentiated school: Making revolutionary changes in teaching and learning*. Alexandria, VA: Association for Supervision and Curriculum Development.
17. Tomlinson, C.A., Imbeau, M.B. (2010). *Leading and managing a differentiated classroom*. Alexandria, VA: Association for Supervision and Curriculum Development.
18. VanSciver, J. H. (2005). NCLB fitfully fits differentiated instruction. *Education Digest*, 70(9), 37-39. P. 2.
19. Wormeli, R. (2007). *Differentiation: From planning to practice Grades 6-12*. Portland, OR: Stenhouse Publishers & National Middle School Association.
20. Wormeli, R. (2007). *Differentiation: From planning to practice Grades 6-12*. Portland, OR: Stenhouse Publishers & National Middle School Association.

Humanitarian and Natural Sciences Journal

Peer-Reviewed Journal

Volume (5) Issue (4), April 2024



Sudan, Khartoum, Khartoum North,
Kafouri next to Al-Zaeem Al-Azhari University

Tel: 00249123656807

00249905578664

Email: info@hnjournal.net

Iraq - Babylon Tel: 009647805011077